

٢٠٧
٢٠٧
٢٠٧

رسالة ماجستير

بعض وان

الشعر في إشيلية فسي القرن

الخامس الهجري

إعداد

يوسف مسلم أبو العباس

١٩٧٩ / ١٩٨٠ م

بإشراف

الدكتورة عصمة غوشة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في الجامعة

الأردنية

عندما يدقق الباحث النظر في المكتبة الأندلسية يجد أن الأبحاث والدراسات التي تمت " بالشعر والشعراء " في إشبيلية في القرن الخامس الهجري قليلة جداً ، وأهم هذه الدراسات : دراسة الدكتور صلاح بن الحارث " إشبيلية في القرن الخامس الهجري " ، حيث ركّز الباحث دراسته على الناحيتين التاريخية والاجتماعية ، فجاء حديثه عن الشعر بشكل ثانوي . أما الأستاذان زهدي يكن فقد اهتم في كتابه " المعتمد بن عباد وشعره عصره " بشذرات من الأشعار التي قيلت في مدح المعتمد بن عباد ولكنه أغفل عدداً كبيراً من الشعراء الإشبيليين والوافدين ، حيث لم يورد لهم شعراً . وقد اهتم الدارسون بالشعراء المشهورين ، ولم يلتفتوا إلى أولئك المثليين أو المغمورين فجاء حديث التالي اجتراراً للسابق ، دون زيادة أو إصلاح ، كذلك غلط الباحثون بين الأشعار التي قيلت في إشبيلية في هذه الفترة ، وبين الأشعار التي قيلت في غيرها من المدن الأندلسية الأخرى .

كل هذه الأسباب مضافاً إليها الحرص على إحياء التراث ، دفعتني إلى اختيار هذه الموضوع فرأيت لزماً على تحديد هوية الأشعار التي قيلت في إشبيلية في القرن الخامس الهجري تحديداً دقيقاً منه انطلقت لدراستها وبيان قيمتها ، وتحديد اتجاهاتها ، وموضوعاتها ، وعلاقتها بالشعر الأندلسي والمشرقي ، ودراسة ، ثم استخلاص خصائصها الفنية .

وأما مصادر البحث فكثيرة متنوعة منها : الذخيرة في معاصر أهل الجزيرة ، ونفح الطيب ، وقلائد الحقيان ، والمطمح ، والمغرب ، والبيان المخرب ، والروض الممطر ، والاستقصا ، ورايات البرزين ، وديوان المعتمد بن عباد ، وشعر ابن اللبانة ، وديوان ابن حمديس ، وديوان ابن زيدون ، وغيرها من المصادر والمراجع . . . على أن أهم هذه المصادر على الإطلاق هو الذخيرة باقسامه المطبوعة والمخطوطة ، ففيه أكثر تراجم الشعراء في إشبيلية في هذا القرن .

وقد جاء البحث في فصول خمسة : خصصت الفصل الأول لبيئة إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، فتناولت البيئة الجغرافية حيث تحدثت عن الموقع والمناخ ، ومدى مساهمة هذه البيئة في ازدهار الشعر ، ثم انطلقت لدراسة عن الحياة السياسية ، حيث اشرت في البداية إلى فتح إشبيلية وخصائصها

منذ الفتح حتى أوائل القرن الخامس ، ثم فصّلت العديد عن الحياة السياسية في إشبيلية في هذا القرن ، مركزاً على الأحداث التي لها علاقة بالشعر وازهاره ، لذلك عنيت بدراسة المعتضد ، وحروبه مع الجبر ، وبالمعتمد وعلاقته بيوسف بن تاشفين من ناحية ، وحروبه مع الروم من ناحية أخرى ، ثم تعدت عن معركة الزلاقة ودخول المرابطين لإشبيلية ، وحكم سير بن أبي بكر لها ثم درست الحياة الاجتماعية فمعرضت لفتات الشعب ، ونشاطاته الاقتصادية : من زراعة وصناعة وتجارة وعمارة وبعد ذلك تحدثت عن الحياة الفكرية : العلمية منها والأدبية فأشرت إلى بعض علماء اللغة والنحو والأدب والطب والفلك والفلسفة والفقه والحديث وتحدثت عن المدارس والمدرسين ومدى مساهمة بني عباد في نهضة هذه الحياة .

وجردت الفصل الثاني للحديث عن اتجاهات الشعر وأبرزها الاتجاه السياسي والاتجاه الاجتماعي ، والاتجاه التعليمي ، والاتجاه الديني ، والجهادي ، والاتجاه الفلسفي ، هذا من الناحية الموضوعية ، أما من الناحية الفنية فقد برز اتجاهان هما : الاتجاه التقليدي والاتجاه التجديدي .

وأفردت الفصل الثالث لموضوعات الشعر وأغراضه ، فتحدثت عن مواكبة الشعر للوقائع التاريخية ، كفتح قرطبة ، ومالقة ، وفافق والمدور ، ورندة ، وتوجت هذه الوقائع بمعركة الزلاقة ، ودخول المرابطين للأندلس ، ثم درست أغراض الشعر التقليدية ، كالمديح الذي انتشر انتشاراً واسعاً في هذا العصر وبخاصة المدائح التي وجهت من قبل الشعراء للمعتضد بن عباد وابنه المعتمد ، والهجاء الذي كان قليلاً ، إلا أنه برز في أواخر القرن الخامس الهجري عند بعض الشعراء الذين وجهوا هجاءهم للمرابطيين من ناحية ، ولملوك الطوائف من ناحية أخرى ، والفخر الذي لم ينتشر كثيراً ، وأرثاء حيث ظهر أرثاء الأتارب والأبناء ، ورثاء الحكام ، ورثاء دولة بني عباد ، ورثاء الإخوان والأصدقاء ، والوصف ، وبخاصة وصف الطبيعة ، والفخر الذي اتسم بالفحش والمجون .

وعنيت في الفصل الرابع بدراسة الناحية الفنية للشعر ، ومستند
تأثره بالشعر الاندلسي والشرقي وثيقة هذا الشعر وموقعه من شعر
العصر .

وخصصت الفصل الخامس لدراسة بعض الشعراء وهم ابن حسن
وابن عمار وابن وهبون وابن اللبانة ، وفيه كان الحديث عن الجوانب التي
تسلط الضوء على الشعر في بيئة إشبيلية مراعيًا في رسم شخصيات الشعراء
الوافدين اظهار الجانب الإشبيلي منها . ثم كانت الخاتمة التي ضمنيتها
خلاصة البحث ونتائجه ، ثم انتهت الخاتمة بأربعة فهارس ، وأحسست
لأعلام الأشخاص ، وثان لأعلام المواقع الجغرافية ، وثالث للمصادر والمراجع ،
ورابع للمحتويات .

ولا يفوتني أن أنوه بجهد استاذتي الدكتور عصة غوشة التي لم
تستغل عليّ بجهدها . ولم تنس عليّ بوقتها وعلمها ، حيث
احتضنت هذا الجهد بتوجيهها وإشرافها ، وواكبته خطوة خطوة ، وذلك
أمامي كل صعوبة ، وقد وجدت فيها سعة صدر لمناقشة كل شبهة ، واستجابة
سريعة لكل نائمة . كذلك أقدم جزيل شكري وعظيم امتناني إلى أستاذتي
الدكتور عبد الكريم خليفة الذي شجعني على عملي هذا ، حيث كانت نتائجه
وتوجيهاته نبراساً آخرًا تدبته في رسالتي وانتفعت به في مناقشة
كثير من القضايا .

وأخيرًا فأنني لا أزعم أنني قد قلت الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع ،
ولا ادعي أن هذا العمل بريء من العيوب والمآخذ ، ولكنني لم ادخر جهداً
في تهذيبه وتنقيحه .

يوسف أبو الصمد
الجامعة الأردنية

١٩٧٩ م / ١٩٨٠ م

الفصل الأول

إشيلية في القرن الخامس الهجري

- البيئة الجغرافية
- الحياة السياسية
- الحياة الاجتماعية
- الحياة الفكرية .

البيئة الجغرافية

إشبيلية (١) بالأسبانية (Sevilla) (٢) واسم إشبيلية مشتق من الاسم القديم (Hispalis) وهو من أصل إيبيري (٣) . وقد بناها يوليس قيصر، وسبب بناءه لها ، أنه لما دخل الأندلس ، ووصل إلى مكانها ، أعجبه هذا المكان ، وجعله المعروف بالشرف * + فردم على النهر الأكبر مكانا ، وأقام فيه المدينة (٤) .

وقد أطلق المسلمون على إشبيلية اسم " حمص " ، وذلك لـنـزول جند حمص فيها حين افتتح المسلمون الأندلس ، حيث أنزل أبو الخطار حسام ابن ضرار الكلبي أهل حمص، إشبيلية ، وذلك سنة خمس وعشرين ومائة ، وكان

(١) إشبيلية : بكسر الألف ، وسكون الشين المعجمة ، وكسر الباء ، وسكون الياء ثم لام وياء ثانية خفيفة وفي آخرها ١٥٠ . (معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الأول ، دار صادر بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ، مادة إشبيلية ، تقويم البلدان ، أبو الفداء ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠م ص ١٧٤) .

The Encyclopaedia Of Islam, Volume 4, P, 234 . (٢)

The Encyclopaedia Of Islam, Volume 4, P, 235 . (٣)

* جبل الشرف : جبل يطل على إشبيلية ، كثير الشجر والزيتون والفواكه ، سمي بذلك لأنه مشرف من ناحية إشبيلية ، ممتد من الجنوب إلى الشمال ، وفيه ثمانية آلاف قرية عامرة آهلة بالحصانات ، بينه وبين إشبيلية ثلاثة أميال . (فضائل الأندلس وأهلها ، ابن سبزم نشرها الدكتور صلاح الدين المنجد ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب الجديد ، ١٣٧٤هـ - ١٩٦٨م ص ٥١ - ٥٢ ، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، أبو عبيد البركي ، تح ، الدكتور عبد الرحمن الحجي ، الطبعة الأولى ، دار الارشاد للطباعة ، بيروت ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م ، ص ١٧٨ ، صفحة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، الشريف الإدريسي مطبعة بريسل ليدن ، ١٩٦٨هـ ، ص ١٧٨ ، الروض المعطار ، الحميري ، تح ، الدكتور إحسان عباس ، دار القلم للطباعة ، لبنان ، ١٩٧٥م ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ، صفة جزيرة الأندلس منتجة من كتاب الروض المعطار ، الحميري ، نشر ليفي برونفان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م ص ١٩ ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المقري ، تح . الدكتور إحسان عباس ، الجزء الأول ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، ص ١٥٨ - ١٥٩) .

٤ . جغرافية الأندلس ص ١٠٨ ، الروض المعطار ص ٥٨ ، صفة جزيرة الأندلس ص ١٨ .

لواوهم في المينة بعد لواء جند دمشق (١) .

وتقع مدينة إشبيلية على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة (٢) ، ويسكن
المدينة في هذا النهر إلى اثنين وسبعين ميلا ، وفيه يقول ابن سفر (٣) :

شقّ القسيم عليه جيب قميصه ——— ونساب من شطّيه يطلب ثاره
فتضا حكت ورق الحمام بدوحها ——— زءاً فضم من الحباء إزاره

وتتصل بشطّيه الكروم والبساتين ، وتسير فيه السفن ، حيث ينماها ———
دجلة والغرات والنيل (٤) .

وترتفع المدينة عن سطح البحر خمسة وأربعين قدما ، ومع أنها تبعد عن
البحر مسافة ستين ميلا ، إلا أنّ لها جميع غصائر الثّور ، لأن النهر عند ١٥
بطيء التيار دافيء جاف (٥) .

وتمتاز الأندلس بجمال بلاد ١٥ ، وحسن مبانيها ، فهي كما يقول
البكري : " شامية في طبيعتها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، نديّة
في عطرها وذكائها " (٦) . أما إشبيلية فإنها عروس بلاد الأندلس ، تمتاز
بهدوئها وجمال طقسها ، فشرفها " غابة بلا أسد ، ونهرها نيل بلا تمساح " (٧) .

(١) انظر جغرافية الأندلس ص ١١٥ ، المعجب ، عبد الواحد المراكشي ، تح. محمد
سعيد الحريان ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م
ص ٤٥٨ ، البيان المغرب ، ابن عذاري ، تح . كولان وليفي بروفنسال ، الجزء
الثاني دار الثقافة ، بيروت ، ص ٣٣ ، الروض المحطّار ، ص ٥٩ ، النفج ١ : ١٥٨ .

٢ . النفج ١ : ١٥٨ .
٣ . فضائل الأندلس وأهلها ص ٥١ ، النفج ١ : ١٥٧ ، دائرة المعارف ، بطرس
البيستاني ، الجزء الثالث ، لهران ، ١٨٧٨م ، مادة إشبيلية .
٤ . انظر : معجم البلدان : مادة إشبيلية ، النفج ٣ : ٢١٢ ، الحلل السندسية ،
الأمير شكيب أرسلان ، الجزء الأول منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص ٢٤١ .
٥ . دائرة المعارف الإسلامية " مادة إشبيلية " .
٦ . صفة جزيرة الأندلس ص ٣ ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، المقرئ ، تح .
مصطفى السقا وآخرين ، الجزء الأول مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
، القاهرة ، ١٩٣٩ ، ص ٦٠ .
٧ . فضائل الأندلس وأهلها ص ٥١ - ٥٢ ، النفج ١ : ١٥٧ .

وهي الآن أحسن مدينة في الأندلس بعد مدريد ، وسكانها مائة وخمسون ألف نسمة ، وهم أقل من نصف عدد هم مدّة الحرب (١) .

ولا شبيلة كور * عديدة ، ومدن كثيرة ، وتقع أكثرها في جنوبي النهر الكبير وأقلها في شماليه ، فمن كورها : أركش ، وشريش ، وجزيرة طريف ، والجزيرة الخضراء ، ورنده ، وطريف ، وقرمونة ، وشدونة ، وأوتنة (٢) ومن أقاليمها : المدينة وآلمة ، والسّهل ، والشّعراء ، والبصل ، وطالقة ، والشرف ، والوادي ، وطشانة ، والفحص ، وقرطاشانة ، والمنستير (٣) .

وقيل إن عدد القرى التي على نهر إشبيلية اثنتا عشرة ألف قرية (٤) وتعتمد قرى الشرف على إشبيلية كثيرا ، ويبلغ عدد ١٥ ثمانية آلاف قرية ، حيث تكثّر فيها الحصانات (٥) وهذا يدل على الرقي الحضاري في ذلك الوقت .

والحديث عن كور إشبيلية وأقاليمها يقودني إلى الكلام عن العمارة والاشارة فيها ، فقد كانت إشبيلية مدّة بني عباد من أشهر المدن الأندلسية وأكثرها حضارة ورقيا ، وكانت فيها الدور الواسعة ، والقصور الجميلة ، والتماثيل المرمية ، والنافورات الرائعة ، وكان بحمام الشطارة بإشبيلية صورة بدعيّة الشكل فوضفها أحد هم بقوله (٦) .

-
- (١) رحلة الأندلس ، محمد لبيب البتوني ، الطبعة الأولى ، مطبعة الكشكول ، ١٩٢٧م ، ص ٥٩ ، ابن زيدون (عصره وحياته وأدبه) الدكتور علي عبد العظيم ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ١٩٥٥ ، ص ٦٧ .
- * الكور : مفرد ها كورة ، مصطلح يطلق على الأقسام الإدارية في الأندلس ، وتسمت الكورة إلى مدن أو نواحي ، لكل مدينة أو ناحية حوز يسمى الإقليم .
- (٢) فجر الأندلس ، الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٥٧ .
- (٣) تقويم البلدان ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .
- * إقليم : معناه عند الأندلسيين القرية الكبيرة أو البلدة وحوزها المتصل بها (فجر الأندلس ص ٥٧٩) .
- (٤) جغرافية الأندلس ص ١١٥ .
- (٥) النفج ١ : ٢٢٦ .
- (٥) صفة المغرب وأرض السودان ص ١٨٧ ، الروض المحطّار ص ٥٩ ، صفة جزيرة الأندلس ص ١٩ .
- (٦) النفج ١ : ٥٣٣ .

وُدُمِيَّة مَرْمَرٍ تُزْهِى بِجِيْسِنِهَا
تَنَاهَى فِي التَّوَرُّدِ وَالْبِيْسَاضِ
لَهَا وَلَدٌ وَلَمْ تَعْرِفْ حَلِيْسِنِهَا
وَلَا أَلْمَتْ بِأَوْجَاعِ الْمَغْسَاضِ
وَنَعْلَمُ أَنَّهَا حَجَرٌ وَلَكِنْ
تَتَيَّمَنَّا بِالْعَاطِي مَرَارِضِ

ولا يختلف بناء الدور في إشبيلية عن غيره في سائر مدن الأندلس
فقد اعتمد أهل الأندلس في بناء دورهم وتصوهم على الهندسة المشقية
في الخالص (١) .

وفي إشبيلية آثار كثيرة للأول ، وفي إقليم طالق وجدت صورة جارية من
مرمر معها صبي وكان حية تريده ، وجعلت هذه الصورة في بعض الحمامات
وتحفظها جماعة من الموام (٢) . ومن آثار إشبيلية الباقية : منارة الجامع
وتبدو جميلة مثلثة ، والقصر الذي يسمونه الكازار ، وهو من آثار الباقية
من أيام بني عباد (٣) . أما سور إشبيلية ، فقد بناه عبد الرحمن بن الحكم
بعد قلعة الصبوس عليها ، وعندما وليها سعيد بن المنذر المعروف بابن
السليم سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة هـ م السور ، ثم بني في الفتنة
بالستراب (٤) .

(١) انظر : غابر الأندلس وحاضره ، محمد كرد علي ، الطبعة الأولى ، المطبعة

الرحمانية ، مصر ، ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م ، ص ٢٧ - ٣١ ، بنوعباد بإشبيلية ،

الدكتور عبد السلام الطود ، مطبعة كريمان بس تطوان ، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م

ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٢) النفج ١ : ١٥٨ .

(٣) انظر : رحلة الأندلس ص ٦٠ - ٦٤ ، تراث الإسلام ، كرست آرنولد ، برجر

ترجمة الدكتور زكي محمد حسن ، الجزء الثاني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة

والنشر ، ١٩٣٦م ص ١٤١ - ١٤٢ ، الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال ،

الدكتور محمد عبد الله عنان ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة

والنشر ، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ، ص ٥٧ - ٦٤ ، رحلة إلى الأندلس ، ناصي بنوادي ،

الطبعة الأولى ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص ١٠٤ ،

أندلسيات (المجموعة الثانية) ، الدكتور عبد الرحمن الحجي ، الطبعة الأولى ،

دار الارشاد للطباعة والنشر ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٤) جغرافية الأندلس ص ١١٢ ، الروض المصطار ص ٥٩ ، صفة جزيرة الأندلس

ص ٢٠ - ٢١ .

يَا أَهْلَ أُنْدَلُسِ لِلّٰهِ دَرْكُكُمْ
مَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا فِي يَدِ يَارِكُمْ
فَلَيْسَ تَدْخُلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ
لَا تَتَّقُوا بَعْدَهَا ، أَنْ تَدْخُلُوا سَقَرًا

- (١) قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان ، القاهرة ، ١٢٨٤هـ - ١٨٦٧م ص ٢٤ .
- (٢) النفخ ١ : ١٨٢ .
- (٣) هو محمد بن الحمارة الفرناطي أبوعامر ، كان بارعاً في علم الألحان ، وصناعة الأعواد ، وقول الشعر . (المغرب ٢ : ١٢٠) .
- (٤) النفخ ١ : ٢٠٥ .
- (٥) ديوان ابن زيدون ورسائله ، تح ، الدكتور علي عبد العظيم ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ١٩٥٧ ، ص ٢٣٩ .
- (٦) ديوان ابن خفاجة ، تح ، السيد مصطفى غازي ، الناشر منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٠ ، ص ٣٦٤ .

فان خرجوا للنزهة فان جمال البيئة يبهرهم ، ويسيطر على عقولهم
فحينئذ خرج أبو بكر الخولاني (١) مع الصهتشد بن عباد في نزهة ، أشد
يصف المركب والنهر والسماك والملك بأحسن وصف وأسهل عبارة فقال (٢) :

عباد يا بن الحلال المليك وضارب القرن كل معترك
أما ترى النهر كالسما في جوزة انجم الشمسك
وأنت كالشمس فيه نسيرة والسفن تجري كجريق الفلك

وكان نهر إشبيلية ذا منظر جميل ، حيث تحف به المزروعات من كلا
جانبيه ، وتسير فيه السفن والزوارق ، بعضها يحمل بالبضاعة ، وبعضها
يخرج للتنزه والصيد ، ولما رأى ابن المطار (٣) هذا المنظر الغلاب
اشناه تنزهه في النهر على متن زورق انشد (٤) :

عبرنا سماء النهر والجو مشرق وليس لنا إلا الحباب نجوم
وقد ألبسته الأيك برد ظلالها وللشخص في تلك البرود رسوم

(١) هـ وأبو بكر الخولاني الباجي ، من أهل باجة ، سكن إشبيلية ، وقد كان
من الشعراء المشهورين . (جذوة المكنس ، الحميدي ، مطابع سجل
الحرب ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٩٢ ، بغية المكنس ، الضبي ، مطابع
سجل الحرب ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٥١٧-٥١٨ ، خريدة القصر وخريدة
الحصر ، العماد الأصفهاني ، تح ، الأستانين عمر الدسوقي ، وعلي عبد
المعظم ، القسم الرابع ، الجزء الثاني ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ١٩٦٩ ،
ص ٦٧٤ - ٦٧٥) .

(٢) (جذوة ص ٣٩٢ ، بغية المكنس ص ٥١٨ .

(٣) هـ وأبو القاسم بن المطار ، أحد أدباء إشبيلية ، كان محبا للخلمان ،
له عدة مقطوعات في الفزل ووصف الطبيعة ، انظر : (قلائد الحقبان ،
ص ٢٨٤ - ٢٨٦ ، المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد المغربي ، تح ،
الدكتور شوقي ضيف ، الجزء الأول ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٣ ، ص ٢٥٤
رايات المبرزين وغايات المميزين ، ابن سعيد المغربي ، تح ، الدكتور النحمان
القاضي ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ، ص ٤٤ ،
النفح ١ : ٦٥٠ - ٦٥٢ ، ٣ : ٦٠٠ ، ٤ : ١١٢ ، ٣٠١ - ٣٠٢ ، الخريدة ق ،
٢ م ص ٥٨٥ - ٥٩٢) .

(٤) (القلائد ص ٢٨٣ ، النفح ٣ : ٦٠٠ .

عندما فتح العرب الأندلس ، توجه موسى بن نصير إلى إشبيلية وتمكن من فتحها بعد حصار بأويل ، وعين ابنه عبد العزيز واليا عليها ، حينئذ جعلها حاضرة ملكه إلى أن قتل سنة سبع وتسعين (١) . ونقل الحر بن عبد الرحمن الثقفي بعد ذلك الإمارة من إشبيلية إلى قرطبة (٢) . وكانت إشبيلية مرتبطة الخط بقرطبة ، متأثرة بما يجري فيها من الحوادث ، وخاصة لطبوك الدولة الأموية على التعاقب ، ومن بعد م لدولة بني حمود .

وكانت إشبيلية مطمح الثوار ، لتربتها من قرطبة ، ولموقعها الاستراتيجي وبسبب خيراتها الكثيرة . ومن الأسباب التي أدت إلى الثورة في أول دولة بني أمية : منعة البلاد ، وحصانة المعاقل ، وعلو الهيم ، وشموخ الأنوف ، وثقل الاحتمال لثقل الطاعة (٣) .

وقد اشتعلت الثورات في إشبيلية منذ النصف الأول من القسرين الثاني الهجري ، ففي سنة ثمان وأربعين ومائة تغلب سعيد اليعقوبي على إشبيلية ، وخرج بمدينة لبلة * حيث اجتمعت إليه اليمانية ، وقصدوا إشبيلية ، وتغلب عليها وكثر جمعه ، ولكن عبد الرحمن بن معاوية تمكن من هزيمته بعد مدة وقتله (٤) .

(١) انظر : تاريخ افتتاح الأندلس ، ابن القوطية ، تح ، عبد الله الطحان ، دار النشر للجامعيين ، ص ٣٥ ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، مؤلف مجهول مطبوعة بدنيير ، مجريط ١٨٦٧ م ، ص ١٦ ، البيان المغرب ٢ : ٢٣-٢٤ ، الكامل ٤ : ٥٦٤-٥٦٦ ، فتوح مصر والمغرب ، ابن عبد الحكيم ، تح ، عبد المنعم عامر ، الجزء الأول ، ص ٢٨٥-٢٨٦ ، تاريخ المسلمين وأخبارهم ، الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، دار المعارف ، لبنان ، ١٩٦٢ م ، ص ٩٤-٩٥ ، موسى بن نصير مجموعة مؤلفين ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥ م ، ص ٦٧-٩٠ .

* قرطبة : من أشهر مدن الأندلس ، تقع في وسط البلاد ، وأحوالها في الحرب تنتهي إلى أحوال إشبيلية (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٩ م ، ص ٢٣٣ ، معجم البلدان - قرطبة ، تقديم البلدان ص ١٧٤-١٧٥ ، الروض المصطار ص ٤٥٦-٤٥٩ ، تاريخ التمدن الاسلامي ٥ : ٩٠-٩١ .

(٢) البيان المغرب ٢ : ٢٥ .

(٣) أعمال الاعلام ، لسان الدين بن الخطيب ، تح ، بروفنسال ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ص ٣٦ .

* لبلة : مدينة في غرب الأندلس ، يتصل عطلها بالكشونية ، بينها وبين إشبيلية اثنان واربعون ميلا (معجم البلدان - لبلة) الروض المصطار ص ٥٠٧-٥٠٨ .

(٤) الكامل ٥ : ٥٨٨ ، تاريخ مسلمي أسبانيا ، دوزي ، ترجمة الدكتور حسن حبشي ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٨٢ - ١٩٦٣ م ، ص ٢٢٣-٢٢٤ .

وفي العام التالي ، عادت الثورة ، فاضطربت في إشبيلية وزعيمها هذه المرة أبو الصباح بن يحيى اليحصبي ، وقد كان زعيم اليمين في إشبيلية ، حيث ولّاه الأمير عبد الرحمن بن معاوية عليها ، ولكنّه عزله بعد عدة سنوات ، فثار عليه أبو الصباح ، ولكن الأمير جلبه بحيلة إلى قرطبة وقضى عليه (١) .

وخرج أهل إشبيلية في سنة ست وخمسين ومائة مع عبد الغافر اليحصبي ، وحيوة بن ملاس عن طاعة عبد الرحمن الأموي ، وكان قوام هذه الثورة اليعينية من عصبة أبي الصباح وأنصاره ، ولما قادتها فهم : عبد الغافر اليحصبي على رأس أهل باجة وحيوة بن ملاس على رأس أهل إشبيلية ، وعمر بن طالوت على رأس أهل لبلنة ، حيث توجه ثلاثتهم إلى قرطبة ، ولكن الأمير هزمهم وقتل منهم ثلاثين ألفا ، وفر عبد الغافر إلى المشرق (٢) . وبعد هذه الثورة توجه الأمير عبد الرحمن إلى إشبيلية سنة سبع وخمسين ومائة ، وقتل خلقا كثيرا ممن كان مع عبد الغافر وحيوة بن ملاس ، حيث قصه امتحان أهل إشبيلية وتمحيصهم (٣) .

واحتل النورمانديون إشبيلية سنة ثلاثين ومائتين ، حيث أعملوا فسي أهلها السيف ، وقتلوا ومثلوا ، ثم خرجوا منها ، بعد أن استطاع الأمير عبد الرحمن بن الحكم هزيمتهم ، وذلك بعد خروجهم من إشبيلية (٤) . وانقسمت إشبيلية في زمن الأمير عبد الله بن محمد بين بني حجاج وبني خلدون ، وكان الأمير يفتن بين القبيلتين ، إلى أن قتل إبراهيم ابن حجاج الأخوين كريب وخالد ابني عثمان ، وكانا زعمي بني خلدون ، ومن ثم استقل بإشبيلية ، وبقي يحكمها ويحكم بعض المدن المجاورة إلى أن توفي سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وولي أمر إشبيلية بعده ابنه عبد الرحمن الذي مات سنة إحدى وثلاثمائة (٥) .

-
- (١) أخبار مجموعة ص ١٠٥ - ١٠٧ ، البيان المغرب ٢ : ٥٣ - ٥٤ .
 (٢) أخبار مجموعة ص ١٠٧ - ١٠٨ ، البيان المغرب ٢ : ٥٥ ، الكامل ٦ : ٢ .
 (٣) البيان المغرب ٢ : ٥٥ ، الكامل ٦ : ١٠ .
 (٤) تاريخ افتتاح الأندلس ص ٨٤ - ٨٦ ، البيان المغرب ٢ : ٨٧ - ٨٨ .
 (٥) انظر : المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، ابن حبان ، نشره م . انطوانية ، القسم الثالث ، باريس ، ١٩٣٧ م ص ١١ - ١٣ ، البيان المغرب ٢ : ١٢٥ - ١٣١ ، تاريخ ابن خلدون ، القسم الأول - المجلد الرابع ، لبنان ، ١٩٥٨ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٦ .

وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة - أيام الحكم المستنصر - شقَّ قوم السَّجن في إشبيلية وعصوا السلطان ، ولكنه تمكن من القضاء على هذه الثورة واعتقال عدد من زعمائها (١) .

ومن القبائل التي سكنت إشبيلية : بنو زهرة ، وبنو الحجاج ، وبنو الجد ، وبنو موسى من بيت غافق ، وبنو من قبائل بني غطفان ، وبنو بشتفير ، وبنو يريم ، وبنو بلج بن يحيى ، وبنو مازن بن ربيعة ، وبنو الحارث بن زبيد ، وبنو جذام ، وبنو ثوبة ، وبنو خلدون ، وبنو الباجي ، وبنو عباد ، وآل نطارة ، وآل هوزن وغيرهم (٢) .

لقد حدثت في أوائل القرن الخامس حركات سريعة غيرت من مراكز القوى في الأندلس ، فعندما ثار علي بن حمود على سليمان ابن الحكم الفاطمي استطاع الاستيلاء على قرطبة سنة سبع وأربعمائة (٣) وقد كانت إشبيلية ما تزال تابعة لقرطبة ، متأسية بما يحصل فيها من حوادث . ولما قتل علي بن حمود في أواخر ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة ، جاء أخوه القاسم من إشبيلية وتولى الحكم في قرطبة بعد مقتل علي (٤) . ولكن يحيى بن علي بن حمود - ابن شقيق القاسم - قام عليه سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وطرد القاسم من قرطبة (٥) ، حيث فر القاسم إلى إشبيلية لثمان خلدون من ربيع الأول من السنة المذكورة ، ولكنه عاد مرة أخرى إلى قرطبة عندما خلع يحيى منها . وذلك يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثلاث عشرة وأربعمائة (٦) .

(١) المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، ابن حيان ، ج ١ . الدكتور عبد الرحمن

الحجي ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) جوهرة أنساب العرب ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٣٩٨ ، ٤١٢ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ .

٤٦٣ ، ٤٦٠ ، ٤٢٤ ، النفح ١ - ٢٦٠ - ٢٩٨ .

(٣) البيان المغرب ٣ : ١٢٠ .

(٤) البيان المغرب ٣ : ١٢٢ - ١٢٤ ، أعمال الاعلام من ١٢٨ - ١٣٠ ، المغرب

٩٨ - ٩٩ .

(٥) البيان المغرب ٢ : ١٣١ ، أعمال الاعلام من ١٣٢ ، المغرب ، ص ٩٩ .

(٦) البيان المغرب ٣ : ١٣٣ - ١٣٤ .

ولكن العلاقات فسدت بين أهل قرطبة والقاسم ، فاستطاع الشعب خلعهم حيث هرب إلى إشبيلية ، وكان يوجد فيها أهله وأولاده ، وفي هذه الأثناء اخذت بوابر الثورة على السلطة المركزية تظهر في إشبيلية ، فحين أمر القاسم ابنه باخلاء ألف وخمسمائة دار لوجوه البربر ، ناك ، عز ذلك على أهل إشبيلية ، فاجتمعوا على أن يضبطوا مدّينهم ويخلصوا طاعة القاسم ، فسدوا أبواب المدينة أمامه ، وأخرجوا إليه أهله وأولاده ، حيث انصرف إلى مدينة شريش * فاستطاع يحيى بن علي أن يأسره بمالقة ويودعه السجن حيث توفي ناك (١) .

وفي هذه الأثناء اختار الاشبيليون أبا القاسم بن عباد واليها عليهم ، حيث وضع عدداً من الوزراء يساعدونه في تسيير دفة البلاد ، منهم : ولد . أبي بكر الزبيدي النحوي ، ومحمد بن يريم الألهماني ، وعيسى بن حجاج الحضرمي ، وعبد الله بن علي الهوزني (٢) .

وكان القاضي أبو القاسم بن عباد ثاني شخص يبرز من أسرة بني عباد ويذيع صيته ، وهو محمد بن أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمر بن أسلم بن عمرو بن عطاء بن نعيم ، وعطاف هو الداخلة منهم بالأندلس في طاعة بلج بن بشر القشيري ، وكان عطاف من أهل حمص من صقع الشام ، لخمى النسب صريحاً ، ونزوله بقرية يومين من عميل إشبيلية ، وقيل إنهم من ولد النعمان ابن المنذر بن ماء السماء وبذلك كانوا يفخرون ويمدحون ، فها هو ابن اللبانة يقول :
من بني المنذرين وهوا انتساب زان في فخره بنو عباد
فتية لم تلد سواها الممالبي والموالي قليلــــــــــــة الأولاد (٣)

(*) شريش : من كور شدونة بالأندلس ، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلاً

(معجم البلدان - شريش ، الروض المصطار ص ٣٤٠)

(١) انظر : البيان المغرب ٣ : ١٣٤-١٣٥ ، تاريخ قضاة قرطبة ، النبادي ،

نشره بروفسال ، مصر ، ١٩٤٨ ، ص ٩٤ ، أعمال الاعلام ص ١٣٣ ، الحمص

ص ٩٩-١٠١ .

(٢) الحلة السيرة ، ابن الأبار ، تح ، الدكتور حسين مؤنس ، الجزء الثاني ،

القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٣٧ ، البيان المغرب ٣ : ١٩٥ ، الحمص ص ١٤٩ .

(٣) انظر : الذخيرة ، ابن بسام ، تح ، احسان عباس ، القسم الثاني ، المجلد

الأول ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ١٤ ، الحلة السيرة ٢ : ٣٤-٣٦ ،

وفيهم

ويعلق دوزي على ذلك بقوله : " إن الذي يربط آل عباد بملوك الحيرة هو أنها تنتسب إلى قبيلة لخم اليمنية التي ينتسب إليها ملوك الحيرة ولكن فرع أسرة آل عباد الذي تسلسل منه آباؤهم لم يقطن - على ما يظهر - الحيرة بتاتا " (١) .

وكان إسماعيل بن عباد والد القاضي من المقدمين عند ولاية إشبيلية ، وكان معروفاً بوفور العدل والزكاة ، والد ١٥٠ ، وبعد النظر (٢) وهو رجل فقه ودين ، وكانت وفاته سنة عشر وأربعمائة .

لقد كان اختيار القاضي أبي القاسم بن عباد والياً على إشبيلية لعدة أسباب منها : مركز والده المرموق عند حكام قرطبة ، وشروته الطائلة التي لا يوازيه فيها أحد ، فقد كان يملك ثلث كورة إشبيلية (٣) وامتاز القاضي بحصافة عقله ، وسعة صدره ، وحسن تدبيره للعدل ، ومصرفته بالمعلم وخاصة بالفقهاء (٤) .

وكان القاضي ذكياً مخططاً ، فحين وضع عدداً من الوزراء يساعدونه في إدارة البلاد ، فإنه كان مصيباً ، حيث استطاع بواسطتهم استمالة قلوب الناس ، فهو لا يهملهم المائلات المعروفة في إشبيلية ، ولكنه حين اطمأن إلى قوته ، وترويضه للأمور انفرد بالأمر ونهملهم حيث نكب الزبيدي وابن برسم وغيرهم (٥) .

(١) ملوك الطوائف ، دوزي ، ترجمة كامل كيلاني ، الطبعة الأولى ، القاهرة ،

١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م ، ص ٢٠ .

(٢) الحلة السيرة ٢ : ٣٦٠ .

(٣) الذخيرة ق ١٢٠ هـ ، الحلة السيرة ٢ : ١٤٩ ، البيان المغرب ٣ : ١٩٥ .

(٤) الجذوة ص ٨ ، بغية الملتصق ص ١١٨ ، الصلة ابن بشكوال ، القسم الثاني مطابع سجل العرب ، مصر ، ١٩٦٦ ، رقم ١١٤٥ ، المعجب ص ١٤٠ .

(٥) الذخيرة ق ١٢٠ هـ ، البيان المفسر ٣ : ٢٠٢ .

لذلك يصفه دوزي بالأناثية ، والطامع ، وانكار الجميل (١) . وأكثر القاضي من شراء العبيد ، وضمّ الرجال إلى جيشه من كل صنف ، وذلك من أجل توطيد أركان دولته ، فتعدّ رجاله وكثر غلمانه (٢) .

نشاطه العسكري والسياسي :

بعد أن ولي القاضي إشبيلية ، توجه يحيى بن حمود إليها وحاصرها ، حيث اعترف الإشبيليون في البداية له بالخلافة شريطة ألا يدخل المدينة (٣) ، وظلّ يحيى يتطلع إلى إشبيلية ويطمع فسيبها إليها ، وقد أدرك القاضي تعلق الناس بهشام المؤيد الخليفة الأموي الذي اختفى منذ استيلاء ابن عمه سليمان علمنسي قرطبة في سنة ثلاث وأربعمائة ، حيث أخرج من القصر ، ولم يعثر لسه على خبر بعد ذلك ، فاستغل القاضي اختفاء هشام ، وأعلن أنه عثر عليه ، حيث أقام رجلاً يشبه هشام المؤيد ، فبايعه الناس وجعل نفسه كالوزير بين يديه ، وهو في الحقيقة المنفذ للأمر ، وقد لاقت حيلته السياسية مسدًى واسماً في أنحاء الأندلس ، فخطب له بأكثر بلادها ، وعندما توطدت الأمور زمن المعتضد أعلن - في حدود سنة خمس مائة وأربعمائة - موت هشام ، ولكنه لم يبعث عن زمن وفاته (٤) ، فبايعه عباد الأندلس وجود هشام من أجل توطيد الأمور ، واستمالة العامة والخوف من يحيى بن حمود الذي كان يثقلهم .

(١) ملوك الطوائف ص ٢١ .

(٢) الحلة السيرة : ٢ : ٣٨ ، البيان المخرّب ٣ : ١٩٦ .

(٣) ملوك الطوائف ص ٣٦ .

(٤) انظر : جذوة المقتبس ص ٣٠ ، تاريخ الأندلس ووصفه ، ابن الكردبوسر ، وابن الشباط ، تح ، أحمد مختار العبادي ، ١٩٧١ م ، ص ٦٨ ، البيان المخرّب ٣ : ١٩٧ - ٢٠١ ، الوافي بالوفيات ، ابن أبيك الصغدي ، الجزء الثاني ، مطبعة وزارة المعارف ، استانبول ، ١٩٤٩ م ، ص ٢١٢ - ٢١٣ ، أعمال الاعلام ص ١٥٤ ، شذرات الذهب ، ابن العماد الحنبلي ، الجزء الثالث ، بيروت ص ٢٥٣ ، قصة الحضارة - عشر الامارة - ديورانت ، ترجمة محمد بدران ص ٩١ .

وفي حد ولسنة سبع وعشرين وأربعمائة ، سار يحيى إلى قرمونة *
وأقام بها محاصراً إشبيلية ، ولكن جيش ابن عباد بقيادة إسماعيل
ابن القاضي ، فاجأه وهو في لهوه وعبه ، وتمكن من القضاء عليه وعلى جيشه
وذلك في محرم من السنة المذكورة (١) .

لقد كان ابن عباد يطمع في توسيع أركان دولته ، لذلك وجه قواته
بقيادة ابنه إسماعيل إلى بعض الحصون التي يمتلكها البربر وهي : قرمونة
واستبجة وأشونة ، حيث تمكن من محاصرتها واحتلالها . وفي سنة
الأنشاء تمكن أعداء بني عباد من تجميع قواتهم وهزيمة إسماعيل والقضاء عليه
سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة (٢) ، وتوفي القاضي يوم الأحد في جمادى
الأولى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة (٣) .

المعتضد بن عباد :

ولي المعتضد الأمر بعد والده ، وكان يكنى بأبي عمرو ، وامتاز بجماله
وقطامة هيئته ، وثقوب ذهنه ، ومعرفته بالأدب ، وجوده ، وشجاعته وشهامته (٤) .
وكان ذا مزاج متناقض يجمع بين اللين والقسوة والاحساس المتطرف والعلم
الواسع ، والذوق الرفيع المنقاد (٥) ذا كلف بالنساء ، فاستوسع في اتخاذهن ،
حيث انتهى إلى مدى لم يبلغه أحد من نظرائه ، فقبل إتيانه خلف من النساء
نحو من سبعة ن جارئة ، بالإضافة إلى زوجته بنت مجاهد العامري ، أخت
علي بن مجاهد أمير دانية (٦) .

(١) البيان المصرب ٣ : ١٦٩ ، الكامل ٩ : ٢٧٩ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٢ ، البيان المصرب ٣ : ٢٠٢ ، أعمال الاعلام ص ١٥٥ ،
المعجب ص ١٤٤ .

(٣) الحلة السيرة ٢ : ٣٨ ، البيان المصرب ٣ : ٢٠٤ ، أعمال الاعلام ص ١٥٥ ،
الكامل ٩ : ٢٨٦ ، الوافي بالوفيات ٢ : ١٤ ، رقم الحلل ، لسان الدين بن

الخطيب ، المطبعة الممومية ، تونس ١٣١٦ م ص ٤٨ .

(٤) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٨ ، الحلة السيرة ٢ : ٤٢ ، البيان المصرب ٣ : ٢٠٤ - ٢٠٥ ،
٢٠٦ ، أعمال الاعلام ص ١٥٦ ، المعجب ص ٥٢ .

(٥) تاريخ الفكر الاسلامي بلنشيا ، ترجمة حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ،
١٩٥٥ م ص ٨٧ .

(٦) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٩ ، الحلة السيرة ٢ : ٤٣ .

سياسته الداخلية والخارجية :

عندما تولى المعتضد الحكم ، أراد توسيع دولته ، لذلك وجه جيوشه إلى مارتلة * ، حيث احتلها سنة ست وثلاثين وأربعمائة (١) . ونشبت بينه وبين جيرانه معارك طاحنة وبخاصة بينه وبين المظفر بن الأقطش ، وسبب القتال بينهما أن ابن يحيى صاحب لبله استجار بالمظفر ضد المعتضد فأنجده المظفر ، حيث نشبت بينه وبين المعتضد معارك استمرت مدة طويلة ، كانت كفة المعتضد فيها الراجحة ، وعقد بينهما المصالح سنة ثلاث وأربعمائة وأربعمائة بفضل وساطة أبي الوليد بن جمهور حاكم قرطبة (٢) .

واستطاع المعتضد احتلال كثير من المدن والحصون كشتنصرية * (٣) . وأونة (٤) ، وشلطيش (٥) ولبله (٦) ، وشلب * (٧) والجزيرة الخضراء * (٨) ورندة * (٩) ، ومصر * (١٠) .

(*) مارتلة : مدينة على نهريطليوس بجزيرة الأندلس . (الروض المصطار ص ٥٢١) .

(١) تاريخ ابن خلدون ٤ : ٣٣٩ .

(٢) الفخيرة ق ١ م ص ٣٣-٣٦ ، البيان المغرب ٣ : ٢٠٩-٢١٣ ، أعمال الاعلام ص ١٥٦ . * شتصرية : مدينة في الأندلس من مدن أكشونية ، بينها وبين شلب ثمانية وعشرون ميلا . (الروض المصطار ص ٣٤٧) .

(٣) البيان المغرب ٣ : ٢٩٩ .

(٤) البيان المغرب ٣ : ٢٤٠ ، تاريخ ابن خلدون ٤ : ٣٤٠ .

(٥) البيان المغرب ٣ : ٢٤٠ ، تاريخ ابن خلدون ٤ : ٣٤٠ .

(٦) البيان المغرب ٣ : ٣٠١ ، تاريخ ابن خلدون ٤ : ٣٣٩ .

* شلب : قاعدة كورة أكشونية ، وهي بقلي مدينة باجة تقع بغربي قرطبة (معجم البلدان - شلب ، الروض المصطار ص ٤٤٢-٤٤٣) .

(٧) البيان المغرب ٣ : ٢٩٨ ، تاريخ ابن خلدون ٤ : ٣٤٠ .

* الجزيرة الخضراء : أول مدينة اغتتحت من الأندلس ، وهي شرقي شذونة وغربي قرطبة . (معجم البلدان - الجزيرة الخضراء ، تقويم البلدان ص ١٧٢-١٧٣ ، الروض المصطار ص ٢٢٣-٢٢٤) .

(٨) البيان المغرب ٣ : ٢٣١ ، أعمال الاعلام ص ١٥٦ .

* رندة : مدينة من مدن تاكرنا ، وهي قديمة فيها آثار كثيرة (الروض المصطار ص ٢٦٨) .

(٩) الفخيرة ق ٢ م ص ٣٩ ، البيان المغرب ٣ : ٣١٤ .

* مورو : كورة متصلة بأحوار قرمونة ، وهي في جنوبي غربي قرطبة . (الروض المصطار ص ٥٦٤) .

(١٠) البيان المغرب ٣ : ٢٩٦ .

وأركش * (١) وحاول المعتضد احتلال مالقة * بواسطة ابنه المعتضد والظاهر ولكنهما فشلا في ذلك (٢) واستدعى المعتضد في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة عددًا من البربر من بينهم : ابن أبي قرّة صاحب رندة ، ومحمد بن نوح الدّماري صاحب مورور ، وعبدون بن خزرون صاحب أركش وذواتها ، حيث قتلهم جميعًا إلا ابن نوح ، وتسلم معاقبتهم بعد قتال شديد (٣) .

وهكذا غرّق المعتضد صرف جهوداً كبيرة من أجل القضاء على جيرانه ولكنه لم يقدّر ولته من أجل مصلحة الأندلس بصورة عامة ، ومواجهة الخطر الصليبي الذي بدأ يهدّد البلاد . ويلاحظ أنّ معظم حروبه كانت مع البربر ، ولهذا عدّة أسباب منها : أنهم كانوا يحتلون الحصون المجاورة لإشبيلية وبعضهم كان من القوة بحيث يحسب حسابهم ، وتنبؤ المنجمين بأنّ جيلاً سيولد خارج مملكته يكون على يده انتزاعها من أيدي بني عباس (٤) .

ولم يكن المعتضد يتورع من قتل أي شخص يظنه سيكون سبباً في خلع عرشه أركان دولته ، ولو كان أقرب الناس إليه ، فقد قتل ابنه إسماعيل بلاء تهامة بتدبير مؤامرة ضده وذلك سنة تسع وأربعين وأربعمائة (٥) وقضى على أبي حفص الهوزني (٦) . قبل موته بسنوات . وكانت عنده حديقة للروّوس ، جمّع فيها جماعاً مخالفيه وروّوسهم (٧) وقتلهم جميعاً لا كان يدعو عليهم

* أركش : كورة أركش كثيرة الأرزاق ، وفيها حصن أركش وهو مدينة غربت مرارا . (تنوير البلدان ص ١٦٦ ، الروض المظمار ص ٢٨) .

(١) البيان المغرب ٣ : ٢٩٤ .

* مالقة : مدينة في جنوبي قرطبة ، وبينهما نحو خمسة أيام . (معجم البلدان - مالقة ، الروض المظمار ص ٥١٧-٥١٨) .

(٢) البيان المغرب ٣ : ٢٧٢-٢٧٤ .

(٣) البيان المغرب ٣ : ٢٧٠-٢٧١ ، أعمال الاعلام ص ١٥٦ .

(٤) الحلة السّيرة ٢ : ٥٠ ، ملوك الطوائف ص ١١٨ .

(٥) البيان المغرب ٣ : ٢٤٤ ، المعجب ص ١٥٢ .

(٦) هو أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني ، ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، وتوفي سنة ستين وأربعمائة ، طلب العلم على شيوخ الأندلس ، وأخذ عن علماء المشرق ،

وقتل المعتضد بيده . (انظر : الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٨١-٩٤ ، الحلة رقم ٨٦٥ ، المغرب ١ : ٢٣٤-٢٣٥ ، النسخ ٢ : ٩٣) .

(٧) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٧-٢٨ ، الحلة السّيرة ٢ : ٥٠ ، البيان المغرب ٣ : ٢٠٦ .

أعمال الاعلام ص ١٥٥ ، المعجب ص ١٥٢ .

في طليطلة * حين فر من إشبيلية ، وقتل رجلاً آخر من بادية الشام كان يدعى عليه (١) ، وهو في كل ذلك يرمي إلى توطيد أركان دولته وإخافة أعدائهم .

علاقة المعتضد بالنصارى :

كان مسيحيو الشمال خلال القرن الخامس الهجري يتقنون ويمرزون قواتهم ، ففي سنة (١٠٦٥) أحرق فرديند قرى إشبيلية ، وباتت الممالك الإسلامية جميعها في أشد حالات السوء والضعف ، مما جعل المعتضد - وهو أقسى طوك الطوائف - أن يعطي فرديند الأموال الكثيرة من أجل كسب رضاه وعرفه عن مملكته ، وافق معه على دفع جزية سنوية (٢) بم . . .

وتوفي المعتضد في جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وكانت وفاته من علّة الذبحة (٣) * خلف بعده لابنه المتمدن دولة قوية مترامية الأطراف .

المتمدن :

تولى المتمدن الحكم بعد والده ، وكان عمره آنذاك ثلاثين سنة ، وإلى ذلك يشير ابن زيدون (٤) :

وما أعطت السيمون قبل أولي الحجي من الإرب ما أعطتك عشروك والحصن .

* طليطلة : تقع على ضفة النهر الكبير ، وهي قاعدة الأندلس أخذها النصارى في منتصف محرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة . (المسالك والممالك ، لأصطخري ، ج ١ . الدكتور محمد جابر عبدالعال ، مطابع دار العلم ، القاهرة ١٣٨٦ هـ ، ١٩٦١ م ، ص ٣٧ المسالك والممالك ، ابن خردادبة ، بغداد ، ١٨٨٩ م ، ص ٨١ . معجم البلدان - طليطلة ، الروض المعطار ص ٣٩٣ - ٣٩٥) .

(١) انظر : المعجب ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) طوك الطوائف ص ١٧١ .

(٣) الذخيرة ق ٢ م ٢٤ ، الحلة الشراء ٢ : (٤) البيان المضرب ٣ : ٢٠٤ ، وفيات الأعيان ٥ : ٢٤ ، رقم الحلل ص ٤٨ .

* قيل إن ملك الروم قد بحث إليه ثياباً مسمومة فمات . (فوات الوفيات ، الذبجي ، ج ١ محمد محي الدين عبدالحميد ، الجزء الأول ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥١ ، ص ٢٢٤) .

(٤) ديوان ابن زيدون ص ٥٧٣ .

وكان مولده في مدينة باجة سنة إحدى وثلاثين وأربعمئة (١)، وحاول والده أن يدرسه في الأدب والحكم والحرب منذ صغره، فجعله يحضر مجلسه ويتردد إليه، وولاه على شلب حين اجتلبها (٢)، واشتاء إقامته في شلب يسرت له الحياة سبل اللهو والحب، حيث كان معه ابن عمار.

وأهم صفات المعتمد: الشجاعة والشجاء، والعدل، والنزاهة، وكتمان يشبه بهارون الواثق بالله ذلك، نفس وغزارة أدب (٣) كونه وكوالده فسيحي حسين القوام وروعة المظهر، مخالفا له في السفك والأخذ بأدب نسبي سعاية (٤)، ومع ذلك كان مولعا بالخمر منفصا في اللذات (٥)، ويقول دوزي: "انه كان ميلا إلى الراحة بطبعه، وكانت تشغله تلك الأشياء التي تشغل الفنانين، وتتألف منها مسراتهم وشعاراتهم، فكان ذلك مما حال بينه وبين القيام بأعباء الحكم على وجهه المطلوب" (٦).

(١) المطرب، ابن دحية الكلبي، تح الأستاذ مصطفى عوض الكريم، الطبعة الأولى، مطبعة مصر، الخرطوم، ١٩٥٤، ص ١٧، وفيات الأعيان ٥: ٣٧، شذرات الذهب ٣: ٣٩٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٤: ٣٤٠، المعتمد بن عباد الملك الشاعر، بهرائيل جبور عن مجلة الأبحاث السنة ١٦ / الجزء الثاني / حزيران ١٩٦٣ ص ١٣.

(٣) انظر: الحلة السيرة ٢: ٥٤، أعمال الاعلام ص ١٥٧، المعجب ص ١٥٠، المبر في خبر من غير، الذهبي، تح. فؤاد السيد، الجزء الثالث، الكويت، ١٩٦١ م ص ٣٢١، شذرات الذهب ٣: ٣٨٦، صانع الناصر المعتمد بن عباد الدكتور سعد شلبي، دار العلم العربي، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٢٠.

(٤) الحلة السيرة ٢: ٥٤.

(٥) الحلة السيرة ٢: ٥٤.

(٦) تاريخ الفكر الأندلسي، ص ١٠٧.

نشاطه العسكري والسياسي :

لم يشتهر المعتمد في ميدان الحرب والسياسة قدر ما اشتهر في ميدان الأدب والشعر والفروسية والجود (١) ، ومع ذلك حاول توسيع دولته ، حيث ملك من الأندلس من المدائن والحصون والمقاتل ، مائة وثلاثين مسورا (٢) ، وقد استطاعت جيوشه احتلال قرطبة سنة اثنتين وستين وأربعمائة ولكن ابن عكاشة تمكن من أخذ ١٥ سنة سبع وستين وأربعمائة وقتل سراج الدولة بمعين المعتمد الذي كان واليا عليها وهذا أثار غضب المعتمد وحزنه ، مما جعله يوجه جيوشه إلى قرطبة سنة تسع وستين وأربعمائة ، وتمكنت من احتلالها ، وقتل ابن عكاشة ، حيث عين ابنه المأمون واليا عليها (٣) .

علاقة المعتمد بالنظاري :

لم يبق أحد من ملوك الطوائف إلا ويؤذي الأثر للفرنسون (٤) وقد أدى المعتمد الأتاوة أولا إلى غرسية ثالث أولاد فردينند ، ثم دفعها لملك غالسيا وبعدة أعطائها للفرنسون السادس (٥) .

ويلاحظ أن الفرنسون وضع نصب عينيه الاستيلاء على الأندلس ، ولكن سياسته اتجهت نحو ملوك الطوائف بالترقة وبث التنافس فيما بينهم ، وإيجاد أسباب المداوة المتجددة بينهم ، وفرض الضرائب عليهم ، ليجوروا على رعاياهم فتفسد عليهم التوايا من جهة (٦) ، ولتكون هذه الأتاوات عوناً له في الحروب من جهة أخرى . وتابع الفرنسون سياسة التهديد المباشر عام خصصة وسبعمين وأربعمائة حيث شق بلاد الأندلس ، ونزل على إشبيلية ، فقام عليها ثلاثنة

(١) دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني - دول الطوائف ، محمد عبد الله عنان ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٨ هـ .

١٩٦٠ م ، ص ٦٠ .

(٢) المطرب ص ١٨ ، عبر الذهبي ٣ : ٣٢٢ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٦٦ .

(٣) انظر : قلائد الحقيان ص ١٠٠ - ١٢ ، البيان المصرب ٣ : ٢٥٩ - ٢٦١ ، تاريخ ابن

خلدون ٤ : ٣٤٤ ، أعمال الاعلام ص ١٥٧ - ١٥٨ ، النفح ١ : ٦٢٣ - ٦٢٧ ،

ملوك الطوائف ص ٢٢٨ - ٢٣٧ ، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي

الدكتور علي محمد حمود ، الطبعة الأولى ، مطابع دار الكتاب العربي ، مصر

١٣٧٦ هـ ، ١٩٥٧ م ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٤) المعجب ص ١٩٣ .

(٥) ملوك الطوائف ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٦) تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ، الدكتور إحسان عباس ،

الطبعة الأولى دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٢٥ .

أيام حيث أفسد وخسّر (١) .

وقد ارتكب المصتمد خطأ كبيرا حين عقد هدفا مع الفونسو، وكان من شروطه ألا يحارض المصتمد الفونسو في احتلال طليطلة، وأن تكون بطليوس وقرطبة والمرية * للمصتمد * - الفتوح (٢) . وعلى عاتق المصتمد تقع مسؤولية كل الحوادث التي نتجت فيما بعد، فقد كان الفونسو يعمل جاهداً من أجل احتلال طليطلة، وفعلاً تمكن من احتلالها عام ثمانية وسبعين وأربعمائة (٣) وهنا يسجل التاريخ صفحة سوداء في عهد المصتمد، حين وقف مكتوف اليدين أمام احتلال طليطلة * .

لقد أصبح المسيحيون في عهد الفونسو وقبله بقليل يصرون على صليبية، حيث استظلوا بلواء الدين في حروبهم ضد المسلمين، فاضل الفونسو يستعين بالبابوية، ويستمدد ي المسيحيين من جميع أنحاء البلاد (٤)، وفي الوقت الذي احتل فيه الفونسو مدينة طليطلة قلب للمصتمد ظهر المجن، فحين أرسل إليه المصتمد الضريبة رفضها، وبعث إلى المصتمد رسولا يخبره بأنه يريد أن يتنازل المصتمد عن بعض الحصون التي يمتلكها، فأدرك المصتمد الأخطاء التي ارتكبها، فقتل رسول الفونسو، ولما علم قائد النصارى بذلك

(١) الاستقصا، أبو المباس الناصري، تح، جعفر الناصري ومحمد الناصري، الجزء

الثاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ص ٣٢ .

* بطليوس : مدينة كبيرة بالأندلس، وهي من إقليم ماردة، تقع غربي قرطبة .

(معجم البلدان - بطليوس، الروض المصطار - ص ٩٣) .

* قرطبة : مدينة بالأندلس، من مدن البيرة، بينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون

فرسخاً (معجم البلدان - قرطبة، الروض المصطار ص ٤٥-٤٦) .

* المرية : مدينة بالأندلس بنيت في منتصف القرن الرابع تقريباً وهي من كور البيرة،

(معجم البلدان - المرية، الروض المصطار - ص ٥٣٧-٥٣٨) .

(٢) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، يوسف أشباخ، ترجمة محمد عبد الله

عثمان، الجزء الأول، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م

- ١٩٤٠م، ص ٦٠ تاريخ المغرب العام، سيد يو، ترجمة عادل زعير، دار

أحياء الكتب العربية، ١٩٤٨م - ١٩٤٩م، ص ٣٢٤ .

(٣) المونس في أخبار إفريقية وتونس، ابن أبي دينار، تح، محمد شمام، الطبعة الثالثة

تونس، ١٣٨٧هـ، ص ١٠١، عبر الذبي ٣ : ٢٨٩، وفيات الأعيان ٥ : ٢٧،

الروض المصطار ص ٣٩٥، الكامل ١٠ : ١٤٢ .

* يؤيد بعض الباحثين قصة زواج ابنة المصتمد زائدة الفونسو أو أختها، فغلبت له على

الأقل، وذلك لتقوية أواصر الصداقة بينهما . انظر (يوسف أشباخ ١ : ٦١، يوسف بن تاشفين

أبراهيم لجمال، دار الشعب، القاهرة، ص ٦٠، غابر الأندلس وهاضرها، محمد كرد علي

الطبعة الأولى، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٣٤١هـ ١٩٢٣م، ص ٣-٤٠) . ولكن

الصحيح أن الفونسو لم يتزوج من ابنة المصتمد وإنما تزوج من امرأة المأمون بن المصتمد

حين استغل وجودها عنده بعد فرارها إليه عقب مقتل زوجها على أيدي المرابطين،

انظر : (السلام في المغرب والأندلس بروفسال، ترجمة الدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم

والاستاذ محمد صلاح الدين حامي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١٥١-١٦٤

دولة الإسلام في الأندلس - دول الطوائف ص ٣٣٥، معارك المغرب في الأندلس، بشار

المستاني، المطبعة الأولى، بيروت، ١٩٥٠، ص ١٢-١٣) .

(٤) دولة الإسلام في الأندلس - دول الطوائف - ص ٣١٩، المرابطون، محمد شعيرة،

الطبعة الأولى، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٧٠-١٠٨ .

بدأ تجهيز قواته لاحتلال إشبيلية (١) ، وكان قد طلب من المصتمد كذلك أن تلد زوجته في أحد مساجد قرطبة (٢) .

ظروف دخول المرابطين * إلى الأندلس :

في الوقت الذي كان فيه ملوك الطوائف متناحرين مختلفين ، كانت هناك دولة فتيحة في المغرب العربي ، وهي دولة المرابطين ، لذلك لم يجد المصتمد وغيره من ملوك الطوائف بدا من الاستنجاد بهذه الدولة القوية ، وذلك لغوهم من الخطر الصليبي الذي كان محيلاً بهم ، فالغوسوا أصبح لا يتقنع منهم بجزية أو هدية ، وإنما أصبح يروم أخذ القواعد (٣) ، وقد صور الشعراء حالة الأندلس السيئة في ذلك الوقت أوضح تصوير ، فها هي نكبة طليطلة تهب ابن الحسالم فيضطرب قائلاً (٤) :

(١) انظر: أعمال الاعلام ص ١٥٩ ، وفيات الاعيان ٥ : ٢٨ ، النفح ٤ : ٣٥٦-٣٥٧ ، الكامل ١٠ : ١٤٣ ، ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ص ١٧٢ .

(٢) الروض المطمار ص ٢٨٨ ، النفح ٤ : ٣٥٧ ، الاستقصا ٢ : ٣٨ .
* انظر عن المرابطين : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ١١٦٤ الأنيسر المطرب ص ١١٩-١٧٠ ، المونس في أخبار إفريقية وتونس ص ١٠٣-١٠٦ ، صبح الأعشى ، القلقشندي ، الجزء الخامس ، مطبعة الأميرة ، القاهرة ، ١٣٣٣ هـ - ١٩١٥ م ص ١٨٨-١٩٠ ، المختصر في تاريخ البشر ، أبو الفداء ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، ص ١٧٤-١٧٥ ، رقم الحلل / مخطوط ورقة ٥ ، الاستقصا ، أبو الحباس الناصري ، تج . جعفر ومحمد الناصري ، الجزء الثاني ، دار الكتاب ، الدار البنية ، ١٩٥٤ م ، ص ٣-٧٧ - المغرب العربي ، إحسان حقي ص ٤٩-٥٠ ، الأدب المغربي ، محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦٠ م ، ص ٣٦ ، النبوغ المغربي ، عبد الله كنون ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٦١ م ، ص ٥٧-٩٥ ، الموسوعة المغربية ، عبد العزيز بن عبد الله ، ملحق ٢ ، ١٣٩٧ م ١٣٧٧ م ص ٣٣٨ ، ومن الكتب التي ألقت عن المرابطين : قيام دولة المرابطين ، الدكتور حسن أحمد محمود ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، المرابطون ، محمد عبد الهادي شعيرة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

(٣) التبيان ، الأمير عبد الله بن بلقين ، تج . بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٥٥ م

ص ٨٩ ، تاريخ الأندلس لابن الكرد بوسر ص ٨٩ .

(٤) النفح ٤ : ٣٥٢ ، وفيات الاعيان ٥ : ٢٨ .

حَثُّوا رَوَّاحِكُمْ يَا أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ فَمَا الْمَقَامُ بِهَا إِلَّا مِنَ الْفِلَسْطِ
الْمُسْلِكِ يَنْثُرُ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأُرَى سَلَكَ الْجَزِيرَةَ مَنْشُورًا مِنَ الْوَسْطِ
مَنْ جَاوَرَ الشَّرَّ لَمْ يَأْمَنْ عَوَاقِبُهُ كَيْفَ الْحَيَاةُ مَعَ الْحَيَاتِ فِي سَفَطِ

وَكأن الشاعِرُ آثَرَ الْمَوَاقِفِ الْإِنْهَزَامِيَّةِ ، وَلَكِنْ الْمَلاحِظَةُ أَنَّ الضَّرْبَةَ
كَانَتْ قَوِيَّةً مُؤَثِّرَةً ، لِذَلِكَ جَاءَ قَوْلُهُ مُبَالَغَةً فِي التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكِيرِ (١) ، وَقَسَدَ
خَشْيَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ مِنَ الْمَجِيءِ إِلَى إِشْبِيلِيَّةٍ بِسَبَبِ الْأَخْطَارِ الَّتِي تَصْرَفُ فِيهِمْ
فِي طَرِيقِهِمْ ، فَأَبْوَ الصَّرْبِ الصَّقْلِي (٢) لَا يَأْتِي فِي الْبَدَايَةِ إِلَى الْمُصْتَمَدِ
بِسَبَبِ (٣) :

الْبَحْرُ لِلرُّومِ لَا يَجْرِي السَّفِينُ بِهِ إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَالْبَرْ لِلصَّرْبِ
لِذَلِكَ لَا عَجَبَ أَنْ يَعْصِرَ الْمُصْتَمَدُ إِلَى الْمَضْرِبِ بِنَفْسِهِ لِلِاسْتِجَادِ ،
بِالْمَرَابِطِيِّينَ (٤) فَقِي - هَذِهِ الْأَثْنَاءُ لَا يَدُ مِنْ دُخْسِ -
يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ (٥) قَائِدِ الْمَرَابِطِيِّينَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، كَيْ يَنْقُذَ الْهَلَكَةَ مِنْ

- (١) تَارِيخُ الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ - عَصْرُ الطَّوَائِفِ وَالْمَرَابِطِيِّينَ ص ١٨٢ .
(٢) دَوَّاصُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْفَرَاتِ الْقُرَشِيِّ ، وَلَدَ بِصَقْلِيَّةٍ سَنَةَ ثَلَاثِ
عَشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ قَائِدًا الْمُصْتَمَدِ
وَقَدْ مَدَّحَهُ وَنَالَ مِنْهُ الْجَوَائِزُ السَّنِيَّةُ ، وَكَانَ حَيًّا حَتَّى سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ .
انْظُرْ : (الْخُرَيْدَةُ ق ٢ م ٤ ص ١٠٢ - ١٠٨ ، ق ٢) (قِسْمُ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ)
ص ٢١٩ - ٢٢٣ ، رَايَاتُ الْمُرْزُوقِينَ ص ١٤٨ - ١٤٩ ، وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٣ : ٣٢٣ -

- ٣٣٤) .
(٣) وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٣ : ٣٣٣ ، تَلَكَّتِ الرِّهْيَانُ ص ٢٤١ .
(٤) الْمَحْجُوبُ ص ١٩٠ ، الْأَنْبِيَسُ الْمَطْرِبُ ص ١٤٤ ، الْأَحَاظَةُ ٢ : ١١١ لَا اسْتَقْصَا
٢ : ٣٤٤ . وَتَذَكَّرَ بَعْضُ الْمَصَادِرِ أَنَّ بَعْضَ الْفُقَهَاءِ هُمُ الَّذِينَ عَبَرُوا
بِتَكْلِيفٍ مِنَ الْمُصْتَمَدِ . (وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٥ : ٢٨ ، الْكَامِلُ ١٠ : ١٥١ - ١٥٢ ،

- الرُّوْنُ الْمَعْطَارُ ص ٢٨٨) .
(٥) يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ : وَلَدَ سَنَةَ ٥٤٠ هـ وَتُوفِيَ سَنَةَ ٥٥٠ هـ كَانَ أَعْيَرًا لِلْمَرَابِطِيِّينَ ،
اشْتَهَرَ بِشَجَاعَتِهِ وَبُحْبُوحِهِ الْإِسْلَامِ ، خُطِبَ لَهُ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ عَلَى أَلْفٍ وَتِسْعِمِائَةٍ
مَنْبَرٍ . انْظُرْ : (الْكَامِلُ ١٠ : ٤١٧ - ٤١٨ ، الْمُخْتَصَرُ فِي تَارِيخِ الْبُشَرِ ٢ : ٢١٢)
عَبْرَ الذَّهَبِيِّ ٣ : ٤١٢ - ٤١٣ ، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٥ : ٩٥ ، الْأَنْبِيَسُ الْمَطْرِبُ
١٣٦ - ١٥٦ ، الْأَسْتَقْصَا ٢ : ٢٢ - ٦٠ ، يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ ، إِبْرَاهِيمُ الْجِبَلِ ،
الْقَاهِرَةُ ، تَرَاوَجُ إِسْلَامِيَّةٌ شَرْقِيَّةٌ وَأَنْدَلُسِيَّةٌ ، الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ عَبْدِ اللَّهِ عَنَانَ ، الطَّبَعَةُ
الثَّانِيَّةُ ، مَطْبَعَةُ لَجْنَةِ التَّالِيفِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالنَّشْرِ ، الْقَاهِرَةُ ، ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م

الخطر المحلي ، حيث لا توجد لحظة نفسية أفضل من هذا الوقت ،
فشرية طليطلة كانت سببا مباشرا لتدخل المراكبيين ، حيث سرى سقوطها في
جميع أنحاء الأندلس والمغرب مسرى الألم والحسرة (١) ، حتى أن كسل
الطوائف صارت تنجي على أنه عما قريب سيتقلع ظل المسلمين هناك .

وعندما رأى يوسف بن تاشفين الحالة السيئة التي تعيشها الأندلس ، عبر
بقواته ، بعد أن استشار رجال الدين بالقدوم (٢) . وحين وصل ابن تاشفين
إلى الأندلس غير الفونسو بين دفع الجزية أو الاسلام ، ولكن الفونسو غضب
ورفض دعوة أمير المسلمين (٣) ، لذلك بدأ كلا الفريقين يعد نفسه للمعركة
وكانت قوات المسلمين أربعين ألف مقاتل على أقل التقادير (٤) ، وقوات المسلمين
أقل منهم بكثير ، وفي هذه الأثناء حاول الفونسو خديعة المسلمين ، حيث اقترح
عليهم بأن تكون المعركة يوم الاثنين ، لأن يوم الجمعة والسبت والأحد أعياد
للمسلمين واليهود والمسيحيين ، فوافق يوسف على ذلك ، ولكن المعتمد عدّره من
من خديعة الفونسو (٥) ، وفعلا بدأ هجوم الروم على المسلمين يوم الجمعة
ولكن قوات المسلمين ردت على هجوم الأعداء بكل قوة وثبات ، حيث كانت متحدة
متناسكة ، فقد اشترك مع يوسف والمعتمد من أمراء الطوائف كل من : ابن صطاج
صاحب الحرّة ، وابن هبوس صاحب غرناطة ، وابن مسلمة صاحب الشحر الأعلى ،
وابن ذي النون ، وابن الافطس ، وابن باديس (٦) ، ومن الأمراء الذين
أهلوا بلاء حسنا في هذه المعركة : المعتمد بن عباد الذي أشحن بالجراح ،
وكان النصر في هذه المعركة حليف المسلمين بعد أن استشهد منهم ثلاثة
آلاف رجيل (٧) . وتم القضاء على أكثر جيش الأعداء حيث لم ينج منهم سوى
الفونسو

(١) الاسلام في المغرب والأندلس ص ١٢٠ ، المراكبون ص ٣٠ .

(٢) أعمال الاعلام ص ٢٤٥ .

(٣) الروض المعطار ص ٢٩٠ .

(٤) الكامل ١٠ : ١٥٣ .

(٥) المعجب ص ١٩٤ ، الأنيس المطرب ص ١٤٧ .

(٦) الأنيس المطرب ص ١٥١ .

(٧) المصدر السابق ص ١٤٩ .

وخمسمائة فارس من رجاله (١) . وحاول الممتمد ملاحقة الفونسو، ولكن ابن تاشفين رفض ذلك . وأصاب الممتمد وجه الرأي حين هشا ابن تاشفين على ملاحقة الأعداء ، فبالرغم من أن معركة الزلاقة * (٢) شلت ملكة ليمسون المسيحية فجنحت إلى السلم بعد الوقت (٣) ، إلا أن يوسف لم يحسن الاستفادة في الحال من هذه الهزيمة ضد المسيحية (٤) ، فلم يتابع الجيش الإسلامي المسيحيين ، ولم ييسهم وجهه صوب مدينة طليطلة التي كانت تشتمل تحت الأعداء والتي كانت السبب المباشر لدخول المرابطين . ويرجح أن معركة الزلاقة حدثت يوم الجمعة الحادي عشر من رجب عام تسعة وسبعين وأربعمائة حيث يقول يوسف بن تاشفين في كتابه إلى أمراء البلاد . . . " كانت هذه النعمة المظيمة ، والمنة الجسيمة ، يوم الجمعة الحادي عشر لرجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة (٥) .

-
- (١) الروض الممطار ص ٢٩١ .
- * الزلاقة : بطحاء الزلاقة من إقليم بطاليوس من غرب الأندلس وهي بالقرب من قرطبة . والزلاقة الأرض التي لا تثبت عليها قدم . انظر : (مصبم البلدان - زلاقة ، لسان العرب - زلق الروض الممطار ص ٢٧٨) .
- (٢) انظر عن معركة الزلاقة بتفصيل : (الروض الممطار ص ٢٨٧-٢٩٢ ، النفح ٤ : ٣٥٤-٣٧٧ ، الاستقصا ٢ : ٣٣-٥٠ ، دولة الاسلام في الأندلس - دول الطوائف - ص ٢٣٨-٣٣٧ ، مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس ، عبد الكريم التواتي ، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء ، ١٩٦٧ م ، ص ٢٧٦-٣٠٨ ، مشارك العرب في الأندلس ص ١٦-٣٠) .
- (٣) مختصر تاريخ العرب ، سيد أمير علي ، ترجمة عفيف المملوكي ، الطبعة الأولى بيروت ، ١٩٦١ م ، ص ٤٣٦ .
- (٤) حضارة العرب في الأندلس ، بروفنسال ، ترجمة ذوقان قرطوط ، مطبعة النجوي ، بيروت ، ص ٢١ .
- (٥) الأندلس المطرب ص ١٥١ .

وبعد معركة الزلاقة عاد يوسف بن تاشفين إلى المغرب ، ولكنه عبر إلى الأندلس مرة أخرى سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، حين استنجد به المصتمد ، بسبب إغارة قوات الفونسو على إشبيلية من داخل حصن لبيط * ، وقد حاصرت قوات يوسف والمصتمد الحصن أربعة أشهر ، ولكن قواتهما انسحبت دون تحقيق أي انتصار ، وسبب ذلك مناعة الحصن من جهة ، وعدم اشتراك ملوك الطوائف الآخرين في محاصرة الحصن من جهة أخرى . ولم ينضم إلى قوات يوسف والمصتمد من جيوش الطوائف إلا جيش عبد الله بن رشيق حاكم مرسية ومن جهة ثالثة فقد حدث نزاع أثناء محاصرة الحصن بين المصتمد وابن رشيق ، حيث أصر ابن تاشفين بينهما ، وذلك بتولية ابن رشيق في جهة إشبيلية ولاية ويحيطه المصتمد أموالا مقابل التنازل عن مرسية (١) وقيل إن يوسف أمر قائده سير بتكبير ابن رشيق بالقيود وتسليمه المصتمد (٢) .

دخول المرابطين الأندلس والقضاء على ملوك الطوائف :

لقد كان يوسف بن تاشفين يريد رفع راية الدين ، والمحافظة على الإسلام والقضاء على الكفر ، وكان يدرك ضعف ملوك الطوائف ، وجبر بهم هراة اللهو والمجون فيقول : " إنما كان غرضنا من ملك هذه الجزيرة أن نستغذها من أيدي الروم ، لما رأينا استيلاهم على أكثرها ، وغلبة ملوكهم ، واهمالهم للغزو وتواكلهم ، وتخاذلهم وإيتارهم الراحة " (٣) ، ولما رأى يوسف بأن الأندلس ستسقط في أيدي الروم قريبا قرر انقازها وصون ثم توحيدها ، فاستغنى الفقهاء في ذلك فأقتوا له باحتلالها (٤) ، لذلك دخل الأندلس بجيوشه ، حيث احتل المدينة بعد الأخرى ، وقد توجه سير بن أبي بكر إلى إشبيلية واحتلها وذلك يوم الأحد الثاني والعشرين لرجب من سنة أربع وثلاثين وأربعمائة (٥) ، وبذلك خلع المصتمد بن عباد

* لبيط : حصن يقع بين مرسية ولورقة : (دولة الإسلام في الأندلس - دول الطوائف - ص ١٨١) .

* مرسية : مدينة بالأندلس وهي قاعدة تدوير بنو نصر ، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم . (معجم البلدان - مرسية ، تقويم البلدان ص ١٨٨ - ١٨٩ ، الروض المصطار ص ٥٣ - ٥٤) .

- (١) المعجب ص ١٩٢ ، دولة الإسلام في الأندلس - دول الطوائف ص ١٨١ .
- (٢) الأنيس المطرب ص ١٥٢ - ١٥٣ .
- (٣) تاريخ الأندلس لابن الكردوس ص ١٠٦ .
- (٤) التبيان ص ١٧٠ ، الأنيس المطرب ص ١٥٥ .

ثم أودع سجن أغمات * حيث توفي فيه سنة ثمان وثمانين وأربعمائة (١) ، وفي أثناء حصار المصتمد من قبل المرابطين استنجد بالفونسو ، ووعده بإعطائه جزءاً من البلاد إن كشف عنه حصار المرابطين ، فبعث إليه عشرين ألف فارس ، وأربعين ألف راجل ، ولكن سير بن أبي بكر استطاع أن يهزمهم ، قبل وصولهم إلى إشبيلية (٢) هذا وقد قتل المرابطون أثناء عبورهم الأندلس ولدي المصتمد : المأمون الذي كان والياً على قرطبة ، والراضي الذي كان والياً على رندة (٣) .

وتولى سير بن أبي بكر أمر إشبيلية بعد المصتمد ، وكان في بداية الأمر حاكماً على منطقة مكناس وفازار سنة سبع وستين وأربعمائة ، وقد أظهر شجاعة في معركة الزلاقة ، واستولى على بطليوس ، واستطاع الانتصار على الفونسو حين حاول الهجوم على إشبيلية سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، وقد بقي والياً على إشبيلية إلى أن توفي فجأة سنة سبع وخمسمائة (٤) .

* أغمات : مدينة توجد بأرض المغرب ، وهي مدينتان ، احدهما تسمى أغمات وريكة ، والأخرى أغمات هيلانة ، وكانت حاضرة المغرب قبل بناء مراكش . (معجم البلدان - أغمات ، تقويم البلدان ص ١٣٤-١٣٥ ، الروض المصطار ص ٤٦-٤٧) .

(١) المطرب ص ١٧ ، بغية الطمير ص ٤٢ ، وفيات الأعيان ٥ : ٣٧ ، الكامل ١ : ٢٤٨ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٩٠ وغيره .

(٢) الأنيس المطرب ص ١٥٥ ، الكامل ١٠ : ١٨٩ - ١٩٠ ، مقال الدكتور جودت ، الركابي في مجلة العربي / العدد ١٩ / حزيران ١٩٦٠ ص ٥٥٥ .

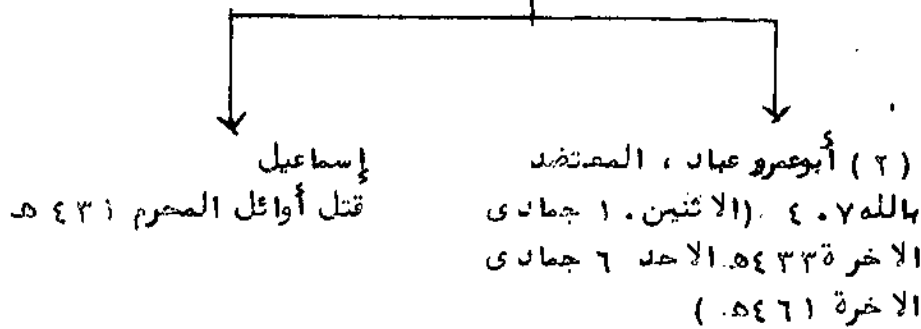
(٣) التهيان ص ١٧٠ ، قلائد المقيان ص ٢٠ ، الحلة السيرة ٢ : ٦٢ ، وفيات الأعيان ٥ : ٣٠٠ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٨٧ .

(٤) الأنيس المطرب ص ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، الحلة السيرة ٢ : ١٠٢ ، المصوب ص ٢٠٢ ، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، الحاشية رقم ١ ص ١٠٦ .

قائمة نسب بني عبيد *

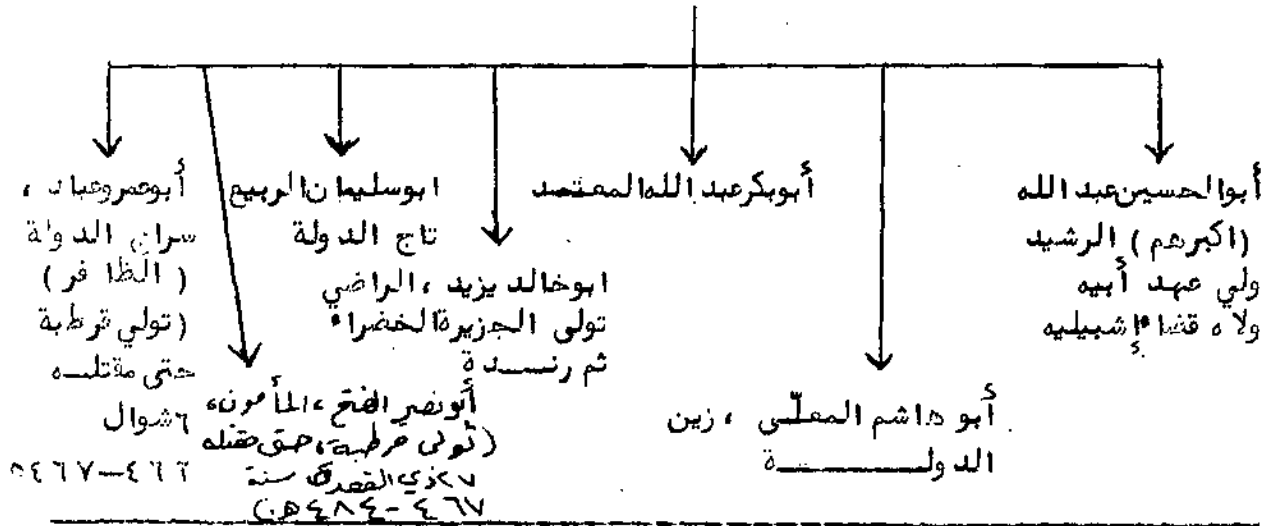
القاضي أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عباد اللخمي (٥٤١٤ هـ)

(١) ذو الوزارتين أبو القاسم محمد (٤٣٣ هـ)



(٣) أبو القاسم محمد : المعتمد على الله (الظافر ، الموهيد)

(٤٣٢ : ٤٦١ - ٤٨٤ : ٥٤٨٨ هـ)



* انظر : الحلة السيرة : ٣٤-٧٥ ، الاطاعة ٢ : ١٠٩-١١٠ ،

الفتح ٤ : ٢٥٦ ، التاريخ الاندلسي ص ٣٩١ ، معجم الانساب والاسرات

الحاكمية في التاريخ الاسلامي ص ٨٦ ، المعتمد بن عباد ، الدكتور عبد الوهاب

عزام ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩ م ، ٨٧-١٠٣

الحياة الاجتماعية

كانت الطبقات الاجتماعية في إشبيلية تمثل مستويات متباينة لحياة الناس، فقد كان هناك تفاوت بين حياة الطبقة الحاكمة، وحياة الشعب، وبخاصة طبقة الفلاحين. وكانت الطبقة الحاكمة تعيش حياة ترف ونعيم، فقد خلّع المعتمد عن ثمانية امرأة كن أمهات أولاده وجواري متعة (١)، وابنتي المعتمد القصور السامية، واقتنى الفيلان، وأسرف في تبذير الأموال.

ويشتغل أكثر الشعب في زراعة الأراضي التي يمتلكها الإقطاعيون، لذلك فإن أحوالهم تتأثر بخصب البلاد وتحتها، فيذكر صاحب كتاب الذيل والتكملة حدوث مجاعة عام ثمانية وأربعين وأربعمائة في إشبيلية، ويبيّن أنها كانت مريعة لدرجة خطيرة، اضطّر الناس فيها إلى دفن كل ثلاثة أو أربعة أشخاص في قبر واحد، وإن المساجد خلت من المصلّين (٢)، وما أثقل كاهل الفلاحين كثرة الضرائب التي يدفعونها للدولة من ناحية، ولقادة الروم من ناحية أخرى، ويتضح هذا بصورة جلية في آخر مدّة بني عباد، فالمعتمد يقول في رسالة له وجهها لأمرأة البلاد يطلب منهم أموالاً ليطبخها للفونسو السادس "والرعيّة حاطها الله في هذا العام على ما يقتضيه ما عمّ البلاد من الفساد، وشملها من جائحة الجراد، وتكليفها أداء شيء من المال الذي التزم مرتفع وأخذها بالمعونة على ما تابمتنع" (٣). فالضريبة كبيرة والفقر منتشر والقحط يعمّ البلاد، والجراد يفزّو المحصولات ويقضي عليها.

ولا يوجد في إشبيلية أيّ تعصّب ديني، ولا غرو في ذلك، فقد تسلّم اليهود والنصارى عدداً من المناصب المهمة في الأندلس، ووجد في إشبيلية عدد من الأطباء والعلماء والشعراء من غير المسلمين فمن اليهود الذين سبّغوا لهم التسامح الديني في مجتمع إشبيلية الظهور والنجاح: الياس بن ممدور، الطبيب الذي عاش في صدر القرن السادس (٤). وكان ابن المرغسّر الإشبيلي النصراني من الشعراء المجيدين الذين ظهرت أيام المعتمد بن عباد (٥).

(١) المغرب ص ١٧، الحلة السّيرة ٢: ٥٥، عبر الذّبي ٣: ٣٢٢.

(٢) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والحلة، محمد الأنصاري المراكشي، تج،

الدكتور إحسان عباس، السفر الخامس، القسم الأول، دار الثقافة بيروت ص ٣٣.

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٥٢.

(٤) المغرب ١: ٣٣٦.

(٥) المغرب ١: ٢٦٤، النفح ٣: ٥٢١-٥٢٤، خريدة القصر (قسم شعراء المغرب

والأندلس) ٢: ٩١، مقال للأب لويس سريخو في مجلة المشرق / بيروت /

مجلد ٢٣ / عدد ١١ / سنة ١٩٢٥ م ص ٨٤٥-٨٤٧.

ويمتاز أهل إشبيلية بنشاطهم وعلوهم منهم ، وأهم أنواع الرياضة
عندهم : الصيد ، والفروسية ، فهذا ابن وهبون يخاطب المصتمد
قائلاً (١) :

للصيد قبلك سنة ماثورة
لكنها بك أبدع الأشياء
تمضي الجزة وكلما أمضيتها
عاطيتها بخواطير الشعراء

ويرى بعض الباحثين أن مصارعة الشيران قد وجدت هناك (٢) ، ولكنني
لم أجد نصاً في كتاب قديم يشير إلى ذلك .

وانتشرت الهدايا بين أفراد الشعب ، وكانت تقدم للملوك أو منهم
وتهدى في المناسبات وغير المناسبات ، وغالباً ما تشفع الهدايا المقدمة
للملوك بأبيات من الشعر ، يصفون فيها الهدية ويعدحون الحاكم ، فعندما
قدم ابن عمار للمصتمد في عيد ثوبها من صوف كتب معه (٣) :

لما رأيت الناس يهتشدون فني
إتحاف يومك جئتته من بابـه
فبعثت نحو الشمس شبه أهابها
وكسوت متن البحر بعض ثيابـه

وقد تكون أكرم الهدايا عندهم كوهوس الخمر ، فهذا ابن زيدون يهدي
المصتمد خمراً فيقول (٤) :

جاءتك وافدة الشمـول
في المنظر الحسن الجميل
لم تعظ ذائبةً لدمـك
ولم تنل حظاً القبول
فتجاءدت محتالـة
والمرء بهجز لا الحويل

-
- (١) بدائع الهداية ، علي بن طاهر ، تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة
الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م ص ٣٦٩ ، النفح ٤ : ٢٦٠ .
(٢) انظر : يوسف أشباح ١ : ٢٠٥ ، بنو عباد إشبيلية ص ١٢٠ ، أسبانيا
شعبها وأرضها دوروثي لودر ، ترجمة طارق فوده ، نشر بلا اشتراك مع
مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، نيويورك ، ١٩٦٥م ص ٢٦٠ .
(٣) ديوان ابن عمار ، جمعه الدكتور صلاح خالص ، (القسم الثاني من كتاب
محمد بن عمار الأندلسي) ، مطبعة الهدى - بغداد ، ١٩٥٧م ، ص ٢٣٠ .
(٤) ديوان ابن زيدون ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

وهذا يا الملوك تكون رفيعة غالية ، فقد أمر المعتمد بصياغة غزال وهلال من ذهب ، فصيغا فجاء وزنهما سبعة مائة مثقال ، فاهدى الغسزال إلى السيدة ابنة مجاهد الحامري ، والهلال إلى ابنه الرشيد ، وقال (١) :

بمشتا بالغزال إلى الغسزال وللشمس العنيرة بالهلال

وأقبل الأندلسيون على الفن الفنائي إقبالا ليس فيه استنكار أو تأثم كبير (٢) ، وكان الفناء من أكبر المواميل التي مكنت للنماذج المشرقية في البيئة الأندلسية (٣) ، ولا شبيلية طابع خاص فهي مدينة الفن والطرب (٤) حيث كثر فيها المغنون والمغنيات في القرن الخامس الهجري ، ومن أشهرهم : أبو بكر الإشبيلي المعروف بالحكيم المطرب (٤) ، والمغني السوسني الذي اشتهر في زمن المعتضد ، وقيل إنه غني في مجلس المعتضد قبل موته الأخير بخمسة أيام قائلا :

نطوي المنازل علما أن ستطويننا فشمشها بقاء المزن واشقيننا (٦)

وكان المعتمد واحدا من هؤلاء المغنيين ، يجيد الفناء والضرب على المود (٧) ، كما كان ابنه الرشيد بارعا في التوقيع على المود وغيره من الآلات الموسيقية (٨) ، وجلب الحكام المغنيين والمغنيات من مختلف أرجاء البلاد ، فعندما سمع المعتضد بجارية الرمي في قرطبة ، وما كانت

- (١) بدائع البدائع ص ١١٤ ، النفح ٣ : ٦١٤ .
- (٢) مقال الدكتور إحسان عباس في مجلة الأبحاث ، سنة ١٦ / الجزء ١ / آذار ١٩٦٣ ص ١٦ .
- (٣) تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، الدكتور إحسان عباس ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٠ م ، ص ٣٨ .
- (٤) في الربوع الأندلسية ، سامي الكيالي ، مكتبة الشرق ، حلب ، ١٩٦٢ ، ص ٨٦ .
- (٥) النفح ٤ : ٩٥ .
- (٦) النفح ٤ : ٩٦ .
- (٧) تاريخ المغرب - مطول - الدكتور فيليب حتي وآخرون ، الجزء الثاني ، الطبعة الرابعة ، مطابع الفندور ، ١٩٦٥ م ، ص ٧١٠ .
- (٨) الحلة السيرة ٢ : ٦٨ .

توصف به في صنعة الفناء ، بحث في طلبها واستجلبها إلى قصره (١)
وطالب مرة من أبي الوليد بن جهور أمير قرطبة جارية زاهرة (٢) .

واشتهر الإشبيليون بتلحين الأغاني ، وأبو الصلت أمية ابن عبد العزيز (٣)
من أشهرهم في ذلك ، وهو الذي لحن الاغاني الافريقية (٤) ، ومن أدوات الطرب
التي توجد في إشبيلية : الزلامي (٥) ، والشقرة (٦) ، والرباب ، والقانون ،
والبوق ، وغيره (٧) . وهذا ابن رشد يقول لابن زهر في تفضيل قرطبة :
" ما أدري ما تقول : غير أنه إذا مات عالم في إشبيلية فأريد بيع كتبه ، حملت
إلى قرطبة ، حتى تباع فيها ، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت
إلى إشبيلية (٨) .

(١) البيان المغرب ٣ : ٦٨ .

(٢) البيان المغرب ٣ : ٢٥٠ .

(٣) وأبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الداني الأندلسي ،
من أهل إشبيلية ، سكن المهدية ، وقد خرج من إشبيلية ابن عشرين سنة ،
ولزم التعلم بمصر عشرين سنة ، ثم وطن المهدية عشرين سنة ، وكان مولده
سنة ستين وأربعمائة ، ووفاته سنة ثمان وعشرين وخمسمائة . له عدة مؤلفات
منها الرسالة المصرية التي نشرها الأستاذ عبد السلام هارون . انظر :
(أخبار الملوك ، أخبار الحكماء ، ابن القفطي ، الطبعة الأولى ، مطبعة
السمادة ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ ، ص ٥٧-٥٨ ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،
ابن أبي أصيبعة ، تح . الدكتور نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ،
بيروت ، ١٩٦٥ م ، ص ١٠١-١٠٥ ، وفيات الأعيان ١ : ٢٤٣-٢٤٧ ،
الغريدة ج ٤ ص ٢٢٣-٢٤٣ ، عبر الذهي ٤ : ٧٤ ، النفح ٤ : ١٠٥-
١١٠ ، نوادر المخطوطات ، عبد السلام هارون ، المجموعة الأولى ، الطبعة
الثانية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
ص ٦-٥٦) .

(٤) المغرب ١ : ٢٥٧ ، النفح ٢ : ١٠٦ .

(٥) الزلامي : مزار شكل القصبة ، منحوتة الجانبين من الخشب جوفاء من غير
تدوير لاجل ائلافها ، من قطعتين منفردتين . (معجم الموسيقى
العربية ، الدكتور حسين علي محفوظ ، مطبعة دار الجمهورية ، بغداد
١٩٦٤ م ص ٣٥) .

(٦) الشقرة : من ذوات الأوتار . (معجم الموسيقى العربية ص ٣٨) .

(٧) النفح ٣ : ٢١٣ .

(٨) المصدر السابق ١ : ١٥٥ .

لقد عرف عن أهل إشبيلية الميل إلى اللهو والفكاهة ، وجميع
أوقات الطرب وشرب الخمر في وادي إشبيلية غير منكر ، وأهل أخف الناس
أرواحا ، وكان طبيعتهم قد قرنت على ذلك ، فالذي يستعد عن المزاج والتندر
منهم يمتقونه وينبذونه (١) . وكان المعتمد كثيرا ما يتستر ، ويشاركهم
في ليهودهم وطربهم ، وفي مظاهر مجتمعاتهم ، ومن ذلك مروره هو وابن عمار
بباب شيخ مشهور بالتهكم والتندر ، فطرق المعتمد الباب على الشيخ ، وأخبره بأنه
شخص يريد أن يقد فتيلة ، فأجابه الشيخ بأنه لن يفتح الباب ولو كان الطارق
ابن عباد ، عند ذلك أخبره المعتمد بهويته ، فقال الشيخ : مصفوعا ألسف
صفعة ، فما كان من المعتمد إلا أن ضحك ، وقال لابن عمار : امض بنينا
قبل أن يتحول القول إلى الفعل ، ثم بحث للشيخ في اليوم التالي ألسف
درهم (٢) .

وانتشر الخمر في المجتمع الإشبيلي انتشارا كبيرا ، لم ينف عنه ذلك أحد
إلا بعض الفقهاء ، فابن عمار كان مشغوبا بالخمر ، والمعتد مدمنها
شربه (٣) . وهذا اللهو والترف نجم عن قلة الاهتمام بالدين ، فاستهتار
المعتد بالدين جعله يترك المساجد ضرابا (٤) ، وعن جمال البيهية
واخماذ أي صوت للفقهاء يريد النهي عن الإغراق في شرب الخمر ،
والامعان في المجون والترف ، حتى أن الناس أخذوا يضربون بألسف
المثل في الخلاعة (٥) .

ولم يكن مركز المرأة في الأندلس بشكل عام يختلف عن مركز المرأة
في العصر الحديث بكثير ، فقد كانت المرأة المثقفة تعقد المجالس
لمناظرة العلماء في شتى نواحي الثقافة والتفكير ، كما كانت تشارك في نظم
القصائد وبث روح الحياة في المجتمع بجمالها (٦) ، وقامت المرأة الأندلسية
الحرة في القرن الخامس بدور خطير يشبه من بعض الوجوه دور المرأة فسي
الأدب الفرنسي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر (٧) .

(١) النفح ٣ : ٢١٢ .

(٢) الصغرى : ٢٨٦-٢٨٧ ، النفح ٤ : ١٢٧-١٢٨ .

(٣) يوسف أشباخ ١ : ٥٤ .

(٤) المرجع السابق ١ : ٤٣ .

(٥) النفح ١ : ١٥٩ .

(٦) بنوعباد إشبيلية ص ٢٥١ .

(٧) انظر : الفن ومذاهبه ، الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الخامسة ، مصر ،

١٩٦٥ م ص ٤٤٠ .

وكان لا انتشار الفروسيّة في الأندلس أثر كبير في تكريم المرأة ، فقصيد كانت المرأة تشكل عنصرا مهما بين المشاهدين في الميادين التي تقام في الساحة (١) .

ويلاحظ أنّ بعض النساء قد نالت في إشبيلية منزلة عالية كاعتماد الرميكية زوجة المصتمد بن عباد التي اشترى ١٥٠ من مياك بن حجاج وهو تاجر من مياسير إشبيلية ، ولا زمت الرميكية المصتمد في شلب وإشبيلية وأغمات ، وكانت لها منزلة عظيمة عنده وفي ذلك يقول لسان الدين بن الخطيب : " واتصلت أيام المصتمد على الله أحسن أيام ، ولذلك ، ما لهجت القصص بأخباره وأحاديث حظيته المسماة اعتماد لجميع اسمها عروفا لقبه " (٢) ، وكانت الرميكية تسرف في دلالها ونزواتها ، إلى حد يضيق عنه صبر المصتمد ففقد. ولدت بين الجبال وكانت تحن إليها (٣) ، فقالت يوما للمصتمد إنها تحب مناظر الثلج وتأسف لعدم وجوده في إشبيلية ، فقال لها الأسير سترينه ، وكان زمان ربيع ، وفي تلك الليلة ، أمر بفرس أشجار اللوز المزهر فوق هضبة مقابلة للقصر ، ولما استيقظت الرميكية ، لم تحس ببرودة الثلج ولكنها على الأقل رأت لونه (٤) . وقد روي أنها رأت ذات يوم باشبيلية نساء البادية يبعن اللبن في القرب وهن رافعات عن سوقهن في الطين ، فقالت له : أشتهي أن أفعل أنا وجواري مثل هؤلاء النساء ، فأمر المصتمد فسمحت أشياء من الطيب ، وذرّت في ساحة القصر حتى عتمه ، ثم نصبت الفرابيل ، وصب فيها ماء البرد على أخلاط الطيب ، وعجنست بالأيدي حتى عادت كالطين وخاضتها مع جواريها (٥) * .

(١) Ashort History of the Saracens , by Amir Ali
Newyork , 1899 . P. 519

(٢) أعمال الاعلام ص ١٥٩ .

(٣) أزهار البساتين ، طارو ، ترجمة احمد بلافريج ومحمد الفاسي ، الرباط ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٤٣ .

(٤) تاريخ العرب ٢ : ٦٤٢ ، أزهار البساتين ص ٤٣-٤٤ .

(٥) النفح ٤ : ٢٧٢-٢٧٣ ، ١ : ٤٤٠ .

* انظر عن الرميكية : الحلة السيرة ٢ : ٦٢-٦٣ ، الاطحة ٢ : ١٠٩ ،

أعمال الاعلام ص ١٥٩ ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، السيدة

زينب بنت علي بن حسين ، مصر ، ١٣١٢ هـ ، ص ٤١-٤٢ ، أعمال النساء

عمر رضا كحاله ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، المطبعة الهاشمية ،

دمشق ، ١٣٧٩ هـ ، ١٩٥٩ م ، ص ٧١ .

وكانت الرميكية تشبه في شهرتها ولادة بنت المستكفي محبوبة ابن زيدون
تلك الفتاة التي كان جمالها يتمثل في زرقة عينيها ووفرة شعرها
كما يقول نيكول (١)

وقد اشتغلت بعض النساء من أجل إعالة أطفالهن كأم ابن اللبانة
التي كانت تباع اللبن (٢) أو إعالة أنفسهن كبنت المعتد بن عباد السبي
أخذت تفزل لبنت عريف شرطة أبيها بعد نكبتهم .

وفي إشبيلية كثرت الجواري وتعددت أصنافهن ، فقد كانت بعضهن
للمتعة واللهو ، وبعضهن تحسن فن الغناء ، فمما جاز يوسف بن تاشفين
إلى الأندلس أهدى إلى المعتد جارية مقيمة ، وحين جلس المعتد لشرب
الخير على ضفة النهر والجارية معه أخذت تفني :

حملوا قلوب الأشد بين ضلوعهم ولووا عمائمهم على الأقمار
وتقلدوا يوم الوغى هندیسة أمضى إذا انتظمت من الأقدار
إن خوفوك لقيت كل كريهة أو أعلوك حللت دار قرار

فوقع بقلبه أنها عرضت بساداتها ، فرمى بها في النهر فهلك (٣) .

وقد ماج بلاط المهاديين بالجواري الشاعرات (٤) ، كالمبادية جارية
المعتد التي كانت أدبية ظريفة شاعرة ذاكرة لكثير من اللغة (٥) .

واشتهرت بعض النساء بالعفة والرزانة كبثينة بنت المعتد التي سببت
بعد كرامة والدها ولم ترض الزواج من ابن تاجر اشتراها إلا بهمس
استشارة والدها وكانت شاعرة مجيدة (٦) ، ومريم بنت أبي يعقوب

Hispano Arabic Poetry , by D.A.R.Nyckl Baltimore (١)
1946 . P . 107.

(٢) المغرب ٢ : ٤٠٩ .

(٣) النفح ٤ : ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٤) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، الدكتور سعد شلبي ، القاهرة ، ١٩٧٣
ص ١٢٦ .

(٥) النفح ٤ : ٢٨٣ ، الحلة السيرة ٢ : ٤٨ ، الدر المنثور ص ٣٢٧ .

(٦) النفح ٤ : ٢٨٤ ، الدر المنثور ص ٨٩ - ٩٠ ، أعلام النساء ١ : ١١٨ - ١١٩ ،
الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده - ، الدكتور مصطفى الشكعة ، بيروت ،

١٩٧٢ م ص ١٦٧ - ١٧٠ .

الفصولي ، التي كانت تعلم النساء الأدب وتحتشم لديهنهنا
وفضلها ، وهي أدبية شاعرة أصلها من شلب ، وشهرتها وأقامتهنا
في إشبيلية (١) .

وازدهرت في زمن بني عباد الزراعة والصناعة والتجارة ، فقد كثرت
في إشبيلية الثمار من كل نوع ، ومن أهم الحاصلات التي تزرع هناك : القطن
الذي يصدر إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب (٢) . ومنحدرات جبل
الشرف التي تقع في جوار العاصمة مباشرة خصبة ، حيث تنبت فيها أشجار
الزيتون والتين بكثرة (٣) وفي جنوب مدينة إشبيلية بساتين تمسرف
بجنان المصلى ، وفيها يزرع قصب السكر (٤) ، ومن أنواع الفواكه التي
تزرع في جبال الرحمة القريبة من إشبيلية : التين القوطي والشمسري
والليم * ، والنارنج ، والليمون (٥) .

وقد تهيأ لهذه المزروعات الجو الملائم ، والمياه الفزيرة ، والتربة
المناسبة ، ولكن لا بد من إدراك نقطة مهمة هي أن الحبوب وبخاصة
القمح والشمسري تعتمد كثيرا على مياه الأمطار ، فإذا كان الموسم رديا ،
فإن القمح يعم البلاد ويشملها .

واشتهرت إشبيلية بالصناعات الدقيقة الكثيرة ، ونشطت فيها صناعة
الآلات الموسيقية ، حتى إننا كانت تصدر الفاض عن حاجتها إلى الخارج (٦)
ومن أهم صناعاتها : صناعة النسيج ، والأسلحة والسفن (٧) ، فمنذ أيام
عبد الرحمن بن الحكم أنشئت فيها دار عظيمة للصناعة ، حيث اهتم بصنع

(١) الجذوة ص ٤١٢ - ٤١٣ ، البنية ص ٥٤٤ ، الصلة ٢ : ٦٩٤ - ٦٩٥ ،

النفح ٤ : ٢٩١ ، الاعلام ٨ : ٩٩ ، مجلة المجتمع العلمي العربي / دمشق /

المجلد الخامس / الجزء السابع / ك ث ١٩٢٥ م ص ٣٤١ .

(٢) معجم البلدان - إشبيلية ، الروض المصطار ص ٥٩ ، صفة جزيرة الأندلس ص ٢١ .

(٣) صفة المغرب وأرض السودان ص ١٧٨ .

(٤) الروض المصطار ص ٥٩ ، صفة جزيرة الأندلس ص ٢١ .

(*) الليم : نوع من الشجر ، ثماره تشبه الليمون انظر :

New Pictorial Knowledge Dictionary , by Finch,
Page. 246

(٥) النفح ٣ : ٢١٤ .

(٦) تاريخ العرب - مطول - ٢ : ٧١٠ .

(٧) رحلة الأندلس ص ١٧ .

السفن الحربية الكبيرة (١) . ولكورة حاجة - من الكور الغربية التي كانت من أعمال إشبيلية أيام بني عماد - خاصة في دباغة الأديم وصناعة الكتان (٢) ، وتكثر في إشبيلية صناعة الجبس والجير (٣) ، والزيوت ، كذلك انتشرت الصياغة ، ففخر الدولة بن المصتمد كان يجلس بعد نكبتهم في سوق الصياغة ليمتلمها (٤) .

من هنا يلاحظ بأن الصناعة في إشبيلية قد اعتمدت على الثروة المعدنية من ناحية وعلى المحاصيل الزراعية من ناحية أخرى ، فقد كثرت المعادن في جميع مدن الأندلس كالقولاذ والفضة والذهب . ومن أهم المحاصيل الزراعية التي كان لها دور مهم في الصناعة الزراعية : الزيتون والقطن وقصب السكر ، فجبل الشرف يمتد على مسافة أربعين ميلا ، يبدأ بمدينة إشبيلية ، وينتهي بمدينة لبلبة ، وكله شجر زيتون (٥) .

أما الحركة التجارية فقد كانت لشبيلية مزدهرة ، وكانت أسواق إشبيلية كثيرة عامرة ، وما ساعد على ذلك ، كثرة سكانها ، وتنوع محاصيلها ، وتعدد كورها وأقاليمها ، والتجارة عند الإشبيليين داخلية وخارجية ، فهم يحملون القطن إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب ، ويكثرون من التجارة بالزيت الذي يتجهزون به إلى المشرق والمغرب برا وبحرا حتى بلغ الإسكندرية (٦) . ووجود النهر جعل حركة التجارة نشيطة ، فالسفن تجري فيه بالبضائع جالبة من بر الحدود وعاملة إليه (٧) ، وكانت السفن في القرن السادس عشر تصل إلى إشبيلية عن طريق الوادي الكبير وهي محملة بالبضائع من المكسيك وبيرو ، فتفرغ بضائعها على أرصفة إشبيلية (٨) .

(١) تاريخ افتتاح الأندلس ص ٨٨ ، دولة الاسلام في الأندلس ، الدكتور محمد عبد الله عنان ، العصر الاول ، القسم الاول ، الطبعة الثالثة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، ١٣٨٠ هـ ، ١٩٦٠ م ، ص ٢٦١ .

(٢) النفح ١ : ١٥٩ .

(٣) انظر : النفح ٤ : ٢٦٠ .

(٤) المصجب ص ٢٣٣ ، النفح ٤ : ٩٧ ، شذرات الذهب ص ٣٩٠ .

(٥) صفه المغرب وأرض السودان ص ١٧٨ .

(٦) فضائل الأندلس وأهلها ص ٥١ ، الروض المعطار ص ٥٩ .

(٧) وفيات الاعيان ، الجزء السابع ، مطبعة دار القلم ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١١٩ .

(٨) أسبانيا : شعبها وأرضها ص ٢٦ - ٢٧ .

الحياة الفكرية

وصل هذا العصر - عصر الطوائف الذي انتهت فيه الأندلس إلى
دروة سحيقة من الانحطاط السياسي بمحصاد ثقافي عظيم ، ومرّت ذلّة
ان طوك الطوائف كانوا كلما ضعف سلطانهم ، ازدادوا تناغسافنسي
استذاب الشعراء (١) ، فالملوك في الأندلس كانوا انباء وشعراء
يتذوقون الادب ، ويفرضون الشعراء (٢) . وقد كان بنوعيه
رواد النهضة الفكرية والأدبية في الأندلس بصورة عامة ، وفي إشبيلية
بصورة خاصة (٣) ، فهم كما يقول الشقندي " : فان الايام لم تزل بهم
كاعيان ، وكان لهم من الحنوع على الأديب ما لم يقم به بنو حمدان في حلب ،
وكانوا هم وبنوهم ووزراؤهم صدوراً في بلاغتي النظم والنثر ، مشاركين في
فنون العلم واتارة المذكورة ، وأخبارهم مشهورة ، وقد خلدت من
المكارم النامة ما هو في السن الخاصة والعامة " (٤) .

ومن الجدير بالذكر أنه وجد في إشبيلية حركة أدبية قبل الاستقلال
ولكن هذه الحركة لم تخرج عن حدودها ، ولم يتسن لها الاشتغال
وقد لا يكون مبعث ذلك قلة أهمية الحركة نفسها بقدر عدم اهتمام مؤرخي
الأديب بها ، لأنها لم تكن تتصل بالحكم القائم (٥) . وفي أواسط
القرن الثالث الهجري ازدهر الشعر في بلاط إبراهيم بن حجاج فسي
إشبيلية ، حيث اشتهر الشعراء ، وحصلوا على الجوائز السنوية ، والهبات
الكثيرة ، ومن هؤلاء الشعراء : ابو عمرو بن عبد ربه شاعر قرطبة ،
حيث انتجع إبراهيم ومدحه بقولة (٦) :

-
- (١) تاريخ الشعوب الإسلامية ، بروكلمان ، ترجمة نبيه أمين فارس ومفهر البعلباني ،
الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٣٠٨ .
 - (٢) قصة الأديب في الأندلس ، محمد عبد المنعم خفاجي ، الجزء الثاني ، الطبعة
الأولى ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م ، ص ٨٣ .
 - (٣) المقتصد بن عباد وشعراء عصره ، محمد زهدي يكن ، دار يكن للنشر / بيروت
١٩٧٥ ، ص ٣٥ .
 - (٤) فضائل الأندلس وأهلها ص ٣٢ .
 - (٥) إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، الدكتور صلاح خالص ، دار الثقافة
بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ١٣٧ .
 - (٦) المقتصد في تاريخ رجال الأندلس ص ١٢ ، البيان المصرب ٢ : ١٢٧ ،
تاريخ المصرب في الأندلس ، الدكتور خالد الصوفي ، عصر الامارة ص ٣١ .

ألا إن إبراهيم لم لجة ساحل
فاشميلية الزهراء تزهي بمجده
إذا ما تجلت تلك من نور وجهه
من الجود أُرست فوق لجة ساحل
وقرمونة الفراء ذات الفضائل
غدثته ذرة للناس في زبي عاقل
فالشاعر يصف تنقل إبراهيم بين إشميلية وقرمونة ، ومرة أخرى يرى
ابن عبد ربه لزما عليه أن يمدح إبراهيم ويحيي إليه فيقول (١) :

كتاب الشوق يطويه الفنوء
تخط يد البكاء به سطوورا
وكيف وبى فواء مستطير
امعن بمن يكون الجود خلوا
زيارته لمن يأتيه حــــــج
ومن فيض الدموع له مــــــداد
على كبد ي وعليلها الســـــهاد
لمن لا يستطيع له فــــــواء
وابراهيم حاتمها الجـــــواد
ومدحتة رباط أو جهـــــاد

وقد جلب إبراهيم بن حجاج جارية تسمى «قمر» ودفع مقابلها أموالا
كثيرة ، وكانت جميلة ، تصرف الألحان والغناء ، شاعرة جيدة ، فمن شعرها
ترد على من عاينها (٢) :

قالوا أتت قمر في زبي أطمــــار
تسبي على وجل تغدو على سبيل
لا حرة هي من أحرار موصفيا
لو يمقلون لما عابوا غريبتهم
ما لا بن آدم فخر غير متـــــــو
دعني من الجهل لا أرضى يصاحبو
لو لم تكن جنة إلا لجاه لـــــــة
من بعد ما ه تكت قلبا بأشعار
تشق أعمار أرض بعد أعمار
ولا لها غير ترسيل وأشعار
لله من أمه تردى بأحــــرار
بعد الديانو والا خلاص للباري
لا يخلص الجهل من سب ومن حار
رضيت من حكم رب الناس بالنار

(١) البيان الصغرى ٢ : ١٢٧ .

(٢) المصدر السابق ٢ : ١٢٨ - ١٢٩ .

وفي القرن الخامس الهجري انتشر الشعر انتشارا كبيرا وتغلغل في صفوف جميع الناس حتى قال القزويني : إن أي فلاح يحترق بأثوار في شلب يرتجل ما شئت من الأشعار فيما شئت من المعاني (١) وقد شجع بنو عباد الشعراء ، وجلبوه إلى بلاطهم ، فكان لأبي القاسم القاضي في العلم باع طويل ، وكان يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر وقول البلاغة ، لذلك ارتفع عنده سوق ذوي المعارف المختلفة (٢) . وفي زمن المعتز كانت هناك دار مخصوصة بالشعراء ، ولهم يوم مخصوص ، لا يدخل فيه على الملك غيره ، وربما كان يوم الاثنين (٣) ، وهو ناك رئيس للشعراء ، ومن الذين تسلموا هذا المنصب الشاعر ابن جاح (٤) ، واجتمع للمعتز من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس ، وكان مقتصرًا من العلوم على علم الأدب وما يتعلق به وما ينضم إليه (٥) ، ولا يستوزر وزيرا إلا أن يكون أدبيا شاعرا ، حسن الأذواق (٦) .

وكان بنو عباد يعتقدون المجالس الأدبية ، ويستمعون فيها للشعراء فعندما جاء ابن جاح إلى إشبيلية ، توجه إلى بلاط المعتز ، حيث دخل الدار المخصصة بالشعراء ، فسأله ، فقال : اني شاعر ، فقالوا : أنشدنا شعرك ، فقال (٧) :

إني قصدت إليك يا عبادي قصداً القليق بالجري للوادي

(١) معجم البلدان - شلب ، الشعر الأندلسي ، أميليو غرسيه غومس ، ترجمة

حسين مونس ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٦ م ، ص ٤٦ .

(٢) الجذوة ص ٨٠ ، بغية الملتبس ص ١١٨ .

(٣) النفح : ٤ : ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٤) ابن جاح : شاعر مشهور ، أصله من بطليوس ، منتجع يقصد الملوك بالمدايح

ويطيل : انظر (الجذوة : ٤٠٥ ، بغية الملتبس : ٥٣٨ ، رايات المبرزين

ص ٦٠ ، بدائع البدائع ص ٨٥ - ٨٦ ، النفح : ٤ : ٢٤٣ - ٢٤٤) .

(٥) المصعب ص ١٥٨ .

(٦) المصدر السابق ص ١٥٨ .

(٧) النفح : ٤ : ٢٤٣ .

فنهكوا منه وازدروه ، فقال بعض عقلائهم : دعوه فإن هذا شاعر
وما يبعد أن يدخل على الشعراء ويندرج في سلوكهم ، فلم يبالوا
بكلامه ، وتنادوا عليه ، فبقى معهم ، ثم ادخلوه إلى المعتضد قبلهم ،
فحينما دخل قال قصيدة دالية في حضرة المعتضد هي (١) :

قطعت يا يوم النوى أكبادي	وحرمت عن عيني لذى رقادى
وتركتني أرمى النجوم مسهداً	والنار تهرم في صميم فسوادي
وكأنما ألى الظلام أليسة	لا ينجلي إلا إلى مهبمادي
يا بين أين تقف النوى	يا بل الذين تحملوا بسمادي
ولرب حرق قد قطعت نياطه	والليل يرفل في شيا بسمادي
بشملة حرف كأن ذليلها	سرح الرياح وكل برق غادي
والنجم يهدوها وقد ناديت بها	يا ناقتي عوجي على عبادي
طاك إذا ما أضربت نار الوغى	وتلاقت الأجناب بالاجساد
فترى الجسوم بلا روى تنثني	وترى الروى تلقى بلا اجساد
يا أيها الطك المؤمل والذلي	قدما سما شرفا على الأنساد
إن القريق لك سد في أرضنا	وله لنا سوق بغير كساد
فجلبت من شعري إليك قوافيها	يفنى الزمان وذكريه امتداد
من شاعر لم يظلم أن ينادى	خطت يداه صحيفة بسمادي

فلما سمع المعتضد القصيدة ، قال للشاعر : أنت ابن جاح ؟ فقال :
نعم ، فقال : اجلس فقد وليتك رئاسة الشعراء ، وأحسن إليه ، ولم يأن
في الكلام في ذلك اليوم لأحد بعده (٢) .

(١) النفح ٤ : ٢٤٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٤ .

وكان بنوعباد يشجعون الشعراء بالأموال الكثيرة ، والجوائز
الشمينة ، مقابل القصائد التي يدبجها الشعراء في مدحهم أو إهانتهم
هذه صفيحة منها أبيات من الشعر ، فعند ما أهدى ابن عمار إلى
المعتمد في أحد الأعياد ثوبا من صوف وكتب معه (١) :

لما رأيت الناس يحتشدون فـي يا تحاف يومك جثته من بابسه
فهبت نحو الشمس شبه إهابها وكسوت متن البحر بعض ثيابسه
وجه المعتمد خمسمائة دينار وكتب معها (٢) :

دبة أتت من القصار ألوفها فاعتم جزيل المال من وهابه
فلو أن بيت المال يحوي قفله أضاعها لكسرتة عن بابسه
وملات من يدك لا مستأثرا فبوع عليك لكي ترى أولائه

وقد أجاز المعتمد ابن وهبون عندما سمع بقصيدة اللامية (٣) :

محل البس الدنيا جمالا ولون فضح المقامر والمثالا
وأعطاه ألف مثقال حين بلغه قوله (٤) :

قل الوفاء فما تلقاه في أحس ولا يمت لمخلد وق على بهال
وصار عند م عنقا مغربا أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال

ولم يكتف الشعراء بالجوائز القليلة ، بل ألحوا في طلبهم تصريحها
أو تلميحها ، فعند ما قدم المعتمد في مجلس عجل بتنظيمه
واحضار الطوائف الملوكية ، وكان هناك تمثال جمل من بلور ، ولبسه
عينان من ياقوتتين ، وقد حلق بنفائس الدر ، فانشده أبو العرب الصقلي

(١) ديوان ابن عمار ص ٢٠٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٣ .

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٥١٥ .

(٤) المعجب ص ١٥٩ .

الجمل ، وما يحمل هذه الصلة إلا جمل ، فقال المصنف : خذ هذا
الجمل فانه حمل اثنال ، فارتجل بدبها (١) :

أهديتني جملاً جونا شفتت به
ناتج جودك في أعطان مكرمة
فأعجب لشأني فشأني كله عجب
رفهتني فحملت الحمل والجملا

وقد وصف الشعراء هذه الجوائز ، وأضافوا عليها هالة قد سيئت ،
فالدنانير التي وجهها المصنف لابن حصن كانها تشفي المرض ، فقد
أخذ ابن حصن يتأمل هذه الصرة من المال ويصفها وكأنه يتفزل بها
مشيرا إلى أنها قد حولت عينيه من الحول إلى الحور قائلا (٢) :

ومشتاق عذراء شد خناقها
عليها من اسم الملك عقد منظم
تلاقيتها بشراً ملاقة شيق
أقبلها طورا وطورا أضمتها
إلى أن تشفينا عنقا وخفست أن
قطعت عليها عقد ها فتناشست
كحلت بها حولا عيني فاغتردي

وقد ارتفع مركز الشاعر في اشبيلية ، فكثير من الشعراء ارتقوا السبي
منصب الوزارة ، كـ ابن زيدون (٣) .

(١) بدائع البدائع ص ٣٧٣ ، رايات المبرزين ص ١٤٩ ، النفح ٤ : ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٨٠ .

(٣) ابن زيدون : هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون
المخزومي ، ولد في الرصافة سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، أحب ولادة بنت المستنفي
ولكنه لم يتزوجها ، أصر إلى إشبيلية سنة إحدى وأربعين وأربعمائة بعد التضييق عليه
من آل جهور ، وقد أصبح من أكبر وزراء المصنف ، وحين توفي المصنف قرره المصنف
وأعلى منزلته وتوفي ابن زيدون سنة ثلاث وستين وأربعمائة في إشبيلية . انظر :
الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٢٨٩ - ٣٧٥ ، القلائد ص ٧ - ٨٣ ، أعتاب الكتاب ص ١١٣ ،
تج . الدكتور صالح الاشراف الطبعة الأولى ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م ص ٢٠٧ - ٢١٣ ،
وقيات الاعيان ١ : ١٣٩ - ١٤١ ، المغرب ١ : ٦٣ - ٦٩ ، غير ذلك ص ٢ : ٢٥٣ ،
البداية والنهاية أبو الفداء ، الجزء الثاني عشر ، مطبعة السعادة ١٤٠٤ - ١٠٥٠ هـ ،
النجوم الزاهرة ابن تقي بردي ، الجزء الخامس ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة
١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م ص ٨٨ شذرات الذهب ٣ : ٣١٢ - ٣١٣ ، ابن زيدون (عصره
وحياته وأدبه) ص ١٥ - ٤٠ ، ابن زيدون ، شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ، دار المعارف
مصر ، ١٩٥٩ م ابن زيدون (اثر ولادة في حياته وأدبه) وليم الغازي ، مكتبة الحياة
بيروت ، ابن زيدون ، فؤاد افرايم البستاني ، الطبعة الأولى ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت
١٩٦٠ م ص ٣ - ١٢ ، الاعلام ١ : ١٥١ - ١٥٢ ، معجم المؤلفين ١ : ٢٨٤) .

(١) هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة ، أدب عالم شاعر ، ناظر

من قرطبة إلى إشبيلية للمعتضد ، وندم لما رآه ، ولكنه داراه مدة حياته

وتوفى نتيجة سقوطه في بحيرة ، وقد يكون المعتضد سبب وفاته ، وقد اشتهر

بمده المعتد ، ومراسلاته الشعرية مع ابن الأبار وابن الأصمغ بن عبد العزيز

انظر : (الحدوده ص ٦٥-٦٦ ، بغية الملتصص ص ٩٠-٩١ ، الذخيرة ق ١٢ م ١

ص ١٠٥ - ١٢٤، مطمح الأنفس، ابن خاقان، تح. محمد الشوابكه، ١٩٧٧ -

١٩٧٨ م: ٥٨-٦٠، المصرب (١٦: ١٧).

(٢) هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد الطقطبي بحبيب، كان وزيرا كاتبها في زمن المصطفى،

وهو من أهل إسبيلية ، وكان آية في الذكاء والبلاغة وقول الشمس ، مات قريبا من مائة

أرهمين وأربعمئة بأشبهلية ، حيث فقله المعتضد ، من مصنفاته : الهدى في وصف

الرقيم. (انظر : الجذوة ص ١٦٢ ، بغية الملتبس ص ٢٢٨ الذ خيرة ص ٢٠١ م ١٢٤ - ١٣٥)

التكملة لكتاب الصلة ، ابن الأبار ، الجزء الاول ، نشره عزت المطار ، ١٣٧٥ هـ -

١٩٦٥م، رقم ٤٧٤، المغرب (٢٤٥:، المرقصات والمطربات ص ٧٩).

(٣) وأبو القاسم محمد بن عبد الففور، أحد شعراء المعتد القريين، وقد عكف

في آخر مدته على القراءة والكتابة والعلم. (انظر : الذخيرة ٣٢٣-٣٢٥)

المغرب ١: ٢٣٦، الوافي بالوفيات ٣: ٢٦٥-٢٦٦ النفح ٣: ٥٥٢-٥٥٣).

(٤) ٥ وأبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد الأزدي الصقلي، ولد في

مدينة سرغوسه سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وهاجر إلى إشبيلية سنة إحدى

وسبعين وأربعمائة حيث ارتفع شأنه عند المعتد ، وبعد خلع المعتد عن ملأه

تنقل بين أعماق والمهدية وصيورة ، وقد توفي في بحارة سنة سبع وعشرين وخمسة

انظر: (وفيات الاعيان ٣: ٢١٢-٢١٥، مطالع البدور، البهاشي، الجزء الاول،

الطبعة الأولى ، مطبعة إدارة الوطن ، القاهرة ، ١٢٩٩ هـ ، ص ٣٦-٣٧ ، الحرب

ففي صقلية ، الدكتور إحسان عباس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ٢٢٥٨-٢٢٦٦ ،

تاريخ الأدب العربي، في صقلية، اميرنود پزيتانو، عمان، ١٩٦٥م، ج ١، ١٩٤-٢٠٠،

دراسات في تاريخ الأدب العربي ، كراتشكوفسكي ، ترجمة دار النشر ، موسكو ،

١١٦٥هـ، ١٢٢٤هـ - ١٢٢٤هـ، ابن حمد يس، محمد شليم، دار غريب المطبعة،

القاهرة، ص ٩٧-٢٢٧، ابن حمد بن المقدم، عبد الممنن المنشاوي ومصرطني

السقا^٤ المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٣٤٧هـ = ١٩٢٩م .

كيفية وصوله الى بلاط المعتمد فيقول : " أقمت باشبيلية لما قد متها على
المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت إلي ولا يعبا بي ، حتى قطعت لخييستي
مع فرط تعبتي ، وهمت بالنكوص ، فاني لكذلك في ليلة من الليالي في منزلي
إذ بغلام معه شمع و مركوب ، فقال لي : افتح الطاق التي تليها ،
ففتحتها ، فإذا به زجاج على بعد ، والنار تلوح من بابيه ، وواقده يفتحها
تارة ويسدلها تارة أخرى ، ثم ليام سد أحدها وفتح الآخر فحين تأملتها
قال لي آخر : انظرهما في الظلام قد نجما .
فقلت : كما رآنا في الدجنة الأسد

فقال : يفتح عينيو ثم يطبقها
فقلت :

فملا امرى في جفونورماد

فقال : فلبتزه الدهر نور واحدة

وهل نجا من صروفه أحد ؟

فقلت :

فاستحسن ذلك وامر لي بجائزة سنية وألزمني خدمته (١) .

وفي زمن المرابطين ارتفع شأن الفقه والعلم ، فقد كان يوسف بن تاشفين
يحب أهل العلم والدين ، ويحكمهم في بلاده (٢) ، ويرغب في مجالستهم (٣)
وأنقطع إليهم من أهل الجزيرة من كل علم فحول ، حتى أشبهت حضرته حضرة
بني المباس في صدر دولتهم ، واجتمع لولائه من بعده من أعيان الكتاب وروءاء
المبلاغة ما لم يتفق اجتماعه في وقت من الأوقات (٤) ، وبالرغم من ذلك فقد ضعف
الشعر ولم تعد قيمة الشاعر كما كانت عليه زمن ملوك الطوائف ، لذلك
صرخ الأعمى التطيلي قائلاً (٥) :

أيا رحمتا للشعر اقوت ربوعه
على أنها للمكرمات مناسك
وللمشعراء اليوم ثلث عروشهم
فلا الفخر صفتال ولا الحرز تامك

(١) ديوان ابن عمديس ، صححه الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، ودار بيروت

للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م ص ٥٤٣ ، بدائشع

البدائش ص ١٢٩ - ١٨٠ ، النفح ٤ : ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٢) الكامل ٤ : ٤١٧ .

(٣) جولات في تاريخ المغرب عبد القادر الصخراوي ، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء

١٩٦١ م ص ٦٠ .

(٤) المصجب ص ١٥٨ .

(٥) ديوان الأعمى التطيلي ، تح . الدكتور إحسان عباس ، بيروت ١٩٠٠ .

ومن الأسباب التي ساعدت على ذلك : أن المرابطين همأتموا
بالجهاد وفضلوه على كل شيء ، فالجوائز السنوية التي كانت تخلص
على الشعراء أيام بني عباد ، لم يعد لها وجود عند سير بن أبي بكر
أمير إشبيلية بعد بني عباد ، لذلك فر الشعراء من إشبيلية إلى أنحاء
أخرى في الأندلس والمغرب ، كابن اللبابة ، وابن حمديس ، وابن وهبسون .

ومن الأسباب التي قللت من قيمة الشعراء عند المرابطين أن أمراءهم
لا يتذوقون الشعر كما كان يتذوقه بنو عباد من قبلهم ، فيقال إن المعتد
كتب ليوسف بن تاشفين بعد عودته للمغرب من معركة الزلاقة (١) :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شو قاً إليكم ولا جفت مآقينا
حالت لفقدكم أيامنا ففسدت
سوداً وكانت بكم بهماً لماننا

فلما قرى عليه هذان البيتان قال للقاري : يطلب مني جوازي سوداً
وبهياً . قال : لا يامولانا ، ما أراد إلا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين
نهاراً لأن ليالي السرور بيفر ، فماد نهاره بعمده ليلاً ، لأن ليالي الحزن
ليال سود ، فقال والله جيد ، أكتب له في جوابه : وإن دموعنا تجري عليه
وروسنا توجعنا من بعمده (٢) .

وبالرغم من حفظ يوسف بن تاشفين للقرآن الكريم إلا أنه لستم
يكن محسناً لعلم العربية والتصرف ، ولكنه لم يكن جاهلاً بها ، فقصده
كان على كبر سنه يتعلمها (٣) * .

(١) ديوان ابن زيدون ص ١٤٢-١٤٣ .

(٢) فضائل الأندلس وأهلها ص ٢٣ .

(٣) جولات في تاريخ المغرب ص ٦ . (عن الترجمان المغرب) .

* يتهم بعض الباحثين عصر المرابطين بالانحطاط والفكري والأدبي ، انظر :
الشعر الأندلسي ، غوماس ص ٥٦-٥٨ ، تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٢٣ ، تاريخ
الحضارة الإسلامية بارتولد ، ترجمة حمزة طاهر ، مطبعة المعارف مصر ،
١٩٤٢ م ص ٥٨ ، الدول الإسلامية وآدابها ، أنيس المقدسي ، الطبعة
الخامسة ، المطبعة الأدبية ، بيروت ١٩٣٩ م ، ص ١٠٢ ، وغيره .

ولم يختلف الشعر في إشبيلية في نهاية الربع الأخير من القرن الخامس الهجري، إلا أن هذا الشعر لم يلق أتعاباً كبيراً من قبل المؤرخين، وكانهم يهتمون بالشعر عندما يكون متصلاً ببلاط ملك من الملوك، لذلك جاء وصفهم لحركة الشعر في إشبيلية في هذه الفترة بما هو ليس له هوية تميزه، حيث يذكرون بعض المقطوعات الشعرية التي ليس لها قيمة أدبية مهمة.

وقد ارتكزت الحركة الأدبية والعلمية في إشبيلية في هذا القرن على قاعدة متينة، فقد اشتهر عدد كبير من الأديباء واللغويين في إشبيلية قبل القرن الخامس الهجري منهم: أحمد بن يوسف (١)، ومحمد بن عبد الملك (٢)، ومحمد بن الحسن الزبيدي (٣) وغيرهم.

ولم يترك إشبيلية في القرن الخامس الهجري عدد من الأديباء والكتاب منهم من كتب لبني عماد والمرابطيين بعدهم، فابو بكر بن القصيرة (٤) من أشهر الكتاب في ذلك الوقت، واعتمدت ثقافة، وأجلاهم أسلوباً، فكتابات مشهورة في جميع بلاد الأندلس، وأورد له ابن بسام في كتاب الذخيرة عدد من المقطوعات النثرية تدل على امتلاكه زمام اللغة، وموهبته الأدبية،

- (١) هو أحمد بن يوسف بن حجاج، كان عروضياً نحويًا، توفي سنة ست وثلاثمائة. انظر: (تاريخ علماء الأندلس، ابن الفريسي، الدار المصرية، للتأليف والترجمة، ١٦٦٦، رقم ١٠٨).
- (٢) هو محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز، أحد رجال الكمال بالأندلس، علماء وأديباء وشرفاء. انظر: (المعجم، ابن الأبار، دار الكتاب العربي المصري للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧، ١٩٦٧، رقم ١٢٠).
- (٣) هو محمد بن الحسن الزبيدي النحوي، من الأئمة في اللغة، كان شاعراً مجيداً، من مؤلفاته كتاب الواضح في النحو، توفي قريباً من سنة ثمانين وثلاثمائة. انظر: (المحمدون من الشعراء، القفطي، تح. حسن مصري، الرياض، ١٣٩٠ - ١٩٧٠ م، ص ٢٠٧ - ٢٠٩، أنيساء الرواه، القفطي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الثالث، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٤ - ١٩٥٥ م، ص ١٠٨ - ١٠٩، معجم الأديباء، ١٨: ١٧٩ - ١٨٤، الاعلام، ٦: ٣١٢، معجم المؤلفين، ٩: ٩٨).

Brook .S .L . 203

- (٤) هو محمد بن سليمان نشأ في دولة الممتمد وسفر بين الممتمد وبعث ملوك الطوائف ثم بينه وبين يوسف بن تاشفين، وكتب للممتمد ومن بعده ليوسف ابن تاشفين ثم لابنه علي، توفي سنة ثمان وخمسمائة: انظر (الذخيرة رقم ١٢٢ ص ٢٣٩ - ٢٨٥، قلائد الحقيان ص ١٠٣ - ١٠٦، المحمدون من الشعراء ص ٣٥٨، اعتاب الكتاب ص ٢٢٢ - ٢٢٣، المفرب ١: ٣٥٠ - ٣٥١، الاطالعة ص ١١٦ - ١١٧، المعجب ص ٢٢٧ - ٢٢٨).

وزيادة على ذلك فقد كان له شعر عذب . وأما ابن عبد البر (١) فقد كتب للمعتضد ، وله عنه الرسالة البديعية في قتل ابنه اسماعيل ، ويقال إنه كتبها دون روية . ومن الأديباء المشهورين : سلام ابن عبد الله الباهلي (٢) ، الذي كان أديبا شاعرا ، ولمهارته فسي هذين الغنيين الحق المعتقد بدوان الشعراء ، وزيادة على ذلك فقد كان من كتاب المقامات ، حيث يهتم بتنميقها وسبكها ، وله خطب متنوعة . وكان محمد بن يحيى (٣) ، من الأديباء والنحويين الذين اشتهروا في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس . وأما ابن المرخي (٤) فقد اشتهر بجودة أدبه ، وعمق علمه ، وأبو محمد بن عبد الغفور (٥) من أشهر الكتاب في أواخر القرن الخامس ، وقد مال في نثره إلى البصولة والتعقيد ، لذلك هاجمه الفتح بن خاقان ، وجمع ابن زيدون بين عبقريتي الشعر والنثر ، فقد كانت رسائله ترد من إشبيلية إلى قرطبة وهي بالمنظوم أشبه منها بالمتنوع (٦) .

وقد تشعبت فنونهم الكتابية ، وتنوعت مقاصدهم ، وأهم الصفات الفنية التي تميزهم : كثرة السجع والتنسيق والتحرير في رسائلهم وخطبهم ، كذلك يضمنون نثرهم بعض أبيات من الشعر ، وكتاباتهم تميل في كثير من الأحيان إلى الإطناب والاسهاب .

وكثر علماء اللغة والنحو ، حتى أن عددهم لا يكاد يحصى فمنهم : ابن فندلة (٧) حيث كان إماما في اللغة والنحو ، وأحمد

- (١) هو أبو محمد بن عبد البر ، كتب للمعتضد ، ثم تخوف منه ورحل عنه ، وكتب عن أكثر ملوك الطوائف . انظر (قلائد العقيان ص ١٨٠-١٨٢) ،
- اعتاب الكتاب ص ٢٢٢-٢٢٣ ، البيان المغرب ٣ : ٢٤٤-٢٤٨) .
- (٢) هو سلام بن عبد الله الباهلي ، روى عن أبي الحجاج الأعلم وغيره ، انظر : الذيل والتكملة ، السفر الرابع رقم ١٢٢ ، فهرسة ابن خلدون ص ١٧٦ ، ٤٥٠ ،
- (٣) محمد بن يحيى : روى الموطأ عن أبي بكر بن حيدرة سنة اربع وخمسمائة . انظر (التكملة رقم ١٢٩٧) .
- (٤) هو محمد بن عبد الملك ، ولد سنة ثمان وستين وأربعمائة ، وتوفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة . انظر (المعجم رقم ١٢٠) .
- (٥) أبو محمد بن عبد الغفور : نشأ بين يدي والده في دولة المعتضد ، وقد كان كاتبها بمر أكثر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة . انظر (الذخيرة ق ٢ ص ١٨٠) ، ٣٦٨-٣٦٩ ، قلائد العقيان ص ١٥٩-١٦٢ ، المغرب ١ : ٢٣٦-٢٣٧ ،
- الخرقة ق ٢ ص ٢٤٤-٢٤٥) .
- (٦) اعتاب الكتاب ص ٢١٣ .
- (٧) هو محمد بن عبد الفتي ، روى عن الأعلم جميع تواليفه ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة . انظر : (بغية الملتبس ، رقم ٢١٠) .

ابن عبد القادر (١) الذي اشتهر بعلمه في اللغة والنحو ، وعلي بن محمد ابن مسلم (٢) الذي كان من بدلة النحويين ، ودرس النحو كثيرا وعلم به ، والأعلم الشنتمري (٣) وابن الفاسلة (٤) وغيرهم .

ومن مظاهر نشاط الحركة الفكرية ، انتشار النقد في المجال الأدبية ، فقد كان المعتمد نقادا بارعا النقد ، دقيق الحس ويصبر رايه فيصلا في الحكم على الشعراء ، فمنذ ما مدح الحجارى الكبير المعتمد بقصيدة دالية ، اخذ المعتمد البطاقة وجعل يميل النظر والفكر في القصيدة ، والحجارى مترقب لنقده ، لكونه كما يقول في " هذا الشأن من ائمه ، وكثيرا ما كان الشعراء يتحاشون له ، إلا أن عرف من نفسه التبريز ووثق بها " وعندما انتهى المعتمد إلى قول الحجارى :

ولا سقا هم على ما كان من عطشٍ ، إلا بهم ندى كف ابن عبيد
فقال المعتمد : لا شيء بخلت عليهم أن يسقوا بكفه . (٥)

(١) أحمد بن عبد القادر : من أهل إشبيلية ، يكنى أبا عمرو ، له عدة مؤلفات ، توفي بعد سنة عشرين وأربعمائه . (الصلة ، ابن بشكوال ، مطابع سجل الحرب ، ١٩٦٦ ، رقم ٧٦) .

(٢) هو مولى المعتمد بن عباد ، وهو من إشبيلية ، أخذ النحو عن أبي عبد الله بن أبي المافيه ، كان حيا سنة تسع وثلاثين وخمسمائة . (الذيل والتكملة - السفر الخامس ، القسم الاول - رقم ٦٦٣) .

(٣) هو يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري ، رحل إلى قرطبة ، توفي في إشبيلية سنة ست وسبعين وأربعمائه ، له عدة مؤلفات ، انظر : (بغية الوعاة ، السيوطي ، الجزء الاول ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٦ هـ ، ص ٤٢٢ ، الوافي بالوفيات (مخطوط) مجلد ٢٦) ، ص ٩٥ ، شذرات الذهب ، ٤٠٣ : ٣ ، تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، الجزء الثالث ، مطبعة الهلال ، ١٩٣١ ، ص ٥٥ وغيره) .

(٤) هو جعفر بن أحمد بن عبد الملك ، من أهل إشبيلية ، ولد سنة أربع وخمسين وثلاثمائه ، وتوفي سنة ثمان وثلاثين وأربعمائه . (الصلة رقم ٢٩١) .

(٥) النفح ٣ : ٥٧٠ - ٥٧١ .

وعندما بحث ابن عمار للمعتمد قصيدة حائية يستعطفه بها ومنها (١) :
وبين ضلوعي من هواه تميمية ستنفع لو أن الحمام مجلج

فلما قرئت القصيدة في مجلس المعتمد ، أخذ أعداء ابن عمار ينتقدون الشعر ويطلبون له عيبا ، ويسخرون من البيت السابق ، فقال لهم المعتمد :
مهما سلبه الله من المروة والوقار فلم يسلبه الشعر ، إنما قلب بيت الهذلي (٢) :

ولذا المنية أنشبت أظفاره - ألفت كل تميم لا تنفسع

وكانت لدى المعتمد أذن موسيقية يدرك بها الوزن الشعري ، والخلل الموسيقي ، فعندما مدحه ابن وهبون ، بقصيدة فيها تسمون بيتا ، أجازته بتسعين ديناراً ، فيها دينار مقروض ، فلم يعرف المعلّة في ذلك إلى أن تأملها ، وإذا به وقد خرج من المروض الطويل في بيت إلى المروض الكامل ، فصرف حينئذ السبب (٣) .

وبرع الإشبيليون في الطب والهندسة والحساب والفلك ، فقد كان خالد ابن محمد (٤) عالما بفنون الحساب وبالصربية وفنونها ، وعمر بن خلدون (٥) ، من أهل المعرفة بالهندسة والعلوم والطب ، ومحمد بن عمر بن الحسن (٦) :

(١) ديوان ابن عمار ص ٣٢١ .

(٢) الذخيرة ش ٢ م ١ ص ٤٢٢ ، ديوان الهذليين ، الجزء الأول ، الدار

القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ص ٣ .

(٣) أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي ، تح . الدكتور إحسان عباس ، الطبعة الأولى بيروت ، ١٩٦٣ م ص ١٩ .

(٤) خالد بن محمد : من أهل إشبيلية ، قتل في بطليوس في حدود سنة ست وثلاثين وخمسمائة (الصلة رقم ٤١٠) .

(٥) وأبو مسلم الحضرمي ، من أشراف أهل إشبيلية ، توفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة . انظر : (طبقات الأمم ، ابن صاعد ، تح . لويس شيخو المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩١٢ م ، ص ٧١ ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٤٨٥ ، الذيل والتكملة - السفر الخاص ، القسم الثاني - رقم ٧٤٢) .

(٦) وأبو حفص ، من أهل إشبيلية ، مولد سنة خمس وسبعين وثلاثمائة في إشبيلية . (الصلة رقم ١١٨٨) .

من الأطباء المشهورين هناك ، وكان أبو العلاء بن زهر (١) إما ما في الطب ، وكانت له نوازل في مداواة المرضى ، ومعرفة لأحوالهم وما يجدونه من الآلام من غير أن يستغفروهم عن ذلك ، وعند ما وصل إليه كتاب القانون لابن سينا تأمله ولكنه لم يمجبه ، وجعل يقاتل من أطرافه ما يكتب فيه نسخ الأدوية لمن يستغفريه من المرضى (٢) . وكان أبو الصلت أسية بن عبد العزيز ذا معرفة كبيرة بالموسيقى وعلم الهيئة والنبوء متقنا لعلم الرياضيات ، حاذقا بصناعة الطب (٣) . . .

أما عبد الرحمن بن مسلمة (٤) فقد سكن إشبيلية ، وكان بصيرا بحالوم كثيرة ، من علوم الحساب والطب والأصول وغيره ، وكان لعبد الله بن يوسف الوهرائي (٥) علم بالحساب والطب ، أما عمر بن إبراهيم بن محمد الهوزني (٦) فقد كان من المتصرفين في العلوم ولا سيما علم الحساب ، ومن الأطباء اليهود الياس بن مدور ، وقد كان ينافس طبيا يهوديا آخر هناك ، فقتل ابن مدور شعرا يسخر فيه من هذا الطبيب ومنه (٧) :-

(١) هو أبو العلاء بن زهر الأيادي الإشبيلي ، له شعر كثير ، اشتغل بالطب منذ صغره أيام دولة الممتد ، كانت له رحلات داخل الأندلس وخارجها وهو من الأطباء المتمد المشهورين ، وبعد نكبة المتمد أصبح طبيا ليوسف بن تاشفين ، توفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة . انظر : (الذخيرة ق ٢٢ ص ١٨٨ - ٢٣١ ، عيون الأنباء ص ١٧ - ٥١٩ ، وفيات الأعيان ٤ : ٤٣٦ ، شذرات الذهب ٤ : ٧٤ - ٧٥) .

(٢) عيون الأنباء ، ص ٥١٨ .

(٣) عيون الأنباء ، ص ٥٠١ .

(٤) عبد الرحمن بن مسلمة : ولد سنة تسع وستين وثلاثمائة ، وتوفي سنة ست وأربعين وأربعمائة (الصلة رقم ٧١١) .

(٥) هو عبد الله بن يوسف الوهرائي ، يكنى أبا محمد ، قدم الأندلس تاجرا سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وسكن إشبيلية ، له رواية واسعة عن شيوخ إفريقية . (الصلة رقم ٦٥٦) .

(٦) عمر بن إبراهيم : يعرف بأبي هريرة ، من أهل إشبيلية ، ولد سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وتوفي سنة ست وخمسين وأربعمائة .

(الصلة رقم ٨٦٤) .

(٧) المغرب ١ : ٣٣٦ .

لا تخدعن فما تكونُ سيوذة ما بين مُشترَكين أمراً واحيداً
انظر إلى القمرين حين تشاركا سهاهما كان التلاقي فاسيداً

وكان عبد السلام بن أشعر (١) ذا معرفة بعلم الحساب والهندسة .

ومن مظاهر نشاط الحركة العلمية : كثرة الرحلات من إشبيلية واليهما ، حيث يرحل علماء إشبيلية وأندلسها منها إلى المدن الأندلسية والمشرقية ، لطلب العلم والمعرفة أحياناً ، والحج والعمرة أحياناً أخرى . فقد رحل عبد الله بن محمد اللخمي (٢) إلى المشرق وأخذ بمكة عن شيوخها ، وذهب أبو حفص الهوزني إلى مصر ، ووصل إلى مكة ، وروى في طريقه كتاب الترمذي في الحديث وعنه أخذ أهل المغرب ، ثم رجع إلى الأندلس . ورحل ابن العربي (٣) في القرن الخامس الهجري إلى المشرق وكان بصحبته ابنه ، حيث أقام بالمسراق مدة ، وبالشام ومصر مدة ، وتفقد هناك وروى فأكثر . أما سعدون بن محمد (٤) فقد رحل إلى المشرق ، وحج بعد سنة أربعمائة ، ولقي عدداً من الشيوخ هناك ، وعاد مرة ثانية إلى مكة حيث جاور فيها .

-
- (١) عبد السلام بن أشعر . أصله من بلاد إفريقية ، يكنى أبا الحكم ، توفي بمراكش سنة ثلاثين وخمسمائة . (صلة الصلة ص ٥٠) .
- (٢) هو عبد الله بن محمد اللخمي ، من أهل إشبيلية ، أخذ في رحلته إلى المشرق عن أبي نذر الهروي وغيره ، توفي سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (الصلة رقم ٥٩٩) .
- (٣) هو محمد بن عبد الله بن العربي ، فقيه ، حافظ ، عالم ، متقن ، محدث مشهور ، له شعر جميل ، (بغية الملتص رقم ١٧٩) .
- (٤) هو سعدون بن محمد بن أيوب الزهري ، من أهل إشبيلية ، أصله من قرية بنظوشنتمرية من مدائن الغرب ، توفي في حدود سنة خمس وثلاثين وأربعمائة . (الصلة رقم ٥٢٥) .

وتوجه سلمة بن أمية (١) إلى المشرق سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة .
 ووصل سعد بن عبيدة (٢) إلى المشرق سنة ثمان عشرة وأربعمائة وحج
 سنة عشرين وأربعمائة . وذهب سعيد بن عياش (٣) إلى المشرق ،
 وأدى فريضة الحج ، وكتب عن عدد من العلماء والفقهاء هناك ، ثم سكن
 مصر ، وحدث بها ، وسمع منه عدد من الشيوخ . ورحل محمد بن شريح
 السرعيني (٤) إلى المشرق سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، حيث زار مصر
 ومكة .

وتوجه كثير من العلماء إلى إشبيلية ، وذلك للإفادة والاستفادة
 ولا غروفي ذلك ، فقد كانت إشبيلية في القرن الخامس مركزاً مهماً من مراكز
 الحضارة الأندلسية ، ومنبعاً كبيراً لغيوط الإشباع الفكري والحضاري . ومن
 الذين جاؤوا إلى إشبيلية ، وأقاموا فيها مدة : ابن الحسين الأنصاري (٥)
 وابن يوسف الأزدي (٦) ، وعبيد الله بن سمسار ~~الدمشقي~~
 الدمشقي (٧) وغيرهم .

-
- (١) هو سلمة بن أمية بن وديع ، سكن إشبيلية ، أصله من شنكرة ، وكان ثقة
 فاضلاً ، ولد سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وتوفي سنة اثنتين وأربعين
 وأربعمائة . (الصلة رقم ٥١٥) .
- (٢) هو سعيد بن عبيدة بن طلحة ، صاحب الصلاة بإشبيلية ، مولد سنة
 خمس وستين وثلاثمائة ووفاته سنة تسع وخمسين وأربعمائة . (الصلة رقم ٥٠٨) .
- (٣) هو سعيد بن عياش بن الهيثم القضاعي ، من أهل إشبيلية ، سمع منه
 بمصر أبو بكر جواهر بن عبد الرحمن في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .
 (الصلة رقم ٥٠٧) .
- (٤) محمد بن شريح : من جملة المقرئين وخيارهم ، ثقة في روايته ، ولد سنة
 اثنتين وتسعين وثلاثمائة وتوفي سنة ست وسبعين وأربعمائة . انظر :
 (الصلة رقم ١٢١٢ ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجوزي
 الجزء الثاني ، مصر ، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م ، ص ١٥٣ ، النسخ ٢ : ١٤١) .
- (٥) ابن الحسين الأنصاري : من أهل طليطلة ، خرج منها سنة سبع وسبعين
 وأربعمائة وتوفي بقرطبة سنة ثمان وتسعين وأربعمائة . (الصلة ص ٨٠) .
- (٦) ابن يوسف الأزدي : من أهل فاس ، كانت رحلته لإشبيلية عام واحد وخمسمائة
 حيث أخذ بها عن عدد من العلماء ، وتوفي في فاس سنة ثلاث وأربعين
 وخمسمائة . (الصلة ص ٥٢ - ٥٣) .
- (٧) عبيد الله بن سعد الدمشقي : كان واسع العلم ، ولد سنة إحدى وأربعين
 وثلاثمائة . (الصلة رقم ٦٧٤) .

لا شك أن هذه الرحلات المتبادلة بين إشبيلية والمدن الأندلسية من ناحية ، وبينها وبين المدن المشرقية من ناحية أخرى ، قد زادت في معرفة القوم ، واتساع تجاربهم وعمق ثقافتهم .

ومن الملاحظ أنه ليس لأهل الأندلس في ذلك الوقت مدارس تعينهم على طلب العلم ، بل يدرسون جميع العلوم في المساجد بأجرة ، فهم يدرسون لكي يملئوا ، لا لأنهم يحصلوا على أموال ، فالعالم منهم يسارع لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه ، وينفق ما عنده حتى يعلم (١) وازدهرت مساجد إشبيلية بالمتعلمين ، فالعلم يرفع من شأنهم ، ويحسن من قدرهم ، ويزيد في معرفتهم ، وقد اشتهر عدد من المعلمين في مختلف المجالات منهم : ابن الرماك (٢) ، وكان أستاذاً فقيهاً له معرفة بالنحو واللغة ودرس النحو والأدب في إشبيلية ، وابن القوطية (٣) الذي درس الآداب واختلف إليه فيها ، وأبو بكر بن القصيرة ، حيث كان من المعلمين المشهورين فقد حذق العلم وبخاصة علم الأدب فعمله وعلّمه (٤) ، وابن شريح السرعيني (٥) الذي صارت إليه الرحلة في زمانه ، وسميد ابن معاوية الأموي (٦) الذي علم اللغة المربية .

-
- (١) النفح ١ : ٢٢٠ - ٢٢١ .
 (٢) هو عبد الله بن محمد بن الرماك ، من أهل إشبيلية ، توفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، (بغية الملتبس رقم ٨٤٩) .
 (٣) هو محمد بن القوطية ، من أهل إشبيلية وصاحب الشرطة فيها في أول الدولة المملوكية ، جده صاحب كتاب الأفعال . انظر : (الجذوة ص ٣٩٣ ، بغية الملتبس ص ٥١٩ ، التكملة رقم ١٠٧٨ ، رايسات المبرزين ، ص ٤٠ - ٤١) .
 (٤) اعتاب الكتاب ، ص ٢٢٢ .
 (٥) هو شريح بن محمد بن شريح الرعيني ، كان من أحسن المدرسين ، وهو من أهل إشبيلية ، ولد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، وتوفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة (بغية الملتبس رقم ٨٤٩ ، الصلة رقم ٥٣٦) .
 (٦) سميد بن معاوية : إشبيلي يكنى أبا عثمان ، توفي سنة إحدى وعشرين وأربعمائة . (الصلة رقم ٤٨٨) .

وقد درّس الظّاهري (١) بمسجد إشبيلية ، وتصدّر ابن خلف (٢) للاقراء بإشبيلية وأخذ الناس عنه ذلك ، وكان الحسن بن عمر بن الحسن الهوزني (٣) فقيها مشهورا ورحل الناس اليه وسمعوا منه ، ومن المعلمين المتجولين الذين دخلوا إشبيلية محمد بن أغلب بن أبي الدوس (٤) الذي أدب ولدي المصتمد الراضي والعامون .

أما القضاء والفقه فقد احترّم من قبل الجميع ، يقول المقرئ :
وأما خطة القضاء بالأندلس ، فهي أعظم الخطط عند الخاصّة
والعامّة ، لتعلقها بأمر الدين ، وكون السلطان لو توجه عليه حكم حضر
بين يدي القاضي (٥) وقد احترّم حكام إشبيلية الأوائل القضاء
والفقه ، ولا غروفي ذلك ، فقد كان أبو القاسم بن عباد والد المصتمد
من القضاة المشهورين ، ووالد القاضي إسماعيل بن عباد من الذين
استفتوا في إشبيلية . وبعد ذلك يلاحظ أن احترام القضاء والفقه
من قبل الحكام مرتبط بتأمين مصالحهم وخاصة في عصر المصتمد
الذي أحرق كتب ابن حزم من أجل إرضاء الفقهاء وخاصة أبي

-
- (١) هوفج بن حديدة الظاهري ، من أهل إشبيلية ، توفي سنة
ثمانين وأربعمائة (الصلة رقم ٩٩١) .
(٢) هو عياش بن خلف ، من بطليوس ، سكن إشبيلية ، توفي سنة
عشر وأربعمائة (الصلة رقم ٩٧١) .
(٣) الحسن بن عمر الهوزني : يكنى أبا القاسم وهو ولد أبي حفص عمر
ابن الحسن ، وهو الذي سعى في فساد دولة بني عباد عند يوسف
ابن تاشفين أغداً بثأراً والده ، ولد سنة خمس وثلاثين وأربعمائة
وتوفي سنة اثنتي عشرة وخمسمائة . (الصلة رقم ٣١٨ ، المفهرج
١ : ٢٣٥ - ٢٣٦) .
(٤) محمد بن أغلب : من أهل مرسية ، يكنى أبا بكر ، كان عالماً
بالمرية والآداب ، توفي براكش سنة إحدى عشرة وخمسمائة .
(التكملة رقم ١١٦٨) .
(٥) النفج ١ : ٢١٧ - ٢١٨ .

الوليد الهاجي (١) ولكنه إذا رأى منهم خطراً على مصلحته فإنه لا يجد حرجاً من الفتك بهم والقضاء عليهم ، فقد قتل أباً حفيظاً الهوزني لنصحوا إياه ، وحثوا على الجهاد ، ومقاتلة الأعـداء .

أما في زمن المرابطين ، فقد ارتفع شأن الفقهاء ، وعلـمت مكانتهم ، وكان يوسف بن تاشفين يستفتيهم في الخطير من الأمور (٢) ، وكان سلاطين المرابطين يوصون الولادة باحترام القضاة واستشارتهم في شؤنهم ولا ياتهم (٣) .

وقد وجد في إشبيلية عدد كبير من الفقهاء قبل القرن الخامس مثل : يحيى بن ميمر الألهاني (٤) وغيره ، ومن الفقهاء المشهورين في هذا

(١) هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي ، له من الكتب الفقهية : المتقنى وإحكام الفصول في أحكام الأصول وغيرهما ، وكان من رجال المذهب المالكي ، وقد توفي بالمرية سنة أربع وسبعين وأربعمائة . (الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٩٤ - ١٠٥ ، المصرب ١ : ٤٠٤ - ٤٠٥ ، معجم الأديباء ١١ : ٢٤٦ - ٢٥١ تهذيب ابن عساكر ، الجزء السادس ، الطبعة الأولى ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٢٤٨ - ٢٥٠ ، مرآة الجنان ، اليافعي ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدرآباد الدكن ، ١٣٣٨ هـ ، ص ١٠٨ ، تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف المعثمانية ، حيدرآباد الدكن ، ١٣٧٦ هـ . ١٩٥٧ م ، ص ١١٧٨ - ١١٨٣) .

(٢) دولة الإسلام في الأندلس - عصر المرابطين والموحدين - ص ٤١١ .

(٣) انظر : وثائق تاريخية جديدة ، حسين مؤنس ، نشرها في صعيدة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد / ٢٣ / سنة ١٩٥٤ م ص ١٧٧ .

(٤) هو يحيى بن ميمر بن عمران الألهاني ، من أهل إشبيلية ، كان فقيها وقاضياً انظر (قضاة قرطبة ، الخشني ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م ص ٤٥ - ٤٨ ، ترتيب المدارك ، القاضي عياض ، الجزء الرابع مطبعة فصالة ، المحمدية ، ص ١٤٥) .

القرن: الباجي (١) والخميري (٢) وأصبح بن راشد (٣) وأبو الوليد الباجي ، وأبو حفص الهوزني ، وخلف بن مروان القرطبي (٤) .

ويلاحظ أن عامة الشعب كانوا ينفرون من الفلسفة ، ويناهضون أصحابها (٥) ولكن يبدو أن العقول أصبحت تتجرر في هذا القرن ، حيث يذكر ابن صاعد عددًا من الفلاسفة في عصره (٦) وهذا ابن زيدون يمدح المعتزلة بقوله (٧)

هـام يزين الدهر منه وأهلــــه طليقٌ فقيهٌ كاتبٌ متفلسفٌ

ومن أشهر الفلاسفة في القرن الخامس الهجري : أبو العلاء بن زهر الذي كان فيلسوف ذلك العصر وحكيمه (٨) ، وابن خلدون الذي كان متقنا لعلوم الفلسفة (٩) ، وأبو الصلت أمية بن عبد العزيز الذي اتقن علوم الفلسفة والطب والتلحين (١٠) ، ومالك بن وهيب (١١) الذي كان من أشهر فلاسفة الأندلس في ذلك الوقت .

- (١) هو عبد الله بن علي الباجي ، من أهل إشبيلية ، توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وكان يروي عن جده محمد بن أحمد الباجي . (الصلة رقم ٦٢٧) .
- (٢) هو عبد الله بن محمد الحميري ، من أهل إشبيلية ، كان فقيها مشاورا فيها ، توفي سنة ست وسبعين وأربعمائة . (الصلة رقم ٦٢٥) .
- (٣) هو أصبح بن راشد بن أصبح اللخمي ، من أهل إشبيلية ، رحل إلى القيروان ، توفي قريبا من الأربعمائة وأربعمائة . (الصلة رقم ٢٥٥) .
- (٤) خلف بن مروان : يكنى أبا القاسم ، كان من أهل الذكاة ، والحفظ للأخبار ، طلب العلم بقرطبة . (الصلة رقم ٣٨٧) .
- (٥) النفح ١ : ٢٢١ .
- (٦) طبقات الأمم ، ص ٧٥ .
- (٧) ديوان ابن زيدون ، ص ٤٨٦ .
- (٨) وفيات الأعيان ٤ : ٤٣٦ .
- (٩) عيون الأنباء ، ص ٤٨٥ .
- (١٠) النفح ٢ : ١٠٥ .
- (١١) مالك بن وهيب : من أهل إشبيلية ، استدعاه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى حضرة مراكش ، وجعله جليسه وأنيسه . (النفح ٣ : ٤٧٩) .

ومن مظاهر نشاط الحركة العلمية في إشبيلية ، كثرة تأليف الكتب في مختلف العلوم ، فقد ألف أبو عامر بن مسلحة كتاب " الارتياح في وصف الراح " وأهداه للمعتضد (١) ، وألف ابن حبيب كتاب " البديع في وصف الربيع " ، وألف الأعم الشنتمري " شرح الأشعار الستة " (٢) وأما المعاصي بن خلف فقد كان من أهل المصرفة بالقرايات ، لذلك جمع فيها كتابا سماه " التذكيرة " في القرايات السبع " وألف كذلك كتاب " التهذيب " (٣) وألف أحمد بن عبد القادر كتابا فسي القرايات السبع سماه " التحقيق " في سفرين (٤) .

وقد ألف بعض الكتب في الحكم والزهد والآداب منها : كتاب " الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق " ، الذي ألفه سلام بن عبد الله بن سلام (٥) . وفي الطب ألف أبو العلاء بن زهر كتاب " الأدوية المفردة " وكتاب " النكت الطبية " (٦) . ولأمية بن عبد العزيز كتاب في الهندسة ورسالة في الموسيقى ، ورسالة في العمل بالأسطرلاب وكتاب " تقويم منطق الذهن " (٧) . وأحيانا تكون كتبهم متأثرة بأسلوب الكتب المشرقية ، فقد ألف أمية بن عبد العزيز كتاب " الحديقة " على أسلوب يتيمه الدهر للشمالي (٨) .

هذه بعض الكتب التي ألفها العلماء والأدباء في إشبيلية فسي القرن الخامس الهجري ، وهي غير من قبض ، حيث لا يمكن حصرها وعددها فأقلها أحاطه الزمان برعايته ، ومعظمها ضاع واختفى واحتواه جوف التاريخ .

-
- (١) بغية الملتبس ص ٩٠ - ٩١ ، الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٠٦ ، المطمح ص ٥٨٨ ، المغرب ١ : ٩٧ .
- (٢) البيان المغرب ٣ : ٢٨٤ .
- (٣) المعاصي بن خلف : من أهل إشبيلية يكنى أبا الحكم ، توفي سنة سبعين وأربعمائة (الصلة رقم ٩٦٨) .
- (٤) الصلة ١ : ٤٠ رقم ٧٦ .
- (٥) الذيل والتكملة - بقية السفر الرابع - رقم ١٢٢ .
- (٦) عيون الأنباء ص ٥١٩ .
- (٧) المصدر السابق ص ٥١٥ .
- (٨) المغرب ١ : ٢٥٧ ، وفيث الأعيان ١ : ٢٤٣ .

الفصل الثاني

اتجاهات السم

ففي

إشيلي

١ اتجاهات موضوعية الاتجاه السياسي

وضمن هذا الاتجاه يمكن الحديث عن مدى تصوير الشعر للمواقف السياسية بين أفراد أسرة آل عباد من ناحية، وعلاقة المعتضد بن عباد بالراشدين من ناحية أخرى. فمندا بحث المعتضد ابنه جابر والمعتضد إلى مائة بعد تقلص الظلال الحمودية عنها، استوليا عليها سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، ثم لم يلبث المفارقة بها أن استصرخوا أميرهم باديس، فأسرع إلى محاربة بني عباد، فهزم جيوشهم، وفرق شملهم. وهناك يبحث المعتضد إلى والده قصيدة يعتذر فيها عن هزيمته، ويشرح لأسباب التي أحاطت به واضطرته إلى الخروج من المدينة (١):

سكن فؤادك لا تذهب بك الفكر وإذا يمد عليك البث والحد
وازجر جفونك لا ترض البكاء لها واصبر فقد كنت عند الخطب تضطرب

وبين بعد ذلك أن هذه الهزيمة قدر من الله، وإن هزم الجيش هذه المرة، فكم من مرة كان الانتصار حليفاً لله (٢).

وإن يكن قدر قد عاق عن وطير فلا مرد لما يأتي به القدر
وإن تكن خيبة في الدهر واحدة فكم غزوت ومن أشياك الطفر
إن كنت في حيرة من جرم مجترم فإن عذرك في ظلماتها قمر
كم زفرة في شغاف القلب صاعدة وعبرة من شؤون الدهر تتحسدر
فوض إلى الله فيما أنت خائفه وثق بمعتضد بالله يفتقر
ولا ترعك خطوب إن عدا زمين فالله يدفع والمنصور ينتصر
واصبر فإنك من قوم أولي جلي إذا أصابتهم مكروهة صبروا

وينتقل لمدح والده بالقوة والشجاعة والشرف قائلاً (١) :

سيميدعُ يهبُ الآلافَ مبتدئاً ويستقل عطاء ياهُ ويمتدُّ ذرُّ
له يدُّ كلُّ جبارٍ يقبلها لولا نداها لقلنا إنها الحجرُ
يا صنيقماً يقتلُ الفرسانَ مُفترساً لا توهنتي فإنِّي النَّابُ والظُّفرُ
وفارساً تحذرُ الأبطالَ مصولتسهُ صنَّ عبدك القنَّ فهو الصارمُ الذِّكرُ
هو الذي لم تشم بهجناك صفحتهُ إلا تأتي مرأىً وانقضى وطسُّرُ

ويصرِّح بعد ذلك باعتذاره وأسفه لما حدث ، وأن الذي حدث فوق
طاقته ولا حيلة له به (٢) :

قد أخلفتني صروفٌ أنت تغلقها وغال مؤرد آمالي بها كذبُ
فالنفسُ جازعةٌ ، والمينُ دامةٌ والصوتُ منخفضٌ والطرفُ منكسرُ
وحلتُ لوناً وما بالجسم من سقسقٍ وشبَّتُ رأساً ولم يئلفني الكبرُ
ومتَّ إلا زماماً في يسيرِكُ أني عهدتك تعفو حين تنقصدُ

وبعد تصوير حالته السيئة والألم النفسي الذي يعتريه ، أخذ يبرِّء
ساحته من بعض التَّهم التي وجهت إليه من إغراق في اللذة ، وإسراف
في الشَّراب بعد احتلال المدينة ، حيث انتهر العدو فرصة اغراقه
في اللذات واسترد المدينة (٣) :

لم يأتِ عبدك ذنباً يستحقُّ بهُ عتباً وهماً هو قد ناكك يعتذرُ
والذنبُ إلا على قومٍ ذوي دغلي وفقى لهم عهدك المعبودُ إن عذروا
قومٌ نصيحتهم غشٌّ وحُبهم بفضٍّ ونقمهم إن صرفوا ضسردُ
يعيرُ البفضُّ في الألفاظِ إن نطقوا ويعرفُ الحقدُ في الألفاظِ إن نظروا

(١) ديوان الممتدح ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢ ، ٣) ديوان الممتدح ص ٣٨ - ٣٩ .

إِنْ يَحْرِقِ الْقَلْبُ نَفْسَ مَنْ مَقَالِيهِمْ فَاِنَّمَا ذَاكَ مِنْ نَارِ الْقَلْبِ شَرَرُ
أَجِبْ نَدَاءَ أَخِي قَلْبَ تَلَكَّهْ أَسَى ذَوِي مَقْلَةٍ أَوْدَى بِهَا السَّهَرُ
وَإِنَّمَا أَنَا سَاعٍ فِي رِضَاكَ فَبِإِنْ أَخْفَقْتُ فِيهِ فَلَا يَفْسَحُ لِي الْمَمَرُ

من هنا يلاحظ أن هذه القصيدة ترسم صورة لمرحلة من مراحل علاقة المعتمد بوالده ، وهي أشد المراحل خطورة بينهما ، فقد كان المعتمد غاضبا ، يكاد يلحق المعتمد بأخيه إسماعيل ، ولكن هذه القصيدة جاءت من القوة والمتانة ، وقوة التأثير وحسن الصياغة ، بحيث أثرت في نفسية المعتمد ، وجعلته يصفح عن ابنه .

وهناك قصيدة بائنة للمعتمد تبين علاقته بوالده في فترة مبكرة من حياته ، حيث نفاه والده من إشبيلية كما يبدو ، فأخذ يعاتب والده عتابا فيه الرقة واللفظ ، ويقرر تركه لأبيه وهروبه من إشبيلية (١) :

أَلَا يَأْمَلُكَ يُرْتَجَى وَيَهْتَابُ وَهَرَّأَ لَهُ فِي الْمَكْرَمَاتِ عِتَابُ
أَطْمَنتَكَ فِي سَرِّي وَجَهْرِي جَاهِدَا فَلَمْ يَكُ لِي إِلَّا الْمَلَامَ نَسَوَا
وَأَعْلَلْتُ جُهْدِي فِي رِضَاكَ مُشْتَرَا وَمِنْ دُونِ أَنْ أَقْضِيَ إِلَيْهِ حِجَابُ
وَلَمَّا كَبَا جَدِّي إِلَيْكَ وَلَمْ يَسْغُ لِنَفْسِي عَلَى سُوءِ الْمَقَامِ شَرَابُ
وَقُلْ أَصْطَبَارِي ، حِينَ لَا لِي عِنْدَكُمْ مِنْ الْعَطْفِ إِلَّا قِسْوَةٌ وَعِتَابُ
فَرَرْتُ بِنَفْسِي أَبْتَغِي فِرْجَةً لَهَا عَلَى أَنْ حَلَوَ الْمَيْشُ بِمَدَّكَ صَابُ

وهنا يلاحظ كأن المعتمد لا يتقن الشعر ويبدع فيه إلا عندما يغضب ويحزن ، فهذه القصيدة من أطول قصائد المعتمد ، وأحسنها أسلوبا ، وأحالتها موسيقى وتركيبا . وبعد هذه المقدمة التي برز فيها هروبه من إشبيلية ، وتصويره الحزن الذي يلاقه في المنفى ، أخذ يتشوق إلى والده ، ويبين المحبة التي يكنها له (٢) :

(١) ديوان ابن زيدون ، تح . كامل كيلاني وخليفة ، ص ٣٧١ - ٣٧٢ ،
الحلة السيرة ٢ : ٤٦ . الذخيرة ق ١٢ ص ٣١ - ٣٢ .

وما هزني إلا رسولك تاعياً
وما كنت بعد البين إلا موطناً
ولكنك الدنيا إلي حبيبة
فقال مقالا لم أجد عن مقاليه
فجئت أغد السير حتى كأننا
فقلت : أمير المؤمنين مجتاب
يمزني على أن لا يكون إيتاب
فما عنك لي إلا إليك ذهاب
مناباً وعن بعض الأمور منساب
يطير يسرجي في الفلاة عقاب

ثم يتوجه بالرجاء إلى أبيه بأن يتركه يعمل ما يريد ، لأن عمله فيه
خير له ولوالده ، فهو بهذه الأعمال يجلب الناس ويحوز على محبتهم ،
وقد يكون القاضي غضب من الممتد بسبب اللهو الذي فرق فيهم
من مجون وحب النساء وشرب الخمر (١) :

وقضك في ترك الملام فأنه
إذا كانت النعمى تكدّر بالأذى
ولا تقيض بالمنع كفي فأنه
قواللوما أبغي بذلك غير أن
ويهدي إليك الناس دون تصنع
فكل نوال لي إليك انتسابه
بقيت فكيف الأمر ما ذر شارق
وحقق في قلبي ظمي وحسراب
فما هي إلا مينة وعذاب
وجدك نفض للعلا وخسراب
تحلى بجدوى راحتك رقباب
محبّة صدق لم يشبه كذاب
وأنت عليه بالثناء مشتاب
وما لاح في أفق السماء شهاب

وكان الممتد حين وصل لورقة أعلم أن المدوّ قد بعث إليها جيشاً
، فأمر ابنه الراضي بالخروج إليه في عسكر جرّده ، فأظهر التمارض ، وانصرف
إلى المطالعة ، فغضب الممتد حيناً ، ثم عطف عليه ، وكتب إليه (٢) :

(١) ديوان ابن زيدون ص ٣٧٢ ، الحلة السيرة ٢ : ٤٦ - ٤٧ .

(٢) ديوان الممتد ص ٤٦ ، القلائد ص ٣٤ - ٣٥ ، النفح

٤ : ٢٥٣ ، الحلة السيرة ٢ : ٤٥ .

الملك في طيِّ الدفاتير
طُفَّ بالسَّريِّرِ مُسلِّماً
وازحفَ إلى جيشِ المَقْصِ
واعلمن بأطرافِ السِّرا
فتخلَّ عن قوِّرِ المَساكيرِ
وارجعْ لتوديعِ المناييرِ
رفي تقهر الحبر المَقاصيرِ
ع - نصرت - في ثغرِ المهايرِ

فأجابهُ الراضي بقصيدة على نفس الوزن والقافية تدلُّ على رهافة حسنه ، وقوة شاعريته منها (١) :

مولاي قد أَصْبَحْتُ هاجِراً
وَقَلَّتْ سَكِينُ السَّادِّ
وَعَلِمْتُ أَنَّ الملكَ مَنا
والمجدِّ والعليا فـ
لا عَرَبُ أَقْوالٍ بأقْصا
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ مِنْ سَفْـ
فاذا يَبْها فرغَ لَهـ
لجميع ما تَحْوِي الدَّفاتيـ
ة وظلَّتْ للأقلامِ كاسيـ
بينَ الأُسْنَةِ والبواتيـ
ضَرَبَ المَساكِرِ بالمَساكِرِ
والِ ضَمِيفاتِ مَناكِرِ
ه أَنَّها أَصْلُ المَفاخِرِ
والجَهْلُ لِلإِنسانِ عَـ

وإذا ما هزم الممتمد في معركة من المعارك ، فإنَّ الراضي ينطلق كالرجل الحكيم الذي يسوي النصائح ، ويضرب الأمثلة ، التي تخفف من وقع الهزيمة على نفس والده ، وتطفيء أواره نحو أبنائه ، فيها هو يخاطب الممتمد مسلماً عن هزيمة جيش له بناحية لورقة كان عليه ابنه الممتمد (٢) :

لا يُكرِثُكَ خُطْبُ الحادِثِ الجَاري
ماذا عَلَى صَفيحِ أَمْضى عَزيمَتَه
فما عَلَيْكَ بِذاكَ الخَطْبِ مِنْ عَـ
أَنَّ خاتَمَهُ حَدُّ أنيابٍ وأظفارٍ ؟

(١) القلائد ص ٣٥-٣٦ ، الحلة السيرا ٢ : ٧٤-٧٥ ، النفخ

٤ : ٢٥٤ .

(٢) القلائد ص ٣٤ ، الحلة السيرا ٢ : ٧٢ .

مَنْ يُوقِظُ الْحَرْبَ لَا يُنْكَرُ حَوَادِثُهَا قَدْ تَحْرَقُ النَّارُ يَوْمًا مُوقَدَ النَّارِ
لِئِنْ أَتَوْكَ فَمَنْ جَبَنٍ وَمَنْ خَسِرَ قَدْ يَنْهَضُ الْعَيْرُ نَحْوَ الضَّيْفِ الضَّارِ
عَلَيْكَ لِلنَّاسِ أَنْ تَسْمَى لِنَصْرِهِمْ وَمَا عَلَيْكَ لَهُمْ إِسْمَاءُ أَقْسَدَارِ
لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي أَنْ تَدُومَ لَهُمْ بَكَوْا ، لِأَنَّكَ مِنْ ثَوْبِ الصَّبَا عَارِ
وَلَوْ أَطَاقُوا انْتِقَاصًا مِنْ حَيَاتِهِمْ لَمْ يَتَحَفَّوْكَ بِشَيْءٍ غَيْرِ أَعْيَارِ

وحين حاصر المرابطون المعتمد في قصره سنة أربع وثمانين وأربعمائة
حاول المعتمد صدّهم وعدم الانصياع لهم قائلا (١) :

لِنَعْمًا تَأْسَكَّتِ الدَّمْعُوعُ وَتَنَبَّهَ الْقَلْبُ الصَّدِيدُوعُ
قَالُوا : الْخُضُوعُ سِيَاسَةٌ فَلْيَبْدُ مِنْكَ لَهُمْ خُضُوعُوعُ
وَالَّذِي مِنْ طَعْمِ الْخُضُوعِ عِ عَلَى فِي السَّمِّ النَقِيعِوعُ
إِنْ يَسْلُبُ الْقَوْمُ الْمَمْدُوعُ مُلْكِي وَتُسَلَمَنِي الْجَمْعُوعُ
فَالْقَلْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ لَمْ تُسَلِّمِ الْقَلْبَ الضَّلُوعُوعُ
لَمْ أُسْتَدَبْ شَرَفَ الطَّبْعِ ع ، أَيْسَلَبُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُوعُ ؟

فهو يبيّن أن عملية الاستسلام فيها ذلّ وخضوع ، لذلك يرفض هذا
الموقف ، فإن طعم السم الزعاف الذّ وأحسن من الخضوع ، وحتى لو سلب
منه كل شيء ، التاج والعرش ، ولو أسلم لسوء المصير ، فإن ضلوعه
محافظة على قلبه ، غير مفرطة فيه ، وإن أعداءه لن يسلبوه شرفه أو خصاله
الحميدة .

ويصف المعتمد بعد ذلك نزاهة لهم ، وقتاله أيّاهم ، مفتخراً بشجاعته
وبطولته ، مشيراً إلى نسبه اللخمي الشريف (٢) :

قد رُمْتُ يومَ نزالٍ هـ	ألا تحصنني السـدود
وبرزتُ ليمسِ سوى القميصـ	ص على الحشا شي * تفسـوع
وبذلتُ نفسي كي تسيـ	ل إذا يسيل منها النجـيع
أجلي تأخر ، لم يكـ	يهواي ذلي والخضـوع
ما سرتُ قط إلى اليقـ	ل وكان من أطلي الرجـوع
شيم الأولى ، أنا منهنـ	والأصل تتبعه الفـروع

لا شك أن الممتمد قد عبّر عن مشكلة مؤلمة ماثلة أمام ناظر يسه ،
فجاء وصفه صادقا ، مزوجا بالحسرة والألم أحيانا ، والصبر والقسوة
أحيانا أخرى ، والنقمة والتفجع تارة ثالثة . و سيقف هذا الإتجاه
بشكل جلي عند حديثنا عن الصراع العسكري والسياسي بين آل عباد من
ناحية والممالك العربية والبربرية من ناحية أخرى وعن علاقة الممتمد بأبن
عمار .

الاتجاه الاجتماعي

انتشرت الحياة الاجتماعية في إشبيلية في اتجاه الشعر تأثيراً كبيراً، فقد جمعت إشبيلية بين المتناقضات، فالقاضي يشرب الخمر، والملك يهلي ثم ينهض في اللهو واللذات، والشاعر يمشق الفلمس ويهين بهم، ووادي إشبيلية يزخر بالمفنيين وشاربي الخمر، والقيمان ينتشرون بكثرة، لهذا وجد تطرف في بعض الأغراض الشعرية وخاصة الفزل بالمذكر، فأبو الحسن البرقي (١) يهوى في إشبيلية غلاماً اسمه ابن المكر، وقد كابد الشاعر جواه حتى اكتسى خده بالعدار فقال (٢) :

الآن لما صوّحت وجناتك	شوكاً وأضحت سلوة المشاق
واستوحشت تلك المحاسن واكتست	أنوار وجهك واهن الأخلاق
أسميت تبذل لي الوصال تصنعاً	خلق اللئيم وشيمة المذاق
هلاً وصلت إذ الشمالك قهوة	وإذا المحيا روضة الأحداق
فكم أطلت إلزام قلب موجس	كم قد ألّب إليك بالأشواق
ما كنت إلا البدر ليلة تمّة	حتى قضت لك ليلة بمحراق
لاح العذار فقلت وجد نازح	ان ابن داية مؤذن بفسراق

وقد انتشرت مجالس الرقص والغناء، فعندما سأل رجل ابن حمد يس أن يصف له راقصة على منهبهم في رقص تمهياتهم، وذلك أن الراقصة تشير بأنعلها وهي تفني إلى كل عضو وما يحل به من تمذيب الهوى، فإن ذكرت دمعاً، أشارت إلى العين، وإن وصفت وجهاً أشارت إلى القلب وهي مخذلة تعبر عن تدلل المحبوب وتدلّل المحب بما يليق بها من الإشارات الحسنة فقال (٣) :

(١) أبو الحسن البرقي : شاعر من بلنسية، ورد إشبيلية سنة خمس وشبمين وأربعمائة، اتصل بابن زهر، وكان حلو المبالسة. (المطمح ص ٢١٤) .

(٢) المطمح ص ٢١٤ .

(٣) ديوان ابن حمد يس ص ١٣٣ .

وراقصة بالسحر في حركاتها
منقمة ألقاها بترنم
تدوس قلوب السامعين برخصة
بقدر يموت الفصن من حركاته
وتحسبها عما تشير بأنمسل
بنا لا بها ما نشتكى من جوى الهوى

تقيم به وزن الفناء على حد
كسا معبداً من عزه ذلة العبد
بها لقطت ما للحنون من العبد
سكونا ، وأمن الغصن من برة القد
إلى ما يلاقي كل عضو من الوجد
وأد مع أشواق مكددة الخد

وكثيراً ما يعتقدون مجالس اللهو والأنس التي غالباً ما يكون فيها الخمر
وارتجال الشعر، فعندما خرج ابن عمار وابن زيدون وابن خلدون من إشبيلية
إلى قنطرة لبني عباد للتزود ، جلسوا هناك وبعثوا صاحباً لهم يدعى خليفة
ليأتيهم بالتبغ ، وبينما هو يجري صدمه فارس فقضى عليه وهرب ، فجاء
ثلاثتهم إليه ، وأسفوا على موته ، فقال ابن زيدون :

أثلهو والحتوف بنا مطيفه
ونأمن والمنون لنا مخيفه ؟

فقال ابن خلدون :

وفي يوم ، وما أدراك يوم
مضى قمنا لنا ومضى خليفه

فقال ابن عمار :

هما فخارتا راج ورج
تكسرنا فأشقاء وجيفه (١)

ويصف الصمتضد أحد مجالس الأنس ، الذي كان فيه الخمر واللهو
ومنه يلاحظ مقدار البذخ والترف الذي غرق فيه القوم فيقول متمنياً
أن تطول ليالي الأنس (٢) :

وليل أدنا فيه شرب مدام
وجاءت نجوم الصبح تضرب في الدجى
فحزنا من اللذات الطيب طيبها
خلا أنه لو طال دامت مسرة

إلى أن بدا للصبح في الليل تأثير
فولت نجوم الليل والليل مقهور
ولم يمدنا م ولا عاق تكدير
ولكن ليالي الوصل فيهن تقصير

(١) النسخ ٣ : ٢٤٣ - ٢٤٤ ، ديوان ابن زيدون ص ٢١١ .

(٢) ديوان ابن زيدون ، تح . كيلاني وخليفة ص ٣٧٣ .

ومن هذه المجالس، تلك التي كان يعقد بها الرشيد بن المعتد ،
ويحكى ابن اللبانة في بعض كتبه ما يدور في هذه المجالس حيث يقول :
" كنت بين يدي الرشيد بن المعتد . في مجلس أنسه فور الشبر
بأخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، فتفجّج
وتلهف ، وذكر قصر غرناطة ، فدعونا لقصره بالدوام ، وأمر عنده
ذلك أبا بكر الأشبيلي فغنى :-

إن شئت أن لا ترى صبراً لمصطبر فانظر على أي حال أصبح الظل
فتأكد تطيره ، واشتد اربداً وجهه وتغيره ، وأمر مفضية أخرى من
سراريه بالفناء ، فغنت :

يا لهف نفسي على مال أفرقه على المقلين من أهلي المروءات
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني مالست أملك من إحدى المصيبات

قال ابن اللبانة ، فتلافيت الحال بأن قلت :

محل مكرمة لا هد مبنيها وشمل مآثرة لا شئت اللبنة
البيت كالبيت لكن زاد شرفاً أن الرشيد مع المعتد ركناه
ثا وعلى أنجم الجوزاء مقصده وراحل في سبيل السعد مسراه
حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت بالشرق والغرب يناله وبسراه
بأس توقد فاحمرت لواحظ ونائل شب فاخضرت عذاراه (١)

فهذه المجالس يغلب عليها طابع الترف ، وفيها يكون المفنون والمفنيات
بحيث يكون الاختلاط فيها بين الجنسين .

وانتشر الخمر في المجالس وغير المجالس فعندما حضر أبو بكر
الإشبيلي المفتي ، وابن عمار ، مجلساً للرشيد ، شربوا الخمير ،
ثم غنى أبو بكر ، وبعد ذلك أخذ ابن عمار ينشد (٢) :

(١) النفح : ٩٤-٩٥ ، الكامل ١ : ١٨٧-١٨٨ .

(٢) ديوان ابن عمار ص ٢٣٣ ، النفح ٤ : ٢٧٢ .

ماضراً أن قيل اسحق وموصله
 أنت الرشيد فدع من قد سمعت به
 ها أنت أنت وذي حمص واسحق
 وأن تشابه أخلاق وأعرا
 لله درك داركها مشمشمة
 واحضر بساقيك ما قامت بنا ساق

وكان الطوك يمشون حياة ترف ونعيم ، وقد يفرق الشعراء كثيراً
 في هذا الترف ، فعندما أباح الممتد بن عباد لابن زيدون التزوة
 مع حرمه في إحدى جناك إشبيلية مدحه الشاعر بقصيدة ضاربسة
 بين فيها أن القريض يضل سبيله في نعت هذه الحديقة الجميلة
 والثناء على الممتد فقال (١) :

غمرني لك الأيدي البيضاء
 كل يوم يجر منك اهتبال
 نشب وافر وجاه عريض
 عهد شكري عليه غص غريص
 جال في وصفها فضل القريض
 ونسيم يشفي النفوس مريض
 مجتني مدني وظل بسرو
 ومياه قد أغجل الورى أن عا
 رضا تدهيه لها تفضيض
 كلما غنت الحمائم قلنا :
 محبذ وإن شدا أجاب القريض

وبعد ذلك انتقل إلى وصف النافورة المحيطة بالدمية المرمية
 فأبدع في وصفها ، فالحوض مصنوع من المرمر المصقول حيث ينصب عليه
 الماء الصافي فينمكس له لألاء مثل ليمان السيوف ، ووسط البركة يوجد
 تمثال قتان في جملة وتفصيلاته ، ثم يجسم هذه الدمية ، فلها بشرة
 ناصعة البياض ، وخد ناعم ، ووجه بسام ، وعين فاترة ، وقوام معتدل ، ،
 تغتر عن ابتسامة لو بالفت فيها لتكشف ثغره ! عن أسنان لو لويسة
 متسقة بيضاء ، ولها التفاتات موحية بمعان لطيفة كأنها تعرض بأشياء لا
 تستطيع التصريح بها فيقول (٢) :

جاولت حمة مشيدة المبني
 لم يرق الرخام فيوم وميض
 مرمز أو قد الفريد علي
 سلسل بحر الزلال يفيض
 وسطها دمية يروق اجتلاء الس
 كل منها ويفتن التبعيض

بَشَرٌ نَائِجٌ، وَخَدُّ أَسِيلٍ
وَقَوَامٌ كَمَا اسْتَقَامَ قَضِيبُ الْمِ
وَابْتَسَامٌ لَوْ أَنَّهَا اسْتَفْرَبَتْ فَمِ
وَالْتِيفَاتٌ كَأَنَّمَا هُوَ بِالْإِ يَحْمِ
وَمَحَبَّةٌ طَلْقٌ، وَتَرْفٌ غَضِيبُ
بَانَ إِذْ عَلَيْهِ ثَرَاهُ الْأَرِيبُ
أَرَاكَ اتِّسَاقَهُ إِلَّا غَرِيبُ
خَاءٌ مِنْ فَرْطٍ لُطْفٍ تَعْرِيبُ

وكثر التندر والمزاح في إشبيلية ، فقد كان أبو الحسن الفكيك (١)
من الوافدين على الأندلس من المشرق ، وكان حلو الجواب ، مليح التندر
يضحك من حضر ، ولا يضحك به وإذا ندر ، وكان قصيراً دميماً ، لباس
يوماً طاقاً أحمر على بياض في رأسه طرطور أخضر عليه عمة لا زور يمسة
وهو بين يدي الممتد بن عباد ينشد شعراً منه :-

وَأَنْتَ سَلِيمَانُ فِي مَلِكِي
وَبَيْنَ يَدَيْكَ أَنَا الْهَدَى (٢)
ويجري الشعر على ألسنة الشعراء في كل مكان ، حتى في المساجد ،
فمنذ ما كان أبو بكر بن العربي في الجامع قاعداً ينتظر صلاة الجمعة بان
بخلام رومي رضي* قد جاء يخرق الصفوف بشمعة في يده فقال :

وَشَمْعَةٌ تَحْمِلُهَا شَمْسٌ
لَوْلَا نَهَى نَفْسٍ نَهَتْ غَيْبُهَا
يَكَاؤُ يَخْفَى نَوْرُهَا نَارُهَا
لَقَبْلَتَهُ وَأَتَتْ عَارُهَا

ولما سمعها أبو عمران الزاهد قال : إنه لم يكن يفعل ، ولكن
هزته أريحية الأدب ، ولو كنت أنا لقلت :

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَخُوفُ اللَّهِ يَنْعَمُ شَيْ
أَنْ يُقَالَ حَبُّ مُوسَى عَلَى كِبَرِهِ
إِذَا لَمْ تَلْحَظْ فِي نَوَاطِرِهِ
غَتَّى أَوْفَى جَفَوْنِي الْحَقُّ مِنْ نَظَرِهِ (٣)

وقد صور الشعراء حياء القوم في أفراحهم وأتراحهم ، وخير مثال على
ذلك ، حياة الممتد بن عباد ، ففي قصيدته الهزمية ، يصور الممتد
عياته المترفة ، ويوسم صورة وافية لبذخ الطبقة العليا ، فبين أن

(١) أبو الحسن الفكيك : من الشعراء الذين لم يلحقوا المائة الخامسة ،
مدح الممتد وغيره من ملوك الطوائف ، أصله من بغداد (الغريدة
٢ : ٢١٧ - ٢١٩ ، ق ١٤ ص ٩٦ - ١٠٠ ، النفخ ٣ : ١٢٠) .

(٢) النفخ ٣ : ١١٩ .

(٣) النفخ ٢ : ٢٧ .

حياته بين راح يسطع نورها في ظلام الليل تحت ضياء القمر، تحف به النجوم المتلألئة كما تحف الرعية بقائدها، وهنا يعقد موازنة بين نفسه في الأرض، وبين القمر في السماء، فهو في ملكه بين مواكب الجند أو بين أتراب حسناوات (١) :

ولقد شرب الرّاح يسطع نورها	والليل قد مدّ الظلام رداء
حتى تبدى البدْر في جوزائيه	ملكاً تناهى بهجة وبهاء
لما أراة تنزهها في غربيه	جعل المظلة فوقه الجوزاء
وتناهضت زهر النجوم يحفّه	لألاؤها فاستكمل الآلاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله	رفعت ثرياتها عليه لسواء
وحكيته في الأرض بين مواكب	وكواعب، جمعت سنا وسنا
إن نشرت تلك الدروع حناد ساء	ملأت لنا ندي الكؤوس ضياء
وإذا تفتت هذه في مزهـر	لم تأل تلك على التريك غناء

وأين هذه الحياة الباذخة من حياته وهو في السجن، فهنا ويبيكي في طريقه إلى السجن بصوت خافت حين سأله بعض الشعراء ما لا (٢) :

شعراء طنجة كلهم والمفسـرب	نابوا من الإغراب أبعد مذهب
سألوا المسير من الأسير وإنسـه	بسوء الهم لأحق منهم فاعجب
لولا الحياء وعزة لخميسـة	طبي الحشا لحكاهم في المألـب
قد كان إن سئل الندي يجزل وإن	نادى الصريح ببابه اركب يركب

وكانت تجري بين الشعراء مراسلات شعرية، يلاحظ من خلالها البذخ والمجون الذي غرق فيه الناس، فعندما كتب ابن المعلم إلى المعتمد (٣) :

(١) ديوان المعتمد ص ٢٨.

(٢) المصدر السابق ص ٩١-٩٢.

(٣) المصدر نفسه ص ٦١.

أَيْدِائِ اللَّهِ إِنَّهُ يَسْتَوْسِمُ
وَتُعَقِّرُ الرَّاحَ غَيْرَ وَأَنْيَسُ فِي
فَانْشَطَ إِلَيْهِ فَاتَهُ أَسْرَرُ
لَا زِلْتَ مَسْتَقِظَ السَّمَوَاتِ لَنَا
تُحَجَّبُ فِيهِ الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ
لَا عَارَ فِي عَقْرِهِ وَلَا لَسَومُ
مَمْلُوءَ فِي نَدْيِكَ الْقِسْمُ
وَعَنكَ وَخِي أَعْيَنَ الرَّوْدَى نَسَومُ

أَجَابَهُ الْمُعْتَمِدُ (١) :

حُمْتُ بِغُلَاقِ الْجَنَاحِ وَقَسَدُ
وَسُمْتُ فِي الطَّيْبِ وَالسَّرُورِ فُسْتِي
وَهَا هُوَ الْمَجْلِسُ الْمَعْدُ لِكِسْمِ
إِلَى كَوْسٍ لَوْ شَاءَ شَارِبُهُمْ
أَمْكَنَ وَرْدٌ فَلَا يَطْلُ حَسَومُ
لَمْ يُزِرْ يَوْمًا بِطَبِيبِهِ سَسَومُ
فَادْخُلْ إِلَيَّ وَلِيَدْخُلَ الْقِسْمُ
بِیَوْمٍ فِيهَا لَا مَكْنَ الْمَسَومُ

ويكون مجلس الملك وآله مرتفعاً عن مجلس الوزراء ، فقله كان مجلس
المعتمد بن عباد زمن والده مرتفعاً عن مجلس ابن زيدون كبير الوزراء ، فأمر
من المعتمد ، فكتب إليه المعتمد معتذراً بهذين البيتين (٢) :

أَيُّهَا الْمُنْحَطُّ عَنِّي مَجْلِسُ
يَقُودُ لِي لَكَ حُبٌّ يَقْتَضِي
وَلَهُ فِي الْقَلْبِ أَعْلَى مَجْلِسِ
أَنْ تُرَى تُحْمَلُ فَوْقَ الْأَرْضِ

فَأَجَابَهُ ابْنُ زَيْدُون شَاكِرًا (٣) :

أَسْقِطُ الطَّلَّ فَوْقَ التَّرْجِيْسِ
أَمْ نِظَامُ لَيْلَالٍ نَسْبِ قِي
أَمْ قَرِيبٌ جَاءَنِي عَنْ كَلْبِي
دَلَّهَتْ فِكْرِي فِي إِبْدَاعِيهِ
أَمْ نَسِيمُ الرُّوْضِ تَحْتَ الْهَيْئِدِ
جَامِعٌ كُلَّ خَطِيرٍ مُنْفِيسِ
مَالِكٍ بِالْبَرِّ رَقَّ الْأُنْفِيسِ
حَيْرَةٌ فِي مَنْطِقِي لِي مُخْسِرِ
عَادِعٌ يَتَلَّى بِحِزْنٍ مَوْطِيسِ
بِتُّ مِنْهُ بَيْنَ سَهْلٍ مُطْمَئِنِ

(١) ديوان المعتمد ص ٦٢

(٢) المصدر السابق ص ٥٧ ، ديوان ابن زيدون ص ٢١١ .

(٣) ديوان ابن زيدون ص ٢١٢ .

ومن الجدير بالذكر أن النازع اللاديني يسيطر على القوم وقت
مسرّاتهم وأفراحهم ، حين يشربون الخمر ، ويتغزلون بالجواري والفلما ن
فها هو ابن المعلم يرسل إلى أبي عامر بن مسلمة مقطوعة من الشعر
يقول فيها (١) :

يا ابن الكرام السادة الخُلص	قولا بلا إفاك ولا غُصص
ماذا ترى في القصف متكثرا	مع رثوة الطُّنُور والرَّقَص
فلعلني أشفي بريقتهـ	من عارضي في الصدر كالقصص
والدُّ عند سماع مبهجهـ	من طيب الأخبار والقصص
أهل المراق على مذاهـ	لا تلق منهم غير مرتخصص

فأجابه ابن مسلمة بآيات منها (٢) :

يا جهبذاً قال بالرُّخصص	القصفُ عندي غايةُ الفُصص
مع ماجدٍ حلّو شاعلُـه	ذي مُنكّةٍ للهو والقنصص
فإذا مضت للفطر ثانيـه	أرسلتُ خيلَ اللهو للقنصص
فجرت لدى الميدان جامحـه	وجريت في كُبيّ من الرُّخصص
في مجلسٍ قد طاب مجلسـه	خالٍ من التكدير والنقصص

وهكذا يلاحظ أن الشاعر في الاتجاه الاجتماعي يصوّر سمات المجتمع
فيصف محاسن المرأة والصبي ، ويدعو إلى اللهو والمرح ، وقد يختار
التندر والفاكهة ، وينعت الخمر ، ويلذ لمجالسها ، وبهذا يكون شعر
الشاعر صورة صادقة للمجتمع الذي نبع منه وللحياة التي يعيشها ذلك المجتمع .

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٢٤ .

(٢) المصدر نفسه د ١١٤ .

الاتجاه التهذيبي التعليمي

وهذا اللون من الشعر أبعد ما يكون عن الشعر بمعناه الخاص أي الشعر الفني الذي يفلب عليه عنصر الخيال والمخاطفة ، ويهدف إلى الامتاع والتأثير (١) ونشأة هذا الفن تقترن باتساع المعارف والثقافات وازدياد الإقبال على التعلّم والتعليم (٢) .

وهذا الاتجاه لم يكن منتشرًا بشكل واسع في إشبيلية ، وتوجسّد قصيدة لامية للأعظم الشنتمري يمكن أن تصنف في هذا الاتجاه ، حين سأل الممتمد بن عباد : هل المسهب يكون بالفتح أم بالكسر ؟ فأجابه الأعظم بأن المسهب بالكسر المكثّر من الصواب ، والمسهب بالفتح لمكثّر في غير صواب ، ثم نظم السؤال والجواب يقول (٣) :

سلام الإله وريحانه	على الملك المجتبي المنتخـل
سلام امرئ ظل من سيبانه	خصيب الجنان رحيب المهمل
أتاني سؤالك أعزز به	سؤال مرّ على من سأل
يسأل عن حالتي مسهب	ومسهب المبتلى بالعـمل
لما اختلفا في بناء هـمـل	وحكمهما واحد في فـعل
أتى ذا على مفعّل لم يـمـل	وذاك على مفعّل قد أـعـل
فقلت مقالاً على عد قـهـ	شهيد من العقل لا يستـزل
بناءً البليغ أتى سالمـل	سلامته من فضول الخطـل
وأسهب ذاك مسيئاً فـزل	زليلاً ثنى متته فانـخـل
وأحسن ذا فجري وصفـه	على سنن المحسن المستـقل
فهذا مقالتي مستهـل	ولست كمن قال حدساً فـمـل

- (١) الأديب الصربي في الأندلس ص ٣٢٩ .
 (٢) الشعر التعليمي في القرون الأربعة الأولى ص ٦ .
 (٣) النفح ٤ : ٧٨ - ٧٩ .

وهناك نوع من المطارحات الشعرية جرت بين الممتد بين عبّاد وابن زيدون ، وغيرهما من الشعراء * وتسمى المصمّيات أو المطبّيرات ، وهي ضرب من الألفاظ الشعرية . فقد كان أحدهما يرسل إلى الآخر قصيد قهشير فيها إلى بيت أو بيتين من الشعر ، رامزا إلى كلّ حرف من الحروف باسم طير من الطيور ، ولذلك يسمى البيب بالمطير (١) ، والملاصط أن الطير يتغير رمزه من قصيدة إلى أخرى ، وهذه المطبّيرات يقصد بها ترويض الدّهن ، واختبار البديهة (٢) ، ومن هذه المطبّيرات يلاحظ ثقافة الشعراء ، وبخاصة معرفتهم لأنواع الطيور المختلفة ، فهذا ابن زيدون يكتب إلى الممتد قصيدة مطيرة هي (٣) :

أَيُّهَا الظَّافِرُ لَا زِلْ	تَمَدَّى الدُّنْيَا مُظْفَرٌ
أَنْتَ أَشْنَى ابْنٍ لِأَسْمَى	وَالِدٍ فِي الدَّهْرِ فَاخْتَر
إِنْ تَرَدَّ شَرَحَ مَمَّسَى	هُوَ فِي نَظْمِي مُشَمَّر
فَاسْأَلِ الشَّاهِينَ وَالصَّقَا	رِينَ وَالْمَنْقَاءَ تُغْرِبِر
ثُمَّ رَأَى الْقَفْرَ وَالْفَيْسَ	أَتَانَا وَالنَّسْرَ الْمَمَّسَ
ثُمَّ بَعْدَ الدَّيْكَ عَدَّ لِلنَّسْرِ	سَرَّ وَالزَّالِ الْمُنْفَر
ثُمَّ عُدَّ لِلنَّسْرِ وَالسَّرَّ	لِي فَكُلُّهُ قَدْ تَنَكَّر
وَالْحَبَّارَى وَالسُّمَّانِي	وَالشَّقَرَّاقِي الْمَحَبَّر
ثُمَّ سَأَلَ بَعْدَهَا الْبَسَا	زِيَّ إِنْ حَلَّ فَصَرَّ
مَمَّهُ الطَّائِفُ وَالِدَيْ	كَ إِذَا بِالصُّبْحِ بَشَّر
تَلَوُّهُ الْقُفْرِي مَهْمَا	رَدَّ السَّجْعَ ففَرَّقَ
ثُمَّ نَادَى الْهَيْقَ وَالسَّرَّ	لِ لَعَلَّ الشَّرَّ يَظْهَر

- * هناك كمية قليلة من المطبّيرات جرت بين الممتد بين عبّاد وأبي القاسم محمد بن عبد الغفور ، وبين ابن زيدون وأبي طالب بن مكسي ، ولكن أكبر كمية من هذا النوع من الشعر جرت بين الممتد وابن زيدون . انظر : (ديوان ابن زيدون ص ٩٥ - ٦٣٢ ، ديوان الممتد ص ٧٧ - ٨٦) . احكام صنعة الكلام ، ابن عبد الغفور ، تح . محمد الداية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٦ م (ص ١٩٧) .
- (١) ديوان الممتد ص ٧٧ .
- (٢) ابن زيدون (عصره وحياته وأدبه) ص ٤٠٤ .
- (٣) ديوان ابن زيدون ص ٦١ - ٦١٢ ، ديوان الممتد ص ٨١ - ٨٢ .

- ٧٩ -

وتحيي والدَي القَبْرِ _____
 جين مِن خافي سيظهمـ _____
 ثمَّ عُدَّ لِلنَّسْرِ والبـ _____
 لهما في الأمرِ أَكْثَرُ _____
 وازجُرْ المَقْمَقَ حقَّ اللـ _____
 جِرا أن الطير تزجـ _____
 وليل الرأى سمانـ _____
 وشقراق تأخـ _____
 لك نهن بالذي في الشـ _____
 ر من خب شيشـ _____
 فتأمل ما انبرى فكـ _____
 ري لم ثم تدبـ _____
 واعتقد أني في تمـ _____
 كن خط فسطـ _____
 وتيقن أن ما ينـ _____
 فك أمر سوف يُقـ _____

ففك الممتد البيت المعنى وهو (١) :

صدق لنا فال السـ : تظفر علي الكـ :

وكتب معه أبياتا أخرى (٢) .

الحل * :

الحرف الطائر	الحرف الطائر	الحرف الطائر	الحرف الطائر	الحرف الطائر	الحرف الطائر	الحرف الطائر	الحرف الطائر
ص	شاهين	أ	نسر	ت	بازي	أ	نسر
د	صقر	ل	رأل	ظ	طاووس	ل	رأل
ق	عنقا	أ	نسر	ف	ديك	ك	عقـ
ل	رأل	ل	رأل	ر	قري	ل	رأل
ن	فيا	س	حباري	ع	هـ ق	م	سماني
أ	نسر	م	سماني	ل	رأل	هـ	شقراق
ف	ديك	هـ	شقراق	ي	قـ		

(١) ديوان ابن زيدون ص ٦١٢ ، ديوان الممتد ص ٨٢ .

(٢) ديوان ابن زيدون ص ٦١٢ - ٦١٣ ، ديوان الممتد ص ٨٢ - ٨٣ .

(*) ديوان ابن زيدون ص ٦١ ، ديوان الممتد ص ٨٢ . ويمكن التعرف على أنواع هذه الطيور من كتاب : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، زكريا القزويني ، تح . فاروق سعد ، الطبعة الثانية ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٧ م ، ص ٤٣٩ - ٤٦٦ .

الاتجاه الديني الجهادي

كانت بلاد الأندلس بعد منتصف القرن الخامس الهجري، مهددة من الخطر الصليبي، فبعد استيلاء الروم على مدينة برشتر سنة ست وخمسين وأربعمائة (١)، بدأ الناس يشعرون بشدة الخطر، وهول المصائب التي سيخلفها احتلال البلاد. ولم يرتفع صوت الشعراء للتنديد بهذا العدو إلا قليلاً، ولا غرو في ذلك، فقد كان المعتضد ابن عباد ومن بعده المعتمد، يداريان العدو، ويمقدان معسده الماهدات من أجل الاحتفاظ بالعرش، فما كان من الشعراء إلا أن سكتوا وشجعوا الملوك على مداراة العدو، فهذا ابن المصيصي (٢) يمدح المعتمد ويهون عليه الاتاوات التي يدفعها للروم بقوله (٣) :-

والم تطو دون المسلمين ذخيرة	تهين كرام النفوس لتكرما
تحمل في فك الأسارى وإنما	تعاقد كفاراً لتطلق مسلما
وما كنت ممن شج بالمال والقنا	فتكنز ديناراً وتركز كهذا
فترسله للصفير أصفر عسجداً	وإن خالفوا أرسلت أبيض مخدماً

وأكثر منه مخالفة ومداراة ابن اللثانة، حين يمدح المعتمد ويبين أن إعطاء الضريبة للنصارى فيه نصره للدين (٤) :

في نصره الدين لا أعلمت نصرته	تلقى النصارى بما تلقى فتخدع
تنيلهم نعماً في طيها نقم	سيستخر بها من كان ينتفع
وقل ما تسلم الأجسام من عرض	إذا توالى عليها الري والشبع
لا يخبط الناس عشوا عند مشككة	فأنت أترى بما تأتي وما تدع

وهنا يثور ابن بسام ويهاجم الشاعر بقوله :- وهذا مدح غرور ،

(*) برشتر : من أمهات مدن الشطر ، مدينة عظيمة في شرق الأندلس ، (الروض الممطار ص ٩٠-٩١ ، معجم البلدان - برشتر) .

(١) الروض الممطار ص ٩٠ .

(٢) ابن المصيصي : هو الوزير الكاتب أبو حسان بن المصيصي ، أعد شعراء

شلب الذين ارتفع شأنهم في اشبيلية مدة المعتمد . (الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٣٣ - ٤٥١ ، المضرب ١ : ٣٨٥ ، النفح ٤ : ٣٠٧ ، الخريدة ق ٢ م ٢ ص ١٥٩ ، الرايات ٥٤-٥٧) .

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٤٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٩ .

وشاهد زور ، وطلق معتف سائل ، وخديعة طالب نائل ، وهيهاست (١) .
فهذا الموقف انهماضي ، ليس فيه ثورة أو انتما ، وإنما فيه زيف وأدعاء .
وهم الشاعر أن يكون المحاكم راضيا عنه ، لمحصل على الأموال الكثيرة ،
والمناصب الرفيعة .

وارتفع صوت من بين السحب المتكاثفة في زمن المعتضد ، وهذا الصوت
كان من أبي حفص الهوزني ، ولكنه ما طفق أن يأخذ ، وقضي على صاحبه ،
فقد شعر أبو حفص الهوزني بعظم النكبة ، وبالخطر الذي يحيق بالديين ،
فأرسل إلى المعتضد رسالة من مرسية ضمنها أبياتا من الشعر ، يحس
الإنسان من خلالها هول المصائب التي تسببها هجمات الأعداء على
المدن والأنسنة ، فيها هو مطلب من المعتضد النجدة ، ويبين له سوء الحالة
بقولة (٢) :

أعباءُ جل الرزء والقوم هُجَّع	على حالة من مثلها يُتَوَقَّعُ
فلق كتابي من فراغك ساعة	وإن طال فالموصوف للطول موشع
إذا لم أبت الداء رب دوائه	أضقت وأهل للعلام المضيع

فالحالة لا تحتل أكثر مما هي عليه ، يقول هذا وهو مضطرب ،
متأثر بالأحداث ، وأع لما يصيب الدين نتيجة احتلال البلاد ، فالحرب
صليبية ، وأول ما يحارب الإسلام ، لهذا جاء النداء في أول الأبيات
مبثرا عن الموقف تعبيرا تاما وصادقا ، يحمل في طياته نغمات
الشاعر الباكية ، وعواطفه الدينية الحزينة .

ويستمر الهوزني في مناداة المعتضد من أجل إنقاذ عمود الإسلام من
الانقراض ، وهو يتوجه للمعتضد بهذا الخطاب لأنه مشعر بمظلم
قوته ، ونخوته الأصلية ، فلا يوجد أحد يقدر على صد هذا المسدود
إلا المعتضد وجهه ، فيحمله قائلا (٣) :

(١) الذخيرة ق ١٢ ص ٢٤٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٣ ، النفح ٢ : ٩٣ ، المغرب ، ١ : ٢٣٥ .

(٣) الذخيرة ق ١٢ ص ٨٥ .

فكم مثلها جأواء تَهْنَهتْ فأنشنت
فمرت تنادي الويل للقاح الصفا
وألقت ثناء كاللطائم نَشْرُهُ
ونظرها من شدة الثَقَرِ أُرْمَدَ
لَهْمُضُ القلوبِ الصَّخْرُ أَوْهِي أجلد
تهدد الليالي وه وغر يجدد

وبعد ذلك يشتد صوت أبي حفص الهوزني ، وتستعمر عاطفته
الدينية ، وتتأجج دعوته للجهاد ، فيبدأ بسر د الحالة لابن عباس
بتفصيل " (١) :

أعباد ضاق الذرع واتسع الخرق
ودونك قولاً طال وهو مقصّر
إليك انتهت آمالنا فارم ما لهسي
ولا غرب للدنيا إذا لم يكن شرّق
فللعين معنى لا يُعْبَرُهُ النطق
بمزمك ، يدفع هامة الباطل الحق

ولا شك أن الهوزني يدرك نفسيّة المعتضد ، ويعرف ما هو عليه
من لهو وطرب ، ويرى أعمال المعتضد واهتمامه بنفسه وعرشه ، ولكن
صوت الشاعر لم يجد أن لنا صاغية من الملوك الآخرين ، فرأى أن يوجهه
إلى المعتضد ، عسى أن يستجيب له ، فيتحدث عن شجاعة المعتضد
وكرمه ، وحميته ، وجهشه قائلاً (٢) :

فنادِ أعبادُ ذا عائبُ
تُجِبْكَ أسودُ على ضَمَمٍ
كأن المقاديرَ حزبٌ له
سقتة الحمية جريالهم
وقدك على حينها تنصّرم
معودة ما بعث أن يسم
فيمضي على رأيه ما حكمهم
وصحّت مناقبه في الكرم

ولا يكتفي الشاعر بالإشادة بفضائل المعتضد وقوته ، بل يريد
منه نصراً ، وحرماً تشبه حرب خالد بن الوليد في حروب السمرية ،
ولا شك أن التفات الشاعر إلى التاريخ القديم ، واستذكّاره

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٨٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٦ .

لحروب المسلمين ، يدل على هول المصيبة التي ستحل بالعالم الإسلامي في الأندلس ، إذا لم ينبر المعتضد لصد الأعداء ، فيناجسي الهوزني المعتضد قائلاً (١) :

أعْبَادُ كَلَّا قَدْ عَلَوَتْ فُضَاءُ كَلَّا	تَقَاصَرَتْ عَنْهَا كُلُّ أَرْوَغٍ مَا جَسَدَتْ
فَأُولَهَا جَوْدٌ أَرَانَا أَكْفَهُمْ	جَمُوداً كَكَفٍّ لَمْ تَوْهَيْدُ بِسَاعِدِ
وَسَمِيٌّ لِمَا تَبْغِي يَخِيلُ سَقَبَهُمْ	تَلَاعَبَ وَلَدَانِ أَطَافَتْ بِوَالِدِ
وَنَصْرَ لِمَنْ وَالَيْتَ يَرُدِّي عَسَدُوهُ	رَدَى أَهْلَ جَسَدِي فِي وَقِيْعِهِ مَخَالِدِ
مَنْعَتَ بَنِي جَالُوتَ مَا قَدْ أَبَاحَهُمْ	سَوَاكَ بِحَرْبٍ قَتِيَّةٍ كُلَّ شَارِدِ

وقد كان أبو حفص الهوزني يحث على الجهاد في كل مناسبة ، فيها هو يستشير المعتضد في مكان يسكنه ، لأن البلاد أصبحت تتساقط في أيدي الأعداء ، وشرع محمد صلى الله عليه وسلم أصبح يهدم ، فيضاطب المعتضد قائلاً (٢) :

فَإِنْ رَأَيْتَ أَمْرِي فَادْرِكْنِي بِرَحْمَةٍ	إِلَى مَا مَنِيَّ فَالْخَوْفُ أَعْجَلُ طَارِدِ
وَحَدِّ مَكَاناً آتِيهِ فَرَضَاكُمُ	وَإِي وَلَرْنِ اغْشَى كَرِيهِ الْمَوَارِدِ
فَقَدْ جَدَّ أَمْرُهُ هَدَّ شَرْعَ مُحَمَّدٍ	وَمَا مُخْبِرٌ عَنْ حَالَةٍ مِثْلُ شَاهِدِ
لِكُلِّ بَيِّنٍ الرَّأْيِ عِنْدَ وَفَاتِهِ	وَهَلْ مِنْ دَوَاءٍ بَعْدَ نَهْشِ الْأَسَاوِدِ ؟

قد يقول قائل : بأن الشاعر وقف موقفاً انهزامياً وسلبياً من هذه القضية بقوله : فقد جدَّ أمرُهُ هَدَّ شَرْعَ مُحَمَّدٍ ، ويقولون : وهل من دواء بعد نهش الأساود ؟ ، إذا القول يجانبه الصواب ، وذلك لأن الهوزني كان مضطرباً ، متشبهاً بأي خيط يستطيع إنقاذ المسلمين ، فجاء قوله من قبيل المبالغة والتخدير .

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٨٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٨ .

ولكن جواب المعتضد جاء مخيباً لآمال الشاعر ، فقد ردّ المعتضد على إهبات الشاعر بقطعة نثرية كتبها ابن المملم (١) على لسانه يقول فيها : " وأما مائدة إلهية ، من أحفاد السمي ، فيما يقسم للمشركين - عند هم الله - ويجمع عليه كلمة المسلمين ، فيعلم الله أنني قد ناجيت بذلك وناديت ، وراوحت فيه وغاديت ، وبثثت رسلي إلي ذلك داعين ، يملون التذكرة ، ويؤكدون التمسرة ، ويتلون المواظ ، ويستثيرون الحفاظ ، فصمت المسامع ، وافقت في التناقل ، المنازع ، وخلق الخذلان ، . . . " (٢) .

لقد كان أبو حفص ذا بصيرة نيرة ، وعقل متفتح ، فكان صوتيه إرهاساً بحلول المصيبة عسا قريب ، فالمساجد تزدت في عصير المعتضد ، والفونسوا أخذ يطلب منه أن تلد امرأته في جامع قرطبة . ولما أدرك أبو حفص الهوزني ضعف المعتضد ، وقرأ جوابه ، أخذ يدعو قومه للجهاد والكفاح والصمود ، ضارباً الأمثلة على ذلك ، مستعيناً بالطبيعة في رسم صورته ، موشحاً آياته بالمعاني الدينية قائلا (٣) :

طرق النّوَامَ يَسْمَعُ أَرْزُلُ	بيت الشر فلا يستـزِلُ
كلُّ مَارِزٍ سِوَى الدِّينِ قُلُ	فَتَمُوا وَاخْشَوْ شَنَا وَاخْزَلُوا
إِنْ نَهَلْتُمْ جَاءَكُمْ بِمَدُّ عِلُ	سِرْجُ الشَّرِّ فَلَا يُسْتَقَلُ
وَرِيَّاحٌ ثُمَّ غَيْمٌ أَهْلُ	بَدَأَ صَمَقُ الْأَرْضِ نَشْءٌ وَطَلُ
فَإِذَا رِيحٌ دَبُّورٌ مِجْلُ	قَدْ رَجَّتْ عَادٌ سَحَاباً يُهْبِلُ
وَاعْمَدُوا سَيْفًا عَلَيْكُمْ يَسْلُ	تَقْبُوا فَالِدَاءُ رِزٌّ يَحْضِلُ
جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجْلُ (٤)	" غِبْرٌ مَا جَاءَنَا مَصْثَلُ

وبعد ذلك بدأ أبو حفص الهوزني هجومه على المسلمين متمثلين في حكامهم ، فالجهاد قد توقف ، وصرح الدين بدأ يهدم ، كـ

(١) ابن المملم : هو أبو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم ، أحد وزراء المعتضد الكتاب ، ومن الذين اشتهروا في بلاط المعتضد بالكتابة والشعر . (الجذوة ص ٧٠ ، بغية الطمس ص ١٠٥ ، الذخيرة ق ٢ م ص ١١٢ - ١٢٤) .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ص ١١٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٨٩ - ٩٠ ، النفح ٢ : ٩٤ .

(٤) الحماسية رقم ٢٧٣ (شرح الرزوقي) .

ذلك والمسلمون شهود ، حتى ان أقدرهم على رد المدّ ولا يحسرك له ساكن ، وكأنه يشير بصورة غير مباشرة للمعتضد (١) :

فيا أسفا للذين إذ ظلّ نهْبَةً بأعيننا والمسلمون شُهُودُ
أفي حرم الرحمن يُلْعَدُ جَهَنَّمُ ويجعل إشراك الإله بهيود
ويُثَلِّبُ بينُ اللّو بين بيوتكم وقايرُهُ عن ردّ ذاك قميص
ويوضّع للدّ جبال بيت بكّة ويخفي عليكم منزع وقصص

ويحذّرهم من عقاب الله بقوله (٢) :

أعبدكم أن تدّهنوا فيمسّكم عقاب كما ذاق المذابّ ثمود
وأُتْبِحْ بذكر يستطير لأرضكم يوم به أقصّى البلاي وفسود

فالعذاب الذي سينالهم من الله - ان سكتوا عن نصره الذي ين ،
وبناء صرحه ، ومقاومة من يسمّى إلى تهديمه - أشدّ من العذاب الذي
أصاب قوم ثمود .

هذا هو أبو حفص الهوزني في كل قصائده الدينية الجهادية ،
يستحث المسلمين على الجهاد أحيانا ، ويحذّرهم من عقاب الله أحيانا ،
ويستنصر بأعظم الحكام تارة ثالثة ، كل ذلك بأسلوب قوّي متين ، وبصور
واضحة مؤثرة ، كثيرا من استخدام أساليب التّدا ، والاستفهام ، المتي
تخرج لسان بيانّة كالتمجيب والحسرة والشكوى . . .

وكان ثمن هذه القصائد التي أطلقها أبو حفص الهوزني كان قطع
رأسه ، فقد قتله المعتضد بنفسه سنة إحدى وستين وأربعمائة ،
وأمر أن يدفن بهلابسه وقلنسوته . . .

أطاهن المصيصي ، فأنه يشير بشكل غير مباشر إلى استنهاض همّة
المعتضد ، وتحريضه على الجهاد بقوله (٣) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٩٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٣ .

(٣) المصدر نفسه ص ٤٤٥ .

ليس الخلا إلا على كسر
من لخم أهلك يا مذل أم
كأس المسرة قد سكرت بها
هذه في الوغى المي منزلاً خشناً
ودع الرياض لمن يلد بها
أذكي من الأس النضير قنناً
إن النطاح من الوري خلد
أيقوم خط ماله سطر ح
في الخط نبتك أيها الرمح
والحد يلزمني متى أصر
لا يهلك الدجاج والصرح
ما إن لغير مكارم تفرح
وأنم من ورو الربي جرح
حتى الكواكب بينها النطح

وأما ابن حمد يسر فانه تتجمع جهاد قومه ضد الأعداء ، وأخذ
يحشهم على النضال وعدم الاستسلام ، ويفتخر بشجاعتهم وقوتهم ،
فهم أشداء في قتالهم للأعداء ، قد جبلت طبيعتهم على القتال والحرية ،
حتى ان الأعداء يشهدون لهم بذلك ، فصفا قوم ابن حمد يس (١) :
زبانية خلّقوا للحروب
مساعدهم مرفعات بني
هم المخرجون خبايا الجسوم
هم الماثلون على الحاقدين
نجوم مطالعها في القنن
تخط الحوافر من جريد هي
تغر رؤوس المدى في الوغى
يشبون نيرانها بالوقود
لهذا الجماجم من عهد
إذا ضربوا بخبايا الفصوص
صدور رماحهم بالحقود
ولكن مفارها في الكبود
محاريب ميثوثة في الصميد
لها سجداً ، ياله من سجود

وبعد ذلك يفلي ثورة وحماسا ، حين يخاطب بني الثغر
ويحرضهم على حمل السلاح ، واشغال الحرب ، والهجوم على الأعداء
هجمة رجل واحد بقوله (٢) :

(١) ديوان ابن حمد يس ص ١١٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٤١٦ .

بني الثغر لستم في الوثقى سن بني أمي
دعوا النوم إني خائف أن تدوسكم
فردوا وجوه الغيل نحو كريهة
وصولوا بهيف في الحجاج كأنها
ولا عذمت في سلبها من غمودها
وقرع الحسام الرأس من كل كافر

إذا لم أصل بالقرى منكم على الحشم
دواي وأنتم في الأمان مع الخدم
مصرحة في الروم بالشكل واليسم
بروق بضرب الهام محمرة السشم
ظهروا فقد تخفى الجدول بالرجم
أحب إلى سمعي من الثغر في البم

ولا شك أن هذه الكلمات تخرج من أعماق ابن حمد يس ، فقد جرب
الخرقة والألم ، وذاق مرارة الاعتماد عن الوطن ، لذلك أخذ يحسب
قومه بالممود والصبر في بلادهم ، فهو يخاف عليهم من مصائب الدهر
ونوائيه ، ويغشى أن يلسمهم سم الخربة (١) :

ولله أرض إن عدتم هوائها
وعزكم يفضي إلى الذل والنوى
فان بلاد الناس ليست بلادكم
أعن أرضكم يمينكم أرض غيركم
أغلي الذي ودي نود وصلته
تقيد من القطر العزيز بموطن
ولياك يوماً أن تجرب غربة

فأه واوكم في الأرض منشورة النشم
من البين ترمي الشمل منكم بما ترمي
ولا جارها والخلم كالجار والغلم
وكم خالة جداء لم تفر عن أم
لدي كما نيط الولي إلى الوسمي
وقت عند ربع من رهوك أو رسم
فلن يستجير الحقل تجربة السم

وها هو يعلن في النهاية بأن الروم قد دخلوا بلده ، والمقاومة
قد خمدت ، لذلك أخذ يصدح صداح الإم الثكلي ، فقد قال قصيدة
سينية تقطر بالحسرة والألم على بلده المأسور ، بدأها بمقدمة
بدوية باكية ترتبط مع الموضوع الذي يتحدث عنه ، ويمتدح في صدره (٢) :

(١) ديوان ابن حمد يس ص ١٧٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٤ .

لأمر طويل الهم نزجى القرامسا وتطوي بنا أخفافهن البساسا
وتدعرو بالبيداء عيناً شوارداً تذكرو بالأحداق عيناً أوانسا
عذارى ترى الحسن الهد بع مطايا لأنواعها في خدقة ومجانسا

ثم يعلن النبا الذي جملة حزيننا طوال حياته ، وكثيرا بقيمة
أيامه وهو (١) :

أغادل دغني أطلق العبرة التي عذمت لها من أجمل الصبر حاسا
فإني أمرو آوي إلى الشجن الذي وجدت له في حبو القلب ناخسا
لقد رت أرضي أن تقوم لقومها فسأت ظنوني ثم أصبحت يا قسا
وهزيت فيها النفس لمرأيتها تكابد داء قاتل السم ناخسا

وتشتد عاطفة ابن حمد يس الدينية ، وتبلغ ذروتها حين يقول (٢) :

وكيف وقد سيمت هواناً وصيرت مساجدها أيدي النصارى كناسا
إذا شاءت الركة بأن بالضرب أنطق مع الصبح والإمساء فيها النواقسا
لئن كان أعيا كل طب علاجها فكم جرب في السيف أعيا المداوسا

فالروم قد دخلوا البلد ، والمساجد تحولت إلى كنائس ، والرهبان
يسرحون ويمرحون ، وأجراس النواقيس تصدق سمعه بدلاً من صوت
المؤمنين ، والذل أحاق ببني ثفره . ثم يتحدث ابن حمد يس عن
السبي والخراب الذي حل بأهل بلده قائلا (٣) :

صليبة كان الزمان بلادها وكانت على أهل الزمان محارسا
أرى بلدي قد سامه الروم ذلة وكان بقومي عزة متعاسسا
وكانت بلاد الكفر تلهم خوفه فأضحى لذاك الخوف منه لاسا
عدمت أسوداً منهم قريسة ترى بين أيديها العلوج فرائسا

أثني قَصْرَ بَنِي رُقَّةة يَتَمَرُّونَهَا
ومن عَجَبٍ أَنَّ الشَّيَاطِينَ صَيَّرَتْ
وَأَضَحَّتْ لَهُمْ سَرَقُوسَةً دَارَ مَنَعَةٍ
مَشْوَافِي بِلَادٍ أَلْهَى لَهَا تَحْتَ أَرْضِهَا
وَلَوْ شَقَّقَتْ تِلْكَ الْقُبُورُ لَأَنْهَضَتْ
وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْفِيلَ إِنْ غَابَ لَيْشُ
وَرَسَمْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ أَمَحِجَ دَارِهَا ؟
بِرُوحِ النُّجُومِ الْمَحْرَقَاتِ مَجَالِهَا
يَزُورُونَ بِالْدَّيْرِ فِيهَا النُّوَاوِهَا
وَمَارَسُوا مِنْهُمْ أَبْتِئاً مَارَسَهَا
إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ أَشَدَّ عَوَايِهَا
تَبَخَّرَ فِي أَرْجَائِهِ الذُّئْبُ مَا قَسَا

فابن حمد يسذكر الداء والسبب الذي من أجله نتج وسسرى
إلى جميع أجزاء البلاد ، فهجرة أبناء الوطن سببت طمع العدو في أرضهم
وبالتالي احتلالها .

هذه أهم المماني التي كررها الشعراء في هذا الاتجاه ، ودعوة
المسلمين إلى الجهاد ، وحث الحكام على تعبئة القوات ، وعدم اتّخاذ
أي جهد في الدفاع عن بلاد المسلمين ، والهجوم على الأعداء ، والفض
من قيمتهم ، والحسرة والألم من جرّاء احتلال الأعداء لبلاد المسلمين ،
وضرب الأمثلة من التاريخ الإسلامي علّيها تكون نبراساً يضيء السبيل .

تري كل ضد هم قائم_____ فكيف تحدّ اختلاف الممانسي

فَيَا أَيُّهَا الْجِسْمُ لَا زَا جِهَاتٍ وَيَا عَرْضًا ثَابِتًا غَيْرَ فَنَانٍ

نقست علينا وجوه الكسلا م فما هو منذ لحت بالمستهيان

ولكن ابن حزم لم يستطع أن يصهر النظرات الفلسفية في شمسهِ

بحيث تصبح صدى للتشرب العميق لها ، بل ظلت تبدو مستعدة من

ثقافته الجدلية (٢) .

وقد برّاهن وهون غيره من الشعراء في اشبيلية في هذا الاتجاه ولكنه لم يتعمق فيه ، ولم يستطع صقله ، بحيث يجعل له هوية تميزه ، وسمّة توضحه ، فقد قال قصيدة هزلية في رثاء الأعمى الشنتمري بدأها بمقدمة فلسفية . وقد شبه النفس في اتصالها بالجسم بالسراب الذي يخذل من لم يراه ، فتظنه ماء ، فإذا تنبهته متبينا حقيقته ذاب أمامك . فالنفس خداعة زائلة كالسراب ، والجسم يبقى بعد ذلك كأنه الصخرة الملساء ، حتى أن الجبال لو علمت مصيرها ، وأنه إلى الفناء لدكت من الخوف والهلع ، وماذا لنا نصرف مصيرنا وأنه إلى الفناء ، فلماذا نتعب العقول في البحث عنه ، وتقلب عليها أهوال النفس فتقودها إلى التفلسوف فيما هو معلوم ، مبينا أن الصور المتضادة في بحث الحياة والموت هي نتيجة الفلسفة الشنما (٣) .

(١) طوق الحمامة، ابن حزم، تح. حسن الصيرفي، مطبعة الاستقامة،

القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م، ص ١٠.

(٢) تاريخ الادب الأندلسي (عصر الطوائف والمراطين) ص ١٢٥ .

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

سَبَقَ الْفَنَاءُ فَمَا يَدُومُ بَقَاً ۚ تَفْنَى النُّجُومُ وَتَسْقُطُ الْبَيْضُ ۚ
نَفْسِي وَهَمْسِي إِنْ وَصَفْتُهُمَا مَعَا ۚ أَلْ يَذُوبُ وَصَخْرَةٌ خَلِقَ ۚ
لَوْ تَعَلَّمَ الْأَجْيَالُ كَيْفَ مَالَهُمَا ۚ عِلْمِي لَمَا امْتَسَكَتْ لَهَا أَرْجَاهُ ۚ
أَنَا لِنَعْلَمُ مَا يَرَادُ بِنَا فَلِسْمُ ۚ تَعْبَا الْقُلُوبُ وَتُغْلَبُ الْأَهْوَاءُ ۚ
طَيِّبُ الْمَنَآيَا فِي أَسَالِيبِ الْمَسْنَى ۚ وَعَلَى طَرِيقِ الصَّحْرِ الْأُرْدُ ۚ
بِتَحَاقِبِ الْأَضْدَادِ مَا قَدْ تَرَى ۚ جُلِبَتْ عَلَيْكَ الْحِكْمَةُ الشَّنْمُ ۚ
مَاذَا عَلَى ابْنِ الْمَوْتِ مِنْ إِبْصَارِهِ ۚ وَلَقَائِهِ عَزَى عَقَّتْ الْأَبْنَى ۚ
أَيُّغُرُنِي أَنْ يَسْتَطِيلَ بِي الْمَدَى ۚ وَأَبِي بِحَيْثُ تَوَاصَتْ الْفُرُجَى ۚ
لَمْ يَنْكُرِ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ ثَابِتٌ ۚ فِي طَبْعِهِ لَوْ صَحَّحَتْ الْآرَاءُ ۚ
وَنَظِيرُ مَوْتِ الْمَرْءِ بَعْدَ حَيَاتِهِ ۚ أَنْ تَسْتَوِيَ مِنْ جَنْسِهِ الْأَعْضَاءُ ۚ
دَنْفٌ يَهْكِي لِلصَّحِيحِ وَلِنَعْمَا ۚ أَمْوَاتُنَا لَوْ تَشْمَرُ الْأَحْيَاءُ ۚ
وَسَوَاءٌ أَنْ تَجْلِيَ اللَّحَاطُ مِنَ الْقَذَى ۚ أَوْ تَنْتَضِيَ مِنْ شَخْصِهَا الْعُجُوبَا ۚ
مَا النَّفْسُ إِلَّا شَمْلَةٌ سَقَطَتْ السَّى ۚ حَيْثُ اسْتَقَلَّ بِهَا الثَّرَى وَالْمَاءُ ۚ
حَتَّى إِذَا خَلَصَتْ تَمُودُ كَمَا بَدَتْ ۚ وَمِنَ الْخِلَاصِ شَقَّةٌ وَعَنْسَا ۚ

فهو يرى أن النفس عنصر يحملها عنصران آخران هما : الماء والتراب،
وأن الأموات حقاً هم الأحياء ، ولكن هذا المعنى لا يعجب ابن بسام
فيقول : " وهذا معنى فلسفي ، قلما عرّج عليه شاعر عربي ، وإنما قرع
إليه المحدثون من الشعراء ، حين ضاق عنهم منهج الصواب ، وعدموا
رونق كلام الأعراب ، فاستراحوا إلى هذا الهذيان ، استراح الجبان إلى
تنقص أقرانه ، واستجادة سيفه وسانه " (١) ولكن فلسفة ابن وهبسون
بالرغم من ذلك تحتاج إلى صقل وتهذيب (٢) ، وها هو يتبرم مما يرى
من الناس في هذه الحياة ، حين يرى سوء نواياهم ، وكثرة أخطائهم (٣) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٨٠ .

(٢) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ص ٦١ .

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٩٥ - ٤٩٦ .

وقد أرى صوراً في الناس ماثلةً أشبهها بين تحديق وتكذب يسب
لما ملأت يدي منهم لأخبرهم نفخت كفي بأشياء الهامسيب
بعض وجوههم سوء ضاعرههم فما حصلت على عريب ولا نسوب
الصدق أولى من يدي ضغينته لا تجعل الصدق من نعت الأُصاحب

وقد يمزج بعض الشعراء المعاني الفلسفية بمقطوعاتهم الغزلية،
كقول ابن زهر (١) :

يلراشفي بسهام مالها غرضُ إلا الفؤاد ، ومالها منه غرض
ومعروضي بجفون عشوها سقم صحت ومن طبعها التعريض والعرض
امتن ولو بخيال منك يطرقسني فقد يست مسد الجواهر العرض

فهو يود من محبوبه أن يمتن عليه ولو بخياله ، لأن في خياله
أنسا وطمانية له ، فالعرض قد يست مسد الجواهر ، فالشاعر أورد بعض
الألفاظ الفلسفية كالجواهر والعرض . ومثل هذا المعنى يطرقسه
الفيلسوف مالك بن وهيب حين يقول (٢) :

أراميتي بالسحر من لحظاتها نعيمك كيف الرمي من دون أسهم
ألا فاعلمي أن قد أصبت فواصلي ، سهامك أو كفي فليست بمسلم
فلنسان عين الدهر أخصيت فاحذري مطالبة بالقلب والبد والفهم
أما في غيل غدا غابه القنصا تحق به آسأ كل ملثم
ولو أن لي ركناً شديداً بنجوة أويت له من بأس لحظك فارحمي

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ، ص ٢٣١ ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،
ص ٥١٨ ، التكملة ١ : ٣٣٥ .

(٢) النفح ٣ : ٤٧٩ .

ويخرج ابن اللبانة على بعض المعاني الفلسفية الممزوجة بالمعاني الدينية في مقدمة قصيدته التائية في رثاء دولة بني عباد حـسـن يقول (١) :

لكل شيء من الأشياء ميقنات وللمنى من مناشيها غايات
والدَّهر في صفة الحر باء منغمس ألوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده وربما قمرت بالبيد في الشاة

وأما ابن زيدون فإنه يشير إلى بعض المعاني الفلسفية بصورة غير مباشرة ، حين يرى أن الدَّهر أبلغ الحكماء ولون كان صامتا ، فإن أحداه وعظاته تنير أمامه السبيل ، وتعلمه ما لم يكن يعلم ، والشيء الذي يدقق النظر في فلسفة الحياة يجد الحلو فيها مثل المر والشقاء كالنسيم ، ومن الحكمة ألا يفتر الانسان بالظواهر (٢) :

الدَّهر إن ألقى فصيحاً أعجم عيَّ طي اعتباري ما جهلت فأعجم
إن الذي قدَّر الحوادث قدَّرهَا ساوى لذيو الشَّهْد منها الملقم
ولقد نظرت فلا اغترار يقتضي كدَّر المَال ولا تَوَقِّي بَعْصِيْم
كم قاعو يحظى تَعَجُّبُ حَالُوهُ من جَاهِدٍ يَصِلُ الدَّوْبُ فَيُحْرِم
وأرى المساعي كالسَّيْفِ تبادرت شأوا المضاء فمُنْشِي وَمُصَمِّم
ولكم تسامي بالرقيع نصائبُهُ خطرُ فَنَاصِبِهِ الوُضْعُ الْأَلْمِ

وبصورة مباشرة يشير ابن حمد يس إلى بعض الألفاظ والمعاني الفلسفية في حديثه عن الخمر وغيره ، كقوله (٣) :

مات من قبل ذا أبوك بـدا أنت من أجله الصحيح العليل
وانذا اجتت أصل فرع تبتقى فيه ماء من الحياة قليل

(١) شعر ابن اللبانة ص ٢٤ .

(٢) ديوان ابن زيدون ص ٣١٢ - ٣١٣ .

(٣) ديوان ابن حمد يس ص ٣٩٨ .

وقوله (١) :

زجاجٌ وخمرٌ وما كـ
تقول هـ يُولَى ونفسٌ وصـوره

وقوله (٢) :

نقلتُ من الدَّررِ الدَّمـو
عَلى اليَمِيقِ الأَحـمـرِ
ولبستُ فيه من الصُّـنـى
عَرَضاً يَلازمُ جَوهـرِي

وقوله (٣)

روحٌ مَعناكَ جِسمُكَ لِفـِطـَـظٍ
وعلى كُلِّ صِوْرةٍ يَتَصَوَّرُ
فإذا ما مَقالُ غَيرِكَ أَضـحـى
عَرَضاً فَلِيكِ مَقالُكَ جَوهـرُ

وقوله (٤) :

محسوبةُ الحِسنِ لا تَنفَكُ في شَفَافٍ
فإنه عَرَضٌ في جَوهـرِ الحَسـوَرِ
لا تَأْمَنُ الرَّدَى من سِيفِ مَقتَلِها

وقوله في رثاء جوهرة (٥) :

عانقها المَوجُ ثم فارقـهـا
عن ضَمٍّ فاضَ رَوحـها فِـيـهـا
ويلى من المَـاءِ والتُّرابِ ومـن
أحكامِ ضِدِّينَ حُكِّما فِـيـهـا
أما تَها ذاكَ غَيرَها
كَيْفَ من المُنـصـرِّينَ أقدِـيـهـا

فابن حمد يسر ركز على بعض المماني والألفاظ الفلسفية نحو : الجوهر، والمرض، والضد، والعنصر . . .

وبصورة عامة يمكن القول إن التيار الفلسفي لم يكن واضحاً في شعر جميع شعراء إشبيلية، فقد ظل الشعراء يغمغمون في أفكارهم وممانيهم، فيمسون المعنى الفلسفي مستأثرياً دون سبر أغواره، والتعميق إلى جذوره ونظرياته .

- (١) ديوان ابن حمد بس ص ١٨٤ .
- (٢) المصدر نفسه ص ١٧٨ .
- (٣) المصدر نفسه ص ٢٠٤ .
- (٤) المصدر نفسه ص ٢٠٥ .
- (٥) المصدر نفسه ص ٥١٨ .

اتجاهات فنيّة

الاتجاه التقليدي

لقد جمع الشعر في إشبيلية بين المعاني ذات الطابع الحضاري الأندلسي والمعاني البدوية القديمة ، فقد تغنوا بالمعاني القديمة من كرم وشجاعة كقول الممتزج (١) :

من للشجاعة والكبرم إلا الظلوم المظلم
من لست تعدم عنده غير التبذل والمردم

وقوله (٢) :

ولا التقي ضيفي بغير بشاشة إذا فحمت الله معروفة عندي
وكقول ابن وهبون (٣) :

سأرقى بهاتي قصارى مراتبي وإن كان أدناها يطيل طلاهي
وقد كانت معانيهم الفزلية ساذجة بسيطة ، تميل إلى المجون والإسراف في أغلب الأحيان ، كقول الممتزج بن عبّاد (٤) :

نضت بردها عن غصنٍ بانٍ منمّم نصير كما انشقّ الكمام عن الزهر
وباتت تسقيني المدام بلحظها فمن كأسها حيناً وحيناً من الثمر

وقول ابن حصن (٥) :

فتساقينا إلى الـ... أن جاز جوز الليل عيني
قمت نشوان وقامت في تهاٍ وتشـ...ني

وهكذا إلى آخر المقطوعة ، التي نصف عن ذكرها هنا ، حيث أوردناها له ابن بسّام كاملة ، ومثلها مقطوعة ابن الأبار (٦) التي يقول فيها (٧)

(١) ديوان ابن زيدون ، تج . كامل كيلاني وخليفة ص ٣٧٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧١ .

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٩٨ .

(٤) ديوان الممتزج ص ١٢ .

(٥) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٧٣ ، المغرب ، ١ : ٢٤٦ .

(٦) ابن الأبار : ٥ وأبو جعفر أحمد بن محمد بن الأبار الخولاني ، من شعراء

إشبيلية كثير الشعر ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة . (الجذوة ص ١١٥) ،

بغية المتلسم ص ١٦٤ ، الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٣٥ - ١٥٨ ، المغرب ١ : ٢٥٣ ، وفيات

الأعيان ١ : ١٤١ - ١٤٢ ، الوافي بالوفيات ٨ : ١٣٧ .

(٧) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٥١ .

رُشاً رَاثَرَالِي سَهَامَ الْمَنَائِيَا من جفون يضي بهن القلوبا
قال لي : مَا تَرَى الرَّقِيبَ مَطْلَاً قلتُ ذَرُهُ أَتَى الْجَنَابَ الرَّحِيمَا
وقد تفنى الشعراء بصفات محبوباتهم المادية التي ظالما افتتن بها
الشعراء من قبلهم ، كقول المعتزض (١) :
غَزَالِيَّةُ الْمِينِينَ ، شَمْسِيَّةُ السَّنَا كَثِيبَةُ الرَّدْفِينَ ، غَضْنِيَّةُ الْقَدَا
وقول ابن عمار (٢) :
نَعَمِينَ كَمَا عَيْنَ الْمَهَا وَمَقْلَمُور كَمَا ارْتَاعَ حَضْبِي بِالْفَلَاةِ غَرِيبَا
وردف كما انهال القضيب وضربه وشاح كما غنى الحمام طروب
وشخر كمثل الأقحوان يشوبه لمى حسنات الصبر عنه ذهب

ويرسل ابن زيدون من إشبيلية إلى ولادة بنت المستكفي في قرطبة
بعض المقدمات الغزلية التي يفتح بها قصائد المديح ، ولكنها مقدمات
لا ترتقي إلى قصائده التي قالها قبل مجيئه إلى إشبيلية ، وتأثره ببيتها ،
فها هو يجمال مقدمة قصيدته الدالية في مدح المعتزض غزلا بولادة ،
فيتحدث عن الحب ، متمنيا أن تسعف الآمال المحب بلوغ هدفه ، منبهها
إلى صدد محبوبته عنه ، ويتحدث عن الرقبا والصيون ، بمن شوقه
إليها ، مناشدا إياها بعدم حرمانه من طيفها ، الذي كان يزوره فسي
الليل ، لأن فيه مواساة له من الأشجان التي تعتره (٣) :

لِلْحُبِّ فِي تِلْكَ الْقُبَايَا مَرَادُ لَوْ سَاعَفَ الْكَلَفَ الْمَشُوقَ مَرَادُ
لِيَفْرُ هَوَاكَ فَقَدْ أَجَدَّ حَمَايَا لِفَتَاةٍ نَجَدٍ فِتْيَةُ أَنْجَا
كَمْ ذَا التَّجَلُّدُ ؟ لَنْ يَسَاعِفَكَ الْهَوَى بِالْوَصْلِ إِلَّا أَنْ يَطُولَ حِيَالُ
أَعْقِيلَةِ السَّرْبِ الْمُبَاحِ لَوْرِدَهَا صَفْوُ الْهَوَى إِنْ حُلِّيَ الْوُورَادُ

(١) ديوان ابن زيدون ، تح كيلاني وخليفة ص ٣٧٢ ، الحلة السيرة

٢ : ٤٧ .

(٢) ديوان ابن عمار ص ٢٤٠ .

(٣) ديوان ابن زيدون ص ٤٤٧ - ٤٥٢ .

واللمصايد لم تنك بحيلة؟
 إن يمد عن سمرات جزعك ساصر
 فيما تفرق للمتميم بينهما
 أنا حين أطرق ليس يفتأ طارقي
 ينهى جفاؤك عن زيارتي الكرى
 إن الظباء لتدري فتصااد
 في كل مطلع لهم أرضا
 غلل فتى حر الفليل بؤرا
 شوق كما طرق السليم عدا
 كيلا يزور خيالك المقتدا

وبعد ان يعتذر إليها بهجرته عن قرطبة ، وبفتخر بمزيمته
 وقوته بقول (١) :

من مبلغ عني الأعبة إذ أبست
 لا بأس رب نودار جامع
 نكراهم أن يطمئن صها
 للشمل قد أدى إليه صها

فمعاني ابن زيدون في غزله الذي يكون في بداية قصائد المديح
 ليس فيه تجديد ، بحيث يتفهم بالمعاني التي طرقتها الشعراء المشاركة
 قبله ، فهو يبت شوقه وألمه ، ويذكر الوشاة ، ويتحدث عن صدها
 وهجراتها إياه . . .

وقد كانت عند بعض الشعراء تأملات فكرية عميقة ، فيها والمعتد
 ابن عباس يصدق ويتأمل حيث نعت غربان بجوار المكان الذي كان
 أسيرا فيه (٢) :

غربان أغما لا تعد من طيبة
 تظل دغب فراخ تستكن بهما
 لما نعتن لي بالفأل يحببني
 أن النجوم التي غابت قد اقتربت
 ماذا رمتك به الأيام يا كبردى
 أسرو عسرو ، ولا يسرو أو ملو
 من الليالي وأفنانا من الشجر
 من الحرور ، وتكفيها أدنى المطر
 مغبرات به عن أطيب الخبر
 منا مطالعها تسري إلى القمر
 من نبلهن ولا رام سوى القدر
 استغفر الله ، كم لله من نظير

(١) ديوان ابن زيدون ص ٤٥٢ .

(٢) ديوان المعتد ص ١٠٠ .

وبيهت الشُّمرَاءُ أحياناً الحكم والأمثال في قصائد هم ، وبخاصة تلك الأمثال التي تحي في أنصاف الأبيات ، وهي حكم وأمثال جاءت نتيجة الخبرة والتجربة من جهة والثقافة الواسعة من جهة أخرى ، فهذا ابن عمار يقول للممتد (١) :

ولا تلتفت رأي الوشاة وقولهم
فيقول الراضي (٢) :

من يوقظ الحرَّ لا يَنكرُ حوائِثها
ويقول (٣) :

لئن أتوكَ فمن جُبنٍ ومن خُسْمٍ
ويقول مرة أخرى (٤) :

لا غرو أن زات في وجلٍ عي مرورهم
وقال ابن حمديس (٥) :

أعن أرضكم يفنيكم أرض غيركم ؟
وكم خالة جداء لم تُغن عن أم
وتوشح المحاني الإسلامية كثيراً من قصائد الشُّمرَاءُ ، كقول المحتضد (٦) :

وحسبي في سبيل الله موت
يقول ابن المصيصي (٧) :

قد يدخل المسلم المخطي الجنان غداً
بنيتي أرتجي الففران لا عطفي
ويقول أبو الوليد الباجي (٨) :

-
- (١) ديوان ابن عمار ص ٣٢٠ .
 - (٢) الحلة السيرة ٢ : ٧٢ .
 - (٣) المصدر السابق ص ٧٢ .
 - (٤) الحلة السيرة ٢ : ٧١ .
 - (٥) ديوان ابن حمديس ص ٤١٧ .
 - (٦) ديوان ابن زيدون ، تح . كيلاني وخليفة ص ٣٧٦ .
 - (٧) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٣٨ .
 - (٨) المصدر السابق ص ١٠٢ .

فلئن بَرَزْتُ فَإِنَّ رَبِّي عَزَّازٌ وَلئن صَبَرْتُ فَإِنَّ صَبْرِي أَكْرَمُ
ويقول ابن حمد يس ما ذا المعتمد (١) :

جَاهَدْتُ فِي الرَّحْمَنِ حَقَّ جِهَادِهِ وَجَرَى الطُّوكُ كَمَا جَرَيْتَ فَقَصِّرُوا
ويلاحظ أن كثيراً من هذه المعاني الإسلامية ، تتردد في قصائدهم
وخاصة في المديح ، والرشا ، والفخر ، وهذا يدل على ثقافة واسعة
وقراءة واعية للقرآن ، واضطلاع على التراث الإسلامي ، وتعمق في هذا
المجال .

وقد أغرق بعض الشعراء في معانيهم البدوية ، كابن حصن ، وابن
حمد يس ، الذي أخلص الحديث في بعض قصائده ، للأطال ، فيها هو يجري
الدمع ، ويصف المالم الباهتة ، ويفتش عن آثار الأوبة بينها ، ثم يشتد
هيامه ، ويتمثل معاني الفناء ، ويتذكر الحب الذي ذهب في غير رجعة (٢) :

مَرَّيْهُمْ لِلْوَحْشِ أَضَحَّتْ مَرَاتِمَا فَقَفَّ صَابِرًا تُسَعِّدُ عَلَى الْحَزَنِ جَارِعَا
فمن مبلغ الغادين عَنَّا بِأَنَّنَا وَقَفْنَا وَأَجْرَيْنَا بِهِنَّ الْمَدَامَا
مَعَالِمُ أَضَحَّتْ مِنْ دُمَاهَا عَوَاطِلًا فَقُلْ فِي نَفْسِي قَدْ جَرَنَ الْمَطَامَا
وَقَيْنَا بِمِثَاقِ الْمُحُودِ لِرَبْمَهَا كَأَنَّ عَهْدَ الرَّيْعِ كَانَتْ شَرَائِمَا
وَمَا زِلْتُ أَجْرِي الدَّمْعَ مِنْ حُرْقِ الْأَسَى وَأَدْعُوهُ وَي الْأَحْبَابُ لَوْ كَانَ سَامَا
أَمَا تَرَبُّوعَ الدَّارِ فَقَدَانُ أَهْلَهَا فَأَبْصَرْتُ مِنْهَا الْآهَالَاتِ بِلَاقِعَمَا
كَأَنَّ عُدَاءَ الْعَيْسِ فِي السَّيْرِ نَعِيمَا وَقَدْ سَحَقِيَتْ سَمَا مِنَ الْبَيْنِ نَاقِعَمَا
أَدَارَ الْبَلَى وَلَّى الْمَيَّا عَنْكَ لَا يَأْ فَمَنْ لِي بِأَنْ أَلْقَى الصَّبَا فِيكَ رَاجِعَا
أَمَا وَلِبَانِي دَرَّ لِي أَسْحَمُ بِهِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِي بَوْدَيِّ مَرَاضِعَمَا
لَقَدْ دَخَلْتُ بِي مِنْكَ فِي الْحَزَنِ لَوْعَةً حُرِّمْتُ بِهَا مِنْ زِمَّةِ الصَّبْرِ رَاجِعَمَا
وغلاصة القول أن معظم المعاني التي رتّبها الشعراء في إشبيلية
في موضوعاتهم ، وأغراضهم الشعرية ، كانت ذات أصول مشرقية ، وأندلسية ،
وسيتضح هذا بشكل واضح عند الحديث عن موضوعات الشعر وأغراضه ،
وعن الاتباعية عند شعراء إشبيلية .

(١) ديوان ابن حمد يس ص ١٩٧ .

(٢) ديوان ابن حمد يس ص ٣١٢-٣١٣ .

لقد أثرت بيئة إشبيلية الجغرافية وحياتها الاجتماعية في معاني الشعراء وأفكارهم ، فطرق الشعراء بعض المعاني والتشبيهات التي لم يسبقهم إليها أحد فهذا أبو المرب الصقلي يدعو إلى ترك الحلم والتمتع بفترة الشباب ، وعدم التفكير بالهموم قائلا (١) :

أهجر رَشَادَكَ في وصلِ ابنةِ المَنَابِ ولا تعقنْ أمرَ اللّهُو والطَّربِ
متَّعْ شبابَكَ واستمتعْ بجدِّ تـــــــه فهو الحبيبُ إذا ما بانَ لم يَؤُوبِ
مَنْ حَنَّعَ اللّهُو في بدوِ الشَّبابِ طَوى كشحا على أسفٍ لم يخن في المحبِ
والحلم قيد فدعه وأخط في مــــرح والجِدُّ داءٌ فداو النَّفسَ باللَّحِبِ
والهمَّ للنفسِ شيطانٌ يوسوسُ هــــا فاقدفه من أنجمِ الصَّهباءِ بالشَّهَبِ

وها هي بيئة إشبيلية تؤثر في معاني ابن اللبانة حين يقول بعمد خلع المتمد (٢) :

بنفسي وأهلي حيرة ما استمكنتهم على الدَّهرِ إلّا وانثنت معانا
أراشوا جناحي ثم بلّوه بالنــــدى فلم استطعُ مِنْ هبّهم طيرانا

ويقول في إحدى موشحاته (٣) :

من لي بمدح بني عــــداد ومن يحميهم إحمــــاد
تلك الهبات بلا ميمــــاد عذرتُ من أجْلِها حســــاد
حكنتي الورقُ بين الورق راشو جناحي ثم طوقوا عُنقــــي

وبميل ابن المصيصي في بعض الأحيان إلى التوليد في معانيه وتشبيهاته كقوله في مدح المتمد (٤) :

(١) الخريدة ٢ : ٢٢٠ .

(٢) شعر ابن اللبانة ص ٩٧-٩٨ .

(٣) دار الطراز ص ٧٤ .

(٤) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٣٦ .

وكم له سُنَّةٌ ضَاءَ الزَّمانُ بهِـا ضوءاً بلا لهبٍ كالشمس في الطفلِ
تمطي الهواءَ وتمتِنَ الأرضَ غرَّتْهُ نوراً ونوراً عطاءَ الشمسِ في الحملِ

ويملق ابن بسام على البيت الثاني بقوله : " وهذا البيت لحسان من حسنات شعره ، وأبين آيات ذكره ، فيه توليد شبيه أنه شاعر مجيد" (١) .

ومثله ابن الطح حين يقول في مدح بني عباد (٢) :
لو كانت الشمس من خُدامٍ دَهَوْتِكم والعدل ما العدل لم ترح من الحملِ

ويملق ابن بسام على هذا البيت بقوله : " ولم اسمع بمثل هـ ذا البيت لمن سبق ، فان كان اتباعاً فما أحسن وأرق ، وإن يكن اختراعاً فما أولى وأخلق (٣) .

وتابع الشعراء في إشبيلية شعراء المشرق في وصفهم الخمر والساقى ، ولكنهم يبدعون في بعض الأحيان في معانيهم وتشبيهاتهم ، حتى أنها تكاد تكون جديدة ، كقول ابن حبيب (٤) :

إذا ما أدريت كؤوس الهـوى ففي شربها لست بالمؤتلي
مُدامٌ تُعتَقُ بالناظر يـمن وتلك تعتق بالاربعـمـل

ولا بد من الحديث عن الموشح في إشبيلية ، لأنه من أهم الموضوعات التي يمكن أن توضع في هذا الاتجاه ، ففيه يلاحظ التجديد في الشكل والموسيقى والثقافة . . . والموشح كلام منظوم على وزن مخصوص ، وهو يتألف في الأكثر من ستة أفعال وخمسة أبيات ، ويقال له التام ، وفصي الأقل من خمسة أفعال ، وخمسة أبيات ، ويقال له الأقرع ، فالتام ما ابتدئ فيه بالأفعال ، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات (٥) ، ومن التوشيح فمن أندلسي خالص ، نشأ في الأندلس ، وتطور هناك ، حتى بلغ الفايضة (٦) ،

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٣٧ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٦١ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٦٢ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٣٤ .

(٥) دار الأسرار ص ٣٢ .

(٦) مختارات من الشعر الأندلسي ص ٢٢١ .

يقول ابن سناء الطلك : " صار المغرب بها مشرقا لشرقها بأفقــــه
واشراقها في جوه " (١) . ويقول ابن خلدون : " وأما أهــــل
الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم ، وتهدبت مناحيه وفنونــــه ،
وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح (٢) .

وقد جعل الالبشيهي الموشح فنا قائما بذاته حين قال : " والفنون
السبعة المذكورة عند الناس ، هي الشعر القريض ، والموشح ، والدوبيب
والزجل ، والموالي ، والكان كان ، والقوما ، ومنهم من جعل الحماس
من السبعة وفي ذلك اختلاف " (٣) . وقال المحبي : " وزبدة القول
عنها ، انها لا ريب في كونها خارجة من الشعر ، لأنه يطلق على أبيات
كل من القصيد والرجز ، وإنما هي داخلة في النظم " (٤) . ويجانب
إبراهيم أنيس الصواب حين يقول بأن الموشحات قبل تلحينها لم
تكن إلا نوعا من الشعر المسمط (٥) لأن المسمطات عرفت في الشسر
قبل ظهور الموشح بزمان طويل (٦) .

واختلف المؤرخون في مخترع الموشح ، فقال صاحب الذخيرة :
" وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقا ، واخترع طريقتها - فيمــــا
بلخني - محمد بن حمود القبري الضري ، وكان يصنعها على أشطار
الأشعار ، غير أن أكثرها على الأعاريض المهلهة غير المستعملة ، يأخذ
اللفظ العامي والمجسم ، ويسميه المركز ، ويمنع عليه الموشحــــة
دون تسمين فيها ولا أغصان ، وقيل إن ابن عبد ربه ، صاحب كتاب العقد
أول من سبق الي هذا النوع من الموشحات عندنا ، ثم نشأ يوسف بن هارون
الرمادي ، فكان أول من أكثر فيها من المراكيز " (٧) . ويقول صاحب المسهب
: " إن مخترعها مقدم بن مفاي القبري من شعرا الأمير عبد الله بن محمد
المراوني " (٨) .

-
- (١) دار الطراز ص ٣٠
 - (٢) ابن خلدون ١ : ١١٣٧ .
 - (٣) المستطرف لالبشيهي ، الجزء الثاني ، الطبعة الاولى ، مطبعة التقدم
العلمية ، مصر ، ١٣٢٠ هـ ، ص ١٨١ .
 - (٤) خلاصة الاثر ص ١٠٨ .
 - (٥) موسيقى الشعر ص ٢٨٥ .
 - (٦) فن التوشيح ص ١٧ .
 - (٧) الذخيرة ١ م ١ ص ١ .
 - (٨) المقتطف ص ٤٧٧ ابن خلدون ١ : ١١٣٨ .

وقد وجد في إشبيلية عدد كبير من الوشاحين ، وبخاصة في عصر المرابطين ، يقول الشنقيدي : " إن ما فيها من الشعراء والوشاحين والرجالين ما لو قسموا على هرعدوة لفاق بهم " (١) ، ولكن كتب الادب والتاريخ لم تسعفنا في ذكر أسماء هؤلاء الوشاحين ، ولمسمع من بين هؤلاء اسم شاعر وافد إلى إشبيلية ، ومتشرب من حضارتهم ، وهذا الشاعر هو ابن اللبانة ، الذي قال عددا لا بأس به من الموشحات في إشبيلية ، ويمكن ان تعتبر موشحاته نموذجا لهذا الفن في إشبيلية وبخاصة في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري .

وقد أدرك لسان الدين بن الخطيب قيمة موشحات ابن اللبانة فقال : " راقى الفاظه ومعانيه . . . فجلا من التوشيح الرائق ما تليسى سورا واجتليت محاسنه سورا " (٢) .

أغراض موشحات ابن اللبانة وطريقة بنائها :

قال ابن سناء الملك : " والموشحات يعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر ، من الفزل والمدح ، والرثاء ، والهجو ، والمجون ، والزهد " (٣) . وقد طرق ابن اللبانة معظم هذه الأغراض ، فقال موشحات في المديح والفزل ، والرثاء ، والمجون ، وجل هذه الموشحات في مدح الممتد بسن عباد وابنه الرشيد ، حيث مدحهما بموشحات دلت على مهارته في هذا الفن . وقد يبدأ بمض موشحاته في هذا الفرض بالفزل والشكوى ، فهذا هو يبدأ موشحته " على عيون المعين " في مدح الممتد ، بالفزل ، حيث يصف عيون محبوبته ، ووجنتيها ، ورضايها ، مازجا بين صورة محبوبته ، وصورة الطبيعة الفتانة ، وبعد ذلك ينتقل إلى وصف صدها عنه ، وهجرانها إياه ، وعذابه لبعدها (٤) :

(١) النفح ٣ : ٢١٤ .

(٢) جيش التوشيح ص ٥٩ .

(٣) دار الطراز ص ٥١ .

(٤) جيش التوشيح ص ٥٩ - ٦١ ، دار الطراز ص ٦٨ - ٧٠ .

مَنْ شُفِفَ بِالْحَسَبِ
مَنْ أَسْفَ وَكَسْرِبِ
نَفْسَنَا كَأْسَ الرَّحِيْقِ
بِكُلِّ بَسْتَانٍ أَنْيَقِ
عَنْ سَوْسَنِ وَعَنْ شَقِيقِ

يَنْعَطِفُ كِي يُنْصَبِي
مَنْصَرَفِ عَنْ قَرْمِيسِي
مَنْ طَلَبَسِي ثَوْبَ الْمُسْنِي
فِيهِ بَصْرِي إِذْ رَنَسَا
ذَنْبَ فَضْنِ بِالْمُسْنِي

فِي سَدَفِ مِنْ نَحْبِي
فَاعِترَفِ بِالذَّنْبِ
قَبِيْتُ أَشْكُو مَا أَجْدُ
مَتُونَهَا بِي تَطْطَرِدُ
حَتَّى رَأَيْتُ الْمُعْتَمِدُ

وبعد هذا التغلُّص ، يبدأ بمدح المعتمد ، مضمناً عليه صفات الكرم
والشجاعة .

مَنْ سَلَفِ فَيْرُمِيسِي
مِنْ شَرَفِ فِي حَسْبِ
لَدُنَّ الْقَنَا عَضْبُ الْحَسَامِ
نَدَى الرِّيَاضِ بِالضَّمَامِ
آيَاتِ ذِكْرِ فِي الْإِنْسَامِ

إِنْ وَقَفَ فِي حَسْرَتِ
لَمْ يَكِفْ مِنْ رَعَبِ

عَلَى عِيُونِ الْعَيْنِ رَعَى الدَّرَارِي
وَاسْتَنْزَلَ الْقَذَابَ وَالتَّدْ حَالِيهِ
نَجَلَ الْعِيُونِ سَقَتِ
أَحْدَاقَهَا أَحْدَقَتِ
مَنْ وَجَنَتْ شُقُقَتِ

وَتَحْتَ نَوْرِ الْجَبِينِ أَسْرَعِ ذَارِ
بِأَنْ مَاءَ الرُّضَابِ هَامَ حَوَالِيهِ
لَا كَانَ يَوْمُ النَّسْوِ
أَلْوَى غَزَالِ اللَّسْوِ
وَطَبَّنَ أَنْ الْهَمْسْوِ

فَقَدْ أَصَارَ النَّهْنِ نَوْرَ اصْطِبَارِي
وَالْقَلْبَ خَوْفَ الْعَقَابِ رَجَا حَنَانِيهِ
شَرَّدَ عَنِي الْكُـسْرِي
وَالِي بِيَارِ تـسـرِي
وَمَا حَمِدْتُ السـسـرِي

رَأَيْتُ دُنْيَا وَدِينَ بِهِ نَهَارِي
وَدَلُّ مَنْ فِيهِ عَسَابِ يَلْقَى جَنَابِيهِ
مَوْئِدَ نَصْرِهِ
يَنْدِي بِهِ دَهْرِهِ
كَأَنَّمَا ذِكْرُهُ

حَالَاهُ شَدُّ وَلَسِينِ فَقُلْ حَذَارِ
وَقُلْ بِأَنْ السَّحَابِ لَوْ شَامَ كَفِّيهِ

وَيَنْتَقِلُ فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ إِلَى الْفُزْلِ مَرَّةً أُخْرَى ، حَيْثُ يَجْمَعُ السَّلَ
الْمُغْرَجَةُ عَلَى لِسَانِ الْمَحْبُوبِ قَائِلًا :

وطير حُسْنٍ نَسَزَلْ	بمتزلي عند الفسروب
حول شباك الحبيل	يلقط حبات القلوب
ما حلّ حتى رحل	فكان من شدّ والحبيب
لو رأيتُم مُّقتلين	ونزل بداري
لما رأى المحناب	سوى جناحيه
	وانصرف
	بجني
	بقلبي

وقد يبدأ ابن اللبانة موشحة المديح بوصف الخمر والسّاقى والمحبوب،
حيث يخلط هذه الأوصاف بالطبيعة ، نعوّله ما دحا الرشيد (١) :

كذا يقتاد	سنا الكوكب الوّاد	إلى الجلاس	شمشة الأكواس
أقم عذري		فقد آن أن أعكُف	
على خمر		يطوف بها أوطّف	
كما تدري		هضم الحشا مُّخَطَف	
إذا ماماد	في مخضرة الأبراد	رأيت الآس	بأوراقه قد ماس
من الأنس		ولن زاد في النور	
على الشّمس		وبدر الديجور	
له نفسي		وما نفس مهجور	
غزال صاد	ضرغامه الاساد	يلحظ جاس	خلال ديار الناس
ألا دعني		من الصّدّ والهجر	
وخذ مني		حد يثين في الفخر	
وقل إنسي		أحدث عن بهر	

(١) جيش التوشيح ص ٦١-٦٢ ، دار الطراز ص ٧٥-٧٦ .

فهو في هذا البيت يتخلص إلى مدح الرشيد ، حيث يمدحـه
بالشهرة ، والعظمة ، والفضل الواسع ، مشبها له بسنا الشمس والأخرين
بالنهراس ، حيث انه ملك الطوك ، فيقول (١) :

سطا وجاد	رشيد بني عبّاد	فأنسى الناس	رشيد بني الصّباس
جلا الأهلـاك	بنور الهدى مرآه	تريد سوى علمـاه	عبيد عبّاد اللـه
فما الأفلـاك	فجهلا قاس	سنا الشمس بالنهراس	
كذا الأملـاك	قياسك بالأمجاد		
فمن أراد	لك الفضل	وإتـك من الـه	
	رأى الكل	بكم نيل آمـاله	
	فما يخلـو	من يئـشـد في حاله	

بني عبّاد بكم نحن في أمياد وفي أعراس لاعد متمو للناس

وقد يبدأ ابن اللبانة موشحة المديح بعقيدة بدوية في كلماتها ومعانيها
إلا أنّ تنوع قوافيها ، واختلاف أوزانها يكسبها اتجاهات متعددة في المعاني
وموسيقاها ، فهي هويذكر المنزل الطاسم ، وحوامنة الدراج ، والخدند ،
والرقمتين . . . فيجوب الصحراء ، ويحث ناقته للإسراع في السير ، ويقلق لعدم
قرب صدو حه منه (٢) .

ملا عتساف البهد	إلا المهارى القود	ذرها تخـدـد
ياناقتي الكوما	جوبي على اسم الله	واطو البهاب
واستعطي الصوما	فليس من أمـواه	إلا السراب
لا تطمعي نوما	ما دام من أهـواه	ناثي القباب
لمثلها صيخـود	ذخرت من قيـفـود	لا تتشـد
من أسكن الظلفا	حوامنة الدراج	في الرقمتين
حتى انقضت حر فا	يوهي به الادلاج	عبل اليد ين
وعصت وصفـا	من جنح ليل داج	غصن اللجين

(١) جيش التوشيح ص ٦١-٦٢ ، دار الطراز ص ٧٥-٧٦ .

(٢) جيش التوشيح ص ٦٤-٦٥ .

ثم يتخلص إلى مدح الممتد قائلًا (١) :

فأثر الأملود	منه على التوريد	بدراً يقود
دع ذكرك الأيدي	والمنزل الطاسم	بدراً يقود
وامدح بني عباد	أعني أبا القاسم	محمداً
مويد الأجناد	ملك على الحاكم	محمداً
حاز الملا والجود	عن الجدود الصيد	والمعتضد
لا غرو أن ياري	في الجود والافضال	هوج الرياح
واقتاد جرارا	بجيشه إذ قال	قف لا هراج
ليث إذا سارا	في حومة الأبطال	يوم الكفاح
لم يفن ضرب الجيد	ما حاكه داوود	من السزود
قد أثنى الرخام	من ذكر مولانا	في العرمود
واحاكه النظام	درا ومرجانا	وجهود
يا حبداً الإلهام	منه وإن كانا	لم يشمود
النصر والتأييد	والمجد والتمهيد	للمعتضد

وكان لابن اللبانة بعض الموشحات في الفزل ، وبخاصة الفزل بالمذكر
فها هو يتفزل بصبي اسمه أحمد ، حيث يصف محاسنه وجماله ، بأسلوب
عذب ، وعبارات رقيقة ، وموسيقى مطربة (٢) :

من أودع الأجفان	صوارم الهنود
وأثبت الریحان	في صفحة الخد
قضى على الهيمان	بالدمع والسهد
أنسى وللكتمان	

(١) جيش التوشيح ص ٦٤-٦٥ .

(٢) دار الطراز ص ٧٦-٧٨ .

للهايم المضمـم بدمع نسـم وإن يسجـم بما يكسـم
من السـر في عاطل حال غريب ساطـ على بالدفع
يا أبـي أحمـر كالبدـر في السـم
يفتر عن جوهـر مستعذب اللثـم
وخذ هـ الأزمـر يدعى من الوهـم
فكيف أن أعـذر

وقد سرى أرقـم على عذـم فلا يلثم وقد حـم
من السحـر قتل أبطال مع الأنباط جيش من الزنج
أجز للنـور كما حب الطـور
كبد رـد يجـور في قد خـزور
كفصن بمـلور في رـعص كافور

بنفس مهجـور

أفدى وإن يتـم ففي مخـم ثـيا فـم وقد نظـم
من السـر راحي وسلسالي على أسماط عطرية الفـج
الحسن موقوف عليك يا أحمـد
والأمر مصروف وإليك يا أغـيد
عبدك مشفـوف فيك ومستقبـد
أمـك تمنـف

أومـك أن ترحمـم وأن تحرم حـنا مضمـم إذا يسقم
فوا أسري في بحر أوجالي بعيد الشاطي أمـك بالموج

وينهي ابن اللبانة هذه الموشحة بيت يتفضل فيه بمحبوبته ، حيث
تكون الخرجة ما جنة على لسانها :

وغادة تـهـدو كالبدر في السـمـد
أمالها النـهـد في غُصْنِ رَئـسـد
أوراقها السـبـر أينع بالسـمـد
باتت وهي تشـدو

حميمي أعزيم وقم واهجم وقبّل فـمـم وحي وانضم
والى صدري وقم بخلخالـي إلى أقراطـي قد اشتغل زوجي

ومن موشحاته الفزلية موشحته التي بدأها بقوله (١) :

شاهدي في الحب من حرمني أدمع كالجمر تنـذرف ...

ولا بن اللبانة موشحة في رثاء دولة بني عبّاد ، والتحسر على أيامهم ،
والبكاء على فراقهم ، فقد أخذ يصف حالته بعدهم ، متضمنا من اللـمـه
أن يعيدهم كما كانوا ، ولكنه تمنى الإنسان الذي يدرك بانهم لن يعودوا ،
لذلك يأخذ في الحديث عن مآثرهم ، وصفاتهم الحسنة ، ملزجا لموصفه
بالدم ، محزنا للطبيعة على فقدهم (٢) :

طلّ النجيم وفلّ الأسر غرب صهند وكان من بثّضاه الدهر وما تقلد

صبرا على ما نقصناه اللـه حطّ المؤيد من عليهاه
وعطل الملك من مـرآه أقول شوقا إلى لقيـاه

آن الطلوع فلم يابدر بالجو أربد وعد بشارقة يافجر فالخود أحمد

ياسائلي عن بني عبّاد حدا بهم في ذكرهم حساد
فالبيت بهت بلاعصـاد ومالنا بعدهم من هـاد

(١) توشيع التوشيع ، الصفدي ، تح . البيهقي مطلق ، الطبعة الأولى ،
دار الثقافة ، ١٩٦٦ م ، ص ١٣١ .

(٢) جيش التوشيع ص ٧١-٧٢ .

فلي دموع عليهم حمر تنهل سرمد وطّي ماضٍ مني الصدر جمر توقد
 أين المؤيد قطب المجد ؟ أين المؤيد والمعتد ؟
 أين اللذان ما في اللحد ؟ أين القراة زين العقد ؟
 ولّى الجميع وولّى الصبر فليس يوجد من ذا ولا ذاك ولا ذاك
 أفد بهم من أنجاد محض تفرقوا بعضهم عن بعض
 وصار ما أهرموه للنقض كانوا إذا ما مشوا في الأرض
 أحيا الربيع وجاء الزهر فيها منضد وسال فوق رهاه بحر من دون عسجد
 جيش كريم محاه الدهر أبكيهم ما ترلخ العسر
 قصر مشيد وروض نضر وربما قال فيه الشمر
 بكى البديع وناح القصر على المؤيد ولم يبق سرور يأسر بعد محمد
 ويخصم ابن اللبانة البيتتين الأولين في كثير من موشحات المدح
 لوصف محبوبته ، أو وصف الخمر ، أو الاثنين مما ، وقد تكون مقدمة موشحة
 المدح وصفا لحالته ورحلته . . أي للفرض غير الرئيسي ويتخلص في البيت
 الثالث تخلصا فيه الحذق واللباقة - إلى المدح ، ويفرد البيت الرابع
 والخامس للمديح أحيانا ، وقد يخصم البيت الرابع فقط للمديح ، ثم يخصم
 الموشح بالبيت الخامس والخروج بالفضل . . .
 فقد بدأ الموشح الأول " على عيون المين " بالفضل حيث خصص
 بيتين لذلك ، وفي البيت الثالث تخلص إلى المدح ، وأغرد البيت الرابع
 لمدح المعتقد ، وجعل البيت الخامس للفضل ، وهذا جائز في الموشحات ،
 ومثله الموشح الذي قاله في مدح المعتقد وأنهاه بقوله (١) :
 ربّ لعل الشفتين عانقتني بعد بين فحكينا الفردين ودعونا مخلصين
 عاشقين اعتنقا ربّ لا تفرقا

وفي موشحته " كذا يقتاد . . " خصص البيتين الأولين لوصف الخمر ومحبوبته ، وتخلص في البيت الثالث إلى المديح ، وأفرد البيتين الرابعين والخامس لمدح الرشيد .

وفي موشحات الفزل يقتصر على هذا الفرض فقط ، ولا يتمدداه إلى أغراض أخرى ، حيث يصف المحبوب ومحاسنه ، ويتفنى بجماله ، ويصف وجده ، وقد يخلط في الموشحة الواحدة بين الفزل بالمذكر ، والفزل بالموث كما في موشحته " من أودع الأجفان . . " فقد كان غرضها الرئيسي التفضل بسلام اسمه احمد ، ولكنه أنهى الموشحة بالفزل بفتاة ، حيث لم يتورع في موهنه من ذكر الالفاظ البذيئة .

أما في الرثاء فانه يجعل الموشمة من أولها إلى آخرها في الغدب والبكا ، ولا يخلط بها أغراضاً أخرى .

تركيب القفل والبيت في موشحات ابن اللبانة :

الأقوال هي أجزاء مؤلفة ، يلزم أن يكون كل قفل منها متفقاً مع بقيتها ، في وزنها وقوافيها وعدد أجزائها (١) ، والأبيات هي أجزاء مؤلفة مفردة أو مركبة ، يلزم في كل بيت منها ان يكون متفقاً مع بقية أبيات الموشح في وزنها وعدد اجزائها ، لا في قوافيها ، بل يحسن ان تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر (٢) ، ولا يحيد ابن اللبانة عن هذه القواعد التي يذكرها ابن سناء الملك ، ولا غروفي ذلك فقد اعتمد ابن سناء الملك في بعض الأحيان على موشحات ابن اللبانة لضرب امثلة على تركيب الأقوال والأبيات ، وهذا مثال من موشحات ابن اللبانة يوضح هذا القول (٣) :

هلاً عذولي قد خلعت المذار لا اعتذار عن ظبا الأئس وشرب الحمار

ما الميش إلا حبّ ظبي أنيس
مهفها أحوى وحث الكوس
من قهوة تحكي شماع الشموس

(١) دار الطراز ص ٣٣

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣ .

(٣) جيش التوشيح ص ٧٠ .

كأنها في كأسها وإن تدار شحلة نار يقتلها الإبريق قبل السوار
 شيثان قلبي فيهما ذو غبـرام
 القول بالفيد وشرب المـدام
 فلست أصفي فيهما للـسـوام

فالقفل الأول ، وهو المطلع ، قافيته الراء ، وتتفق قافية جميع الأقفال
 حيث تنتهي بقافية واحدة ، والقفل الأول مركب من ثلاثة أجزاء ، كذلك
 القفل الثاني مركب من نفس العدد من الأجزاء ، كذلك في بقية الأقفال
 أما بالنسبة للبيت الأول في هذا الموشح ، فإنه يتكون من ثلاثة أجزاء ، والبيت
 الثاني مكون من نفس العدد من الأجزاء ، وكذلك في بقية البيئات ،
 وأوزانها متفقة في جميع الموشح ، ولكن القافية في الأبيات قد تختلف
 من بيت إلى بيت ، فقافية البيت الأول في هذا الموشح هي السين ، بينما
 قافية البيت الثاني الميم . . . ويمكن العودة إلى موشحات ابن اللبانة
 السابقة ، وروية هذا بشكل واضح ، فالأقفال في كل موشح متشابهة القافية
 وعدد الأجزاء والأوزان ، بينما الأبيات في كل موشح متفقة في عدد أجزائها ،
 وفي أوزانها دائما ، مختلفة في قوافيها في أكثر الأحيان .

وأقل ما يتركب القفل من جزأين فصاعداً إلى ثمانية أجزاء ، وقد يوجد
 في النادر ما قفله تسعة أجزاء ، وعشرة أجزاء . . وأقل ما يكون البيت ثلاثة
 أجزاء ، وقد يكون في النادر من جزأين ، وقد يكون من ثلاثة أجزاء ونصف
 وهذا لا يكون إلا فيما أجزاءه مركبة ، وأكثر ما يكون خمسة أجزاء (١) .
 وتنسحب معظم هذه الصفات على موشحات ابن اللبانة ، فقد يكون القفل
 في بعض موشحاته مركباً من ثمانية أجزاء كقوله (٢) :

على عيون الممين	رعى الدارري	من شغف	بالحسب
واستعذب العذاب	والتد حاله	من أسف	وكسرب

وكقولاه (٣) :

(١) دار الطراز ص ٣٣-٣٤ .

(٢) جيش التوشيح ص ٥٩ ، دار الطراز ص ٦٨ .

(٣) دار الطراز ص ٧٦-٧٧ .

المهام المفرد بدمع نسم إذ يسجسم بما يكتم
من السر في عاقل حال غير ساط علي بالدعج

فالقفل الأول مركب من ثمانية أجزاء ، كذلك القفل الثاني ، ولكن القفل الأول اشتمل على أربعة أجزاء تنتهي بقافية الباء ، والأجزاء الأربعة الأخرى تنتهي بقافية ماثلة ، بينما في القفل الثاني ، يلاحظ أن الأجزاء الأربعة الأولى تنتهي بقافية الميم ، وهي مختلفة عن الأجزاء الثانية المستتية تنتهي بقافية الجيم .

وقد يكون القفل مركباً من ستة أجزاء كقوله (١) :

هم بالخيسال ودن بالوجد وميت الأدمع
أثر الركاب فحال البعد حال التفجّع

أو من خمسة أجزاء كقوله (٢) :

طل النجيع وقل الأسر غرب مهتد وكان من منتضاه الدهر وما تقلد

أو من أربعة أجزاء كقوله (٣) :

كذا يقتاد سناء الكوكب الوقاد إلى الجلاس مشعشعة الكواس

أو من ثلاثة أجزاء كقوله (٤) :

كم ذا يورقني ذو حدق مرضى صحاح لا يلين بالأرق

أو من جزأين كقوله (٥) :

في الكأس والمهسم المبرود أنس المميسر

(١) جيش التوشيح ص ٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧١ .

(٣) جيش التوشيح ص ٦١ ، دار الطراز ص ٧٥ .

(٤) دار الطراز ص ٧٣ .

(٥) جيش التوشيح ص ٦٥ .

هذا بالنسبة لتركيب الاقوال ، أما بالنسبة للأبيات فيلاحظ أن البيت
يتركب أحيانا من أربعة أجزاء مفردة كقوله (١) :

قد باح دمي بما أكتمه وحن قلبي لمن يظلمه
رشأ تمرن في لا فسه كم بالمني أبدأ الشمس
وقد يكون البيت مركبا من فقرتين ، وثلاثة أجزاء كقوله (٢) :

أقم عـــــــذري فقد آن أن أعكس
على خمـــــــر يطوف بها أوطس
كما تـــــــدري مضيم الحشا مخطف

أو من ثلاثة أجزاء ونصف نحو (٣) :

الحسن موقـــــــوف عليك يا أحسن
والأمر مـــــــرور إليك يا أغنى
عبدك مشفـــــــوف فيك ومستعبد

أمنك تعنيــــــــف

الخرجة :

والخرجة عبارة عن القفل الأخير من الموشح ، والشرط فيها " أن تكون
جاءية من قبل السخف ، تزمانية من قبل اللحن ، حارة محرفنة ،
حادة منضجة ، من الفاظ العامة ، ولفات الداسة " (٤) ، وقد
تكون الخرجة عجمية اللفظ ، بشرط أن يكون لفظها أيضا في العجمي
سفسافا نغظيا ورماديا زطيا (٥) .

(١) دار الطراز ص ٧٣ .

(٢) جيش التوشيح ص ٦١ ، دار الطراز ص ٧٥ .

(٣) دار الطراز ص ٧٧ - ٧٨ .

(٤) دار الطراز ص ٤٠ .

(٥) المصدر السابق ص ٤٣ .

وقد تحتوي الخرجة في موشحات ابن اللبانة على بعض الألفاظ الحامية
كقوله (١) :

الله زانك بالأسر زين كل عسكر قد خرجت ياشاطر في الحرب ظافر
وكقوله (٢) :

وغادة تشكـــــــــــــــــو بهاد الخليل
غدوها تهكـــــــــــــــــي بهو الرهـــــــــــــــــيل
بصفه البحر وظلــــــــــــــــت تقــــــــــــــــول

أمار الفرار وليشرد صار

وقد يذكر في موشحات المديح والرثاء اسم المدح ، أو المرثي في الخرجة ،
كقوله في رثاء دولة بني عباد (٣) :

بكي البديع وناح القصر على المؤيد ولم يبق سرور بأسر بهد محمد
وقوله في مدح المعتمد (٤) :

النصر والتأيــــــــــــــــيد والمجد والتمهــــــــــــــــيد للمعتمــــــــــــــــد
وقوله (٥) :

لم يمش على الصــــــــــــــــيــــــــــــــــد مثل الرشــــــــــــــــيــــــــــــــــد

وقد تكون الخرجة عند ابن اللبانة على لسان محبوبته كقوله (٥) :

وطير حسن نســــــــــــــــزل	بعتري عند الفــــــــــــــــروب
حول شباك الحــــــــــــــــيل	يلقط حببات القــــــــــــــــلوب
ما حل حتى رحــــــــــــــــل	فكان من شدو الحــــــــــــــــبيب

(١) جيش التوشيح ص ٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧١ .

(٤) المصدر نفسه ص ٦٥ .

(٥) المصدر نفسه ص ٦٦ .

(٦) المصدر نفسه ص ٦٧ .

لورأيتهم مقلتين نزل بداري ووقف بجنسبي
لما رأى المحناب سوى جناحيه وانصرف بقلسبي
ومعظم موشحات ابن اللبانة تأمة ، فالموشح عنده يبدأ بقفل
وينتهي بقفل ، وعدد الأقفال في الموشح التام عنده ستة أقفال ، وعدد
الأميات خمسة أبيات ويوجد له موشح أقرع ، هو " من أودع الأجنان . . . " .
حيث بدأ الموشح بالبيت التالي (١) :

من أودع الأجنان صوارم الهند
وأنت الرميحان في صفحة الخد
قضى على الهيمان بالدمع والسهم
أنى وللكنسان

لذلك جاء عدد الأقفال مساوياً لعدد الأميات ، أي أنه احتوى على خمسة
أقفال ، وخمسة أبيات .

من هنا يلاحظ أن ابن اللبانة من أهم الوشاحين الذين عرفوا في
أواخر القرن الخامس الهجري ، فقد ساهم في ترسيخ هذا الفن الأندلسي
بموشحاته الكثيرة ، التي امتازت برقة أوزانها ، واختيار كلماتها ، وعذوبة
موسيقاها ، وقد يكون ابن اللبانة معذورا في موشحته " مالا عتساف الهيد " .
التي مدح بها الممتمد ، وكأنه يريد إثبات مقدرة اللغوية ، وموهبته
الشعرية ، في بداية لقاءه بالممتمد ، لذلك مال إلى الأسلوب البدوي القديم ،
وبالرغم من ذلك فقد بقي وزنها مطربا راقصا ، ساعد على ذلك تنوع القوافي في
الموشح .

شعر الصّراع العسكري والسياسي
أ- بين آل عبّاد والعمالك البربرية والمربية المجاورة

شارك الشّعراء ملوك بني عبّاد في وصف المعارك التي خاضوها
هو ولاء الطوك مع أعدائهم من البربر وغيرهم ممن يتأخمون حدودهم . وقد
كانت للمعتضد حروب كثيرة مع البربر ، ولهذا أخذ الشّعراء يحثونه
على قتلهم وملاحقتهم ، فهذا ابن عمّار يقول للمعتضد (١) :

شغيت بسيفك أمة لم تعتقد
إلا اليهود وإن تسمت برؤسرا
أثرت رضحك من رؤوس كاتبيهم
لما رأيت القُصن يمشقُ منسرا
وصيقت درعك من دماء ملوكهم
لما علمت الحشن يلبسُ أخمسرا

ولما ضيق المعتضد على ابن عبد الله بقرمونة ، وسد مسالكه ،
استدعى الأخير باديس بن حبوس واستصرخه ، فلما وصل باديس إلى قرمونة
أخرج إليه المعتضد جيشه بقيادة ابنه الظافر ، فهزمهم وفرق شملهم (٢) ،
فقال ابن عمّار في ذلك قصيدة بدأها بمدح المعتضد ووصفه بالشجاعة
والقوة ، ثم أشاد بحسن تربيته لابنه الظافر الذي جنى الانتصارات
وهزم الأعداء (٣) :

وجندته كحوى الطوك محاربا
فوافاك يقاتل الطوك من الجنود
وربّ ظلام سار فيه إلى الحدى
ولا نجم إلا ما تطلع من غمود
وأخذ بعد ذلك برسم صورة واضحة لعملية تقدم الظافر وجيشه
إلى قرمونة بقوله (٤) :

أطل على قرمونة متلججا
مع الصبح حتى قيل كانا على وعود
فأرطمها بالسيف ثم أعارها
من النار أثواب الحديد على الفقد
فيا حسن ذاك السيف في راحة الندى
ويا برد تلك النار في كبد المجرد
لأن الله إن كانت عهاتك بعضها
لبعض فكل منهم جميعاً إلى فسرر

(١) ديوان ابن عمّار ص ١٩٣ .

(٢) قلائد الحقيان ص ٨٧ .

(٣ - ٤) ديوان ابن عمّار ص ١٩٧ .

ولا شك أن هذا الوصف يدل على حذق الشاعر، ودقة خياله، وحسن تصويره، فالظافر أطل على قرمونة مع بزوغ الفجر، وكأنه علمى موعد معه، وحين دخل المدينة أعمل السيف في رقاب أعدائه، وأحرق المدينة، وتركها خراباً، حيث أعلنت الحداد على القتل من جند هـا وأهلها .

ثم أخذ الشاعر في التشغيس بما حل بالبربر من القتل والضرب حيث يتحتمس لقتلهم وأعمال السيف في رقابهم، فيقول في ابن اسحق البرزالي حاكم قرمونة وباديس بن حبوس حاكم غرناطة (١) :

يهوداً وكانت بربراً فانقضَّ الظُّبى وأنبتهم منها بألسنة لسان
أقول وقد نادى ابن اسحق قومه لا أرضك يرتادُ المنية من بصير
لقد نهجت نهج السبيل إلى الردى فلجأ دنت من قابة الأسد السريد
كأنني بباديس وقد حطَّ رعلهُ إلى الفرس الطَّاوِي عَنِ الفرس النهد
إلى الفرس الجاري به طلق الردى سريعاً غنياً عن لجام وعن لبد
يحن إلى غرناطة فوق مثنوه كما حن مقصوص الجناح إلى الورى
ثم ينتقل إلى مدح المعتضد وتهنئته بالنصر قائلا (٢) :

ظفرت بهم فارنج وأومض كؤوسها بروقا لها من عودها ضجة الرعد
معتقة أهدت إلى الورى لونها وجادت برباها على المنبر الورى
فأكثر ما يلهمك عن كأسها الوغى وعن نغمات العود نغمة مُستجدي
ولا عجب إن لم يدن بك صارق فليس جمال الشمس في الأعين الرمد
هنيئاً بذكر في الفتوح تكحتها وما قبضت غير المنية في النقيد
تحلَّت من السيف الخضيب بصفحة وقامت من الرمح الطويل على قنيد

فالحرب تلهمي المعتضد عن شرب السراج، وصوت البائس الفقير يلهميه عن نغمات العود، فهو ملك جائع يعمل ما فيه الخير للأسنة .

وها هو ابن عمار يعود مرة أخرى ليدح المعتضد ويذكر انتصاره
على الأعداء في معركة استعمل فيها الفكر
والقوة (١) :

وَأَنْصَفْتَ يَنْكَ يَمَنْ كَفَسَرُ	وَفَيْتَ لِرَبِّكَ فِيمَنْ غَسَدَرُ
نَ مَرَّ الْحِفَاطِ بِحُلُوِّ الظَّفَسَرُ	وَقُمْتَ تَطَالِبُ فِي النَّكَثِ
بِأَطْلَمْتَ رَأَيْكَ فِيهَا قَمَسَرُ	بِمَاطِلَقٍ مِنْ لِيَالِي الْحَسَرُ
لِ حَتَّى تَقْدَمَ جَيْشُ الْفِكْسَرُ	وَلَمْ تَتَقَدَّمْ بِجَيْشِ الرَّجَسَا
لِ فِيمَنْ غَرَسَ تَدْبِيرُ ذَاكَ الشَّجَرُ	فَإِنْ يَجْنُكَ الْفَتْحُ ذَاكَ الْأَصْبَا
تَ تَقُومُ مِنْ خَدَّهَا مَا صَقَسَرُ	تَعَالَى الْخَوَارِجُ حَتَّى بَرَزَ
يَ دَهْمُ الْفَوَارِسِ بِيضُ الْفُسَرُ	وَأَقْبَلَتْهَا الْخَيْلُ حُمُرُ الْبَنُو
سِ وَفَاضَتْ نَفُوسُهُمْ كَالزَّهْسَرُ	وَدَارَتْ دُمَاؤُهُمْ كَالْكُوسُ
وَعَرَبَتْ رَمْحُكَ حَتَّى انْكَسَرُ	فَعَاقَرَتْ سَيْفُكَ حَتَّى انْحَسَرُ

وعندما زار المعتضد بعض أمراء الأقاليم المجاورة فلم يستطع أحوالها ، ويقنع أصحابها بالانضمام إليه ، وصل إلى ابن قرّة أمير رندة ، وحين ذاك فُكر ابن قرّة في اغتيال المعتضد وهو في ضيافته ، ولكن الأمير معاذ بن قرّة قبّح ذلك واعتبره غدرا واستطاع اقناع ابن قرّة بعدم الإقدام على فعلته . وعرف المعتضد المؤامرة ، فتظاهر بأنه لم يعلم شيئا ، واحتال حتى هاد إلى إهليلجية ، وبعد بضعة أشهر استضاف ابن نوح ، وابن قرّة ، وابن خزرون ، فوفدوا عليه مع أتباعهم من الأمراء والعظماء ، فأقام لهم الولائم الفاخرة ، ثم أعد لهم حماما ، وبينما هم ينعمون فيه أوصد بهمهم عليهم ورفع درجة حرارته حتى ماتوا جميعا ، واستثنى من الاغتيال معاذ بن قرّة . فقال ابن زيدون في هذه الحادثة قصيدة ممدوح

(١) ديوان ابن عمار ص ٢٠٠ .

ففيها المعتضد ، ووبّخ الأعداء ، وتشقّى بهم ، فبدأ أبياته بالقسم
بحياتهم تهكّما بهم وسخرية منهم قائلاً (١) :

لعمركم العدا المستنجية بزعهم إلى غرة ، كانت لها الشمس تكسف
لكالوك صاع الفدر لوم سجيبة وكيل لهم صاع الجزاء المطفف
لقد حاولوا العظمى التي لا شوى لها فأجلهم عقد من الهم محصف
ولما رأيت الفدر هب نسيمة تلقاه أعصار لهبشك حر جف
أظنّ الأعادي أن حرّمك نائم ؟ لقد تعدّ الحسل الظنون فتخلف
دواعي نفاق أنذرتك بأنّه سيشرى ويدوى المصون من حيث يشاف

فهم استدرجوا المعتضد لياخذوه على حين غرة ، فدبروا مؤامرة يكسب
الشمس يدركها الكسوف من هولها . . وهم قد كالوا له صاعاً وافياً من
الفدر اللئيم ، فجازاهم جزاء رادعاً ، ولكنّه أقلّ مما يستحقّون ، فعندما
دبروا أمراً عظيماً يصيب المقتل في الصميم ، بادروهم من المعتضد
تدبير محكم ، واستأصلهم قبل أن يستأصلوه ، فبادراهم لفدرهم قابلهم باعنف
منه ، فلا يظنّ الأعداء أن عزمه غافل أبداً ، فالأحقّ كثيراً ما ينخدع
بخيالاته وأحلامه .

ويتحمّس ابن حصن لهذه الحادثة قائلاً (٢) :

به دمّر الله دمر وانطوى بنو يقرن أعدى الأعادي وأمرق
ومن آل برنيان أنكت أمية لمهد وميثاق وأغوى وأفسق
ثلاثة رهط بدّ الله شملهم أثافي كانوا للفساد ففرقوا
وصيرهم قبل انقضاء حد ينهم حد يثا به ظهر الجد الق يخرق
وكلّ غدا رهناً بما كان عاملاً وكلّ على ما خيلت سوف يفلق
هم مردوا الحوض الذي عنه ذنبتهم ووارد ذاك الماء لا بدّ يملق
هم نقضوا ميثاق عهدك عنوةً فأوثقهم في ريق الأسر موثق
هم أنضجوا ذاك الشواء فرموا وهم طبخوا ذاك القديد فأزقوا

(١) ديوان ابن زيدون ص ٤٩١ - ٤٩٢ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٧٩ .

ويبدو ابن زيدون أكثر حماساً حين يسجل في قصيدة دالية انتصار
المعتضد على المظفر بن الأفطس سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ،
حيث بدأ القصيدة بالافتخار بالنصر ، ووصفه بأنه نصر من عند
الله (١) :

لِيَهِنَ الْهَدَىٰ وَإِنجَاحُ سَمِيكَ فِي الْمِدَا وَأَنْ رَّاحَ صُنْعُ اللَّهِ نَحْوَكَ وَاعْتَدَى
وَنَهَجُكَ سَبِيلَ الرُّشْدِ فِي قَمْعٍ مِنْ غَسَوَى وَعَدْلُكَ فِي اسْتِثْصَالِ مَنْ جَارَ وَاعْتَدَى
وَأَنْ بَاتَ مَنْ وَالَاكَ فِي تَشْوَةِ الْفَيْتَى وَأَصْبَحَ مَنْ عَادَاكَ فِي غَمْرَةِ السَّرْدَى

فالشاعر يصف المعتضد بالتدين والتقوى ، فقد سلك في خدمة الديين
الرَّشَاد لتأديب الأعداء ، والتزم العدالة في القضاء عليهم . فهو شجاع
قوي ذو بأس شديد . وبعد ذلك يأخذ في الحديث عن الجانسيب
الثاني في المعركة ، فيتحدث عن أعداء المعتضد وغرورهم بقوتهم
ولكنهم فروا أمام المعتضد كالنعام ، متمنين أن يطول ليلهم ، للهروب
تحت جنحة البهيم ، فهم يخشون انبلاج الصباح لتوقعهم أن يؤسروا
أو يقتلوا ، ثم يشير إلى المزم بن اسحق بن عبد الله أمير قرمونة السدي
أرسله والده على رأس جيش لنجدة المظفر ، حيث قتل في المعركة وحُز
رأسه ، فالمظفر قد تخلّى عن ابن خليفه وتركه معقراً في ميدان القتال ،
فبعد استنجاد ابن الأفطس بهذا الحليف ، أغواه حتى أورد به الهلاك
، ثم تخلّى عنه وتبرأ منه ، فأصبح اسحق أمير قرمونة يندب ابنه
ويبكيه كما يبكي لبدي على أخيه أريد (٢) :

رَأَى أَنَّهُ أَضْحَى زَبْرًا مُصَمَّمًا فَلَمْ يَعُدْ أَنَّ أُمْسَى ظَلِيمًا مُشَوَّداً
يُودُّ - إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ - أَنَّهُ أَقَامَ عَلَيْهِمْ آيْفَ الدَّوْرِ - سَرْمَدًا
يُحَادِرُ أَنْ يُلْتَنَى قَتِيلًا مَمْفُورًا - إِذَا الصُّبْحُ وَافَى - أَوْ أُسِيرًا مَقِيدًا
لِبَيْتِ الْوَفَاءِ اسْتَنَى فِي ابْنِ عَقِيدِهِ عَشِيَّةً لَمْ يُصِدِّرْهُ مِنْ حَيْثُ أُورِدَا
قَرِينٌ لَهُ أَغْوَاهُ ، حَتَّى إِذَا هَسَوَى تَبْرًا ، يَحْتَدِ الْبِرَاءَةَ أُرْشَدًا
فَأَصْبَحَ يَبْكِيهِ الْمَصَابُ بِتُكْلِهِ بِكَاءٍ لِبَيْدٍ فَارَقَ أَرْبَدًا

(١) ديوان ابن زيدون ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

(*) أريد : أخ لبدي من أمه وهو الذي رثاه لبدي بقوله :
بَلِينَا وَمَا تَبْلَى النُّجُومُ الطَّوَالِجُ وَتَبْقَى الْجِبَالُ بِمَدَنَاتِهَا وَالْمَصَانِعُ
(شرح ديوان لبدي ، د. الدكتور إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ ، ص ١٦٨ ،

(٢) ديوان ابن زيدون ص ٤٧٣ - ٤٧٤ .

ثم يأخذ في الحديث عن إسماعيل بن الممتزد وشجاعته وشجاعة جيشه، فهو يقذف أعداءه بفرسان أشداء من قبيلتي صنهاجة وزنانة أزواجاً وأحادي كما تقذف الشهب الشياطين، وفرسان قبيلتي صنهاجة وزنانة هم الانصار الذين يخلصون لإسماعيل مودتهم، ففيهم كل رجل كامل قوي كليل بأن يحاول وحده هزيمة جيش بكامله، فإسماعيل (١) :

بمثل نجوم القذف - مثنى وموحداً	يراجم من صنهاجة وزنانة
إذا امتاز مصفي الود من تودداً	هم الأولياء المانحوك صفاءهم
كليل بأن يستهزم الجمع مفرداً	لهم كل ميمون النقيض بآزلاً
ويروضك في النادي إذا اعتموارتدي	يسرك في الهيجا إذا جرت لامة
فما زال منصور اللواء مؤيداً	هم إذا حاربنا فرفع لواءه
يصهوه طيار إلى الرقع أجرداً	ويأنف من لين السهاير تعوضاً

ويركز ابن الممل على وصف حرب الممتزد مع صاحب سبته، فيصفه بالشجاعة والجرأة، ويتحدث عن نوع المعركة فيبين أنها معركة بحريسة، تشترك فيها السفن الكبيرة التي يقودها الممتزد (٢) :

وقد الجيوش إلى المدا أطولاً	فأرخ جياتك فهي أطلح السرى
وجنبتهن كئائباً ورعيلاً	أنشأتهن سفائناً ومدائناً
بلقاء وفي أطرافها تحجيملاً	وهم تغال البيض في أوساطهم
في الماء تعميل كللاً وتليلاً	قرعت بأسواط الرياح فأسرعت

وكان الممتزد كثيراً ما يرتاح في شمره إلى ذكر الطائفة التي تحاربه، فهذا هو يتفنى بفتح برقة قاتلاً (٣) :

(١) ليوان ابن زيدون ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٢١.

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٣٢، الحلة السيرة ٤٩ : ٢ - ٥٠.

لقد حصلت يارنشد
أفاد تنالك أرماح
وأجناد أشيداً
غدوت يروني مولى
فصرت لملكنا عقيداً
وأسياف لها حيداً
واليهم تنتهي الشدة
لهم وراهم عتد

وقيمة هذا الشعر الاثنية قليلة ، ولكن الشيء المهم الذي يبينه المعتضد
قوة حصانة المدينة ، حيث أصبحت مستعصية على الجيش ، ولكنه في النهاية
استطاع اقتحامها ، ثم يتحدث عن طموحه وقوته قائلاً (١) :

سأفني مدة الأعساد
وتبلى بي ضلالتهم
نظمت رؤوسهم عقداً
فخلت لمة السعد
إن طالت بي المدة
ليزداد الهوى حيداً
فخلت لمة السعد

وكان المعتضد يشير في البيت الأخير إلى خزانة الرووس التي كانت
عنده من أعدائه الذين قتلهم . ويعلق ابن بسام على هذه الأبيات
بقوله : " إن المعتضد أعجب يومئذ بهذه القطعة الرندية عجب حسان بن
ثابت بقصيدته الميمية ، وأخذ الناس بحفظها وحملهم على ضبط معانيها
ولفظها (٢) * .

ويبدو المعتضد أطول نفساً ، وأضبط لزام اللغة ، واختيار اللفاظ ،
حين قال قصيدته النونية عندما دخل على المعتد بالقصة ، فيها هو
يمني أهل البلدة بالانتصار على الأعداء ويعدهم خيراً (٣) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٣٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ .

* لعله يعني بقصيدة حسان بن ثابت الميمية التي مطلعها :

ألم تسأل الربيع الجديد التكلما بعدفع أشداخ ، فبرقه أظلم

(دهوان حسان بن ثابت ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ .

(١٩٦٦ م ، ص ٢١٨)

(٣) ديوان ابن زيدون ، تح . كامل كيلاني وخليفه ، ص ٣٧٦ .

أَرِيَّةَ أَنْتِ فَاعْدُ الرُّمَّانِ
وَقَدْ رُمْنَاكَ مِنْ بَلَدٍ بِمَعِينِ
بَدَلْنَا جُهْدَنَا عِزًّا وَحَزْمًا
وَاجْهَدْنَا الْقَزَائِمَ وَالْحَسَائِي
لِيَهْنِي أَهْلَ مَالِيقَةِ انْتِصَارِي
سَيَنْقُذُهُمْ وَيُنَمِّهِمْ جَمِيعًا
وَأَضْعَافُ الَّذِي يُبْدِي لِسَانِي

فَقَدْ فَتَتِ الْمَالِكَةَ فِي مَمَّانِ
فَأَرْنَاكَ الْإِلَهَ يَلَا تَتَّوَانِ
وَوَطَّنَا الْكِمَاةَ عَلَى الطَّمَّانِ
وَأَعْلَنَّا الْحَسَامَ مَعَ الشَّنَّانِ
وَأِعْزَّازِي لَهُمْ بِمَدِّ الْهَسَّانِ
رِضَاعُ الْغَيْرِ إِنْ ضَرَّتْ لِبَانِي
وَالْيَهُمَّ مَا يَجُنُّ لَهُمْ جُلَّانِي

فالشاعر متحمس لهذا النصر أشدَّ التحمس، فيمدح في وعد أهل المدينة بالخير، وقد يكون ذلك نابعا من خوف داخل يمتثل في نفسه من أهل البلدة، فيمدحهم بهذا، لئلا يثوروا عليه، أو يساعدوا في ثورة ضده، لذلك يبين لهم بأنه اعتنقهم من ذل الكفر، مشجرا إلى تحريف التوراة، والضميم الذي لحقهم من الحكام السابقين، وأن نخوته العربية الأصلية هي التي دفعته إلى تخليصهم من ربق الظلم والكفر فيتساءل (١) :-

أَلَمْ أَعْتَقْتَهُمْ مِنْ ذُلِّ كُفْرٍ
وَتُورَةٍ مَحْرُفَةٍ أَعْسَزَتْ
إِلَى أَنْ ثَارَ بِي عِزُّ مِمَّانِ
وَأَنْضَبْتُ الصَّوَارِمَ خَاطِبَاتٍ
فَمَاتَ الْبَرُّ مَعْمُورَ الْمَفَانِي
وَقَامَ إِمَامٌ جَامِعُهُمْ يُصَلِّي
وَكَانَ ذَوُو الْهُدَى مَا بَيْنَ شَاوٍ
مُذْ اقْتَرَنْتَ بِرَبِّهِمْ يُهَسِّدُونَ
عَنَادَ جَرٍّ مَا أُولِيَتْ فِيهِمْ

جَرَى فِي ضَيْعِهِمْ مَلَأَ الْعِصَانِ ؟
فَطَالَتْ ذُلَّةُ السَّبْعِ الْمَثَانِي
فَأَذْرَكَ سُوءُ الْهَمِّ الْعِصَابَ الْيَمَانِي
فَكَانَ قَضَاؤُهَا سَعْرَ الْبَيْسَانِ
وَأَبَّ الْفِسْقُ مَهْدُومَ الْمَبَانِي
وَأَنْسَتِ الْمَسَامِيحُ بِالْأَذَانِ
قَتِيلٌ أَوْ فَتِيدُ الْمَقْتَلِ قَانِ
أَبَاحَ مَسَامِهِمْ حُسْنَ الْقِسْرَانِ
مِنْ الْفَتَاكِتِ بَكَرَ أَوْ عَسَّوَانِ

(١) ديوان ابن زيدون، ج ١. كامل كيلاني وخليفه، ص ٣٧٦.

إِنَّ الماطفة الدينية تبدو واضحة كلّ الوضوح في هذه القصيدة ،
فهو يهدم صرح الشرك والفسق ، ويقم صرح الإسلام ودولته ، لكي يسمع
الآذان في المساجد ، وتخفق راية الإسلام ، ويكفي المعتضد أن يموت شهيداً (١) :
وحسبي في سهل اللّمسوت يكون ثوابه خلد الجنان
وعندما فتح المعتضد قرطبة للمرة الأولى سنة اثنتين وستين وأربعمائة ،
انبرى ابن القصيرة ليصف دخوله قرطبة ، حيث أنحى على ابن ذي النون
ومدح المعتضد قائلاً (٢) :

فسلّ عنه أحشاء ابن ذي النون هل سرى إليها سكون منذ زلزلها الذعر
وهل قدرت مذ أوحشته طلائع الظهور عليه أن تؤيسه الخمس
ألم يجن يحي من تماطيك ظله سجالك هيات الشهي منك يا مدور
لجاراك واستوفيت أهد قايمة وآخره عن شأوك الكف والمثسر
فأحرزت فضل السبق عفواً وكفه على رغه ما توهمه صفسر

ثم يتحدث عن أخذ المعتضد لها ، وعن جور ابن جهور ، فالمعتضد ألهم
المدينة حلة قشبية من العدل ، ودخوله لها وضعها إلى ملكه أمر واجب
لأنه سيخلص أهلها من الجور الذي يزرعون تحتها ، ويستبدلهم بـمدل
ينعمون تحت ظله بمساحة قل نظيرها ، وأخلاق كريمة ليس
لها مثل (٣) :

(١) ديوان ابن زيدون ، تح ، كامل كيلاني وخليفة ، ص ٣٧٦ .

(٢) الاطاعة ٢ : ٥١٧ .

(٣) الاطاعة ٢ : ٥١٧ - ٥١٨ .

ويأشد ما أغرته قرطبة وقصد
أنتك وقد أزدى يبهجة حسنها
فألهمت من سابع العدل حلة
وجاءت متغالا فضمخ حبيها
وأجريت ما الجود في عرساتها
وطاب هواؤها فكانت
وما أذكرتهم في هواك هواده
وما قلدوك إلا لواجب
وبواتهم في ذروة المجد معقلا
وأورد هم من فضل سبيك موردا
فلولا لك لم تفصل عرى الإصر عنهم
أعدت نهار ليلهم ولطالما
ولا زلت تودهم إلى ظل دوحه

أبشرتها خيلنا فكان لك السدر
ولا لأنها من جور ماليتها طمس
زهاها بها تيه وقازلها كسبر
وازدا أنها من ذكر المقتلى عطر
فروض حتى كاد يورق الصخر
تهب تسيما فيه أخلاقك الزهر
وما ائتمروا إلا لما أمر السبر
جئته فيه المجرى والغمر
حرام على الأيمان العامة حمر
على كثرة الوارد مشرة غمر
ولا انفك من ربق الأذى لهم أسر
أراهم نجوم الليل في أفق الظهر
من المز في أرجلها النسم الخضمر

لقد كان ابن القصيرة متحمسا لهذا النصر، ولكنه رگز معانيه على مدح
المعتمد، ومقارنة حكمه بحكم ابن جهور.

ويسر المعتمد بهذا النصر ويزهو به قائلا (١):

من الملوك بشاؤ الأصيل البطل ؟
خطبت قرطبة الحسناء ، وإن منمت
وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها
عرس الملوك لنا في قصرها عرس
فراقبوا عن قريب لا أبأ لكم
هيهات جاءكم مهدية السدل
من جاء يخطبها ، بالبيهي والأسل
فأصحت في سري الحلي والحلل
كل الملوك به في مائم الوجسل
هجوم ليث ، بدرع البأس مستميل

(١) ديوان المعتمد ص ٦٥-٦٦.

ففي هذه القطعة الحماسية يبين الشاعر قوة قرطبة وبالتالي قوته، ثم يجسم المدينة ويشبها بالفتاة الحسنة، حيث تهافت الملوك عليها من أجل خطبتها، ولكنها أثبت الجميع، وبد تبوجه غير جميل لأنها لا تحبهم، فلما علمت بمجيء المعتمد لبست أحلى ما عندها من زينة، وتوسمت بأحسن لباس، حيث كانت تعشقه وتحببه.

وعندما دخل المعتمد قرطبة في المرة الثانية سنة تسع وستين وأربعمائة انبرى ابن المصمّم يمدحه ويشمت بقتل ابن عكاشة بقوله (١) :

صفا لك الشرب كانت فيه أقذاء	وعاد ببر على ما أفسد السداء
ولن يعجل مقدوره أجبال	وللامور مواقيت وأنباء
وقد تباطأ وحي اللہ آنسة	عن النبي وغابت عنه أنباء
فلمينك الصنع راقع عواقبه	وشفت عنه بالآلاء
فتح كما وضع إلى صباح منه على	آفاق ملكك إشراق ولاء

فهنا يلاحظ أن الشاعر التفت إلى عنصر الدين، حيث بين للمعتمد بأنه لا غرابة إذا بقيت قرطبة مستعمية عليه إلى هذه الفترة، فالوحشي قد انقطع عن النبي فترة من الزمن، وبالتالي انقطعت عنه أنباء السماء.

وعندما فتح المعتمد لورقة، وصف ابن اللبابة هذا الفتح، ولكنّه لم يوفق في وصف المعركة أو الجيش، ولم يستطع رسم صورة لأحداث المعركة فبدأ قصيدته بقوله (٢) :

تخللت حتى غابة الأسد السور	وانزلت حتى ساكن الأبلق الفرس
وجردن دون الدين سيفك فانشى	من النصر في حلي من الدم في غمد

(١) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١٢٣ .

(٢) شعر ابن اللبابة، تح، الدكتور محمد مجيد السعيد، ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م
مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ص ٣٥ .

- ١٢٩ -

بَصِيرٌ بِأَطْرَافِ الْمَوْتَلَةِ الشَّبَا سَمِيعٌ بِأَذَانِ الْمُسَوَّمَةِ الْجُرْدِ
لَقَدْ ضَمَّ أَمْرَ الْمَلِكِ حَتَّى كَانَتْهُ نَطَاقٍ بِخَصْرٍ أَوْ سَوَارٍ عَلَى زَنْبَرٍ

ويخصر كثيراً من الأبيات لمدح الممتمد وأبنائه فيقول (١) :

وَحَسَنَ طَعْمَ الْمَيْشِ حَتَّى أَعَانَهُ أَلْذَمَ الْإِغْفَاءَ فِي عَقَبِ السَّهْمِ
وَحَسَبَ اللَّيَالِي أَثَمَهَا فِي زَمَانِهِ بِمَنْزِلَةِ الْخِيَلَانِ فِي صَفْحَةِ الْخَدِّ
وَجَاءَتْ بِهِ الْأَيَّامُ تَاجِرَ سُوءٍ يَبِيعُ نَفِيسَاتِ الْمَوَاهِبِ بِالْحَمْدِ
يَفِيثُكَ فِي مَحَلٍّ ، يَمِينُكَ فِي رَدَى يَرُوقُكَ فِي دَرَعٍ ، يَرُوقُكَ فِي بَرْدِ
جَمَالٌ وَإِجْمَالٌ وَسَبْقٌ وَصَوْلَةٌ كَشَمْسِ الضُّحَى كَالْمَزْنِ كَالْبَرْقِ كَالرُّعْدِ
بِهِمَّتُهُ شَانَةُ الْمُلَاثَمِ زَانَهُهَا بِنَاءُ بَأْنَاءٍ جُنَاحُهَا لَسْدٌ
بَأْرَهُمَةِ مِثْلِ الطَّبَاعِ تَرَكَّبُوا لَتَمْدِيلِ جِشَمِ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ الْحَدِّ

وقال أبو عمر الباهي قصيدة صور فيها كيفية دخول الممتمد وجيشه

. وافق * والمدور * منها (٢) :

أَنَارَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَوَجْهَكَ أَنْوَرُ وَجَلَّتْ عَطَايَاهَا وَقَدْرُكَ أَكْبَرُ
وَدَارَ كَمَا شِئْتَ الْقَضَاءُ مُسَاعِدًا فَجَاءَتْ وَلَا غَافِقٌ وَالْمَسْدُورُ
أَزْرَتْهَا بَحْرَ الْكُنَائِبِ مُزِيدًا فَالْقَتَّ عَنَانَ الطَّوْعِ رَضْوَى وَصَنْبَرُ

فالممتمد بحث للحصنين بجيشه كيف فكانت النتيجة أن طاع ليه
الحصنان، ويؤكد الباهي بمد ذلك على وصف الجيش حتى أن الجن تدع
منه فيقول (٣) :

١- شمر ابن اللبابة ص ٣٥ - ٣٦ .

* غافق : حصن حصين كان بقرب حصن بطروش . (الروض الممطار

ص ٤٢٦ - ٤٢٧) .

* المدور : حصن قريب من قرطبة . (المغرب ١ : ٢٢٢) .

(٣ ، ٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٩٧ - ١٩٨ .

يقولُ مُتَارُوا الْجَنِّ إِذْ دُعُوا بِهِ
سَرَى فَاسْتَطْبِرُوا خَيْفَةً مِنْ نَذِيرِهِ
هِيَ الْأَرْضُ تَسْمَى أُمُّهُوَ الْبَحْرُ يَزْخَرُ
وَلَمْ تَكْ لَيْلًا قَبْلَهُ الْجَنُّ تَذَعَّرُ
فَلَيْتَ حَلِيفَ الْغَيِّ يَحْيَا فَيُخْبِرُ
فَتَوْحُّ يَمُوتُ الْحَاسِدُونَ شَجَى بِسْرِهَا

وينتهي أبياته بمدح المعتمد قائلاً (١) :

لَنْ جِهْدَ الْمَدَّاحُ فِيكَ فَأُطْنِبُوا
قَدْ تَكْ مَسُوكَ لَا طُوكَ كَمَا ادَّعَوْا
فَأَنْكَ أَعْلَى فِي النَّفُوسِ وَأَخْطَرُ
إِذَا ظَفَرُوا يَوْمًا زَهَوًا وَتَجَسَّرُوا
وَكَمْ مَوْرِدٍ فِي الْأَرْضِ يُشْفَى بِهِ الصَّدَى
وَلَكِنْ نَدَاكَ الْفَمْرُ أَخْلَى وَأَنْصَرُ
وَهَلْ تَلْتَقِي الْأَجْفَانُ إِلَّا عَلَى الرَّضَى ؟
وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا إِمَامُ الْمُؤْمَرِ

وهذا ابن عمّار يصف دخول المعتمد إلى بعض الحصون ، مشيداً
بشجاعته ، ومبيناً أن محاربتة أهل الحصن حق واجب عليه (٢) :

عَلَى الْيَمِينِ وَالطَّائِرِ السَّانِحِ
وَمَا اهْتَجَتْ إِلَّا وَقَدْ هَيَّجَتْ
نَزَلَتْ وَغَيَّرَكَ لِلْبَحْرِ
لَكَ دَوَاعٍ إِلَى الْبَلَدِ النَّسَّارِ
وَالْإِلَافُ كَمْ خَفَّ مِنْ خَفِّ جَهْمِ
لَا قَمَا هَزَّ مِنْ حُلْمِكَ الرَّاجِحِ
تَطْلُبُ حُقُوقَكَ لَا لَائِمِ
فَقَدْ بَيْنَ الصَّبْحِ لِلْأَمْسِ
وَمَنْ يَمْتَرُضُكَ بِأَوْدِاجِهِ
فِكَلُهُ إِلَى سَعْدِكَ الدَّائِمِ

ثم زين للمعتمد ثبات الحصن ، وشده مقاومته بقوله (٣) :

وَلَا عَجَبَ لثُبُوتِ الْقِيَامِ
فَلَوْلَا امْتِنَاعُ الْفَتَاةِ الْكَمَا
عِ عَلَى بَأْسِكَ الْهَارِمِ النَّاطِحِ
بَلْ مَا كَانَتْ لِدَّةُ النَّاكِسِ
هَنِيئًا فَأَنْتَ مَلِكُ الْمَطْمُو
لِكَ قَدْ صَرَّحَ الْجَدُّ لِلْمَسَارِحِ

(١) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١٩٨ .

(٢، ٣) ديوان ابن عمّار ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

وهكذا يلاحظ ان الشعراء قد ركزوا في وصفهم للمعارك التي
جرت بين آل عباد من ناحية والممالك البربرية والعربية من ناحية
أخرى على وصف قوة آل عباد ومدحهم ، والاشارة بجيشهم ، ووصف
هزيمة جيش الاعداء ، وتوشية قصائدهم بالضماني الدينية أحيانا .
ولكن لم يستطع الشعراء رسم صورة حماسية واضحة لهذه المعارك ،
وقد يكون مراد ذلك الى عدم تأثر الشعراء ومشاركتهم في هذه المعارك ،
لذلك جاء وصفهم لها باهتا في معظم الأحيان .

ب - بين المسلمين والروم

قبل فجي* يوسف بن تاشفين لخوض معركة الزلاقة يلاحظ أن الخطر الصليبي أصبح يهدد الدولة الإسلامية ، ويممّر ابن بسّام هذه الحالة بقوله :
 " وكانت طوائف الروم ، مدّة طلوك الطوائف بأفئتنا قد كلب دأوهم بكل إقليم ،
 فلاطفوهم بالاحتيايل ، واستنزلوهم بالأموال " (١) . وعندما حدثت معركة الزلاقة
 سنة تسع وسبعين وأربعمائة تفتحت أفرجة الشعراء ، وكأنهم ينتظرون هذه
 المعركة منذ أجل طويل ، فقد تتبعوا أحداث المعركة منذ عبور المعتد
 للاستجاد بابن تاشفين إلى انتهاء المعركة ، ولا عجب في ذلك ، فالإسلام
 كان مهدداً ، والحملة صليبية ، والدّين يوشك على الانهيار ، كلّ هذه المعاني
 جالت في أذهان الشعراء وهم يصفون معركة الزلاقة ، لذلك أضفوا
 عليها هالة من التقديس ، وأطنبوا في وصفها ، فوصفوا شجاعة المعتد
 ويوسف بن تاشفين ، وقوة جيش المسلمين ، وجبن جيش الأعداء ، ونذالة
 القائد الصليبي ، ثم تحدّثوا عن المعاني الصليبية للمعركة .
 ولما جاز المعتد البحر للاستنجاد بابن تاشفين قال عبد الله بن عبد
 العزيز البكري (٢) :

يهون علينا مركب الفلك أن يرى محيي الملا لماً نبأ مركب الجسر
 فجَزَّتْ أجاج البحر تبغي زلاله وذقت جني الأهوال تبغي جنى الشهيد
 يذكّرنا ذاك العباب إذا طمأ ندى كفاك الهامي على القرب والبحر

ويستغلّ ابن وهبون هذه المناسبة ليصف عبور المعتد للاستنصار
 بابن تاشفين ، وصفا فيه الدقة والحماة ، مشيداً برجاحة عقل المعتد
 وعزمه الذي لا يثنى (٣) :

(١) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٢٤٨ .

(٢) الحلة السيرة ٢ : ١٨٦ - ١٨٧ .

(٣) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٥٠٣ - ٥٠٤ .

عزم تجرّته فيه النصر والظفر
ركبت في الله حتى البحر حين طما
طرّف يزل عليه سرج فارسه
كان حواكه في متن ذي لبيد
حملت نفسك فيه فوق داهية
وفكرة خمدت من تحتها الفكسر
أذنه وبسوط الرّيح ينحصر
وليس مما تضم الحزم والقصد
غضبان تقدح من أنفاس الشرر
دهية لا ملجأ منها ولا وزر

ثم يبين أن جوازه إلى المغرب فيه نصره للدين ، وعزة للإسلام ، فالجماهير متعلقة بثوبه ، وهي تؤيده في جوازه ، لأنه انقاذ لها من الفونسو وطغمتها العاقدة (١) :

هي البسالة ألا أنها سرف
لا تحمل الدين والدنيا على خطر
إن كان ثوبك مختصاً بلباسه
هلا رحمت نفوساً جام حائمها
وعاد أجنبها من كان أشجعها
إننا لفي حوض نستقري محاضرها
تنفي الحذار ، وما يؤثر الحذر
وليس يحمد في أماليك الفسّر
فقد تعلّق من أذياله البشّر
عليك واستولت الأشواق والذكسر
شعاً عليك وأحيا لثيله السهر
وللقلوب بذاك اللجّ محتضّر

فالناس على آخر من الجمر لنتائج هذا الاستنصار ، وهل سيلبي يوسف طلب الممتمد أم لا ؟ ويكون القرار الحاسم بدخول ابن تاشفين وجيشه إلى الأندلس ، حيث بدأ الجميع بالاستعداد للمعركة ، وفي هذه الأثناء يشتد نفس الشعراء ، فيها هو الممتمد يأمر منجمه أبا بكر الخولاني بأخذ طالع الوقت والنظر فيه ، فوجده أوفق طالع ، فكتب الممتمد إلى يوسف (٢) :

غزو عليك مبارك
للم سيفك إن شاء
لا بدّ من يوم يكمو
في طيه الفتح القريب
سخط على دين الصليب
ن له أخ يوم القليب

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٥٠٤ .

(٢) ديوان الممتمد ص ٥٣ .

فالمعتمد مدرك لمعنى هذه الحرب ، فهي حرب صليبية ، أول ما يحارب الدين ، لذلك يتمنى أن يكون يوم الزلافة كيوم بدر فيه عزّة للاسلام ، وهزيمة للكفار .

وهاهي المعركة تشتمل ، ويشتمل أوارها ، وها هو المعتمد يذكر ابنه أبا هاشم أثناء احتدام القتال قائلاً (١) :

أبا هاشم هَشَمْتَنِي الشُّفَارُ قَلَّلِ صَبْرِي لِذَاكَ الْوَارِ
ذَكَرْتُ شَخِصَكَ مَا بَيْنَهُمَا فَلَمْ يَدْعُنِي حُبُّهُ لِلْفِرَارِ

ولما انتصرت جيوش المسلمين في هذه المعركة ، جاء الشُّمَرَاءُ إلى المعتمد ، ليهنئوه بهذا الانتصار ، وقد قيلت في هذا اليوم أشعار كثيرة سرت بالمفارب والمشارق (٢) .

وقد بدأ ابن حمد يس قصيدته الميمية بتهنئة المسلمين بهذا النصر ثم انبرى للحدِيث عن شجاعة المعتمد ودفاعه عن الدين ، ووصف الجروح التي أصابته (٣) :

ليهني بني الإسلام أبنت سالما وغارت أنف الكفر بالذل راغما
كشفت كرباً عن قلوب كأنما وضعت عليها من دواك غواتما
صبرت لحرّ الطّمين والضرب زائداً عن الدين واستصرفت فيه العظمائما
رحمناك من وقع الصّوارم والقنا فكان لنا في حفظك الله راغما
وكم شجّة في حرّ وجهك لم يزل لله الحسن منها بالشجاعة واسما
أجبت الهدى لما دعاك لينصّره وجردت عزماً إن تقلدت صارما

(١) ديوان المعتمد ص ٤٨ ، الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٧٣ ، ديوان ابن حمد يس

ص ٤٢٤ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٤٤ .

(٣) ديوان ابن حمد يس ص ٤٢٥ .

ثم يتحدث ابن حمد يس عن جيش الممتمد ، فيصفه بالكثرة والشجاعة ، وهو مخيف للأعداء ، هازم لهم في كل الأزمنة (١) :

بجيشٍ تثيرُ الجردُ فيه قسا طلالاً تريكَ بها وجهَ القزاةِ قاتِماً
إذا برقتَ فيه السنةُ خلَّتْها كواكبٌ تجلّو في الشُّكَاكِ غماماً
غدت خلفه وحشرُ العراءِ عولساً ومن فوقه طيرُ الهواِ حواماً
كانَ زعيمُ الرومِ ويلٌ لنفسه أثار عليه منكُ ليثاً ضباراً

فالشاعر يأتي بصورة قديمة طالما كررها الشعراء من قبله وهي صورة الطيور تسير فوق الجيوش ، والوحوش تمشي وراءها ، وذلك لكي تتفدى من لحوم الأعداء وجثثهم .

وبعد ذلك يبدأ ابن حمد يس بمدح يوسف بن تاشفين وجيشه ، حيث يبدع في وصفهم ويصل إلى قمة التعبير الفني ، فجنود ابن تاشفين جبلوا على حب القتال ، فهم يتسابقون إلى الجهاد ، ويقبلون على المعركة كالأسود الأشاوس (٢) :

نقمتَ على مَنْ آسفوكَ بيوسفٍ في وما زلتَ معنُ خالفَ الحقَّ ناقماً
وآذنتَ عمّارَ القفارِ بحربهم فيأقربَ ما شقوا إليك الخضارماً
بنو الحربِ غدتْهم لَبَانٌ تُدِيها ولم يستطعوا منه إلا القلاقماً
يحثّونَ للهيجاءِ جرداً سلاهِ بها ويُنْصُونُ في البِداءِ بُزلاً صلاهِ ما
إذا طمّنوا بالسّمهريةِ خلَّتْهم ضراغمُ تُفري بالقلوبِ أراقماً
ولأنّ كرمهم ذو لثامٍ مُصَقِّم غدا لقمِ الهيجاءِ بالسيفِ لاثماً

ولا ينسى الشاعر أن يصور قتل جيش المسلمين للأعداء ، حيث قلبت أفراسهم أتراحا ، ولا ضير في ذلك ، فجيش الفونسو اعتدى على محارم الاسلام والمسلمين ، وهو جيش ضلالة وكفر (٣) :

(٢٠١) ديوان ابن حمد يس ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٢٦ .

ولما التقى بالروم طارت قلوبهم
كأنك حرمت الحياة عليهم
فلم تبق من أهل الضلال بقيسة
جعلت نيات المشرفين منهم
فلا عجب أن قدت البيض منهم
كأن لم تكن أوكارهن الحيازيسا
غداة الوغى لما استحلوا المحارما
لقد عادت الأعراس فيهم ما تنسا
دما وتيجان الرماح جماعها
فتلك حروف اللين لاقت جوارها

فالشاعر فرح بهذا النصر ، شامت بما حل بالأعداء ، فسيوف المسلمين
ارتدت ثوبا أحمر من دمائهم ، ورياحهم اتخذت أسنتها من رؤوسهم .
ولا يكتفي ابن حمديس بذلك بل يأخذ في الشماتة بالفونسو والشذرمة
الهاقية من جيشه ، حيث يبدع في وصف الحالة النفسية السيئة السيئة
كان القائد الصليبي يعانيها أثناء ربه بعيد المعركة (١) :

أرى الفئسرولى يوم لا قى فوارسا
يلوم صليب العود وهو يلومسه
نوى خدعة في الحرب والحرب خدعة
مفايرهم لا ثوا عليها القتائمسا
ومن يفو لا يمدم على الفي لئسا
فأبرهزوما وقد كان هازمسا

ويمقد مقارنة بين جيش المسلمين وجيش الأعداء ، فيبين أن جيش
المسلمين قوي شديد ، يجعل السيوف والرياح حكما بينه وبين الأعداء ،
بينما جيش الأعداء كثير جبان ، لا تغني عنه كثرة شيئا (٢) :

ومعتاد في أكل الكماة جيوشها
إذا اختصموا في اللو كانت قضاتهم
علوج حشوا في الكفر بالفيط أعينا
أفأضوا من المادي ما عليهم
أغارب ، تدعو للفرار أعاجمسا
قواضب تقضي بينهم ولها ذمسا
وقد ملأوا منها قلوبا سخامسا
ليطفي عنهم من لظى الحرب جاحما

ويشتد صوت ابن حمد يس ، وتتأجج عاطفته الدينية ، وتتحمس نفسه
ليخاطب الممتمد ويشمت بالأعداء (١) :

أَذْرَتْ رَحَاهَا لِمَوْرَةٍ عَرَبِيَّةٍ	تَرَكْتَ عِظَامَ الرُّومِ فِيهَا هَشَائِمًا
كَأَنَّ كِرَاتٍ وَهِيَ هَامُهُمْ غَدَتْ	صَوَّالُهَا بَيْضًا تَحْزُّ الْفَلَاحِمَا
وَأَبْدَتْ بِنْتَ فِي الْقَفْرِ مِنْهَا صَوَائِمًا	وَكَانَتْ لَهَا بِالْمَرْهَقَاتِ هَوَائِمًا
عَلَاهُنَ لِلتَّائِدِينَ كُلِّ مُكْـبَرٍ	تَكَادُ لَهُ كَفٌّ تَمَسُّ الْقَمَائِمَا
وَتَحْسِبُهَا فِي كُلِّ بَيْدَاءٍ عُنْصُلًا	تَرَى نَاشِرًا فِيهَا لَهْنٌ وَنَاطِمًا
لَوَاوِلِكَ تَأْتِي لِلْقُرَى مِنْ لِحْصِهِمْ	خَوَامِعَ مِنْ آفَاقِهَا وَقَشَاعِمًا
كَأَنَّ عُقَاةً مِنْهَا يَوْمَ أَقْبَلَتْ	بَذَلَتْ لَهَا قَتْلَ الْمَلُوجِ مَكَارِمًا
هَنَّاكَ شَنِيتَ الْكُفْرَ خَزْيَانًا بَاكِيًا	نَعَمْ ، وَرَدَّتِ الدِّينَ جَذْلَانًا بَاكِيًا

من هنا يلاحظ أن ابن حمد يس يركّز في وصفه للمعركة على الممتمد
الديني لها ، فالعرب ضدّ الدين ، وهزيمة المسلمين يعني أخذ معارم
الاسلام والمسلمين وهتكها ، لهذا يفرح ابن حمد يس لهذا الانتصار ، فالمؤمن
يكلل بطير فرحا ، وجماع الأعداء منثورة كأنها الكرات في شكلها ، مكوّمة كأنها
الجبال في كثرتها .

ومرة أخرى يمدد ابن حمد يس ليتفنن بهذا النصر ، حيث يأخذ في
إحدى قصائده يرسم صورة بطولية للممتمد وابن تاشفين وجيش المسلمين
من ناحية ، وصورة عنوانها الجبن لجيش الأعداء وقائده الهارب تحت
جناح الظلام من ناحية أخرى (٢) :

وَأَحْرَمَ فِي يَمِينِكَ مَشْرِفِي	أَتَمَّتْ بِبَذْلِهِ صَوْنَ الْحَرِيمِ
وَمُعْتَرِكٍ تَلَقَّى الْفَنَشْرُفِيهِ	غَرِيماً مَهْلِكاً نَفْسَ الْفَرِيهِ
وَذَاقَ بِيُوسُفٍ ذِي الْبَأْسِ بُوْسَاءً	فَمَرَّرَ عِنْدَهُ حُلُوَ النَّصِيمِ

(١) ديوان ابن حمد يس ص ٤٢٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣٧ - ٤٣٨ .

وقد نهشتهُ حبيباتُ الموالي
ثنى توهيدُك التثليثَ منـــــــــــــــــه
راك وأنت مبتسمٌ كضــــــــــــــــار
غداة أنى بصلبانٍ أضلــــــــــــــــت
كانهمُ شياطينٌ ولكــــــــــــــــن
علوجٌ قمصُ حرٍّ بهمُ حدٌ يســــــــــــــــد
يقودهمُ لحينهمُ ظلــــــــــــــــوم
رعى نبتَ الوشيجِ بهمُ فما د و ا
وأوردهمُ حياها في المواضي
ولمّا أن أتاك بقومٍ عــــــــــــــــاد

سلوا الليلَ السليمَ عن الســــــــــــــــليم
يقضُ على يدَيّ قزعٍ كظــــــــــــــــيم
تثائبٌ عن نواجذِ شتــــــــــــــــيم
علوجاً أُرْموا كهدِّ الجريــــــــــــــــم
رميتهمُ ببحرِ قةِ النجــــــــــــــــوم
يُعبّرُ عنهمُ سَهكُ النــــــــــــــــسيم
لا نفسهمُ ، فويلٌ للظــــــــــــــــلــــــــوم
وتلك عواقبُ المرعى الوخــــــــــــــــيم
بماءِ الموتِ ساقٍ منْ جهــــــــــــــــوم
أتيتَ بصرصرِ الرّيحِ المعقــــــــــــــــيم

فقائد الروم ذاق البؤس والحزن والأسى ، بحيث تحولت أفراحه
أحزانا ، ولا غرو في ذلك فقد تضافرت عليه عزيمة يوسف بن تاشفين ، القوية
وسيف الممتمد البتتار ، وجيوش المسلمين الشجاعة .

ثم رسم صورة أخرى لجيش الاعداء المهزوم وقائد هم الفار ، فجيش
المد ويضبه الشياطين ، وهم كقوم عاد الذين تهادوا في كفرهم ، فكانت
النتيجة وخيمة ، والمواقبة اليمة ، وأما الفونسو فيمتاز بالظلم والفسور
حيث خاض مع جيشه معركة يمرف عاقبتها المؤلمة (١) :

وقد ضرمت نارَ الحربِ حــــــــــــــــتى
ونارَ بركضِ شُرْبها قــــــــــــــــام
فتوبُّ الجوُّ مُفبرَّ العواشــــــــــــــــي
وقد سكوتُ صيماذِ الخطِّ حــــــــــــــــتى
وما شربتُ سوى خميرِ التراقــــــــــــــــي

حكّت زفرائها قطعَ الجــــــــــــــــيم
خلدٌ منْ به الصريمِ على الصريــــــــم
ووجهُ الارضِ مُسمرٌ الا نــــــــــــــــيم
تأودُّ كلُّ لدنٍ مستقــــــــــــــــيم
ولا انتشقتُ سوى ورو الكــــــــــــــــوم

(١) ديوان ابن حمد يس ص ٤٣٨ .

فالحرب تشبه نار الجحيم على الأعداء ، والجو مغبرة أطرافه ، وأديم الأرض أحمر فان من الدماء ، وسانان الرمح تسكر من كثرة شربها من دماء الأعداء وهذا هو الدوا الناجع الذي تمنته منذ أمد بعيد .

وفي نهاية القصيدة يطلب ابن حمد يس من المصتمد (١)

فصل لربك المعبود وانحسر
قروماً منهم بمئة القروم
وعيق بالهدى وأعد عليهم
عذاب الحرب بالألم الالسيم

ولا شك أن ابن حمد يس قد أبدع في وصف هذا اليوم ، فركز على المحاني الدينية ، ووشح شعره بالاستعارات والتشبيه الجميلة ، وأردفها بالجناس والطباق ، فجاء شعره صادقاً معبراً عن موقف حقيقي وتجربة واقعية ، ولا عجب في ذلك فعداء ابن حمد يس للروم مستأصل في نفسه منذ زمن بعيد ، وكان هذه القصائد تكون مع قصائده الجهادية الأخرى وحدة موضوعية وبراماً يضيء الطريق أمام الجماهير والحكام ليعرفوا خطورة الموقف ، والنتائج المترتبة على احتلال الروم لبلاد المسلمين .

وتعسس ابن وهبون لهذا النصر ، فصوّر المعركة تصويراً يلخص عواطف القلوب ، ويدق في التصوير حتى ينتج لوحة شعرية لا تقل عن لوحات الفنانين وركز ابن وهبون حديثه على جيوش المسلمين ، وقوة يوسف من ناحية وعلى جبن الأعداء وقائدهم من ناحية أخرى بقوله (٢) :

فثار إلى الطمّان حديف صدق
تثور به الحفيظة والدّمّام
نمي في حمير وعتك لخم
وتلك وشائج فيها التهام
فيوسف يوسف إن أنت منيه
كيامن ، لا وهي لكما نظّام
نهجت لسيه نهجاً فوافس
وفي آنيس الطامي عرام

(١) ديوان ابن حمد يس ص ٤٣٨ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ، القلائد ص ١٣ - ١٤ ، الغريده

فَهَيْلَ بِهِ كَثِيبُ الْكَفْرِ هَيْلًا
وَصَارُوا فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ أَرْضًا
عَدِيدًا لَا يَشَارِفُهُ حَسْبَابٌ
تَأَلَّفَتِ الْوَحُوشُ عَلَيْهِ شَيْئًا
فَإِنْ يَنْجُ اللَّامِينَ فَلَا كَحَّرَ
وَكُلُّ رُقَيْفَةٍ مِنْهُ رُكُومًا
كَأَنَّ وَهَادَهَا مِنْهُمْ أَكُومًا
وَلَا يَحْوِي جَمَاعَتَهُ زُمَامًا
فَمَا نَقَصَ الشَّرَابُ وَلَا الطَّمَامُ
وَلَكِنْ مِثْلَمَا يَنْجُو اللَّئِيمُ

فابن وهبون يمدح يوسف بن تاشفين بنسبة الكريم وشرفه الرفيع ، ويلتفت إلى معنى الممركة الذي حين يصف جيش المدد بالكفر ، وينتقل للحدث عن القتلى من جيوش الأعداء حديثا فيه الشّماتة والفرح ، فكأن القتلى منهم أنتجوا أرضا جديدة من كثرتهم ، فالإنسان لا يمشي على الأرض الحقيقية وإنما يسير على جثث القتلى من جيوش الـروم ، حتى أن حفر الأرض امتلأت من جثثهم ، وأصبحت جبالا بعد أن كانت وهادا ، وهادي الوحوش تأتي لتأكل من لحومهم ، وتشرب من دماهم أيّاما طويلة . ثم يشير الشاعر إلى فرار الفونسو إشارة فيها السخرية المشوبة بالآلم ، وكأنه يحرض ابن تاشفين على ملاحقته ، واستئصال آخر ربق من حياته .

ويستد صوت الشاعر ، وتتأجج عاطفته الدنيّة ، حين يخاطب الفونسو خطاب الشّامت الناقم ، فيتساءل (١) :

فَأَيْنَ الْمَجْبُورِ إِذَا فَوَّشُ هَيْلًا
تَجَنَّبَتِ الْمَشِيخَةُ يَا غِيَامُ ؟
سَتَسْأَلُكَ النِّسَاءُ وَلَا رَجُلًا
فَتَخْبِرُهُمَا رَأْيَكَ يَا عِصَامَ
أَقَمْتَ لَدَى الْوَقَى سَوْقًا فَخَذَ هَا
مَنَاجِزَةً ، وَهَوْنًا مَا تُسَامَ
فَإِنْ شَتَّ اللَّجِينَ فَشَمَّ سَامًا
وَإِنْ شَتَّ النَّضَارَ فَشَمَّ حَامًا

فابن وهبون يصف الفونسو بالجين والخذلان ، فهو غلام طائش لا يعرف ما يعمل ، فهذا هو يعود من الممركة خائبا بلا رجال ، لأنه أبادهم في الممركة ، لذلك لا غرابة أن تخرج النساء لتسأله عن نتيجة الممركة ،

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

وبهاهي ابن وهبون الفونسو بجيش المسلمين القوي الذي يتكون من
العرب والبربر ، مؤكداً بأن هذا الجيش سيكون للحد وبالمرصاد أنى وجده .

ويستمر الشاعر في مخاطبة الفونسو ، محمّراً إياه بجبنه وهزيمته ، فرجاله
ناموا نوماً عميقاً ، ولكنه نوم ليس فيه طعم الحلاوة ، بل فيه الذلّ والمخذلان
والهزيمة ، فرووس الأعداء معلقة على جذوع الأشجار وأسنة الرماح ، وجثثهم
منثورة على الأرض وفي الوهاد ، ثم يشمت بفرار الفونسو قائلاً (١) :

رَأَيْتَ الْمَضْرَبَ تَمْلِيحاً فَصَلِّبْ	فَأَنْتَ عَلَى صَلْبِكَ لَا تَسْلَامُ
أَنَا رَجَالُكَ الْإِشْقُونَ ؟ كَسَلًا	وَهَلْ يَحْلُو يَلَا رَأْسٍ مِنْ سِلَامِ
رَفَقْنَا هَا مَهْمٌ فِي كُلِّ جِيْدٍ	كَمَا ارْتَفَعَتْ عَلَى الْأَيْكِ الْحِمَامِ
سَيَمُودُ يَمُدُّهَا الظُّلُمَاءُ لَمَّا	أُتِيحَ لَهُ جَانِبُهَا اِكْتِسَامِ
وَلَا يَنْفِكُ كَالْخَفَاشِ يَهْضُمُ	إِذَا مَا لَمْ يَبْأَشِرُهُ الظُّلَمَامِ
نَحْنُ أَدْرَاعُهُ وَاجْتَابَ لَيْسَالًا	يُودِ لَوْ أَنَّ طَوْلَ اللَّيْلِ عَامِ

وفي قصيدته أخرى يرسم الشاعر صورة بطولية ليوسف بن تاشفين والجيش
الإسلامي بحيث يظهر جلاوتهما وإشراقهما بمقارنتها مع الصورة الأولى التي
رسمها لجيش الأعداء وقائد هم (٢) :

أَتَنْكِرُ الْمَجْمُ أَنْ الْمَرْبَ سَادَتْهَا ؟	وَتَشْهَدُ الْبَيْضُ وَالْخَطِيبَةُ السَّمُرُ
لَمَّا تَعَارَضَ دُونَ الشُّكْرِ كَفَرُهُمْ	عَادَتْ بَوَادِرُ فِيهِمْ تَكْلُمُ الْبُسُورُ
وَهَبَّ عَنْ كُلِّ دِينَارٍ لَهُمْ بَطْنُ	كَغَالِي التَّيْرِ مَسْبُوكٌ وَصَغْتُ بَر
فَلْيَقْبَلُوهَا أَلُوفًا مِنْ أَسْوَدٍ وَغَسَنٍ	تَزْكُو عَلَى السَّيِّدِ لَا جُبْنَ وَلَا خَسَر
وَلْيَرْقُبُوا مِنْ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ	مَوْعِدَ الدِّينِ مَا لَهُ سَحَر
لَمْ يَهْشَمُوا الثَّرَى أَنْ عَاثَتْ أَكْفَهُمْ	لَوْ يَمْقُلُونَ وَلَكِنْ تَكْلُمُ الثُّغَر
وَلَيْسَ مَا غَيَّرُوا إِلَّا لَأَنْفُسِهِمْ	كَأَنَّمَا نَبِهُوا إِذَا نَامَتِ الْفَيْسَرُ

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٤٢

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٥ .

أما أبو بكر يحيى بن بقي (١) فإنه يمدح جيش المسلمين بأنهم
كالسيوف الماضية ، وأن عيونهم دائمة السهر على حماية الوطن ، ثم يوسم
صورة جميلة لهذا الجيش ، فهو يحيط بالقائد الذي يشبه القمر المطل
من بين السحب المتكاثفة (٢) :

أقبلت بالجيش ملموماً كئيباً
في فتية كسيوف الهند خلَّتْهم
وتيموا يميون غير فاتية
إلا تكن أعيناً نجلاً فإن لها
كأنك البدر تحت العارض الهطل
حب الصوارم والخطبة الذبسل
من الأسنة لم تهج مع القليل
في أضلع القوم مثل الأعين النجل

ثم ينتقل إلى وصف المعركة وصفاً دقيقاً حماسياً ، فالجوا امتلاً بالغبار
والخيل والاهل تجوب ساحة الوغى ، وهو يفضل تقبيل جوافر الخيول
على تقبيل تشفؤر الحسناوات (٣) :

ترى السماء دحاناً مثلما خلقت
من كل مضطر الكشخين حافيه
وبعد ذلك يظهر شماته بالأعداء ، حين يبدأ بالسخرية منهم
ووصف هزيمتهم وخزيهم (٤) :

(١) هو أبو بكر يحيى بن بقي الأندلسي القرطبي ، كان آية في النثر والنظم
بارعاً في نظم الموشحات ، توفي سنة أربعين وخمسمائة . انظر :
(وفيات الأعيان ٦ : ٢٠٢ ، معجم السلفي ص ٥٠٠ ، معاهد التنصيص
٢ : ٥٤ ، شرح المقامات ١ : ٦٥٢
رفع الحجب المستورة ١ : ٥٨ ، معجم الأدباء ٢٠ : ٢١ ، ابن
بقي ، صلاح جرار ، رسالة ماجستير ، ص ٥٧ - ٢٩٨ ، وغيرها .
(٣ ، ٢) (الذخيرة / مخطوط المتحف المراقبي ، ق ٢ ص ٣٨٧ .
(٤) المصدر السابق ص ٣٨٨ .

ياممشر الروم قد شالت نعماتكم
لم يكسكم من ثياب الخزي أسقمها
ياويلكم مفسراً بل ويل أمكم
إمّا من الجبن أو من شدة الفشل
إلا التقاؤكم للصد له بالكسل
فإنها ولدت للشكل والهيبسل

ويشارك أبو عبد الله بن عبادة المصروف بابن القزاز (١) في وصف هذا
اليوم حين يرفع إلى المعتمد قصيدة يشيد فيها بقوته وشجاعته، ويشير
إلى جروحه، ويمدح ابن تاشفين قائلاً (٢) :

ثناؤك ليس تسبقه الريـح
لقد حسنت بك الدنيا وشبهت
تطيب بذكرك الأفواه حـسـنـي
ملكك عنان هرك فهو جار
جلبت إلى الأعاري أسد غـاب
وقفت وموقف الهيجا حـنـك
والسنة السننات
وقالوا كفه جرحه فقلنا
وما أثر الجراحة ما رأيـتم
ولكن فاض سيل الهأس منها
وقد صحت وسحت بالأماني
رأى منه أبو يعقوب فيها
فقال له لك القدح المملـس
يطير ومن نذاك له جنـاح
ففتت وهي ناعسة رداح
كان رضاها يسـكـ وراح
كما تهوى فليس له جمـاح
براشتها السنة والصفـاح
وفيولبا عك الرعب انفسـاح
إذا ظهر المؤيد لا يـراح
أعاريو تواقمها الجـراح
فترهبها المناصل والرمـاح
ففيها من مجاريو انسيـاح
وفاض الجود منها والسمـاح
عقاباً لا يهاض لها جنـاح
إذا ضربت بمشهدك القـداح

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبادة المصروف بابن القزاز من مشاهير الأندلس
والشعراء، وأكثر ما اشتهر في الموشحات. (المغرب ٢ : ١٣٤) .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٤٥ ، المغرب ٢ : ١٣٥ ، الخريدة ق ١٤٤

هذه هي أهم المعاني التي طرقها الشعراء في وصفهم لمعركة الرلاقة : الإشادة بالقائد الإسلامي ، مدح جيش المسلمين ، السخرية من قائد الأعداء ، الشماتة بهزيمة الروم ، هجاء جيش الأعداء ووصفهم بالجبن ، التركيز على المعنى الصليبي للمعركة .

وإذا ما هزم الجيش الإسلامي في معركة من المعارك ، فإن الشعراء يفقدون إلى القائد ؛ ليهنتوه بالسلاسة ، والمودة ويذكّروه بالانتصارات السابقة ، فهذا ابن حمد يس يأتي إلى المعتمد بعد فشله في احتلال حصن لبيط ، ليمدحه بقصيدة دالية يرر فيها هزيمته قائلاً (١) :

والفتح من فضل الإله ، ويومئذ
لولا اقتراب الوقت عن قدر لمتنا
متقدم بالنصر أو متأخر
ففتح على حال لأحمد خيبر

ويأخذ ابن حمد يس بعد ذلك في رسم صورة دقيقة لجيش المسلمين ، فهو جيش شجاع لا يعرف الجبن ، جبل على حب الحروب والقتال ، يجهذ الاستشهاد في سبيل الله ، ينزل الأعداء بكل قوة وبأس ، شماره في كل ذلك الخوف والتقوى من الله (٢) :

وعراس يحمي من ضرب الطل
لا فتش جبين فيهم فكأنهم
بأقهم ورق الحديد الأخضر
سبكوا بنيران الحروب وسجروا
ومن الرجال مروع ومشجع
وَمِنَ السَّيُوفِ مَوْتٌ وَمَذْكَرُ
ألفت قلوبهم الخضوع لربهم
والتأس في أسيا فيهم متكبر
يؤمنون أغراض الحتوف بأنفس
ووجوهها لمؤيونهم تنم
وتفوق في هام الملوك جداول
للمضرب من أعمادهم تتفجر

ويمرّج ابن حمد يس على وصف قوة الحصن ومناعته قائلاً (٣) :

جَنَّتَايَهُ يَجْرِي النَّجِيعُ الْأَخْمَرُ
وَتَخَفَّ بِالْأُطَالِ فِيهِ الضَّمِيرُ
حَتَّى كَانَ الشَّمْسُ فِيهِ تَكْوَرُ
وَالصَّبْحُ مِنْهُ مَلَأَةٌ لَا تَشْرُ
وَأَدْرَأْتِكَ فِيهِمْ مُسْتَقْصِرُ
عُصْمٌ أُتِيحَ لَهَا هَزَبٌ قَسْوَرُ
أَبْقَتْهُمْ الْأَيَّامُ فِيهِ لَيْكُنْ رُوا
طَارَتْ بِوَفِي الْجَوْرِ بِحُ صَوَّصَرُ

وَيْلٌ لِحَصْنٍ لَيْطٍ مِنْ يَوْمٍ عَلَسِي
وَالرَّوْعُ تَثْقُلُ بِالرَّدَى سَاعَاتُ
يُبْنِي النَّهَارُ بُوَعْلَى أَغْقَابِيهِ
وَالنَّقْعُ فِيهِ دَجَنَّةٌ لَا تَجْلِي
وَلَقَدْ شَدَدَتْ عَلَى خُنَاقٍ عُلُوجِهِمْ
وَاسْتَقْصَمُوا يَذُرَى أَشْمٌ كَانَتْهُمْ
قَلُوا لَدَيْكَ غَنِيمَةً فَكَانَتْهُمْ
وَلَقَدْ بَقِيَ رَمَادُهُمْ ١٥١

ويذكر ابن حمد بن المعتمد بمعركة الزلاقة ، حيث تحطم الكفر ، وذل
قائد الصليبيين ، وارتفعت راية المسلمين (١) :

لَمَّا تَرَكْتَ كُفُوبَهَا تَتَكَبَّرُ
تَكْبُو عَلَى هَامِ الْخُلُوجِ وَتَمْشُرُ
بِقَوَارِعِ الْأَحْزَانِ يَوْمٌ مَقْصُورُ
جَهْلًا لِمَجْرٍ خَضِرًا لَا يُقْبِرُ
خَبَرًا مَعَ الْأَيَّامِ لَا يَتَقَبَّرُ
فِي كُلِّ وَابِلَةٍ سِنَانٌ أَرْهَرُ
تُنْهَى بِهَا أَفْوَاهُهُنَّ وَتَوْهَمُ
صَخْرَ الْبِلَادِ بِوُطْئِهِنَّ مَسْخَرُ
نَحْمًا ، وَتَسْقِيهِمْ كَوْوَسًا تُشْكِرُ
وَجَرَى الطُّوكُ كَمَا جَرَيْتَ فَقَصَّرُوا

هَلَا أَطَاقَ الْكُفْرُ جَرَّ قَنَاتِيهِ
يَوْمَ الْمَرْوَةِ ، وَالْمِرَابِ لَوَاعِبُ
وَالْفَنَشُ يَحْصِبُ نَاطِرِيهِ وَقَلْبَتِيهِ
رَكِبَ الْفَوَايَةَ وَاسْتَبَدَّ بِرَأْيِيهِ
خَذُ فِي عَرَائِيكَ الَّتِي تَرَكْتَهُمْ
بِالْخَيْلِ تَحْتَ اللَّيْلِ يُسْرَجُ حَوْلَهَا
وَتَلُوكُ مَنْ فَقَدَ الْقَضِيمَ شَكَايَا
عَزَّكَتْ أَدِيمُ الْأَرْضِ تَحْتَ حَوَافِرِ
حَتَّى تُفْنِيَهُمْ طُبَاكَ مِنَ السَّرْدِ
جَاهَدْتَ فِي الرَّحْمَنِ حَقَّ جِهَادِيهِ

فببيت ناجو وعو حولهم
فالشاعر يدرك الالم النفسي الذي يعجز عن الممتد نتيجة امتناع الحصن
عليه ، لذلك التفت الى وصفه معركة الزلاقة ، وتذكيره بذلك اليوم والتفني بخيول
المسلمين وقوتها ، وسرعتها ، وشدة تحملها ، ومنها قصيدته بمدح الممتد بأنه
صاحب جده وحرب وجهاد ، بينما الطوك الاخرين اصحاب لهو وطرب.

المدح

لقد صرف طوك الطوائف جهدهم إلى العناية بالأدب والشعر فصار المدح لغذاء أرواحهم كالملح لطعام أجسامهم (١)، ومنذ العصر الجاهلي يلاحظ أن المدح يحتوي على مجموعة من الفضائل الإنسانية التي لا تجرى عليها أحكام التفسير والتعديل (٢)، وقد أحصاها قدامة بن جعفر، فوجد أنها في أربع فضائل هي :-
المقل والمفنة والمدل والشجاعة (٣) وهذه الفضائل استمرت في شعر المدح الأندلسي في العصور المختلفة، ولكن دخلتها تفرعات وزيادات . . . وسبيل الشاعر إذا مدح ملكاً أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للمدوح، وأن يجعل معانيه جزلة، والفاظه نقية غير مبتذلة سوقية (٤) . . .
ولا بد من إدراك نقطة مهمة هي : أن الشاعر عندما يمدح لا يحاول أن يرسم صورة المدوح، وإنما يحاول أن يرسم شخصية تتحلل فيها كل الصفات التي يعتبرها المجتمع شخصية مثالية، قد تكون بعيدة كل البعد عن المدوح (٥). فهو يصنع نموذجاً إنسانياً عالياً، مصدره التقاليد الأخلاقية للمجتمع الذي يعيش فيه .

وقد اعتز بنوعباد بنسبهم اللخمي، واقتروا به، لذلك أشعار الشعراء بهذا النسب المريق، فابن زيدون ينظر للمعتضد وآل بيته كمصم الجبال التي لا ترقى إليها الطير، فهم سلالة المناذرة، وسادة الطوك والمرتفعون فوقهم كما ترتفع الربا على الوهاد، وإذا عدّ الناس ما السماء في عداد الدرر الكبيرة الصافية، فإن بني عباد أبناؤها الأجيال فهم (٦) :

(١) قصة الأدب في الأندلس محمد عبد المنعم خفاجي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، المطبعة المنيرية، مصر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ص ٨٣ .

(٢) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، الدكتور محمد مصطفى هدايرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٣٦٩ .

(٣) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٥٦، ص ٢٩ .

(٤) الممددة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ابن رشيق، تح، محمد محي الدين، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م، ص ١٢٩ .

(٥) إشبيلية في القرن الخامس الهجري، ص ٨٩ .

(٦) ديوان ابن زيدون ص ٤٥٧ - ٤٥٨ .

أَهْلُ الْمَنَادِرَةِ الَّذِينَ هُمُ الرِّبَا
قَوْمٌ إِذَا عَدَّتْ مَمَدَّ عَقِيلَةٍ
بَيْتُ تَوَدُّ الشَّهْبِ فِي أَفْلَاكِهَا
مَمْدُودُهُ يُلْهَى النَّدَى أَطْنَابُهُ
مَتَقَانٌ إِلَّا تَكُنْ شَمْسُ الضُّحَى
فَوْقَ الطُّلُوكِ ، إِذَا الْمُلُوكُ وَهَّانُوا
مَاءُ السَّمَاءِ فَهَمَّ لَهَا أَوَّلًا
لَوْ أَنَّهَا لِبَنَائِهِ أَوْتَسَّانُوا
مَرْفُوعَةٌ بِالْبَيْضِ مِنْهُ عَمَّانُوا
لَدَّةٌ لَهُ ، فَجُومُهُمْ أَرَّانُوا

فهم درر غالبية ، انحدرت من درة كريمة ، ومن كرم بيتهم ، فان النجوم
تتمنى أن تكون أوتاداً في أساس هذا الأصل المريق ، وأما قوائم هذا
البيت فقد قامت على الكرم ، وارتفعت على قوائم السيوف ، وهو قد يم في شرفه
إن لم يعادل الشمس في قدمه فهو معادل للنجوم .

ويقرن ابن المرقان (١) حديثه عن نسب الممتمد بن عباد بشهرته
الواسعة ومنزلته الرفيعة قاصلاً (٢) :

مَلِكٌ إِذَا قُلْتُ مَنْ رَبُّ الْمَلِكِ
لَخَمِي مَا جَدُّ مَعْتَمِدٌ
مَا دَجَا لَيْلٌ عَلَى أَطْلَسِهِ
فَالِيهِ كُلُّ مَخْلُوقٍ أَشَارَ
كُلُّ عَسَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ يَسَارَ
كُلُّ لَيْلٍ بِأَيَادِيهِ نَهَارَ

أما ابن المصيصي فإنه يمزج في مدحه للممتمد بين نسبه اللخمي
وكرمه الذي لا يبارى ، وجدة الذي ليس له نظير (٣) :

فَمَا غَيْرُ أَصْلِكَ عَوْدُ نَضَارِ
فَجُودُكَ صِرْفُ عَدَاهُ الْمِزَاجِ
وَلَا غَيْرُ لَخْمِكَ هِيَ لَقْنَارُ
وَطَبْعُكَ هَدُّ عَدَاهُ الْمِزَاجِ

(١) ابن المرقان : هو أبو القاسم بن مرقان مولى الممتمد بن عباد ،
قتل يوم دخول المسلمين إشبيلية على الممتمد . (الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٥٢ ،
المغرب ١ : ٢٦١) .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٥٢٢ .

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٤٤ .

ويتابع ابن وهيون الشُّعراء بالإشادة بنسب بني عبَّاد قائلاً (١) :
 جاريتمُ الدَّهرَ في مضمارِ حَلْبَتِها جرَّياً سِوَاهُ إِلَى أَقْصَى مِنْ الْأَمَدِ
 لكنَّ تَحْيَتَهَا قَدَمًا وَقَدْ شَهِدَتْ "بِإِدَارِ مِيتَةٍ بِالْعَلِيَاءِ فَالسَّنَدُ"
 لغم ابنِ يَمْرُبَ أُولَى أَنْ يُضَافَ إِلَى سَنَاهُ مُعْتَصِدٍ فِيكُمْ وَمُعْتَمِدٍ

ويشيد ابن حمد يس بأصل المعتمد الذي يوصله إلى ذوهمسة
 يَمْرُبُ ، ويقرن هذا بتصوير المعتمد ملكاً عظيماً حتَّى أنَّ الملوك تطأطئ
 له هاماتها ، فمن ملك راكم حول سريرِهِ ، إلى آخر ساجد (٢) :

وأَكْبَرُ بِأَوَّلِ مَنْ ذُوَاهُ يَمْرُبُ إِلَى ذُرُوءِ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ الْقَوَاعِدِ
 تَلَاقَى الْمُلُوكُ الْفَرَّ حَوْلَ سَرِيرِهِ فَمَنْ رَاكِعٍ مَفْضِي الْجُفُونِ وَسَاجِدِ
 وقد وصف الشُّعراءُ ملوك بني عبَّاد بالتقوى وحبِّ الدين وغيرها من
 الصِّفَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، فقد ركز ابن المصيصي على مدح المعتمد بصفات
 الزَّهْدِ وَالتَّقْوَى مِنَ اللَّهِ ، حتَّى أنَّ جبينه الوضَّاءَ ييمث في الهواء نسوراً ،
 وفي الأزهار شذى وعبيراً ، فالمعتمد (٣) :

مَلِكٌ تَوَاصَلَهُ الدُّنْيَا وَيَهْجُرُهَا سَرَّاً وَيَلْبِسُ تَقْوَى اللَّهِ فِي الْعِلَالِ
 لَا تَحْمَدُنْ زُهْدَهُ مِنْ يُمُطِّ رَغْبَتِهِ لَمَلِكٍ غَضَّ مِنْ جَفْنِيهِ ذُو الْحَاوِلِ
 وَكَمْ لَهُ سُنَّةٌ ضَاءَ الزَّمَانُ بِهَا ضَوْءاً بِهَا لَهَبٌ كَالشَّمْسِ فِي الطَّافِلِ
 تُعْطِي الْهَوَاءَ وَمَتْنُ الْأَرْضِ غَرَّتْهُ نُوراً وَنُوراً عَطَاءُ الشَّمْسِ فِي الْحَمَلِ

(١) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٥٠٢

(٢) ديوان ابن حمد يس ص ١٣٦ .

(٣) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٤٣٧ .

ومرة أخرى يمدحه بالمعفة وطيب النفس والتقوى فهو (١) :

تنهاه عفته عن أمر بطشتيه
فالمشتري عنده قاضي على زحليل
يطوي على نور إيمان جوانحه
فالنفس من كوكب والجسم من رجل

وبالغ ابن حصن في مدح المعتضد عندما رسم له صورة رجل يمسك
ما في وسعه من أجل الدين والإسلام ، فالمعتضد (٢) :

أقام قناة الدين واقتعد الملا
وشد عرى الإسلام واخترم الشركا
يضيق الفضا عن أن يكون لبانه
وتدنو الثريا أن تكون له سمكا

وشخصية المعتضد المثالية في نظر ابن حصن والمجتمع يجيب
أن تكون (٣) :

جزيل التقى يمشي الهوينا تواضعا
ويهترأ أعظاما له كل خنبج
ولكن ابن بسام لا يعجب بهذا المعنى فيقول : " وهذا المعنى مما
ركب فيه ابن حصن رأسه ، وحكمه هواه ، والمعنى مشهور فيمن وصف
بالنكس ومدح بالانسلاخ عن أبهة الملك " (٤) .

ويحمد أن يصف ابن زيدون المعتضد بالجمال الذي يجذب إليه النفوس
يشيد باستقامته التي بها يقوم كل اعوجاج ، ويرى أن الدين لو تمثل وجهها
لكان المعتضد جبينه ، ولو تجسم الملك عينا لكان المعتضد سوادها الفضي
تبصر به الأشياء (٥) :

تهدو عليك من الوسام حُلَّة
لم يشفي منك العين أول نظرة
يَهْفُو إليها بالنفوس ورداد
لولا المهابة راجعت تزداد
ما كان من خلل فانت سيداد
في الدهر أو أود فانت سداد
الدين وجه أنت فيو غيرة
والملك جفن أنت فيه سواد

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٣٨ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٧١ .

(٥) ديوان ابن زيدون ص ٤٦٢ - ٤٦٣ .

ويشهد ابن حمد يس بمعدل المعتقد الذي لا يهاري بقوله (١) :

تَقْتَدِي الْأَمْلَاقُ فِي الْمَدَلِّ بِـِـهِ وهو فيه بأبيو يَقْتَسِدِي
فهو لا يحمل إلا بما جاء في كتاب الله ، لذلك فإن عدله دائم (٢) :

عدل السياسة لا يرضى له سيرا إلا بما أنزل الرحمن في السور
ويجاهد من أجل الدين والاسلام ، فهو يحيي الدين ، ويحارب من
أجله ، معتمدا في كل أعماله على الله (٣) :

فَالدِّينُ مُعْتَمَدٌ مِنْهُ عَلَى طَسِكٍ يُمَسِّي وَيُضْهِى عَلَى الرَّحْمَنِ مُعْتَمَدًا
ويرى أبو العرب الصقلي في المعتقد رجلا يفضب لدين الله ، ولا يرضى
إلا عندما يرى الدين محافظا عليه ، فالمعتقد (٤) :

فَعُذُّوبٌ لَدَيْنَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ يَمَافُ الرِّضَى حَتَّى يَرَى الدِّينَ رَاضِيَا
إِلَّا إِنِّي لَمَّا عَدْتُ تَسْبِيكَ أَوَّلَا خَتَمْتُ وَمَا اسْتَنْثَيْتُ بِمَدَكَ ثَانِيَا

وتفتي الشُّعراء بصفات الكرم والشجاعة والسماحة التي يمتاز بها
آل عبّاد ، فهذا ابن حصن يشبه المعتقد بالكعبة والذين يؤمنونه
بالطائفين (٥) :

فَتَى تَرُدُّ الْأَمْلَاقُ سَدَّةَ بَاهِيهِ كما تَرُدُّ الْمَاءَ الْحَمَامُ عَوَائِفَا
تَخَالَهُمْ مِنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ طَوَائِفَ بِالْبَيْتِ الْمُتَّقِ طَوَائِفَا
يَوْمُونَ بَحْرًا يَتْرَكُ الْبَحْرَ جُودُهُ غَرِيقًا ، وَبَدْرًا يَتْرَكُ الْبَدْرَ خَاسِفَا

ويتفتي ابن زيدون بكرم المعتقد الذي يشبه السحاب الهامسي
بقوله (٦) :

-
- (١) ديوان ابن حمد يس ص ١٤٠ .
(٢) ديوان ابن حمد يس ص ٢٠٧ .
(٣) المصدر السابق ص ١٧٠ .
(٤) الخريدة ٢ : ١٤٣ .
(٥) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١٧٦ .
(٦) ديوان ابن زيدون ص ٤٦٤ .

كُرمٌ كماءُ المزنِ راقٌ خِلالُهمُ أَدُّ كُروُضِ الحَزْنِ باتٌ يُجَبَّانُ
ومعاسينُ زهرُ الزَّمانِ بزهرِها فكأنما أُنَّامُ أعينِها

ويصف أبو عمرو الباجي الممتمد بالسَّباحة والجود والحلم والإباء ،
مشبهها بإياه بالأرض التي قد تنبت السُّوسن الفُضَّ والشُّوك المؤذِّي الحادِّ
فهو (١) :

لا يصرُفُ النِّصْحُ عِزْمَ سَاحِيهِ سبحانَ مَنْ طَمِعَ الجِوَانِ جِوَاداً
جودٌ يفيضُ البحرُ منه ومنَّةٌ في البأسِ يَدُ هِشٍّ زِكْرُهَا الأَنْجَادِ
وأناةٌ حلمٌ في إِبَاءٍ حَفِيطِةٍ كالأَرْضِ تُطْلِعُ سَوْسَنًا وَقَتَّاداً

ويكرر ابن المصيصي هذا المعنى عندما يرسم للممتمد صورة في وقت
السَّلم ، وأخرى في وقت الحرب ، فهو كريم لئيم في وقت الرِّخاء والسَّلم
حتى أن السيوف تحكي بياض أياديته ، شديد قوي في وقت الحرب حتى
أن الرِّيح تحكي إقدامه وشجاعته (٢) :

بِياضِ أَيْادِكَ تحكي الصَّفاحُ ومثلَ نفاذِكَ تحذو الرُّمُحُ
وأُنبتتِ الحربُ شَوْكَ القَتَّارِ وفتَّحتِ الورْدُ فيها الجِراحُ
وكَمَّ لَكَ في السَّلمِ وَجْهُ حَيِّي وكم لَكَ في الحربِ وَجْهُ وَقَّاحُ

ويبين ابن المصيصي أن كرم الفتح بن الممتمد لا يقلُّ عن كرم أبيه
فقد (٣) :

تلاقيتما للسَّمدِ بدرًا وكوكبًا أبا لا يُبَارَى في المكارِمِ وابنمنا
أراهُ وأرجوهُ وأنشُرُ فُضْلَهُ فيملا مني الميَنَ والكُفَّ والفَمَا

ومرة أخرى يوضح ابن المصيصي صفات الممتمد الحسنة من شجاعته

(١) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١٩٩

(٢) المصدر السابق ص ٤٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ٤٣٦ .

وحزم وعزم بقوله (١) :

لولا الكنائس لم تنظم مواكبها
من كل معتقل ، بالبأس مخترط
يقودهم من بني قحطان ذو بدع
نظم المقود لكان الدهر ذا عطيل
للمزم مدرع ، للحزم مشتت
من الندى والمعالي لا من النحل

والمعتضد صاحب منطق صحيح ، وفعل مستطاب ، وهو كالشمس والملوك
كالكوكب سرعان ما تتوارى إذا ما ظهرت الشمس ، وإذا رآته الأعداء فأنهبها
تولّي هاربة منهزمة ، فهي كالطيور الضعيفة ، والمعتضد كالصقور
الكاسر ، كل هذه الصفات يزينها رأي سيد ، وحزم معروف ، هــ هذه
المعاني جمعها ابن حصن في أبياته القافية حين قال (٢) :

ملكك له رأي جميل ومخير
تلون بحقوق الملوك كأنها
إذا صال كات النجم من شدّ صوليه
ولن لقي الأعداء ولت كأنها
له من نبيل الرأي سيف وذابيل
ومن حزم درج حصين ويلمس

ويرى ابن زيدون أنه من الخطأ قياس الملوك الآخرين ومقارنتهم
بالمعتضد ، فهو وحده يستحق الرئاسة (٣) :

فمن قاس الملوك اليه جهلاً
ومعتقيد الرئاسة في سواه
كمن قاس النجوم إلى سراج
كمعتقيد النبوة في سراج

ومرة أخرى يرسم ابن زيدون للمعتضد شخصية مثالية قل نظيرها

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٣٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٨ .

(٣) ديوان ابن زيدون ص ٤٣٣ .

فكرمه لا يجارى ، وشجاعته لا تبارى ، وجهشه ليس له مثيل ، وزيادة على
ذلك فأنسه متعمق في الفقه والدّين والفلسفة (١) :

هُوَ الطِّكُّ الْجَمْدُ الَّذِي فِي ظِلَالِهِ
هَمَامٌ يَزِينُ الدَّهْرَ مِنْهُ وَأَهْلَهُ
يَتِمُّ بِمِرْقَاهُ سَرِيرٌ وَمِنْهُ بَرْدٌ
رَوْنُهُ فِي الْحَادِثَاتِ إِلَّا ذَٰلِكَ لِحِظَةٍ
يَذِلُّ لَهُ الْجَبَّارُ خِيفَةً بِأَسِيرِهِ
هَذَا رَكْ - اذْ تَبْغِي عَلَيْهِ مِنْ الرَّدَى
سَتَمَتُّهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِالتَّسْوَى
أَغْرَ مَتَى تَدْرُسُ دَوَابِّ مَجِيدِهِ
تَكْفُ صُرُوفُ الْحَاثِيَاتِ وَتَصْصَرِفُ
مَلِكٌ فُكِيهٌ كَاتِبٌ مُتَفَلِّسٌ
وَيَحْمَدُ مَسْمَاهُ حَسَامٌ وَمُصْحَفُ
وَتَوْقِيهِ الْجَالِي دُجَى الْخَطْبِ أَحْرَفُ
وَيَمْنُو إِلَيْهِ الْأَبْلَجُ الْمُتَفَطَّرِفُ
وَدُونَكَ فَاسْتَوْفِ الْمُنَى حِينَ تُنْصِفُ
كُتَائِبُ تَرْجِي أَوْ سَفَائِنُ تُجَدِّدُ
يَرْقَنَّا غَرْبًا مَجْمَلٌ أَوْ مَصْنَعُ

ويشيد ابن حصن بقوة المعتضد وجراته في الحروب ، فهو أول من
يبرد المعركة وآخر من يصدر عنها (٢) :

فَتَى كَهْرُندَا السَّيْفِ أَرْهَفَ حَسَدَهُ
أَغْوَا الْحَرِيَّ مَشَا إِلَيْهَا تَرْهُوكَا
إِذَا شَهِدَ الْهَيْجَا فَأُولُ مَوَزِدَ
وَيَبِينُ لِمَنْ الْمَصِصِي بَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ الرُّومِ يَشْرِكُ بِاللَّهِ بِفَضْلِ شَجَاعَةِ
الْمُعْتَمِدِ وَقُوَّتِهِ (٣) :

وَلَدَتْ مَعَ الْإِقْدَامِ فِي سَاعَةِ مَمَّا
وَلَمْ يَبْقَ رُومِيًا بِفَضْلِكَ مُشْرِكَا
فَفَدَاكَ فِي الْهَيْجَا كَوْنُكَ تَوَّامَا
وَإِنْ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَا

(١) ديوان ابن زيدون ص ٤٨٦ - ٤٨٨ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٢٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

* ابن الطح : هو محمد بن عبد الرحمن يكنى أبا بكر ، كان من جلة الأُدباء والشُعراء الموصوفين بالتجويد ، وقد نسك في آخر عمره وولي الصلاة والخطبة ببلده ، كان من مداح المعتمد ووالده المعتز . (الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٥٢ - ٤٧٣ ، القلائد ص ١٨٦ - ١٨٧ ، المغرب ١ : ٣٨٣ - ٣٨٤ ، التكملة ١ : ٤٠٨ ، الرايات ص ٥٧ ، الخريدة ق ٤ م ٢ ص ٤٨٨ - ٤٩٠ ، بدائع البدائ ص ٣٧٣ - ٣٧٤ ، النفح ٤ : ١٤٨ ، ٧٠ ، ٢٦٣) .

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٦١ .

(٢) ديوان ابن حمديس ص ١٣٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٠ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٧٠ .

لَيْتُ تَخَالَ سُوْفًا فِي بَرَاثِنِيهِ
لَسَدَّةُ الْبَأْسِ فِي يَمَانِهِ ضَرْبَتُهُ
وَلِلرَّدِ يَتَّى يَوْمَ الطَّمَنِ عَالِيَتُهُ
وَتَحَسَّبُ الرِّغْفَ مِنْهُ الشَّعْرَ وَاللَّبَدَا
إِنْ أَسْكَرَ السَّيْفُ مِنْهَا بِالنَّجِيعِ شَدَا
تَلَوْتُ بَيْنَ حَشَا الضَّرْغَامَةِ الْكَبَدَا

ولم ينس الشعر* أن يصفوا جمال الطلوك ، وقوة فكرهم ، وحصافته
رأيهم ، فها هو ابن حصن يتفتى بجمال المعتضد وحسنه ، فهو حسن
المحيا ، جميل الوجه ، نبسج من أضل كريم ، ونبسج معروف ، جواد يفوق
الفصام في كرمه (١) :

يَفَاجِيكَ عَفْوًا مِنْهُ جَوْدُ بَنَانِيهِ
وَيَفْشَاكَ دُونَ الشَّتْرِ نُورُ جَبِينِهِ
تَكْفُكْتَ الْأَبْصَارُ عَنْهُ بِمُؤَدِّمِ
مُقَابِلِ أَطْرَافِ الْمُصَوِّمَةِ مُخْـوَلِ
بَأَغْدَقَ مِنْ صَوْبِ الْفَصَامِ وَأَغْزَرَ
بِأَشْرَقَ مِنْ صَوْرِ الصَّبَاحِ وَأَنْشُورِ
أَغْرَ طَلِيْقِ الْوَجْهِ أَرْوَعَ مِنْهُرِ
مُقَدِّسِ أَعْرَاقِ الْأُرُومِ مَظْهَرِ

والمعتضد صاحب رأي سديد ، ونظر ثاقب في الأمور ، فلا يصعب
عليه شيء ، فهو كما يقول ابن حصن (٢) :

وَمَا أَصْغَبَ الْأَشْيَاءَ حَتَّى يَرَوْهَا
يَذَلُّ لَهَا الْأَمْوُ الْقَسِيرُ فَكَانَ أَنَّ
وَيَتَفَتَّى ابْنُ وَهْبُونٍ بِحَسَنِ رَأْيِ الْمُعْتَمِدِ ، وَقُوَّةِ فِكْرِهِ ، وَسَهْرِهِ لِحَمَايَةِ
الْبِلَادِ بِقَوْلِهِ (٣) :

مُسْتَجْمَعُ الْفِكْرِ لَا يَنْحُو مَمَانِدُهُ
إِذَا اسْتَخَفَّتْ حُلُومُ الْقَوْمِ وَقَرَّهَا
يَكْفِي الْمُوَيْدُ فِي الْأَعْدَاءِ أَنَّ لَهُ
عَلَى بَوَائِدَ مِنْ آرَائِهِ بِمُؤَدِّمِ
يَقْظَانُ يَسْمَى إِلَيْهِمْ سَقْيَ مَثْبُورِ
عَيْنًا مِنَ اللَّوْلِ لَا تَفْقِي مِنَ الرَّصْدِ

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٠١ .

وكان بنوعباد كلفين بإظهار قوتهم وكرهم ، فانتهى الأمر بالشعراء
إلى الصالفة في المدح حتى قاربوا الكفر ، وذلك لإرضاء مدحهم
والتقرب منهم ، فها هو ابن المصيبي يشبه الممتد بالرسول عليه السلام ،
وابن عمار بأبي بكر الصديق ، ونفسه بحسان بن ثابت قائلا (١) :

كَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَبُو بَكْرٍ الرُّضَى وَحَسَّانُ حَسَّانُ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ
ويحتج ابن بسام على ذلك بقوله : " أراد أن يعرب فأعجم ، وأحب
أن يضيء فأظلم (٢)
ويقول ابن عمار في مدح الممتد (٣) :

تَبَوُّاً مِنْ لَحْمٍ وَنَاهِيكَ مَقْمُوداً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
ويرى ابن الملح أن جميع الأندلس والجن قد سمعت بشهرة الممتد ،
وهو يعرف الطريق الصحيح في الوقت الذي لا يهتدى إليه جميع الناس
فالممتد (٤) :

هُوَ الْمَقَرُّ الْمَلَا وَالْخَيْلُ سَارِحَةٌ وَاللَّابِسُ الْحَمْدَ وَالصَّمَامُ عَرِيَانُ
وَالْمُبَصِّرُ الرُّشْدَ فِي أَقْصَى مَطَالِبِهِ وَالنَّاسُ مِنْ فِتْنَةِ الْإِسْوَاحِ صَيَّانُ
تَاهَتْ بِمَجْدِكَ قَهْطَانُ وَعَدْنَانُ وَقَدْ تَفَاضَعَ يُونَانُ وَسَاسَانُ
وَسَارَ ذِكْرُكَ وَالْأَفْوَاهُ تَنْقُلُهُ حَتَّى تَطَارَحَ فِيهِ الْإِنْسُ وَالْجَانُ

ويرى أبو عمر الباجي أن الممتد إمام مؤثر على هذه الدنيا (٥) :
وَكَمْ مَوْرِدٍ فِي الْأَرْضِ يُشْفَى بِهِ الصَّدَى وَلَكِنْ نَدَاكَ الْفَمُّ أَهْلَى وَأَنْضَرُ
أَهْنِكَ أَمْ هَذَا الْإِنَامُ بِأَنْفُسِهِمْ جَمِيعُهُمْ فِي حَلْبِهَا يَتَبَخَّرُ
وَهَلْ تَلْقَى الْأُجْفَانُ إِلَّا عَلَى الرُّضَى وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا الْإِمَامُ الْمَوْصَرُ

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٤١ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٤١ .

(٣) ديوان ابن عمار ص ٢١٢ .

(٤) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٦٣ .

(٥) المصدر السابق ص ١٩٨ .

ويقول ابن زيدون في الممتد (١) :

هناك التقي والعلم والحلم والنهي وبذل الله والبأس والنظم والنشر
والمعاني التي يمدح بها الملك غير المعاني التي يمدح بها الوزير يمدحان
القائد والكاتب ، وقد لاحظ ابن رشيق ذلك . . . فالكاتب والوزير يمدحان
"بحسن الروية ، وسرعة الخاطر بالصواب ، وشدة الحزم ، وقلة الففلة
وجودة النظر للخليفة ، والنيابة عنه في المعضلات بالراي أو بالذات ، وبأنه
محمود السيرة ، حسن السياسة ، لطيف الحس . . . فان أضاف الشاعر
إلى ذلك البلاغة والخط والتفنن في العلم كان الغاية ، وأفضل ما مدح به
القائد الجود والشجاعة وما تفرع منها" (٢) . . .

ومن أوضح الأمثلة على مدح القائد والوزير قصيدة ابن وهبون البائية
التي مدح فيها ابن عمار ، وأشاد فيها بصفاته الكريمة ، وأغلقه الحميدة ،
فهو شجاع قوي ، يعرف وقت الجد من وقت الهزل ، يمطي كل وقت حقه ، وهو بليغ
حسن الكلام (٣) :

ولا أضح ربح المجدي وهو خراب	ولولا ابن عمار وفاضل سمي
ولا كان يدري للحوادث سباب	وما كان يؤتى المجد من حيث يبتغي
ولا قطرت أرض العفافة سحاب	ولا أهرقت أرض العدو صواعق
ل موسى ، وهل دون السحاب حجاب	وما كان هارون أصح وزار
لو أن له السبع الشداد قباب	بميد الرضى في النصح ما كان راضياً
و لو أن الحمام شراب	نهوض ولو أن السنة مركب
ه ما يهز الجيش وهو هضاب	مضى مثلما يمضي القضاء وهـ
له عن سناها في الخطوب مناب	كما اقترنت بالبدر شمس منيرة
ولحظته يوم اللقاء هـ	فلفظته يوم السهابة خطبة
تداركوه أو تدق هـ	له سنة في الجد والهزل مثلما

(١) ديوان ابن زيدون ص ٥٧٥ .

(٢) المصدة ٢ : ١٣٤ - ١٣٥ .

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٩٤ - ٤٩٥ .

الهجاء

الهجاء ضد المديح ، فالشخص يهجو الآخر بما فيه من مثالب ، ولكن هذا الفرض لم تقم له سوق رائجة في الأندلس ، ولا سيما الهجاء السياسي (١) ، وقد سار الهجاء في إشبيلية في عدة اتجاهات منها : هجاء المرابطين والفقهاء ، هجاء الملوك ، هجاء الوزراء ، هجاء شخصي ، هجاء ملوك الطوائف . وقد مثل الاتجاه الأول في فترة متأخرة من القرن الخامس الهجري وأوائل القرن السادس الأبيض الاشبيلي (٢) فيها هو يهجو الفقهاء المرائين الذين يتكسبون بالمعلم والزهد فيقول (٣) :

أهل الرياء ليستم ناموسكهم كالذئب يختل في الظلام المائسهم
فملكتهم الدنيا بعد ذهب مالهم وقسمتم الأموال باين القاسمهم
وركبتهم شهب البغال بأشهبهم وبأصبغ صبغت لكم في المالهم

ومرة أخرى يهجو الزبير أحد أمراء المرابطين في قرطبة ، فيتهمهم بالذلّال وقلّة الدين والمجون بقوله (٤) :

عكف الزبير على الضلالة سائساً وأمامه المشهور كلب النصار
مازال يأخذ سجدة في سجدة بين القيان ورثة الأوتار
فإذا اعتراه السهو سبّح خلفه صوت الكران وصرخة المزمّار
وها هو يتهمهم بالفجور قائلاً (٥) :

-
- (١) في الأندلسي ، الدكتور جودت الركابي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٠ ، ص ١١٥ .
(٢) الأبيض الاشبيلي : هو أحمد بن محمد الانصاري ، كان من أشهر الوشاحين في عصر المرابطين ، وقد قتله الزبير أمير قرطبة نتيجة هجائه إياه (زاد المسافر ، التجيبي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٠٨ - ١١٣ ، الخريدة ق ٤ م ٢ ص ١٦٠ ، ٦٧٠ ، المغرب ٢ : ١٢٧ ، أدب المغاربة والاندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه المربية ص ٩٠ - ٩٢) .
(٣) زاد المسافر ص ١١٣ ، النفع ٣ : ٤٤٨ .
(٤) زاد المسافر ص ١١٢ .
(٥) المصدر السابق ص ١١٢ .

يَسْأَلُنِي عَنْ زَيْبٍ أَيْنَ مَسْكَنُهُ
سَكَرَانَ يَكْرَعُ فِي فَرْجٍ وَفِي قَسَدٍ
يَا ضَيْمَةَ الْحَسَنِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ سَبْدًا
هَيْبَاتٍ تَطْلُبُ صَبْحًا مَالَهُ وَضَح
وَالْمَلِكُ تَحْتَ لَبَانِ الْجُودِ مَطْرَح
أَوْدَى السَّعَاعِ بَيْتَ الْعَالِ وَالْقَدَح

وقد مثل اتجاه التهاجي بين الملوك والوزراء المعتمد بن عباد وابن
عمار، فعندما افتخر ابن عمار بنفسه، وأمر أهل بلنسية بالخروج على بني
عبد الميز في قصيدة أولها (١) :

شَبْرَ بِلَنْسِيَّةٍ وَكَانَتْ جَنَّةً
أَنْ قَدْ تَدَلَّتْ فِي سَوَاءِ النَّارِ
نَرَى الْمُعْتَمِدَ يَنْظُمُ قَصِيدَةً يَتَهَكَّمُ فِيهَا مِنْ ابْنِ عِمَارٍ ، وَيَسْخَرُ مِنْ شَخْصِيَّتِهِ
فِيذْكُرُهُ بِلَدَتِهِ الصَّغِيرَةَ ، وَبِأَصْلِهِ الْفَقِيرَ ، وَبِعَائِلَتِهِ الْمَقْمُورَةِ قَائِلًا (٢) :

الْأَكْثَرِينَ مَسُودًا وَمُلْكِيًّا
الْمَكْثَرِينَ مِنَ الْكِبَاءِ لِنَارِهِمْ
وَالْمُؤَثِّرِينَ عَلَى الْمَيَالِ بِزَادِهِمْ
النَّاهِضِينَ مِنَ الصُّهُودِ إِلَى الْمُضَلَّاتِ
إِنْ كُوتُوا كَانُوا الْحَصَى أَوْ فَاحِشُوا
يُضْحِي مَوْثَلُهُمْ يَوْمًا سَبِيحُهُ
تَبْكِي عَلَيْهِمْ شَتَبُوسٌ بِمَسِيرَةِ
مَنْ قَوْمِكَ الزَّهْرُ الْوَجُوهُ إِذَا الْوَغَى
مِنْ كُلِّ أَشْوَسٍ خَائِضٍ فِي لَجَّةٍ
لَمَّا نَاهَمَ لِلْعُلَا عِمَارَهُمْ
وَمَتَّوَجًا ، فِي سَالِفِ الْأَعْصَارِ
لَا يُوَقَّدُونَ بِغَيْرِهِ لِلْسَّارِ
وَالضَّارِبِينَ لِهَاقِ الْجَبَّارِ
وَالْمُنْهَضِينَ الْفَارَ بِمَدِّ الْفَارِ
فَمِنْ الْأَكَاكِرِ مِنْ بَنِي الْأَحْرَارِ
وَبَيْتُ جَارِهِمْ عَزِيزُ الْجَبَّارِ
كَأَنَّهَا الْمَتَدَاغِ الْتِيَّارِ
كَسَتْ الْوَبُوهَ الْفَرَّ ثَوْبَ الْقَسَارِ
نَحْوَ الْكُمَاةِ ، بِشَمْلَةٍ مِنْ نَارِ
تَرْكُوا الْمَدَاةَ قَصِيرَةَ الْأَعْمَارِ

وعندما سمع ابن عمار بهذه القصيدة استشاط غضباً فقال قصيدة

(١) ديوان ابن عمار ص ٢٨٧ ، الحلة السيرة ٢ : ١٥٥ .

(٢) ديوان المعتمد ص ٧٢ - ٧٣ ، الحلة السيرة ٢ : ١٥٦ - ١٥٧ .

لامية في هجاء المعتمد وزوجته الرميكية أقذع فيها إقذاعاً شديداً ، حيث بدأها بتذكير المعتمد بأصله ، وبقرية أجداده " يومين " التي جاءوا منها ، حيث لم يكونوا شيئاً مذكوراً (١) :

ألا حيّ بالفرب حيّاً حلالاً أناخوا جمالاً وحازوا جمالاً
وعرج بيومين أم القُـسـرى ونمّ فعمسى أن تراها غيـالاً
لتسأل عن ساكنيها الرماـ ولم تر للننار فيها اشتغلاً

وبعد ذلك انتقل إلى هجاء المعتمد ، حيث اتهمه بحب النساء ، وقضا وقته معهن ، بل إنّه يهوى الفلمان ويحبّهم (٢) :

أيا فارس الخيل يازيد هــ حميت الحمى وأبحت العيـالاً
أراك تهوي بحب النساء وقدما عهدك تهوى الرجال

وبلغ ابن عمار قسّة هجائه عندما أخذ يقرض بالرميكية ، حيث اتهمها في أخلاقها وشرفها وسلوكها (٣) :

تخيرتها من بنات الهجـ ن رميكية ما تساوي عقالاً
فجاءت بكل قصير المـ ر لئيم النجارين عماً وخالاً
وعاد مرة أخرى إلى هجاء المعتمد ، والطمع في شرفه قائلاً (٤) :

أتذكر أيا منّا في الصـ وأنت إذ لحت كنت الهـلالاً
وأقنع منك بدو الحـ م فتقسم جهدك أن لا حالاً
ساكف عرّضك شيئاً فشيـ نا وأهرك سترك حالاً فحالاً

(١) ديوان ابن عمار ص ٢٩١ .

(٢) (٤، ٣، ٢) ديوان ابن عمار ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

وقد يوجه الشعراء هجاءهم إلى الملوك نتيجة عدم الاحتفال بهم وكرامتهم ولكن هذا كان قليلاً في إشبيلية ، وذلك لأن بني عبّاد كانوا يكرمون الشعراء ويحترمونها ، وبالرغم من ذلك يخرج أبو جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي من عندهم غير راضٍ فيتهمهم بالخلو عدم إقراء الضيف بقوله (١) :

تمرّ عن الدنيا ومفروفي أهلها إذا عدم المعروف في آل عبّاد
حللت بهم ضيفا ثلاثة أشهر بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وقد يكون ذمّ ملك وهجاؤه وسيلة للتقرب من ملك آخر ، فهذا هو النحلي البطليوسي يأتي إلى إشبيلية فيمدح المعتضد ، ويهجو المعتصم بن صامح ويتهمه بالجبن والضعف (٢) :

أباد ابن عبّاد البربر وأقنى ابن ممن دجاج القرى

وعندما ذهب الشاعر إلى القرية ، أحضره ابن صامح لعنادته ، فأحضره المشاء ، ومافيه غير الدجاج ، فقال النحلي : يا مولاي ، ما عندكم في القرية غير الدجاج ؟ فقال : إنما أردت أن أكذبك في قولك : وأقنى ابن ممن دجاج القرى ، فطار سكر النحلي ، وجعل يمتذر ، فقال له : غفّض عليك ، إنما ينفق مثلك بهذا ، وإنما المتب على من سمعه فاحتمله منك (٣) ،

ويسيل هجاء الشعراء أحيانا إلى التندر وعدم الاقتداء ، فهذا هو ابن المرغر النصراني ينزل بقوم ضيفا ، فلم يوقدوا عنده سراجا فيتهمهم بقوله (٤) :

نزلت في آل مكحول وضيّفهم كنازل بين سمع الأرض والبصر
لا تستضيء بضوء في بيوتهم مالم يكن لك تطفيل على القمر

وأما أبو القاسم بن محمد بن الملح فأنه يتندر من والده ويقرنه بأهليسيس بقوله (٥) :

(١) النفح ٤ : ٢٢٦ .

(٢) النفح ٤ : ٩ .

(٣) النفح ٤ : ٩ .

(٤) المصدر السابق ٣ : ٥٢٢ .

(٥) المصدر السابق ٤ : ١٤٩ .

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو الْمَتَابَ مَـا فَتَنْتُ جَهْلًا بِهِ وَغِيـمًا
لَوْلَا ثَلَاثُ شَيْوْخٍ سَـوْءٍ أَنْتَ وَإِبْلِيسُ وَالْحَمِيرُ مَـا
وَقَدْ يُوَدِّي تَنَافُسَ الشُّعْرَاءِ فِي بِلَاطِ بَنِي عَبَّادٍ إِلَى هَجَاءِ بَعْضِهِمْ
بَعْضًا كَقَوْلِ الْحَصْرِيِّ (١) سَاخِرًا مِنْ أَبِي الْعَرَبِ الصَّقَلِيِّ (٢) ؛
مُحِبِّبَ كَالْمَتْنَسَبِيِّ وَهَوْلًا يَحْمُسُنُ شَيْئًا
إِنْ هَذَا يَحْيِي وَيُؤَيِّ أَوْتِي الْعِلْمَ صَبِيحًا

وَلَمْ يَجْرَوْا الشُّعْرَاءُ عَلَى هَجَاءِ مُلُوكِ الدُّلُوفِ إِلَّا فِي فِتْرَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ ، فَهَاهُوَ
أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْجَدِّ يَقُولُ قَصِيدَةً رَائِيَةً يَسْخَرُ فِيهَا مِنْهُمْ ، فَيَصِفُهُمْ
بِالْجَبَنِ وَالتَّقَاعَسِ عَنِ الْجِهَادِ ، وَهُمْ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ كَأْسُ يَشْرِبُهَا ، وَقَيْنَسَةُ
تَسْمَعُهُ الْفَنَاءَ ، وَهُمْ يَبْتَغِدُونَ عَنِ التَّمَسُّكِ بِالْدِينِ ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، يَجْلِسُ
الْمَلِكُ مِنْهُمْ عَلَى عَرْشِهِ كَالصَّنَمِ ، يَزْمَجِرُ وَيَحْمِرِدُ دُونَ فَائِدَةٍ تَرْتَجِي مِنْهُ (٣) ؛

- (١) الْحَصْرِيُّ : هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْفَتْنِيِّ الْحَصْرِيِّ الْفَهْرِيِّ الْخَزِيرِ ،
وُلِدَ سَنَةَ عَشْرِينَ وَأَرْبَعْمِائَةٍ بِمَدِينَةِ الْقَيْرَوَانِ ، وَخَرَجَ مِنَ الْقَيْرَوَانِ وَهُوَ فِي حَدِّ دَوْدِ
الثَّلَاثِينَ ، وَجَاءَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِينَ وَأَرْبَعْمِائَةٍ وَخَرَجَ مِنْهَا سَنَةَ
تِسْعِ وَسِتِينَ وَأَرْبَعْمِائَةٍ ، تُوُفِيَ فِي طَنْجَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعْمِائَةٍ ،
انْظُرْ : (الذَّخِيرَةُ ق ٤ م ١ ص ١٩٢ - ٢١٩ ، بِغْيَةِ الْمُلْتَمَسِ ص ٤٢٥ ، وَفَيَاتُ
الْأَعْيَانِ ٣ : ٣٣١ - ٣٣٤ ، الْخَرِيدَةُ ٢ : ١٨٦ - ١٨٧ ، غَايَةُ
الْنِّهَايَةِ ١ : ٥٥٠ - ٥٥١ ، بِغْيَةِ الرِّوَاةِ ١ : ٣٤١ ، الْمُحِبِّبُ
ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ، شَذَرَاتُ الذِّهْنِ ٣ : ٣٨٥ - ٣٨٦ ، زَهْرُ الْأَدَبِ
١ : ٤ - ٩ ، مَعْجَمُ الْأَدَبِ ١٤ : ٣٩ - ٤١ ، الصَّلَةُ ٢ : ٤٣٢ - ٤٣٣ ،
عَلِيُّ الْحَصْرِيِّ (الْمَعْشَرَاتُ وَاقْتِرَاحُ الْقَرِيحِ وَاجْتِرَاحُ الْجَرِيحِ ص ١٣ - ٢٨١ ،
دِيَوَانُ لَيْلِ الصَّبِّ ص ٦ - ٢٥ ، عَلِيُّ الْحَصْرِيِّ ، ص ٢٥ - ١٩٥ ، مَخْتَارَاتُ
مِنَ الشُّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ص ٢٠٨ ، مَقَالُ الشَّاذَلِيِّ بُوَيْحِي فِي مَجْلَةِ حَوْلِيَّاتِ
الْجَامِعَةِ التُّونِسِيَّةِ / تُونِسَ / الْمَدَدُ السَّابِعُ / سَنَةِ ١٩٧٠ م
ص ٢١ - ٣٤) .

(٢) الْخَرِيدَةُ ٢ : ١٨٦

(٣) الذَّخِيرَةُ ق ٢ م ١ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ، أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٤٢ .

في كل يوم غريباً فيه مُتَتَبِرٌ
أرى الملوك أصابتهم باندلس
قد كنت أنظرها والشمس طالمة
ناموا وأشرى لهم تحت الدجى قدرٌ
وكيف يشمر من في كفه قَدَحٌ
صمت مسامعة عن غير نفمتيه
تلقاه كالصجل معبوداً بجلسه
وحوله كل مفترٍ وما علموا

تلقاه أو يلقاه به غسـبـر
دوائر السوء لا تهقي ولا تسد ر
لوصح للقوم في أمثالها النظر
هوى بأنجمهم خشفاً وما شمر وا
تحدوه به مذلات النأي والوتير
فما تمر به الآيات والسُّـبـور
له خوار ولكن حشوه غـسـبـور
أن الذي زخرقت دنياهم غـرـر

ولم يكن الشاعر يجرؤ على هذا لولا مجيء المراهطين ، فيلتفت إلى مدح
يوسف بن تاشفين قائلاً (١) :

فقل لمن نام أصبحت ، انتبه ، فلقد
وانظر إلى الصبح سيفاً في يد ملك
يرعى الرعايا بطرف ساهر يقـسـط
ردوا موارد قد أوردتم غنقـسـاً
كأنني بكم قد صرتم سـمـراً
أما تم قبل موت سوء فملكـمـم
وقبله رأينا ابن رشيق (٢) يهجو ملوك الطوائف ، وبخاصة بني عبـاد ،
ويتهمهم بعدم صلاحهم لهذه المناصب والألقاب (٣) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .
(٢) هو ابن رشيق القيرواني ، أصله من القيروان ، هاجر منها بعد النكبة
التي حلت بها ، وكان بينه وبين ابن شرف خاتمة ومهاجاة ، انظر (قراصة
الذهب ص ٦ ، حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها ، الدكتور عبد الرحمن
ياغي ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦١ ص ١١١ - ٤٥٤ ،
وغيرهما) .

(٤) ديوان ابن رشيق ، جمعه الدكتور عبد الرحمن ياغي ، دار الثقافة ، بيروت ،
ص ٥٩ - ٦٠ ، النسخ ١ : ٢١٤ .

هَـمَا يَزْهَدُنِي فِي أَرْضِ أُنْدَلُسِ سَمَاعٌ مُقْتَدِرٌ فِيهَا وَمُقْتَضِدٌ
الْقَابُ مُلْكِي فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِمْ كَالهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحاً عَوْلَةَ الْأُسْدِ
هذه هي المعاني التي دارت عليها قصائد الهجاء ، هجاء يمس
الشرف والعرض عند بعضهم ، وهجاء يدور حول الابتعاد عن الدين والإغراق
في المجون ، وهجاء بالبخل . . . ولم يوجد في إشيلية أي أحزاب سياسية
أو نزعات شعوبية ، لهذا لوحظ أنَّ الهجاء السياسي لا وجود له .

الفخر

لقد انتشر الفخر بين الشعراء في إشبيلية ، فتغنوا بالصفات الحميدة
القديمة ، والمعاني الإسلامية ، فقد افتخروا بالنسب والكرم والشجاعة
والعدل والذكاء والحلم والوفاء ، وغير ذلك من الصفات التي طالما افسحت
بها الشعراء .

وكان بنو عبّاد يرددون الافتخار بنسبهم وأهلهم ، فهذا المأمون
ابن المعتمد يفتخر بأنه من لخم (١) :

قومي لخم وهم ما هم
أهل الندى والبأس يوم الكفاح
كم كملوه من عيون القنص
ورددوه من خدود الصقاح

وأما المعتمد بن عبّاد فانه يفتخر بانتمايهم إلى بني ماء السماء
وبأنهم محافظون على الدين بقوله (٢) :

قد مضى منا ملوكٌ شهروا
شهرة الشمس تجلّت في الأفق
نحن أبناء بني ماء السماء
نحن أبنائهم الحافظون

ويحتلّ الفخر أكبر قسط من شعر المعتمد ، منها هو يفتخر بجوده وكرمه
قائلاً (٣) :

البخل عينٌ نقيصة
والجود عينٌ للكمال
أبصرت رشدي في الندي
فالبخل عندي كالضلال
هذا زعافٌ طعمه
والجود حلوه كالزلال

ويتغنّى المعتمد بصفة الجود في كثير من مقطوعاته ، حتّى إنّ بيوت المال
أخذت تشكو من شدة إسرافه (٤) :

(١) المرقصات والمطربات ص ٧٩ .

(٢) ديوان المعتمد ص ١٠٩ .

(٣) ديوان ابن زيدون ، تح . كامل كيلاني وخليفة ص ٣٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ص ٣٧٠ ، الحلة السيرة ٢ : ٤٤ .

لقد بسط الله المكارم في كفاي
تتايي بيوت المال من فرط بذلها
فتغري بعيني بالسماح فتتبعني
لمعرك ما الإسراف في طبيمة
وهو ملق ضيفه بكل بشاشة مولا
فلمست على الحلات عنها أفا كفا
بعيني : قد أسرفت ، طالمتي ، كفاي
ولا ترتضي خلا يقول لها : بكفاي
ولكن طبع المخل عندي كالحسيف
: (١) :

عن القصور قله جاروا وما جرت عن قصور
انما اعرضوا للمخل اعرضت عنهم
ولا التقي ضففي بغير بشاشة
انما خفيت طرق المرائين عن أسد
وان من أقوام كنت الذي أسدي
ان فعمدت لطله معروفه عندي

وبفتخر الممتد بعبوده وكرمه ، ميتا ان الجود أحلى على قلبه من
النصر على المدو ، ومن الفناء والخسر . . فهو دائما يحن إلى الكرم
حنين الأرض المطشى إلى المطر الفزير (٢) :

الجود أحلى على قلبي من الظفر
ومن فناء أثرى في الصبح لنا
وقد حننت إلى ما اعتدت من كرم
وبفتنى القاضي والمد الممتد
ومن حال قصي السوء ل والوطر
ياطلقة الشمس في الآصال والهكر
حنين أرض إلى مستأخر المطر
: (٣) :

ولا بد يوماً أن أسود على السورى
فما المجد إلا في ضلوعي كاسق
فجيش القلا ما بين جنبي جائل
أما سلاح الممتد الذي يستعمله في طلب الأمور العالمة
فهو (٤) :

(١) ديوان ابن زيدون ، تح ، كامل كيلاني وخليفة ، ص ٣٧١ .

(٢) ديوان الممتد ص ٦٥ .

(٣) الحلة السيرا ٢ : ٣٨ .

(٤) ديوان ابن زيدون ص ٣٧١ .

وإذا ما توعرت المسالك لسم أر د فيها السرى الأبرأى مقصود
وإذا طلبت عزيمة فمفاتحسي فيها العزيمة والسنان السمهري
ومرة أخرى يصور عزمته القوية ، ونفسه الأبية ، وسميه للمجد والسود د
بقوله (١) :

أنا وما قلبي عن المجر نائم
وان قصدت بي علة عن طلابها
يمز على نفسي إذا رمت راحسة
يئاني اجتهادي إن أحسن بفترة
فتهتز آمالي وتقوى عزمي سبتي
وسنان الرمح في المعركة أصبح عند المعتضد كالزهور التي يتمشقهها ،
ويلتد برائحتها ، فيقول مفتخرا بشجاعة ، ورأية المصيب ، وفكره السديد (٢) :

زهور الأسفة في الهيجاغت زهري
ما إن ذكرت لها من معرك جليل
حتى غدوت وأعدائي تخاطبني
غرس أشجارها مستجزل الشسر
إلا تجلته بالصارم الذكسر
يا قافل الناس بالأجنار والفكر

وعندما وقع إلى المعتد شمر لتحريره بقتل ابن زيدون والتنكيل به
وأوله (٣) :

يا أيها الملك الحلبي الأعظم
قلما قرأها المعتد عرف الفرض الذي إليه قصدوا ، فرد عليهم بأبيات
افتخر فيها بعمله ، وخبرته للأمور ، ووفائه وعدله (٤) :

(١) الجذوة ص ٢٩٧ ، بغية الملتبس ص ٣٩٥ - ٣٩٦ ، الحلة السيرة ٢ : ٤٥ .

(٢) الحلة السيرة ٢ : ٤٥ .

(٣) ديوان ابن زيدون ص ٣٠٦ ، ديوان المعتد ص ٦٦ .

(٤) ديوان ابن زيدون ص ٣١١ - ٣١٢ ، ديوان المعتد ص ٦٧ .

وأردتم تضيق صدري لم يَفِيَقْ والسمر في ثَمَرِ النُحُورِ تَعَطُّمُ
وزحفتم بحالكم لمَجْرَبِ ما زال يَثْبُتُ في المَجَالِ قَيْهِنْزُ
أنى رجوتم غدر من جرَّبتُم منه الوفاءَ وجوَّز من لا يَظْلِمُ

أما ابن وهيون فيبين أنه يريد أن يبلغ بهمتاته أبعاد المراتب ، مع أن أدنى هذه المراتب يطيل تعب طالبيه لمرزتها ، وما يحول من الصاعِـب دون البلوغ اليها ، وأنه سيرمي بهمتاته وعزائمه إلى هذه المراتب الرفيعة حتى تعلم الرِّماح أنه كليل بان يرويهما لما عندما تعطش ، وحتى تشبهه الأقدام أنه صاحب لسن وبلاغة ، فهو ينادم السيف ، ويصاحب الكتاب (١) :

أَتَخَفَى عَلَى الْيَوْمِ غُرْمًا قِيَّيْ وَقَدْ بَدَّ شَأْوِي شَأْوَ كُلِّ نَقَّابِ
ويوكني رسمُ الخمولِ وقد غَدَّتْ غِصَالُ الْعُلَا والمَجْدِ طَوْعَ رَكَابِ
سَأَرَقِي يَهْمَاتِي قِصَارَى مَرَاتِبِي وَإِنْ كَانَ أَذْنَاهَا يُطِيلُ غِلَابِي
لتعلم أطرافُ الأُسَّةِ أَنَّنِي كَفِيلٌ بِهَا عِنْدَ الصَّدَا بِشَرَابِ
وتشهد أطرافُ البراعاتِ أَنَّنِي بِهِنْ مَصِيبُ فُصْلِ كُلِّ خَطَّابِ
مُضْمَخَةٌ لَا بِالْخُلُوقِ أَنَا طِيَّي مَزْعُفَةٌ لَا بِالتَّيْبِيرِ هِرَابِي
ولكن ينفجُّ يُخْجِلُ الرُّوضُ زَاهِرًا وَلَكِنْ بَدْعِي فِي كُلِّ وَرَقَّابِ

ويفتخر ابن عمار بأصله ، وحنكته ، وقيادته العظيمة ، وشجاعته ، وأنه يعطي كل وقت حقه وذلك حين يخاطب بني عبد العزيز حكام بلنسية (٢) :

كَيْفَ التَّفَلَّتْ بِالْقَدِيمَةِ مَنْ يَدِي رَجُلُ الْحَقِيقَةِ مِنْ بَنِي عَمَّارِ
رَجُلُ تَطْمِئَةِ الزَّمَانِ فَجَّاءُ طَرَفَيْنِ فِي الْإِحْلَاءِ وَالْأَمْرَارِ
سَلَسَ الْقِيَادَ إِلَى الْجَمِيلِ فَأَنْبَهَجَ فَدَعَ الْعَنَانَ لِهَيْبَةِ التَّيَّارِ

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .

(٢) ديوان ابن عمار ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

ماضي إذا برزت اليه مصمم
ما زال مدّ عقدت يداه ازاره
كشاف مظلمة وسائس أمسية
شراب أكواس المدام وتسارة
جرار أذيال القنا ظنوا به
قد زارك في الجحفل الجرار

ويفتخر بشهرته قائلاً (١) :

إني ابن عمار لا اخفي على أحد
وبين طبعي وذهني كل سابقة
إلا على جاهلٍ بالشمس والقمر
كالسهم يمد بين القوس والوتر

ويمزج ابن حمديس بين الفخر والشكوى ، فيصف أهل زمانه بالخبل
والفدر ، ويبين أنه عانى كثيراً من وعاء السفر ، وأحداث الزمان ، حتى
صار كالسيف أبلى غمده طول تعلقه بالمنكب لا ستخداه في الحرب (٢) :

أعطتك همّك العزيمة فاركب
شرق لتجلو عن ضيائك ظلمة
إن الخطوب طرقتني في جنّة
ولرب محتقر تركت جوابه
لا تحسبني في الرجال بخاشية
أصحت مثل السيف أبلى غمده
إن يعلو صدأ فكم من صفحة
لا تليق عنك دون المطلب
فالشمس يمرّ نورها بالمغرب
أخرجتني منها خروج المذنب
والليث يأنف عن جواب الثعلب
إني لا أقصر كل لقوة موقب
طول اعتقال نجادة بالمنكب
مقولة للما تحت الطحلب

وأختتم الحديث عن الفخر عند الشعراء في إشبيلية بأبيات لابن حمديس
افتخر فيها بشجاعة قومه ، وثباتهم ، وقوتهم ، وكثرة جيوشهم وبسالتهم (٣) :

(١) ديوان ابن عمار ص ٢٤٥ .

(٢) ديوان ابن حمديس ص ٣٧ - ٥٣٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٤١٣ - ٤١٤ .

ونحنُ بنو الثُّغر الذين تُفُورُهُمْ
ومن حَلَبِ الأوداج يُفْذِي فطيمنا
إذا عَيَسَتْ حُرْبُ لَهُم تَتَبَسُّهُمْ
لنا عَجَزُ الجِيشِ اللّهام وَمَدْرُهُ
بِحِجْرٍ من الهيجاء ساعة يُفْطَلُكُمْ
يضاغفُ إن عدَّ الفوارسُ عَدَّ نَسَا
بحيث صدورُ السمرِ فينا تُحَطِّطُكُمْ
كأنَّ الشجاعَ الفردَ فينا عَرْمُزَمُ

وهكذا يلاحظ ان الشعراء افتخروا بالمعاني العربية الأصيلة

بالإضافة إلى المعاني الإسلامية ، واعتزوا بقومهم وبشجاعتهم ، وهم فسي
افتخارهم يميلون إلى اختيار الكلمات القويّة ، والأساليب المتينة ، والموسيقى
المتلاحقة الأنفاس .

الشكوى والاستعطاف

الاستعطاف من الأغراض القديمة التي طرقها الشعراء ، وغسي
إشبية يلاحظ أن ابن عمار والراضي بن المعتمد يمثلان هذا الاتجاه .
ويهدع ابن عمار في قصائد الاستعطاف التي بعثها إلى المعتمد وأبنائه
من السنين ، وأحسن قصيدة تمثل اتجاهه في هذا الفن قصيدته الحاثية
التي بعثها إلى المعتمد قبل مقتله بفترة قصيرة ، وفيها يلاحظ عمق العاطفة
وصدقها ، فهي تصور نفس ابن عمار الحزينة المضطربة في تلك الاثناء ،
فيهدوها باستعطاف المعتمد ، منوها بسجاياه الكريمة ، وغصاله الحميدة (١) :

سجايك إن عافيت أئدي وأسبحُ وعذرك إن عاقبت أجلي وأوضحُ
وإن كان بين الخطتين مزيعةُ فأنت إلى الأرنى من الله أجنسُ
وبعد ذلك يحترف بذنبه ، مشيراً إلى أن الأعمال قد تفسد ، ولكنها
قد تصلح بعد ما فسدت ، ثم يتوسل إليه توسل العبد المذنب إلى سيده ويهين
له شماتة الأعداء به مذكراً إياه بأعماله الجليلة التي أداها لدولتهم ، والإخاء
الذي بينهما (٢) :

حنانيك في أخذي برأيك لا تطعُ عداتي وإن أشوا علي وأفصحوا
وماذا عسى الأعداء أن يتزيدوا سوى أن ذنبي واضح متصححُ
نعم لي ذنبٌ غير أن لحليمة صفات يزل الذنب عنها فيسبح
وإن رجائي أن عندك غير ما يخوض عذوي اليوم فيوم يسرح
ولم لا ، وقد أسلفت وداً وخدمةً بكران في ليل الخطايا فيصبح ؟
وهبني وقد أعقت أعمال مفسدةً أما تفسد الأعمال ثمة تصحح ؟

أَقْلَنِي بِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَنْ رَضِيَ
وَعَقَّ عَلَى آثَارِ جَرَمٍ جَنَيْتُهُ
لَهُ نَحْوَ رُوحِ اللَّهِ بَابٌ مَفْتُوحٌ
بِهَيْبَةِ رُحْمَى مِنْهُ تَمَحَوُ وَتُصَيِّحُ
فَكَلَّ إِنَّا بِالَّذِي فِيهِ يَرْشَحُ
أَشَارُوا تَجَاهِي بِالسَّمَاتِ وَصَرَّحُوا
وَقَالُوا : سَيَجْزِيهِ فُلَانٌ بِفَعْلِهِ
فَقُلْتُ : وَقَدْ يَمُفُو فُلَانٌ وَيُصْفَحُ

ويغتم القصيدة بمدح المعتمد ، والحنين إليه (١) :

أَلَا إِنَّ بَطْشًا لِلْمُوَيْدِ يَرْتَجِسِي
وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْ هَوَاهُ تَمِيمَةٌ
وَلَكِنْ حِلْمًا لِلْمُوَيْدِ أَرْجَحُ
سَتَنْفَعُ لَوْ أَنَّ الْحِمَامَ يَهْجَلُحُ
سَلَامٌ عَلَيْهِ كَيْفَ دَارَ بِهِ الْهَمُّ
أَمُوتُ وَلِي شَوْقٌ إِلَيْهِ مَسْبَرُ
وَيَهْنِيهِ إِنْ مَتَ السُّلُوفَانِي

وقد كان لهذه القصيدة في نفس المعتمد أثر كبير ، حيث وعد ابن عمار بالمغفوة ، وأمره بالألا يذيع الخبر ، ولكن ابن عمار غاطب الرشيد بن المعتمد بذلك ، فلمح المخاطبة الوزير عيسى ابن أبي الحجاج الأعليم ، فأشاط الحديث وبلغ ذلك أبا بكر بن زيدون وكان شديد المداوة لابن عمار ، فتغلف عن الركوب إلى القصر حتى وجهه فيه المعتمد ، فمترفه ان مجلسه مع ابن عمار وصل إليه . . ومن ثم غضب المعتمد وقتل ابن عمار بنفسه (٢) .

وهذه القصيدة - كما يلاحظ - فيها الشاعر الصادقة ، والمواطف الحميقة وهي متينة التراكيب ، قوية اللفظ ، حزينة الموسيقى ، وما زاد في هذا الحزن حرف الحاء الذي يخرج من الأعماق .

وجل شغل الراضي في استعطاف أبيه لطول موجدته عليه (٣) ، فغضب والده عليه بسبب له الألم ، ويشمره بالعزلة ، ويذكره بالنكد ، فيقول متسائلاً على نغمات بحر الكامل (٤) :

(١) ديوان ابن عمار ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٢) الحلة السيرة ٢ : ١٥٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٧٣ .

(٤) الحلة السيرة ٢ : ٧٣ - ٧٤ .

وهو المصمّم إن سواه تهلّدا ؟
 قد كنت أوهب من زمان أنكسدا ؟
 من أجل سخطك مثل حز بالمردى
 أو إن يكن يفضّ فقد بان السردي
 من بين أبناء الطوك محسدا
 فانتشعون الناظرين لي المسدي
 فالسقط قد يمّشي القيون إذا اهدا

ومرة أخرى يرسل قصيدة لامية الى
 سبطيمه باشا ، ويشيد بمجده وسماحته (١١) :

ورؤيتك نقل الطبع من أعظم الجهل
 تفرّج يوماً ، والمفقود إلى حبل
 فليس لبيبا من بيت على تكليل
 ومن عجب يشكوى الجريح إلى النضل
 رضاك فلا ضاقت إلى غيره سبلي
 فإن دموع المزن تهوي إلى سفلي
 - إذا الشمس آمنتني - فلاري إلى الظل
 وقلبي مازل الرجال ذوو المقليل
 وكان لديهم سفة كجنى النحل
 ويوقدني علمي بما لك من فضيل
 لديك ، فهذا الفرع من ذلك الأصل

تالي أرى ذا السيف عندك عاطلاً
 مالي حرمت رصاك لي ، وهو الذي
 إنني وحقك واجد بين الحشا
 إن كان لي ذنب فمفوك واسمع
 قد كان من حقي لقمرك - أن أرى
 فلنا للجواث متى أجيء في حلبة
 لا تنحلوا شمري سواي تشككاً

سجبة ذي الدنيا عداوة ذي الفضل
 فصبراً على ضيقاتها فلعلها
 ولا تضيّر النكل إن كنت ناجها
 ساشكو إلى مشكي فواي يمتثيه
 أمحتد الأملاك ، دعوة أميل
 ولست - وإن أضحي بعيد آ بهائس
 لك الخير لم أعلم بأنك منكسر
 فان كنت ذا ذنب فحسبي عفوكم
 وكم حقن الأملاك قلبك من دم
 يومئذني ظني يحدّي ونقصي
 لعمري لئن كنت الجد يورثكفة

ويميل الرّاضي في شعره إلى الشكوى كثيراً ، وقد ساعد على إبراز هذه السّمة في شعره عدّة أمور منها : صهارته في الأصول والشرعيّات حيث مكّنه ذلك من النظر إلى الحياة الدّنيا بمنظار رجل ذكي ، وعزله عن الجزيرة الخضراء من قبل المرابطين ، ثمّ ان علاقته بوالده كان يشوبها النزاع والخصام ، وكان سببها انهماك الرّاضي في القراءة والكتابة وانصرافه عن الحروب والقتال فيها ، وهو يتبرم من الدنيا وقصصها بالفخر والغيانة وسرورها غير دائم وعلاها ما شحيح فهي لا تمنح الانسان ما يتمناه ، وان اعطته بعض امنياته فانها لا تعطيه ذلك بعد شقاء وتعبد (١)

هي الدّارُ غادرة بالرجـ	وقاطعة لحيال الوصل
وكل سرور بها نافـ	وكل مقيم بها لا رتحـ
وموعدها أبداً كيـ	فان أنجزته فبعد الطـ
فمن رام فيها وفاء يـ	ومكثاً لها رام عين السـ
خلقنا نيماً ، وظلّت خيـ	وأوشك شئ فراق الخيـ
نعدّ بـ منها بغير اللذـ	ونشرق منها بغير السرّ
ونزداد مع ذاك عشقاً لهـ	الا انصا سميّنا في ضلـ
كممشوقٍ ود ها لا يـ	وعاشقها أبداً غير سـ

ويلتزم الرّاضي في كثير من الأحيان البحور الطويلة ، التي تدلّ على التفكير والأنابة ، لا على الجموح والقوّة ، فهي هو يكرّر المعنى الموجود في القطعة السابقة بقوله (٢) :

(١) الحلة السيرا ٢ : ٧٤ ، الخريدة ٢ : ٤٣ - ٤٤ .

(٢) الحلة السيرا ٢ : ٧٤ .

يَهْلُ زَمَانُ الرَّءِ مَا هُوَ عَاقِدُ وَيَسْهَرُ فِي إِهْلَاكِهِ وَهُوَ رَاقِدُ
وَيُخْبِرُ بِأَهْلِ الْفَضْلِ حَتَّى كَانَهُمْ جِنَاةُ ذُنُوبٍ ، وَهُوَ لِلْكَلِّ حَاقِدُ
سَيْنُهُ مَبْنِي ، وَيَتَّقِرُ عَامِرُ وَيَصْفَرُ مَطْوُ ، وَيَحْمَدُ وَاقِدُ
وَيَفْتَرِقُ الْأَلْفَ مِنْ بَعْدِ صَحْبَةٍ وَكَمْ شَهَدَتْ مَا ذَكَرْتُ الْفِرَاقِدُ

من هنا يلاحظ أنّ عواطف الشّقاء في استمطافهم وشكواهم تكون صادقة؛ لتأثرهم بالموقف ، وعمق التجربة في نفوسهم بوقصائد هم فسي الاستمطاف تميل إلى الاطناب وذلك للتمكن من اقناع الذي يستمطفونه ، ويكثرون من ذكر الأمثال والحكم ، وبخاصة تلك الأمثال التي تجيء أنصاف أبيات كقول الرازي : ومن عجب شكوى الجريح إلى النّصل ، وقول ابن عسّار : فكلّ أناء بالذي فيه يرشح .

الرثاء

يقول قدامة بن جعفر : " إنَّه ليس بين المراثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنها لهالك مثل : كان ، وتولى ، وقضى نحبه ، وما أشبه ذلك ، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه ، لأن تأييد الميت إنما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته (١) .

إن شغف الأندلسيين بالمشاركة واعتبارهم هو " مثلهم الأعلى فسي تحريك الكلمة ، جعلهم يتتبعون آثارهم في شتى أبواب الشعر وفنونه وأغراضه ، هاهم في الرثاء يقتفون معالمهم في الأسلوب ومنهج التفكير ، فالتفجع باد والمفالة واضحة والحكم مبثوثة (٢) . وفي إشبيلية تفرع الرثاء وتعددت مناحيه ، فوجد رثاء الدول ، ورثاء الأهل والاقارب ، ورثاء الاخوان والاصدقاء ، ورثاء الحكام .

رثاء دولة بني عبّاد :

لقد اقتطع الشعراء قصائد هم في رثاء دولة بني عبّاد من أكبادهم وخاصة ابن حمديس ، وابن اللبانة ، وأبو بكر الخولاني وغيرهم وهو " الشعراء تأثروا على سجن الممتمد ، وطرده من ملكه ، وبالتالي حزنوا على موته وتواريه عن الوجود ، فما كان منهم إلا أن ذهبوا إليه ورثوه حيا وميتا ، ولا بد من القول بأن إخلاص هؤلاء الشعراء للممتمد كان صحيحا ، فلم يتصل أي منهم بالمرابطين بعده ، بل على العكس من ذلك ، فقد انبرى بعضهم إلى هجاء المرابطين ولومهم لسجن الممتمد . وفي رثائهم استخدموا عنصر التشبيه والاستعارة لتوضيح الآسهم وأجزائهم ، واستعانوا بالطبيعة لمشاركتهم في البكاء ، وبثوا في كلماتهم الحركة والحياة ، لتعبر عن الموقف بكل جلاء ووضوح ، وأحيانا استخدموا أسلوب الاستفهام الذي يخرج إلى معانيه الهيانية كالتمجيب والنفي والاستنكار ، وقد يلجؤون إلى أسلوب النداء المشوب بالحزن والشكوى .

(١) نقد الشعر ص ٤٩ .

(٢) المرب في الاندلس ، جورج غريب ، الطبعة الثالثة ، دار الثقافة ،

بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٣٦ .

ويصح أن يتخذ ما قيل من الشعر في هذه الحادثة ، وبخاصة شعر ابن اللبابة ، وشعر المصتمد نفسه أصلاً لتأليف مسرحية من صنف المآسي (١) .

وكان ابن حمديس من الشعراء الذين اشتبهوا في بلاط المصتمد ، فقد مدحه في أيام سروره ، وتنزه معه بين الحدائق والبساتين وعاش عنده عيشة سعيدة أنسته الحزن الذي لقيه من جراء هجرته عن وطنه ، وبمقد أسر المصتمد ، وفق ابن حمديس لصدقته وأميره بأن يهج فيه قصائد عديدة مشحونة بالبكاء والمويل ، فهاه ويملن بأنه لن يهنا له عيش وأميرة مقيد في السجن ، وأن دموعه ستخرف من مآقيه ، وبكاه سيمود إلى ما كان عليه عند نكبة بلده بل أكثر غزارة ، وقلبه سيمزق من الحزن ، فيما هذ المصتمد (٢) :

أباً حياي الموت إن كنت ساليا	وأنت مقيم في قيودك عانيا
وإن لم أباد المزن قطراً بأذمع	عليك فلا سقيت منها الفواديا
تفريت من قلبي الذي كان ضاحكاً	فما ألبس الأجنان إلا بواكياً
وما فرحي يوم السرة طامعاً	ولا حزني يوم المساء عاصياً
وهل أنا إلا سائل عنك سامع	أحاديث تهكي بالنجيع المعاليا
قيودك صيغت من حد يد ولم تكن	لأهل الخطايا منك إلا أياديا
تمينك من غير اقتراحك نعممة	فتقطع بالأبراق فينا اللياليا
كشفت لها ساقاً وكنت لكشفها	تحز الهوادي أو تجز النواصيا
وقفن ثقلاً لم تتيح لك مشية	كأنك لم تجر الخفاف المذاكيا

فهذه القيود التي كبل بها المصتمد ، سببت الحزن والألم لابن حمديس لذلك يأخذ في التمجيب الملو بالأسى من هذا الدهر الذي هو هذا الجبل المظلم ، وأخني علس الملك المميز ، مستعملاً في كل ذلك الكلمات التي تشبع الجو ببخار الحزن ، فيصيح (٣) :

(١) أدب المفارقة والاندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه النثرية ص ٥٤ .

(٢، ٣) ديوان ابن حمديس ص ٥٣٠ - ٥٣١ .

بميل عليه صائب الدهر قاسميا
وأصبح من حلي الرياسة عاريا
وقد كان مقداما على الليث عاريا
أما كنت بالتمكين في العز راسيا
جری الدهر فيها راجلا لك حافيا

وما كنت أخشى أن يقال محمدا
حسام كفاح بات في السجن مفعدا
وليث حروب فيه أعدا وهرق
فياجيلا هذ الزمان هضابا
قُصِرَتْ ولما تقص حاجتك السبي

ثم يترسجن المعتد ويواسيه بقوله : إن الأسود قد تشف وتكبل
خوفا من زجرتها وهيجانها ، لأنها إن كانت بلا قيد ، فلن يستطيع أحد
منارلتها أو الاقتراب منها (١) :

ويحكم تثقيف الأسود ضواريا
يجيب بها كل إلى الله داعيا
دنا من شروط المشرك ما كان آتيا

وقد يعقل الأبطال خوف صياله
أقول وإنني مهبط خوف صيالة
أسير جبال وانتشار كواكب

ويذكر المعتد بأية السميدة بقوله (٢) :

تشق من الليل البهيم ماقيا
إذا بيض الإصباح منه حواشيا
إذا صب في البهيم على الهام صافيا
إذا وردت ماء النهر صوافيا
دروعا وسلوا المرفات سواقيا
وأبقيت منهم في الصدر القواليا
ترعى صرعى القوادي عواديا
مناقمة من بعده هي ماهيا
كما أظمت يملك في الضرب ماضيا
له كلمات الدهر إلا تهانيا

كانك لم تجعل فناء سراودا
ولم تزد الا ظلام بالنقع ظلمة
ولم تش ماء البهيم بالضرب أجسادا
ولم تصدر الزرق إلا ل نواهدا
وقد لبسوا الفدران وهي تموجت
وكم من طفاة قد أخذت نفوسهم
بمترك بالضرب والطمع جرده
مضى ذاك أيام السرور وأقبلت
ان الملك يمضي فيه أمرك بالهدى
وإن أنت محبوب السراق لم يكن

ويشتدّ حزن الشاعر وبكاؤه ، فيأتي بصورة بدويّة تدلّ على الخراب
والموت والهلاك ، فالرسوم قد خلت من ساكنيها ، فيفتش ابن حمد يس عمن
يحبّ فلا يجد ، ولكنه بالرغم من ذلك موجود في بؤرة قلبه ، لا يخيّب
عن باله ، وسيبقى يتذكره ، لأنّه كالضامة التي جاءت وذهبت واختفت
عن النظّار ، ولكنّها خلقت وراءها ربيما وخيرا (١) :

أمرُ بأبواب القصور وأغتنسدي لمن بارقَ عنها في التّميم منابيسا
وأنشدُ لا ما كنتُ فيهنّ منشداً "ألا هيّ بالزّرق الرّسوم الخواليا"
وأذغو بنيتها سيّداً بعدَ سيّدي ومن بعد هم أعبتُ مآ مواليا
وأحداث آثار إذا ما غشيتها فجزّت عليها أد مصي والقوافيا
مضيت حميداً كالضامة أقسمتُ وقد التبتّ وشيّ الربيع المغانيا
وبعد ذلك يعدد مليكه بأنّه سيبيكه ما تبقى من حياته ، لأنّ حياته
بعد أسره أصبحت يرثى لها ، فيوجّه تحذيرا إلى ماقيه إن توقّفت عن نزف
الدّموع بأن (٢) :

سأدمي حفوني بالسّهار عتوبةً إذا وقفتُ عنك الدّموع الجواريا
وأمنع نفسي من حياة هنيئة لا تُك حيّ تستحقّ المراثيا
وقد بقي ابن حمد يس موفيا لأمره إلى أن توفي في السّجن ، فكان
يؤاسيه بالدّهاب إليه ، وبعث الأسمار له ، لكي يخفّف عنه مصابه ، فهاهو
المعتمد يكتب لابن حمد يس قصيدة أولها (٣) :

غريبها أرض المفرين أسيرُ سبيكي عليو منبر وسريسرُ

(١) ديوان ابن حمد يس ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢) ديوان ابن حمد يس ص ٣٣ .

(٣) ديوان المعتمد ص ٩٨ .

هنا تشور عاطفة ابن حمد يس وتستعير ، فيقول قصيدة لاشعورية يشير فيها إلى ظلم الدهر وجوره ، ضاربا الأمثلة التي تبين " يوماً لك ويوماً عليك " مستعينا بالطبيعة لرسم الصور الحزينة ، فالنجوم تدور في أبراجها ، والأسود قد تقيد وهي أشجع الحيوانات (١) :

جَرَى بِكَ جَدٌّ بِالْكَرَامِ عَشُورٌ	وجاء زمانٌ كنتَ فيه تُسِيرُ
لقد أصبحتَ بينَ الظُّلُمِ غَمُورٌ ١٨	إِنَّا نَأْتِيكَ الْغُرْبَ وَهِيَ ذُكُورُ
تَجِيءُ خِلَافًا لِلْأُمُورِ أُمُورُنَا	وَيَعْدِلُ دُورٌ فِي الْوَرَى وَبِحُورُ
أَتَيْتُكَ فِي يَوْمٍ يَنْقُضُ أَمْسَهُ	وَرَهْ دَارِي فِي الْمَرْجِ تَسُورُ
وَقَدْ تَنَجَّيَ السَّادَاتُ بِعَدِّ حُمُولِهَا	وَتَخْرُجُ مِنْ بَعْدِ الْكُسُوفِ بِسُورُ
لِشْنِ كُنْتَ مَقْصُورًا بِدَارِ عَمْرَتَيْهَا	فَقَدْ يَقْصُرُ الشَّرَفُ وَهِيَ وَهْ صُورُ
أَعْرَ الْأَسَارَى أَنْ يُقَالَ مُحَمَّدٌ	غَرِيبٌ بِأَرْضِ الْمَغْرِبِ أَسِيرُ
تَنَافَسَ مِنْ أَغْلَالِهَا فِي فِكَاهِنَا	وَيُقْصَمُ مِنْهَا بِالْمِصَابِ ذُكُورُ
وَكُنْتَ مَسْجُوعًا بِالظُّلُمِ مِنْ سَجُونِهَا	بَسُورِهَا إِنْ السَّيُونَ قَبُورُ

فالشاعر يعرّي أمره ، ويدعوه إلى الصبر وعدم اليأس ، وفي قوله :
وتخرج من تحت الكسوف بدور كأنه يتمنى عودة المعتد إلى المحاكم
بعد أن يفك أسره ، وتحل قيوده .

ويرسم ابن حمد يس كذلك صورة لكرم المعتد وجوده وحفاظه على
الدين ، مبينا أن الكرم رحل مع بني عبادة ، والجهال أخذت تسير
، والقيامة قد أوفت (٢) :

إِلَى الْيَوْمِ لَمْ تَذْعَرْ قَطَا اللَّيْلِ قُرْ	يَغِيرُ بِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ كُفْرُ
وَلَا رَاحَ نَادٍ بِالْمَكَارِمِ لِلْفُحْرِ	يَقْلِبُهُ فِي الرَّاحَتَيْنِ فَقُفْرُ
لَقَدْ صَنَعَ دِينَ اللَّهِ خَيْرَ صِيَانَةِ	كَأَنَّكَ قَلْبٌ فِيهِ وَهُوَ ضَمْرُ
وَلَمَّا رَحَلْتُمْ بِالْعُدَى فِي أَكْفَاكُمُ	وَقُلُقِلَ رَضُوهُ مِنْكُمْ وَشَمْرُ
رَفَعْتُ لِسَانِي بِالْقِيَامَةِ قَدْ أَتَتْ	أَلَا فَانظُرُوا هَذَا فِي الْجَهَالِ تَسْمُرُ

(١) ديوان ابن حمد يس ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٢) ديوان ابن حمد يس ص ٢٦٩ .

فمحنة المعتقد فتت آلام ابن حمد يس التي كانت تحيط بقلبه ، وأحزانه التي تحوم في نفسه ، فنفسه الشاعر باكية حزينة ، فما كان أن يستقر عند المعتقد وبهنا عنده برغد العيش حتى كسر جناحه (١) :

لبيالي لا أشد ولا مطوقا بنعماك في أفنان رؤسائك الخضراء
وما زال صوب من ندائك يهللني ويشقني حتى عجزت عن الوكسر
بكيت زماناً كان لي بك ضاحكاً وكسر جناحي كان عندك ذا خجبر
وأطرقت لما حالت الحال خيرة تحير منها عالم النفس في صديري
فخذها كما أدري وإن كل خاطري وإن لم يكن منها البديع الذي تدري

وقد أثارت نكبة المعتقد كوامن الشجن في نفسية ابن اللبانة ، فإذا الشاعر ينغمس ، وتنهمر شاعريته عن سيل من المراثي ، يمسس القاري من خلالها أثر الفجيرة في نفسه . ولم يكن ابن اللبانة وهو يرثي المعتقد مصبراً عن نفسه وحده ، أو عن الناس فقط ، وإنما صور مصيبة الطبيعة بهذه النكبة ، فاتخذ من مراثيه لوحة يعرض عليها صفاته الكريمة التي لم يبق إلا شذا عطرها . وقد استنزف ابن اللبانة في رثائه لدولة بني عبّاد حزن القلوب ، ولا غرو في ذلك ، فقد برز الشاعر برثائه ، للمعتقد جميع شعراء الأندلس في ذلك العصر ، ولم يستطع شاعر أن يصل إلى ما وصل إليه ابن اللبانة في بكاء الدولة العبّادية ، فقد اقتطع بكاءه عليهم من فؤاده (٢) ، فهو لم يتخذ بكاءه علي المعتقد ودولته للتكسب والزلفى ، بل اندفع يبكي مملكته بمامل التأثير والوفاء .

قال الفتح بن خاقان : " وجمع المعتقد وأهله ، وحملتهم الجوارح المنشآت ، وضمتهم جوانبها كأنهم أموات ، بعد ما ضاق منهم القصر ، وراق منهم الحصر ، والناس قد حشروا بضفتي الوادي ، وبكوا بدموع كالغواصي ، فساروا والنسوح يتبعهم ، والبوح باللوحة لا يمدوهم (٣) . وفي هذه الأثناء انبرى ابن اللبانة فقال قصيدة دالية أفرغ فيها بسات مآقيه وأحزانه ، حيث حشد أكبر عدد من عوامل الطبيعة لتساعده في رسم صورة حزينة ، فالسماء تبكي ، وبنيو عبّاد كالجهال التي أخذت تتهدم (٤) :

(١) ديوان ابن حمد يس ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢) الرثاء ص ٤٥ .

(٣) القلائد ص ٢٢ - ٢٣ .

(٤) شعر ابن اللبانة ص ٣٩ - ٤٠ .

على البهاليل من أبناء عباد
وكانت الأرض منهم ذات أوتار
أنوارها ففدت في خفي أوتار
أساور لهمو فيها وآسار
فالنوم لا عاكف فيها ولا يسار
خطب الزمان ثقافاً غير محتار
أيدي الردى وثنتها دون أغصان
وكل شيء لميقات وميثار
هناك من درر للمجد أفسار
ذوى ، وذاك غلبا من بعد إيقار

تهكي السمة بمن رائج غبار
على الجبال التي هدت قواعد
والرأيات عليها الانصاف ذوت
عريسة دخلتها الثائبات على
وكعبة كانت الآمال تغمرها
تلك الرماح رماح الخط ثقها
والميفر بيض الظها فلت مضاربها
لما لنا الوقت لم تخلف له عدة
كم من دراري سعد قد هوت ووهت
نور ونور ، فهذا بعد نصير

ثم يتوجه بالخطاب إلى الضيوف الذين ينزلون عند بني عباد ، معلنا لهم
أن المعتمد قد سجن ، والكرم قد ولى وذهب ، وإلى الذين يريدون أن يحطوا
رحالهم بوادي بني عباد ، موضحاً لهم بأن الزرع قد جف ، وإلى الفرسان
والجنود ، مشيراً عليهم بالبقاء السلاح لأنهم أصبحوا في أيدي المراهطين (١)

في ضمم رعلك واجمع فضلة الزار
خف القطين وجف الزرع بالسواد
لغير قصد ، فما يهد ياك من راي
تختال في عدد منهم وأعداد
أصحت في لهوات الضيفم العادي
وقاتل نفسه ما أن لسه راد
فليس ينفعه أن الضمى بساد
قد أقفر الحي من هند ومن عباد

يا شجف أقفر بيت المكرمات فخرد
وبامو مل واد بهم ليسكنه
هلت سبيل التدي بابن السبيل فسر
وأنت يافارس الخيل التي جعلت
ألقى السلاح وخل المشرفي ففسد
من يوت من ما من لم يجد حذر
ومن يسد عليه الضر ناظره
لا عطر بعد عروسي في حد يشهم

خانت أكتهم الأعضاء فانقطموا
غابت عن الفلك الأرضي أنجمهم
وبدلوا غيرنا قوماً فنحن نسرى
وكيف تقوى الكف دون أعضاء
فليس للسم فيهم نوراً سعاد
تركيب أرواحنا في غير أجساد

لا شك أن تأثر ابن اللبانة وحزنه واضح كل الوضوح في هذه الأبيات التي يبدو فيها الشاعر مضطرباً لا يعرف كيف يحبر عما في نفسه من الألم وأسى ، فتارة يأمر ، ومرة يتساءل بشكوى وألم ، وأحياناً يضرب الأمثال والحكم التي يبت فيها شكواه وحزنه لسقوط دولة الممتمد من ناحية ، ونقمة وفضبه على المرابطين من ناحية أخرى . ويلاحظ أن الشاعر جاء بمصنعي فلسفي يساعد في انتشار الألم ، فالأرواح أصبحت - بمجيء المرابطين ونهاب آل عباس - في غير أجسادها ، فبدت غريبة حزينة .
وبعد ذلك يلتفت ابن اللبانة إلى التاريخ ، ليتأسى بحوادثه ، ويستأنس بمجرياتة ، فها هم بنو العبّاس قد دثروا ، بالرغم من وقوتهم وعزتهم ، فلكل أجل كتاب (١) :

هي المقادير لا تبقي على أحد
وأسوة لهم في غيرهم حسنات
إن يخلصوا فبنو العبّاس قد خلعوا
نقول فيهم وهم أعلى براكمكة
كانت أسرته من فضلها بهم
إننا إلى اللو في أيامهم فلقصد
هم الشواهد في كهف معتصم
تباً لدنيا أذاقتهم حواد شهسا
أضحت مكسرة أرواح أسهمهم
ذلوا وكانت لهم في المرز مرتبة
كانوا ملوكاً ملوك الأرض فانصرفوا
وكل ذي نفس فيها لا صا
مما شماتة أعداء وحسنا
وقد حلت قبل حمص أرض بغداد
فالحال ذا الحال إفساد كإفساد
مثل المناير أعواناً بأعوان
كانت لنا مثل أعراس وأعيان
مثل الأباطح فيها خصب مرتان
برح المذاب وما دانوا بالحدان
وأسهم الدهر فيهم ذات أقصاد
تحط مرتبتي عاني وشداد
ومالهم حومة فيها ولا نساد

وبعد هذا التذكر لا يام بني عباد السعيدة ، وصهاجمة الدهر الذي أذلهم
يبدأ ابن اللبانة يستنجد بمحاطفته المتأججة ، وخياله الواسع المشبع بالالم ، ليرسم
صورة حزينة لأسر آل عباد وخروجهم من إشبيلية ، وكان الشاعر أدرك أن الأبيات
السابقة أعطت المقدمة مهيئاً خفيفاً من أوارها واضطرابها فقال (١)

حموا هريمهم حتى إذا غلبوا	سيقوا على نسق في جبل مقتاد
تبدلوا السجن بقصر منزلة	وأهدقوا بلصوص عوض أجناد
وانزلوا عن متون الشهب واحتطوا	فويق دهم لتلك الخيل أنجاد
وعيث في كل طوق من دروعهم	فصيغ منهم أغلال لأجساد
وغيرت نشوات اللاتذنين بهم	بمثل ما تصفوا من كل منقاد
ترى ترى بحد أن قامت قيامتهم	من يوم بحث لهم فينا وميلاد
وهل يكون لهم زند يرى فيمري	لنارهم به من بعد إغماد
نسيت إلا غداة النهر كونهم	في المنشآت كأموال بالحداد
والناس قد ملأوا المبرين واعتبروا	من لولوه طافيات فوق أزماد
حط القناع فلم تستر مخدرة	ومزقت أوجه تمزيق أسراد
تفرقوا جيرة من بعد ما نشأوا	أهلاً بأهل وأولاد بأولاد
هان الوداع فضجت كل صارخة	وصارخ من ملداة ومن فساد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها	كأنها ليل يحدو بها الحساد
كم سال في الماء من دمع وكم حملت	تلاق القطائع من قطعات ألباد

فبنو عباد سيقوا منظوماً بعضهم إلى بعض بالحبال ، حيث لم يخطر
ببال الشاعر أن يكونوا في السفن كأموال في القبور إلا يوم النهر ، أي اليوم
الذي غلبوا فيه ، وحملوا إلى سفائن النهر الكبير لتنتقلهم أسرى . وقد كانت
نساء بني عباد جميلات كالولول في بياضهن ورونقهن . وهاهم الناس يقفون على
على ضفتي النهر ، ليتعجبوا من هذا المنظر الذي لم يخطر على بال أحد منهم
في يوم من الأيام ، ولشدّة حزن نساء بني عباد فقد كنّ سافرات غير مقنعات
يمزقن وجوههن بأظافرهن كما تمزق الشهاب .

وينتهي ابن اللبانة قصيدته بالتحسر على أيام بني عباد الخوالي ، مستعملاً في ذلك الاستفهام الذي يخرج إلى معنى التحسر والبكاء ، والمحسنات البديعية التي تزيد من اظهار حزن الشاعر والمهـ (١) :

من لي بكم يا بني ماء السماء إذا	ماء السماء أبي سقيا ، عشا الصاري
وأين ألقاكم في الرّوع من فئقة	مدرين على الهيجاء أنجاد ؟
كأنما سكبت في جوف بارقة	بنار نور من العريخ وقساد
وأين معتمد ، نعى يقسمها	مرعى وماء الزّوار ورؤا ؟
وأين يوضح لي هدى الرشيد ضحى	أجلو بو في ظلام الضيّ ارشادي ؟
وأين لي كنف المعتد منزلة	على احتفال من النّصص واعساد ؟
مكارم ومعال كنتُ بينهم	كأنني بين روضات وأطواد
لقام الله خيراً ، انكم نفسر	لم تعرفوا غير فعل الخير من عاد
إن كان بحدكم في الميثر من آرب	فإن في غصص عيشي وأنكساد

ولا يكتفي ابن اللبانة بإرسال القصائد إلى المعتمد ، بل يذهب إليه إلى أغصان غمامات والمخاطر والصعوبات ، فيقول : ناك عدة قصائد في البكاء على أميره ، والأسى على أيامه الخوالي ، ومنها القصيدة التائية التي تصح بالحزن والشكوى ، وتتسم بالهدوء المشوب بالنقمة والحق على المرابطين ، حيث يصف حال المعتمد ، وحال البلاد بعده ، ويمدحه ويرثيه في وقت واحد ، ولا فروغ في ذلك ، فابن اللبانة مدحفي سرّاته وحروبه ونال منه الهبات الكثيرة ، فطاعه إلا ان يخلص له بعد أسره ، ويسليه ويندبه بهذه القلائد النفسية ، فإذا به يبدأ هذه القصيدة بمقدمة فلسفية يبين فيها تقلب الدهر ، وعدم ثبوته على حال (٢) :

لكل شيء من الأشياء ميقات	وللمنى من مناعين غايقات
والدهر في صهفة الحرباء منغمس	ألوان حالته فيها استعالات
ونحن من لحب الشطرنج في يسره	وربما تمرّ بالبندق الشاة .

(١) شعر ابن اللبانة ص ٤٣ .

(٢) شعر ابن اللبانة ص ٢٤ .

لهفي على آل عباد فأنهم
تمسكت بمرى اللذات ذاتهم
راح الحيا وعدا منهم بمنزلة
أرض كأن على أقطارها سرجسا
وفوق شاطئ واديها رياض ربي
كأن واد بها سلك بلبتها
نهر شرير بمبريد على صرور
وكنتم أرق في أيكات ورقسنا
وكم جريت بشطبي ضفتيه السس
وربما كنت أسمو للخليج بسو
وبالفروسات لا جفت منا بتهسا
معاهد ليت أني قبل فرقتهم
فجعت منها باخوان ذوي شقة

أهله مالها في الأفق هالات
يا بئس ما جنت اللذات والسذات
كانت لنا بكر فيها وراحسات
قد أوقدتهن في الأذنان أنبات
قد ظللتها من الأنشام دوحات
وغاية الحسنى أسلاك ولبسات
كانت لها في قبل الراح سورات
تهوى ولي من قريض الشعر أضوات
محاسن للهوى فيهن وقفات
وفي الخليج لأهل الراح راحات
من التعيم غروسات جنبها
قد مت ، والتاركوها لبتهم ماتوا
فاتوا ، وللداء ر في الإخوان آفات

فابن اللبنة رسم في هذه الأبيات صورة مؤثرة للحالة التي آلت إليها
الدولة العبادية ، وذلك بمقارنته ماضيها بحاضرها ، فالأشياء باضدادها
تظهر ، فلم يكتف بالحدوث عن الالام التي يعانيها المعتمد في السجن
بل جاء بصورة أخرى للحالة التي كان يعيشها في قصوره ، وبين حدائقه . وقد
كان ابن اللبنة شديد التعلق بالمعتمد ، يتشوق إليه ، ويتلهف إلى لقاءه
وإلى إخراجهم من السجن ، وشعره صورة لإحساسه وعواطفه ، ولا نستغرب هذا
اللون المتميز لشعر ابن اللبنة ، وهذا الخيال المتفوق ، فهو يته الشعر
خصبة معطاءة ، وخياله واسع ، وهو يتلاعب بالألفاظ والتشبيهات تلاعب الفنان
الحاذق المتقن لصنعتة ، ومهما يكن فابن اللبنة شاعر المعتمد المخضر الذي
لم يخف أن يفتك به المرابضون نتيجة هذا الموقف ، وهذه القواعد التي انفراد
بها اتقانا وكثرة من بين أبناء عصره ، فها هو ينهي قصيدته التائية بالمعجم على
المرابطين ، ووصف حالته قبل نكبة آل عباد وبعد ما يقوله (١) :

وافيت في آخر الصَّعْرَاء طائفة
بمضرب المدوة القُصوى دجا أُملي
رغد من المعيشة مالي أرتقبه وليس
إن لم يكن عنده كوني فلا سمسة
هو المراء ولكن دونه خلج
وان تكن رجس من فوق مذممة
هناك آوي من التمس إلى كشف
بين الحصار وبين المرتضى عسر
هل يذكر المسجد المعمور شرحه
عندي رسالات شوق عنده فقسسى

لغاتهم في كتاب الله مَلْفَاة
فهل له بد يار الشرق مشكاة ؟
عند ابن أغلب أكتاف بسطات
للرزق عندي ولا للإنس ساعات
رخاوة عند ها بيض مصلات
فليس تغرب في وجهي الحلمات
فيه ظلال واماوه وجنسات
ذاك الحصار من المحذور منجاة
أو العهود على الذكرى قديمات
مع الرياح توافيه رسالات

وكانت نفس ابن اللبانة تفوق دائما لخروج المعتمد من السجن ، وتتلطف
إلى لقاءه في قصوره ، فيها وشاعرنا يزور المعتمد في السجن ، فيعطيه الأمير
مقداراً من المال وثوبين غير مخيطين ويكتب معهما (١) :

إليك النزر من كف الأسير
تقبل ما يذوب له حياء
وان تتنع تكن عين الشكور
وان عذرتة حالات الفقير . .

هنا يمتنع ابن اللبانة عن أخذها ، ويقول قصيدة رائية مشبهة بالحزن
والأسى تارة ، والأمل المشوب باليأس تارة أخرى فيثن (٢) :

سقطت من الوفاء على خبير
تركت هواءك وهو شقيق ديني
فذرني والذي لك في ضميري
لئن شئت برودي عن غمدي
ولا كنت الطليق من الرزايا
لئن أصبحت أجحف بالأسير
أسير ولا أسير إلى اغتنام
مماذ الله من سوء المصير

(١) ديوان المعتمد ص ١٠٢ .

(٢) شعر ابن اللبانة ص ٥٢ - ٥٣ .

على نمني فما فصل الشكر
وما أنا من يقصر عن قصير
لبست الظل منه في الحس
على كفيك عالات الفقيير
فتسمح من قليل بالكشير
تفتح عن جني زهر نصير
وترفع للعفاة منار نور
إذا عات ارتقاؤك للسريير
غداة تحل في تلك القصور
بها وأنيق ثم على جريير
فليس الخسف ملزم البسور

إذا ما الشكر كان وإن تناهى
جذيمة أنت والزباء خانت
أنا أترى بفضلك منك أنسى
غني النفس أنت وإن العنت
تصرف في الندى حيل المعالي
أحدث منك عن نهي غريب
وأعجب منك أنك في طمأنينة
رويدك سوف توسعني سروراً
وسوف تحلني رتب المعالي
تزيد على ابن مروان عطاء
تأهب أن تصود إلى طلوع

وفي كل مناسبة يتذكر ابن اللبانه أيام المعتمد السعيدة ، وقصوره الفارهة التي خلعت من ساكنيها ، ولا ينسى أن يجعل الطبيعة تشارك آل عباده في حزنهم فمقدمة قصيدته الميمية في البكاء على آل عباده و (١) :

أفخر بها يسكاً عليك مختصا
لملك في نومي ، فكنت منعمسا
فيرجع ضوء الصبح عندي مظلمسا
كسوفك شمساً كيف أطلع أنجماً
وجدناك منها في المزية أعظما
وسيف أطال الضرب حتى تثلما
بني كلة من فوقها ويهد صا
فإذا عريت عادات مع النبع أسهما

تنشق رياحين السلام فإنما
وقل لي مجازاً أن عدت حقيقة
أفكر في عمري مضى لك مشرقاً
وأعجب من أفقي المجرة إن رأى
لئن عظمت فيك الرزية إننا
قناة سمحت للظمن حتى تقصدت
وطود غريب في الشواهي أمره
منابته زادت على النبع بالجنى

لقد كان ابن اللبانه ذا شاعرية قوية ، فيطرق المعنى بعدة أفكار ،

ويتناول الموضوع بعدة أساليب ، فالقوافي تنقاد له انقياداً ، والألفاظ تجيء إليه دون عناء ، والبديع يوشح أبياته فيزيد ١٨ جملاً وإشراقاً ، فهمد هذه المقدمة بين سبب الحزن الذي يحترقه ، فأل عبّاد يهكون ، وأيام المز ولت ، والقصور أصبحت مهجورة ، والروض أخذ بالاصفرار (١) .

بكى آل عبّاد ولا كمحترق
حبيب إلى قلبي حبيب لقولس
صباحهم كنا به نحمد السرى
وكنا رغبنا المرح حول حماهم
وقد ألبست أيدي الليالي قلوبهم
قصور خلّت من ساكنيها فما بها
يجيب بها الهام الصدى ولطالما
كان لم يكن فيها أنيس ولا التقي
ولا اخضر روض في رها فخلته
ولا انمطفت فيه الفصون فمانقت
ولا حسبت بغير الظبا من فرند
ولم تخفق الرايات فيه فأشبهت
ولا جرّ فيها صمدة الرمح خلفه
ولم يصدع النقع المثار سنانه
ولا صورت في جسم الدرع شكلها
جرى القدر الجاري إلى نقر أمره
مويد لخم هك توصل رجسه

وأولاده صوب الفطامة إن همس
(عسى وطن يذنو بهم ولحما)
فلما عدناهم سريتنا على عصى
فقد أجدب الحرقي وقد أقر العصى
مناسج سدى الفخيش فيها وألحما
سوى الأدم تعشي حواء واققر الدى
أجاب القيان المائر المترنسا
بها الوفد جمعا والخميس عرمسا
توشح منهم لا من النور أنمسا
وشجنا بأيدي الثار عين مقومسا
سوالف بات الدر فيها منقاسا
قوادم طير في ذرى الجوّ عومسا
فتاه فقلت : الصل أتبع الضيفما
كما صدع الظلما برق تضرعما
فأشبه ما صورت فيه أرقصما
فمات سحيلاً منه ما كان مبرعما
فكم أمل أضحى إلى النجم سلما ؟

ثم يصف حالته السيئة بعد ذهاب آل عبّاد بقوله (٢) :

(١) شعرا ابن اللبانة ص ٨٨ - ٩٠

(٢) المصدر السابق ص ٩٠ .

حكيت وقد فارقت ملكك مالِكــــــــــــــــا
مصاب هَوَى بالنيران من الحُلــــــــــــــــى
تضيئُ علي الأرضِ حتَّى كأنــــــــــــــــا
ندبتك حتَّى لم يُخل لي الأســــــــــــــــى
وانني على رسمي مقيم فان أــــــــــــــــت
ومن لهي أحكي عليّ متبــــــــــــــــا
ولم يبق في أرض المكارم مفعــــــــــــــــا
خلقت وياها سواراً ومعضــــــــــــــــا
ومعاً بها أبكي عليك ولا تــــــــــــــــا
سأترك للمباكين رسمي موسمــــــــــــــــا

ومن كل حادثة يتخذ ابن اللبانة الطريق للهجوم على المرابطين ، فعند ما
فُكّت القيود عن المعتد سنة ست وثمانين وأربعمائة ردّها من الوقت ، رأى الشاعر
العلامات التي تركتها هذه القيود على يدي المعتد ورجليه ، فأخذ يهاجمهم
المرابطين ويتهمهم بالقسوة والظلم ، متمنيا أن ينجي الله المعتد من سجنه
كما نجى يوسف عليه السلام من البئر فيصدق (١) :

قيودك ذابت فانطلقت لقد غــــــــــــــــت
عجبت لأن لان الحديد وأن قسوا
سئنيحك من نجي من الجب يوسفــــــــــــــــا
قيودك منهم بالمكارم أرحمــــــــــــــــا
لقد كان منهم بالسريرة أعلمــــــــــــــــا
وياؤيك من آوى المسيح بن مريــــــــــــــــا

ولم يكتف ابن اللبانة برثاء المعتد ودولته ، بل أخذ يرثي أولاده ، ويندبهم
وهم أحياء ، فقد كان للمعتد ولد يلقب بفخر الدولة ، رشحه للملك بعده ،
وجعله ولياً لمعهده ، فما برح فخر الدولة أن ذهاب بعد نكبتهم إلى ســــــــــــــــوق
الصياغة ليتعلم هذه الصنعة ، فعند ما عرف ابن اللبانة ورآه على هذه الحالة ،
حزن حزناً شديداً ، وطفق يشكو ويتألم ، ويقارن بين ماضي فخر الدولة وحاضره ،
حيث بدل الماضي المشرق بحاضر قاتم (٢) :

أذكى القلوب أسى أبكي الميــــــــــــــــون دماً
أفراد عقيد المعنى مناقد انتشــــــــــــــــرت
شكاتنا فيك يا فخر القلبي عظمــــــــــــــــت
طوقت من نائبات الدهر مخنقــــــــــــــــة
خطبٌ وجد ناك فيه يشبه القــــــــــــــــدم
وعقد عروتنا الوثقى قد انفصــــــــــــــــا
والرّزه يعظمُ فيمن قدّره عنامــــــــــــــــا
ضاقت عليك وكم طوّقتنا نعضــــــــــــــــا

(١) شعر ابن اللبانة ص ٩١ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٦ - ٨٧ .

من محتر ما كنت في قصرٍ حكي إرما
لم تدرِ إلا الندى والسيف والقلم
فتستقل الثريا أن تكون فمّا
حلياً وكان عليه الحلي منتظماً
هول رأيناك فيه تنفخ الفحم
لو أن عيني تشكو قبل ذاك عسى
ولا تحيف من أخلاقك الكرم
وقم بها رهوة إن لم تقم علمها
من يلزم الصبر يحمد غب ما لزمها

وعان كونك في دكان قارعــــــــــــــــة
صرفت في آلة الصواغ أنطــــــــــــــــة
يدٌ عهدك للتقبل تبسطها
باصفاً كانت عليها تصاغ لــــــــــــــــة
للتفخ في الصور هول ما حكاه سوى
ودت إن نظرت عيني إليك هــــــــــــــــو
ما حظك الدهر لثا حظ من شــــــــــــــــو
لح في الصلوك كوكباً إن لم تلح قمرأ
واضئ فربتها أهدت عاقبــــــــــــــــة

لا شك أن هذه القصيدة تفوق معانيها ، وألفاظها ، الكثير من قصائد
الشعراء ، أرايت كيف صاغ ابن اللبانة هذه الممانى التي تنبض باللوعة الحقيقية ؟
لوعة الشاعر الذي تربى تحت كنف والد فخر الدولة ، فهو بهذا التصوير
يجعل القارئ يشاركه في الحزن على الحالة التي آل إليها ابن المخلص
بخاصة وآل عباد بماسة ، فبعد أن كانت الأشياء تصاغ لفخر الدولة ، وتقابل
أياديها ، ويسكن في قصر منيف ، غداً الآن يتعلم الصياغة في حانوت صغير ، ثيابه
معقرة بالرصاص ، لهذا كله يتمنى الشاعر لو أن الصمى أصاب عينيه قبل مشاهد
هذا المنظر المبكي .

وجملة القول أن قصائد ابن اللبانة في رثاء دولة بني عباد تثير في السامع
شعوراً حزيناً بهذا الفن الشعري ، وهذه المبقرية الفذة ، وهذه الحوائط
الصادقة ، ولا بن اللبانة في البكاء على بني عباد وسقوط دولتهم مقطوعات وقصائد
قد اشتمل عليها كتابه المسمى " السلوك " في وعظ الملوك (١) ولكن الكتاب
لم يصل إلينا ، وكأنه فقد إلى الأبد .

وعندما كان المعتمد مسجوناً في أغمات ، اعتلت بعض كرائمه فبحث إلى الوزير
أبي الملا بن زهر لملاجها ، فما كان من شاعر المعتمد القديم الأملح الدعوة ،
ونذهب إلى أغمات من أجل علاجها (١) فما كان المعتمد يرى ابن زهر حتى
صاح (٢) :

دعا لي بالمقاء وكيف يهـ	أسير أن يطول به الحقـ
أليس الموت أروح من حياة	يطول على الشقي بها الشقاء
أرغب أن أعيش أرى بناتـ	عواربي قد أضربها الحفـ
خوادم بنت من كان أعلى	مراتبه - إذا أهدو - النداء

فما كان من أبي الملا إلا أن قال قطعة شعرية واساه فيها ، وبين له
أن الزمان من طبعه القدر بالكرماء والشرفاء ، مذكراً إياه بمجده القديم ، وإيامه
الخوالي ، ولكن دون التمريض بالمرايطين أولومهم على سجنه ، ولا عجب في ذلك
فأبو الملا بن زهر انتقل بعد نكبة المعتمد إلى ابن تاشفين ، حيث أصبح
طبيباً ، وبالرغم من ذلك فقد أفرغ في أبياته شحنات من الحزن والأسى بسبب الحالة
السيئة التي كان يعاني منها أميره السابق (٣) :

تنافست المراتب فيك حـ	حللت الحسرة إن نحب الشقاء
عزيز أن ينال البحر نهـ	وتسقي الكوثر الصذب الرثاء
ويُلقي في متون الرمل مـ	وتشكو غايبة المخل السماء
ولكن الزمان يلوهم طهـ	على الحر الشريف له اعتداء
ومجديك إنه قسم عظمـ	به وجد السنا وله السنماء
لكنت الفيت إن مذل تبـ	وكنت اللهب إن عن اللقـ
ومثلك ، عز قد ترك عن مثـ	يومل أن يطول له الحقـ
لأنك في سماء المجير نجـ	به لنواظر الدنيا جـ
وغاية كل شيء لا تنتهـ	وأنت لغاية المجير انتـ

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٢٧ ، المعجب ص ٢١٨ .

(٢) ديوان المعتمد ص ٩٠ .

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٨٨ .

وها هو أبو بكر الخولاني الباهي ، منجم المعتمد بن عباد ، يتذكر
أميره بعد سجنه ، ويتلهف إلى لقائه ، وتشرئب عنقه إلى اليوم الذي يجمع
فيه الشمل ، فما كان ابن اللبانة يهود من إحدى زياراته للمعتمد غشي
أغمات ، حتى اضطرب الخولاني ، وقال قصيدة مملوءة بالحسرة ، مشجونة
بالأمل ، فيأخذ بالحب الذي يكنه للأمير ، فها هو يقبل جميع أركان ابن اللبانة
لأنه رأى المعتمد ، وسمى إلى لقائه ، ثم يأخذ بتذكير المعتمد بأيامه
السعيدة ، وليلاليه الهنيئة ، وقصوره الفارهة ، منها القصيدة بأمل الهائس
القطر (١) :

بدرت إلى تقبيل عيني أبي بكسر
وقبلت فاه ناقل الحكم السستي
ولو لم يدا فيني عن القدم السستي
لقد نال ما استدعى حسادتنا به
حسدناه أن نال البصير مزاره الأ
وأن قبل الكف المنيرة في الندي
وأن شام لألة الجبين الذي به
وما أتمدتنا عن مزارك غيرة
ولكن أمور ليس تخفى لناظر
وأخيل بتسليم على الهش دأئماً
على مكسب الملاك زهوا ونخوة
إذا ما استرحنا بالتمني فإنسه
ولا بأس أن يدني إلا له مازنا
أمين ولا تكرهها لي مقيس
ولا بد من التساؤل : أي أمور تلك التي حالت بين الشاعر
وبين زيارته لأميره ؟ هل العرابطون كانوا يضغطون عليه ؟ هل حالة الشاعر
المادية لا تسمح له . بالذهاب هناك ؟ هل الشيخوخة أدركت الخولاني

لرويته البدر المنير على البدر
هي السحر من نظم يروق ومن نثر
خطت نحوه قبلت أخصصها عسري
وما حسد في مثل هذا بنا يزي
ممثل منا في الغواطر والفكر
على الزاخر الفياض والواكف البشر
تكشفت الظلماء في سالف الد
تضاف بها للدائمين على القدر
فلسنا يصحنا حين فيها إلى القدر
لروية ملهوف وروية ممسك
بنيلهم تقبيل أشله العشر
لقاوهك في الزاهي وساحاته الخضر
ويجمعنا من حيث ندري ولا ندري
ولو أنني كرتها عدد القطر
بين زيارته لأميره ؟ هل حالة الشاعر
المادية لا تسمح له . بالذهاب هناك ؟ هل الشيخوخة أدركت الخولاني

بحيث لا يقدر على الوصول إلى المعتمد ؟ وتبقى القصيدة صادقة فسي
عواطفها ، سامية في معانيها ، ومن هنا كان خلودها ، وخلود مثيلاتها من
القصائد .

ويلاحظ أن شاعرية المعتمد تتفتح وتبلغ ذروتها في سجن المرابطين
، حيث تنقش نفسه عن عدد من القصائد المبكية ، التي يغلب عليها طابع الأمل
والانطلاق مع السجينة ، ففي السجن تمثلت نفسه صور المآسي التي يعانيها
هو وأهله ، وفيه يرسم صورة صادقة مؤثرة للحالة التي يعيشها في أغمت ،
فبعد كفاحه الطويل ، وخوضه الممارك ، واعطائه الأموال ، وعيشته السعيدة ،
هاهنا الآن مكبل بالقيود ، أنيسه الفقر ، وفراشه الأرض ، وكأن جناحه مكسور
لا يقدر على الطيران ، فيقول مخاطباً ابنه الرشيد (١) :

كنتُ حِلْفَ النَّدَى وَرَبَّ السَّمَا	وعيبَ النَّفْسِ وَالْأَرْوَاحِ
إِنْ يَمِينِي لِلْبَذْلِ يَوْمَ الْمَطَايَا	ولقبض الأرواح يوم الكفاح
وشمالِي لِقَبْضِ كُلِّ عَنَسَانٍ	يُفْجِمُ الْخَيْلَ فِي مَجَالِ الرَّمَا
وَأَنَا الْيَوْمَ رَهْنٌ أَسْرٍ وَفَقِيرٌ	مُسْتَبَاحُ الْحِمَى مَهِيضُ الْجَنَاحِ
لَا أَجِيبُ الصَّرِيخَ إِنْ حَضَرَ النَّاسُ	سُ ، وَلَا الْمُعْتَفِينَ يَوْمَ السَّمَاحِ
عَانَ بِشَرِّ الذِّي عَهْدَتْ عُبُوسًا	شَفَلْتَنِي الْأَشْجَانُ عَنْ أَفْرَاحِي
فَالْتَمَاحِي إِلَى الْمَدِينِ كَرِيمٍ	وَلَقَدْ كَانَ تَرْفَةَ اللَّمَّاحِ

ويرى المستشرق طارو في هذه القصيدة نفساً يشبه نفس الشاعر

الإنجليزي شكسبير (٢) :

وها هو المعيد يحلّ والمعتمد وراء القضبان الحديدية ، فما أن نظر إلى
الخارج ، أن بناته وزوجته يزرنه في هذا اليوم ، ولكنه لا يصدق ما يرى ، فاحدى
بناته تفزل لمصريف شرطته السابق ، وملابس الجميع رثة بالية ، وأبصارهم
حسيرات باكيات ، فيهتز باكياً (٣) :

(١) ديوان المعتمد ص ٩٤ .

(٢) أزهار البساتين ص ٦٨ .

(٣) ديوان المعتمد ص ١٠٠ - ١٠١ .

فساءك الحميد في أغصان ما سورا
ينزلن للناس ، لا يملكن قط مسيرا
أهوارهن حسيرات ما سورا
كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا
وليس إلا مع الأنفاس مطورا
فكان فطرك للأكل تنطيرا
فردك الدهر منهيا ومأمورا
فإنما بات بالاحلام مغرورا

فيما مضى كنت بالأعيان مسورا
تري بنايك في الأطمار جائمة
برزن نحوك للتسليم خاشعة
يطآن في الطين والأقدام حافية
لا خد إلا ويشكو الجدب ظاهرة
أفطرت في الحميد لأعداء إساءته
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا
من بات بحدك في ملك يسر به

وكان ألم المعتمد ألما روحيا نفسيا سببه الاختلاف الكبير بين حياته
الماضية وحياته في السجن ، فبعد أن كان في القصور الحالية ، أصبح مكبلا
في سجن صغير ، فها هو يتوجه إلى قيده الحديدي ، مخاطبا أياه بأن يترفق
به ، فقد روي من شرب دمه ، وشبع من أكل لحمه ، فلم يبق إلا العظم ، وكان
المعتمد يشعر بأن القيد يؤد التخلخل إلى العظام ، لذلك يتشفع إليه
بألا يهشم البقية الباقية من عظامه ، فيناجيه (١) :

قيدي أما تملكني مسليما
دمي شرابك وللحم قد
أبيت أن تشفق أوترحمنا ؟
أكلته ، لا تهشم الأعظمنا

ثم يذكر السبب الذي من أجله يتشفع القيد ، ويترحم إليه وهو (٢) :

يبحرنني فيك أبوهاشيم
أرحم طفلا طائشا لبسا
وأرحم أخيات له مثلنا
منهن من يفهم شيئا فقص
فيثني القلب وقد هشمنا
لم يخش أن يأتيك مسترحنا
جمعتهن السقم والملقمتنا
يفتح إلا لرضاع فمصنا
والنير لا يفهم شيئا فمصنا

فهو يريد من قيده ان يرحم ابنه أبا هاشم الذي تهشم قلبه حزناً عليه ، ويرأف ببناته الجازعات الحزينات اللواتي جرعن السم مسمن هذا المنظر الحزين ، ففدا يحذف على بعضهن الحصى ، نتيجة كثرة البكاء والمويل ، ويمكن أن يكون هذا الكلام موجهاً إلى يوسف بن تاشفين مثلاً في القيد الحديدي ، حيث يدعو به أن يرأف بهذه الأسيرة التي شرد لها ، وفرق شملها ، وصادر أموالها ، وسجن رئيسها .

وقد كان المعتد في سجنه أشبه بأبي فراس الحمداني ، فكلاً لما لسجنه المظلم يد بهضاء على خلوده ، وعلى الأرب معاً ، فلولا الأسر لما جرى طبعهما بتلك النفثات الرائحة (١) ، ولكن لا يوجد عند المعتد أي أمل في الخروج من السجن ، لذلك أغذ يدعو نفسه بالصبر والتأسي قائلًا (٢) :

اقنّع بحظك في دُنْيَاك ما كانا	وَعَزَّ نَفْسَكَ إِن فَارَقْتَ أوطَاننا
في الله من كل مفقود مضي عوْنُ	فأشعر القلب سُلْوانا وإيماننا
أَكَلْنَا سَنحت زكري طربت لها	مَجَّت دموعك في غَدَّيك طُوفاننا
أما سمعتَ بسلطانٍ شبيهك قد	برّته سودُ خطوبِ الدَّهرِ سُلْطاننا
وَطَنَ على الكُرْه ، وارقب أثره فرجنا	واستغنم الله تغنم منه غفراننا

وهذه النفس الحزينة تتحول إلى نقمة على الأيام ، حيث تجعل المزيّر ذليلاً ، والفني فقيراً ، فها هو يقبح الدَّهر ، ويتهمة بالخدر والخيانة بقوله (٣) :

قَبَّحَ الدَّهْرُ فَمَاذَا صنمنا	كَلَّمَا أعطى نفيساً نزعنا
قد هوى ظُلماً بين عاداتنا	أَنْ يُنادي كل من يهوي لِمَا
من إذا الفيت هي مُنهمِراً	أَحْبَلْتَهُ كَفَّهُ فأنقطعتنا
مَنْ غمَّ الجود من راحتنا	عَصَفَتْ رِيحُ به فأنقشمتنا

(١) أدباء الحرب في الأندلس وعصر الانبعاث ص ١٥٦ .

(٢) ديوان المعتد ص ١١٤ - ١١٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٨ .

من إن لقليل الخناصم طرف
قل لمن يطعم في نائله
راح لا يهلكه إلا دعوة
نطق المافون همساً سيقا
قد أزلت لها رذاذ الطمعا
جبر الله العفاة الضيقا

فتأثر الشاعر بالمصيبة التي حلت به واضح في كل بيت من أبيات القصيدة ،
وعمق التجربة يثقل أظطر نفسه ، فجاءت زفراته حارة مضطربة ، مزوجة
بالبأس والأسى .

وفي السجن يتشوق الأمير الشاعر إلى الحرية ويتمناها في كل لحظة
تمر به ، ويتمثلها في كل شيء وبخاصة في الطيور التي يشاهدها من وراء
القضبان ، فيها هو بيت أحزانه والامه من خلال وصفه لسرب القطا الذي رآه
وهو مكبل بقوله (١) :

بكيت إلى سرب القطا إن سررت مني
ولم تك - والله المميد - حسادة
فأسرحت ، لا شطي صديق ، ولا الحشا
هنيئاً لها أن لم يفرق جميعها
وأن لم تبت مثلي تطير قلوبها
وماذا لك مما يمتريني ، وانما
لنفسى إلى لقيا الحمام تشووق
ألا عصم الله القطا في فراخها

سوارح ، لا سجن يحرق ولا كبل
ولكن حنيئاً أن شكلي لها شكلي
وجيع ، ولا عينا يبيكها تكل
ولا ذاق منها البعد من أهلها
إننا اهتز باب السجن وصلل القفل
وصفت الذي في جيلة الخلق من قبل
سواي بحب الصيغ في ساقه حجل
فإن فراخي خانها الماء والظلل

فالمعتمد أبدع في هذه المقارنة بينه وبين سرب القطا ، وأجاد في اختياره
للألفاظ التي وشج بها هذه القصيدة ، تلك الألفاظ الموحية التي لا يستعظمها
إلا الفحول من الشعراء ، فقلب الطير تطير ، وفراخه خانها الماء والظلل . .
ويعلق نديم مرعشلي على هذه الأبيات بقوله : « ولا مجال للتريب في أن هذه
النفحة الانسانية الشاملة السمحاء التي تنزهت عن الحسد والأنانية
، وضيق النظرة إلى الحياة والمجتمع تكاد تطوع الرجل في مصاف حكماء الهنود
وحواريي المسيحيين ، ومتصوفة المسلمين » (٢) ألا عصم الله القطا في فراخها . .

(١) ديوان المعتمد ص ١١٠ - ١١١ .

(٢) المعتمد بن عباد ص ١٤٩ .

ويلاحظ أتم المعتمد في كل قصيدة من قصائده التي قالها في السجن وفي كل كلمة قالها من وراء القضبان ، وعاطفته الدينية هي التي تسيطر عليه وهو يندب نفسه بهذه القصائد النفيسة التي فتحت له صفحة فسيح معجم الشعراء فيبكي قائلاً (١) :

غَفَنَكَ أَغَاثِيَّةُ الْأَحْمَدَانِ	ثَقَلَتْ عَلَى الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ
قَدْ كَانَ كَالثَّعْبَانِ رَمَحُكَ فِي الْوَفَى	فَقَدْ أَعْلَمَكَ الْقَيْدُ كَالثَّعْبَانِ
مَتَدَّ دَايِمًا بِحَدِّكَ كُلَّ تَسَدَّدٍ	مَتَعَطِّفًا لَا رَحْمَةً لِلْمَانِي
قَلْبِي إِلَى الرَّحْمَنِ يَشْكُو بَشْوَاهُ	مَا خَابَ مَنْ يَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ
بِاسْأَلًا عَنْ شَأْنِهِ وَمَكَانِهِ	مَا كَانَ أَغْنَى شَأْنَهُ عَنْ شَانِي
هَاتِيكَ قَيْنَتَهُ وَذَلِكَ قَصَصُورِهِ	مَنْ بَعْدَ أَيِّ مَقَامٍ وَقِيمَانِ
مَنْ بَعْدَ كُلِّ غَرِيرَةٍ رُومِيَّةٍ	تَحْكِي الْحَمَائِمَ فِي نَدْوَى الْأَغْصَانِ

لقد كان يستثير حزنه ان يجد كفه خلواً مما تجود به ، وسيفه بعيداً عن عينيه ، فما كان يسمع بشيرة ابنه عبد الجبار على المراهطين حتى صاح (٢) :

كَذَا يَهْلِكُ السَّيْفُ فِي جَفْنِهِ	إِلَى هَذَا كَفِّي طَوِيلَ الْعَيْنِ
كَذَا يَحْطَشُ الرَّمْحُ لَمْ يَعْتَقِلْهُ	وَلَمْ تُرَوْهَ مِنْ نَجِيحِ يَمِينِي
كَذَا يُنَمِّعُ الظَّرْفُ عَلَى الشَّكْرِ	مَنْ ، مَرْتَبًا غَرَّةً فِي كَمِينِ
كَأَنَّ الْفَوَارِسَ فِيهِ لِمِشْوَرٍ	تُرَاعِي فَرَائِسَهَا فِي عَرِيْنِ
أَلْأَشْرَفُ بَرَحٍ الْمَشْرِفُ	يَمَّا مِمَّا بِهِ مِنْ شَمَاتِ الْوَتِينِ
الْأَكْرَمُ يُنَمِّشُ السَّمَّ	رَبِّي ، وَيَشْفِيهِ مِنْ كُلِّ دَاءٍ دَفِينِ
الْأَحَنُّ لَا بَنَ مَحْنِيَّةٍ	شَدِيدِ الْعَيْنِ ضَعِيفِ الْأَنْبِي
يُؤَمِّلُ مِنْ صَدْرِهَا خَمْسَةَ	تَبَوُّهُ صَدْرُكَ كَفَّ مُصْنَعِينَ

(١) ديوان المعتمد ص ١١٥ .

(٢) ديوان المعتمد ص ١١٦ .

أن الآلام التي شغل بها المعتمد ، والحزن الذي مرق شرايين قلبه ،
جمله يقول قصيدة دالية ، حملت على متن أبياتها شعوراً حزيناً باكية
وأمر أن تكتب على قبره (١) :

قبر المفريب سقاك الرائح الفادي	حنّاً ظفرت بأشلاء ابن عبّاد
بالحلم ، بالعلم ، بالنقى إذا اتصلت	بالخشب إن أبعد هوا ، بالري للنادي
بالطاعن ، الضارب ، الرامي إذا اقتتلوا	بالموت أعمى ، بالضغامة الحادي
بالدهر في نغم ، بالبحر في نغم	بالدر في ظلم ، بالصدر في النادي
نعم ، هو الحق وإفاني به قسود	من السماء ، فوافاني لصياد
ولم أكن قبل ذاك النعم أعلمه	أن الجبال تهادى فوق أعوان
كفالك ، فافق بها استودعت من كرم	رواك كل قطوب المرق رقاد
يبكي أخاه الذي غيت وأبلى	تحت الصفيح ، بدمع رائج غادي
حتى يجودك دمع الطل منهمراً	من أعين الزهر لم تبغل بإسعاد
ولا تزل صلوات الله دائماً	على تافيك لا تحصى بتعداد

إنها صورة باكية استطاع المعتمد أن يخلق عليها حركة من الأسى ، بحيث
بدت وكأنها شريط سينمائي يمر بسرعة ، فيؤثر في المشاهد بين والمستمعين
على حد سواء ، فهي مرثية مليئة باللوعة الشديدة ، إن كان يبكي فيها نفسه
وحاضره ، ويعلق نديم مرعشلي على مطلع القصيدة بقوله : " ليت الشاعر
وقف عند هذا المطلع الذي لو اكتفى به ، لكان بالنسبة للمقصيدة العربية
كنسبة السمفونية الناقصة المشهورة في عالم الألحان " (٢) .

وهكذا يلاحظ أن " أصغر عادات في حياة المعتمد أو أقل اهتمام
أو أصغر حزن ، كان يتخذ لديه على الفور شكلاً شعرياً ، وفي الوسع كتابة
تاريخ حياته ، أو على كل حال تاريخ حياته الداخلية ، اعتماداً على شعره
وحده لقد أسف عليه الناس أكثر مما أسفوا على أي شخص آخر

(١) ديوان المعتمد ص ٩٦ .

(٢) المعتمد بن عباد ص ١٥٦ - ١٥٧ .

تطام كما بأسف الانسان على آخر وردة في الموسم ، وآخر يوم جميسل
في الخريف ، وآخر شعاع من أشعة الشمس الفاربة (١) * .

وفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، انتقل المصتمد الى العالم الآخر
فلاقى ربه بائسا فقيرا ، وحين أعلن نبأ وفاته ، خفّ ابن عبد الصمد (٢)
مسرعا الى أعمات ، فلما وصل هناك ، توجه الى قبر أميره ليبكيه ويندب به ،
بقصيدة يتيمة عصماء تزيد على مائة بيت ، افتتحها بتوجيه نداء الى المصتمد
وكأنه حي مائل أمامه ، مسائلا : لآه سؤال المارف ، هل يسمع ليناك به
أم لا ؟ وسواء كان جواب المصتمد بالإيجاب أم بالنفي فإن ابن عبد الصمد
يخبره بأنه جاء ليصرخ بهذه الابيات على قبره بدلاً من الذهاب الى قصوره ،
فينادي (٣) :

ملك الطولك أسامع فأنسادي	أم قد عدت عن السماع عوان ؟
لما غلت منك القصور فلم تكن	فيها كما كنت في الأعيان
أقبلت في هذا الثرى لك خاضعا	وتخذت قبرك موضع الإنشاد

وبعد ذلك يتكى ابن عبد الصمد على عنصر التشبيه لينشر حزنه ويبت
شكواه في جميع أنحاء القصيدة ، فيشبه المصتمد بالهدر الذي أظلمت الدنيا
بعد موته ، وهامو الشاعر يكد أن يفقد بصره بسبب صوت أميره
ثم يتعجب من هذا القبر الصغير كيف استطاع أن يتسع له هذا
الطول الشامخ فيصيح (٤) :

- (١) دراسات في تاريخ الأدب العربي ص ١١٨ (نقلا عن دوزي) .
* توجد عدة دراسات عن المصتمد بن عباد منها : (المصتمد بن عباد ، علي
أدهم ، شاعر ملك (قصة المصتمد بن عباد) ، علي الجارم ، المصتمد بن عباد ،
نديم مرعشلي ، المصتمد بن عباد (الملك الجواد الشاعر المرزأ) ، الدكتور
عبد الوهاب عزام ، المصتمد بن عباد (الملك الشاعر) ، جبرائيل جبور ، صانع
النص ، المصتمد بن عباد ، الدكتور سعد إسماعيل شلمي وغيره) .
(٢) هو أبو بكر بن عبد الصمد ، شاعر اختبر بالمصتمد ، وندبه ورثاه ، (الخريدة
ق ٤ م ٢ ص ٦٠٩ ، وفيات الأعيان ٥ : ٣٧ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٩٠ .
أعمال الاعلام ص ١٦٥ - ١٧٠ ، الوافي بالوفيات ٣ : ١٨٨) .
(٣) أعمال الاعلام ص ١٦٥ .
(٤) أعمال الاعلام ص ١٦٥ - ١٦٦ .

نيرانُ حزنٍ أَضْرِمْتُ بِفُؤَادِي
زادَتْ عَلَيَّ حَرَارَةُ الْأُكْهَادِ
يُحَيِّ ضِيَاءُ السَّنْبَرِ الْوَقْشَادِ ؟
فَمَجَالُهَا فِي ظِلْمَةٍ وَسُودِ
قَبْرًا يَنْسَمُ شَوَائِخُ الْأُطْشَادِ
وَالْبُحْرُودُ وَالتِّيَّارُ وَالْأُزْشَادِ

قد كنتُ أرجو أن تُبَرِّدَ أَثْمَاسِي
فإنها دُمِّي كُلَّمَا أَجْرَيْتُهَا
يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ أَهْكَذَا
أَفْقَدْتَ عَيْنِي مَذْفُودَةَ
مَا كَانَ ظَنِّي قَبْلَ مَوْتِكَ أَنْ أُرَى
الْهَضْبَةَ الشَّمَاءُ تَحْتَ ضَرْحَتِهِ

ومن أجل تميمي الحزن في الساميين ، اخذ ابن عبد الصمد يقارن بين
حالة الممتمد وهو في ذروة عزه وشموخته ، وبين حالته وهو في أقصى حالات
الفقر والبهوس ، في رسم صورة مشرقة لأيام نعيمه بقوله (١) :

متهلَّلُ الْمَصَفَحَاتِ لِلْقَصَصَادِ
بِيَهْمِي وَشَمْلُ الْمَجْدِ غَيْرُ مَذَادِ
قُ كَتَائِبِ الرُّوسَاةِ وَالْأَجْنَادِ
بِمَالِكِي قَدْ أَدْنَعْتُ وَهْشَادِ
بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا الْمَيَّادِ
وَتَرَى الْأَزَاهِرَ مِنْ ضَمَاءِ صَمَادِ
فَقَمِ الْأُنُوقَ وَهَامَ فَوْقَ النَّسَادِ
وَرَقِ الْحَمَامِ عَلَى الْغُصُونِ شَوَادِ
وَجَرَّرْتُ أَنْ يَالَأَ مِنَ الْأُزْشَادِ
وَرَوَيْ حَسَامِكَ مِنْ بَنَاتِ الْهَادِ
بِنْ مُكْدَمِ وَالْحَارِثِ بِنْ عِبَادِ

عَهْدِي يَمْلِكُكَ وَهُوَ طَلَقَ ضَا حَكَاكَ
وَالْمَالُ ذُو شَمْلٍ مَذَابِ وَالنَّدَى
أَيَّامَ تَخَفُّقِ حَوْلِكَ الرَّاياتُ فُؤَادِ
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالزَّمَانُ مَبْشَرُ
وَالْخَيْلُ تَمَرُّجُ وَالْفَوَارِسُ تَنْحَنِي
إِنْ تَحْسَبِ الْهَيْجَاءَ رَوْضًا يَانِعًا
وَتَخَالُ عَنْبَرَهَا دُخَانُ النَّدَى قَدْ
وَكُنْ بِيضُ الْمَرْهَفَاتِ عَلَى الطَّلَسِ
وَلَكَمْ هَزَزَتْ الْفُصْنُ مِنْ طَرْبِ لَهَا
وَسَقَيْتَ رَمَحَكَ شَمًّا مِنْ مَاءِ الطَّلَسِ
وَكُنَّا فِي الدَّرْعِ مِنْكَ رَيْمُودُ

ويلتفت إلى الدهر فيتهمه بالفدر ، والحقد على الأحرار بقوله (٢) :

(١) اعمال الاعلام ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٦ .

حتى إذا ما الدهر أظهر حقدَهُ والدَّهر للأحرار ذو أحقاد
ألقَتْ بأيديها مصائلكَ السَّقي ملئتُ من العقبان والآساد
وتهدَّتْ أركانُ كُلِّ سِياسَةٍ وانهدَّ حولَ الخُلُكِ كُلِّ عِمَاد

وبعد ذلك يستنكر ابن عبد الصمد على هؤلاء الذين يتهمون المعتقد بدم الحزم والشجاعة ، مبرهنًا على ما يقول بأدلة من المصور القديمة ، فيها مبنو المباس يأخذون الملك من بني أمية بالرغم من قوة الأمويين ، وبأسهم الشديد ، وعددهم الكثير ، وها هو ابن عم النبي - صلى الله عليه وسلم - علي كرم الله وجهه - يموت ومعاوية ينظر إليه . . فلاغرو أن يموت المعتقد الشجاع والناس جميعًا شاخصون إليه من عرب وبربر ، فبعض الناس (١) :

قالوا أضاعَ الحزمَ وَهَبَ بواطيلُ نورُ الحقائقِ المنوَّظِرِ بِسَاد
وإذا انقضَّتْ أيامُ مُلكِ فالعننا في غابةِ الإكثارِ والإعساد
هارت بنو المباسِ مُلكَ أُمِّيَّةٍ وهم ذوو الأعداءِ والأُمُساد
ورأى مُعاويةَ عليًا هالِكًا وعليَّ اللَّيْثُ المَهْزُورُ الحُصاد
والدهرُ أنْ هبْ تهبًا وجنودَهُ وأزال مُلكَ الأرضِ عن شُساد

ويتعجب شاعر المعتقد المخدوع من السيفلما إذا لا يستنكر موت المعتقد ، ويلتفت إلى الرمح حاثًا إياه على تخريب سنانة عداده على موت صاحبه . . فلسان حال الشاعر يقول (٢) :

إنِّي لا أعجبُ بدمِ فقيرٍ كسيفٍ لا تستنكرُ الأسِيفُ في الأغمُساد
أو يخضبُ الخطيُّ بدمَكَ ثُفْرَةً أو يركعُ الهنديُّ فوقَ الهِمُساد
أو تلتقي الشَّجَمانُ تحتَ عِجاجةٍ أو يقتضي المَيِّدانُ سبقي جِساد

ثم يتساءل ابن عبد الصمد عددًا من الأسئلة التي تخرج إلى معاني النفي والتعسر والآسى ، وفيها يدور الحديث عن صفات المعتقد ، وغلاله الكريمة ، من شجاعة لا توازي ، وكرم لا يبارى ، وشاعرية لا تجارى ، وفهم قل نظيره ، وهو فوق كل ذلك نافذ بارع (٣) :

(٢١) أعمال الأعلام ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٣) أعمال الأعلام ص ١٦٧ - ١٦٨ .

في كف أيٍّ مَيَّزَ نَقَّاس
من يمتدُّ الرايات للقِساو ؟
من يَضْرِبُ الأُخْدود في المَرَّاد ؟
ل الحلي في اللَّبَّات والأُجَيَّاد ؟
صدقُ الحدِيثِ وصحَّةُ الأُيْرَاد ؟
وكأنَّما هي من عيون جِسْوَاد
بغريد إفرند وعَلَيَّ نَجَّاد ؟
ويبلغُ الآمالُ كُلَّ مُسَرَّاد ؟
مدَّاح والقُصَّادِ والسُّرَّاد ؟

قد كانت الأمداحُ يُجَمِّلُ دُرَّهـَا
مَنْ يَفْتَحُ الأُمَّارَ بَعْدَ مُحَمَّد
مَنْ يَطْعَنُ البِخْلَاءَ فِي المَرَّاقِ أَوْ
مَنْ يَتْرُكُ الأَسْطَارَ فِي الأَوْرَاقِ مِثْـ
من يفهم المَعْنَى الخَفِيَّ ومن لِسِهـ
من يلبسُ الحَصْدَاءَ وَهِيَ حَصِينَةٌ
ويقلدُ الصَّمَامَ وَهِيَ مَوْتَمَرَةٌ
من ذا يَمُنُّ إلى المَدْفَاةِ ظِلَالِهـ
من يبذل الآلاف للزَّوَارِ والـ

ويتحسر ابن عبد الصمد مرة أخرى على موت المصتمد ، لأنَّ الجود قد
ذُهِبَ ، والكرم قد وُلِيَ ، والجذب قد انتشر ، ومما يزيد في حزنه أنه كسان
يمنتقد عودة المصتمد إلى الحكم ، واعتلائه العرش مرة أخرى ، ولكن (١) ؛

وأصابَ بَرَّ الفهم كُلُّ كَسَّاد
فالجدُّ موجودٌ بكلِّ مَسَرَّاد
من ذلك الإِصْلَاحُ بالإِفسَاد
قتل الرَّجَاءَ وَفَتَنِي الأَفْئَاد
تصطبي بها الأيامُ كُلَّ قِيَّام
وعَلَيَّ من الإِتهَامِ والإِنجَاد
والدُّرَّ لا يردِّي سوى الأَجْسَاد
وتضاحكُ الأُنْجَادُ لِلْأُنْجَاد
فكأنَّ مَوْتَكَ كانَ بالإِمْصَاد

هيهات مات الجودُ بعدَ مُحَمَّدٍ
وَدَاجَا الزَّمانُ وأَقْعَطَتْ أَيَّامُهـ
مسخَ الزَّمانِ بأَهْلِهِ فتنَعَوَضُوا
يَا سَاكِنَ القَبْرِ الذِّي فَقَدَ انْجَادُهـ
كنا نوهَّمُك أن نرى لك عَسُودَهـ
وتبيتُ غيبُكَ في مرابطها عِلْسِي
فانْجَا المَنَايَا قاطِعَاتُ المُنْجَسِي
وتصاهلت بِهِنَّ الجِيَانُ إلى المَغْسِي
إِنْ حَانَ حِينُ المَرْأَةِ ذَرَكَكَ الرَّدَى

ومعنا يزيد في تشبيح الجوّ بالنفحات الهاكية ، هذا الاعتذار الذي يصدر
عن ابن عبد الصمد إلى أميره بسبب عدم مسره في جنازته ، وهذا التصريح
على ذكر الرميكية التي ماتت قبيل موت زوجها (١) :

لو كنت ان سلروا منمشك حاضراً
لأني لأعجب من ضجيجك المستي
جاؤتها في قبره فكأنتم
جمعتكم أغمات في التراب الذي
لرايت تهليلاً على الأصواء
قد كان قربك أنسها في الناد
قد كنتما في ذا على ميماد
وسلتما منه بأيّ وسواد

ويخاطب الرميكية بقوله (٢) :

أمّ الطلوك أما عليّت برائس
أبكي القلى والمبد ففدكما الذي
لهفي على تلك السجايا انها
لك ذي وفاء مغلي ووداد
ليمت له الدنيا ثياب حيداد
زهر الربا موشية الأبرار

ويتذكر ابن عبد الصمد ماضيه المشرق عند المعتمد ، حين رفعه ، وأعلى
مقامه ، بعد ان كان منسياً غير معروف ، ثم يوشي صورة لصفحة من صفحات
دولة المعتمد الزاهية ، بألوان متعدّدة ، ورسوم منوعة من الشجاعة
والعزم والكرم ، حيث يستمعين بالطبيعة المتحرّكة والجامدة لا كسفال
رونق الصورة ، وتوضحها من خلال إطار زاه منق يسر التجميع ،
ويبعث بهجة في النفوس ، وفرحة في القلوب (٣) :

لهفي على تلك المطايا واللهم
كم نصح غصراء قد ألبستني
ناديت كفاك طامياً مستطيراً
أخجلت في الجود الذي دقت ها
قد كنت لا أرضى البحار مناهلي
في دولة غراء عباد يسر
كم أخجلت من واكفات غواد
ومواهب واليتها وأيسار
فقتضى عليّ نذاك باستعبار
تم طيء وفضحت كعب ايان
زهواً ولا أرضى الشماك مهاري
فلت من الأملاك كل عنساد

يَوْمَهِ يَوْمٍ نَدَى وَيَوْمَ جَلَدٍ
وَالصَّبْحُ سَبْفِي وَالرَّيَاحُ جِيَارِي
مَنْعَ الظَّمَاءِ وَرُودَ كُلِّ ثَمَارٍ
تَرَكْتُ سَيْوْفَ الْيَهُودِ غَيْرَ هِدَادٍ
وَعَدْتُ هِضَابًا إِذَا رَفَعْتُ وَهَارِي
فَهَلَفْتُهَا لِمَا غَدَوْتُ مَصَارِي
وَأَنْفَتُ مِنْ رَحِيْبِهِ وَكَسَادِي
يَتَّالِيَامُ قَدْ أُسْرِقَ فِي إِتْمَارِي

وَبِاسْمِ تَحْمِي الْبَلَاءِ رَيْسُهَا
وَالْبَدْرِ تَرْسِي وَالثَّرِيَّةَ مَقِيلُهَا
أَغْرَقْتَنِي فِي بَهْرِكَ الطَّامِي الَّذِي
وَسَلَلْتُ فِي نَضْرِي سَيْوْفَ مَكْسَارِي
عَادَتْ بِحَارًا إِذَا سَقَيْتُ ضَحَاضِحِي
وَمَدَدْتُ كَفِّي لِلْكَوَاكِبِ قَاعِهَا
نَفَقْتُني وَالْدَهْرُ بِمَخْسُ قِيمَتِي
وَأَقَمْتُني لِمَا رَأَيْتُ حَسَا

ثم أخذ يعبّر عن حزنه مرة أخرى ، وعن آثاره في الحزن ومظاهره ،
فمنها أصابهما السَّهَاد ، ودُموعه دائمة الانسكاب ، وقلبه في مخالاب
طائر جَارِح ، وجنبه متألم وكأنه على شوك قتال ، ولا حيلة له إلا قول الشعر
من ناحية والحزن من ناحية أخرى (١) :

فِي دَمْعٍ مِنْهَلَةٍ وَسَهَادٍ
وَكَأَنَّ جَنْبِي فَوْقَ شَوْكِ قَتْلٍ
مَنْيَ فَلَسْتُ بِطَيْبِ الْمِيْلَادِ
لَجَعَلْتُهَا حَتَّى الْقِيَامَةِ زَائِي
تَرَكْتُكَ مَنْفَرْدًا بِلَا أَنْوَادِ
يَبْقَى مَعَ الْأَنْيَامِ وَالْآبَادِ
زَهَرَ الرِّيَاضُ بِضَفَّتِي بِخُودَادِ
مَنْعْتُ زَنَادَكَ ثُمَّ مِنْ إِصْلَادِ
وَمِنْ الصَّحِيحِ تَنَافَرُ الْأَضْدَادِ

فَالْجَفْنُ بِمَدَدِكَ لَيْسَ يَدْرِي بِالْكَسْرِ
وَكَأَنَّ قَلْبِي فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ
إِنْ لَمْ تَطْبُقْ فِيكَ الْمَرَاثِي وَالثَّنَا
أَوْفَرْتُ مِنْ ذَاكَ الْجَمَالِ بِنَظْمَةٍ
إِنَّ السَّيَادَاتِ الَّتِي قَدْ حَزَّتْهَا
وَلِئِنْ مَضَيْتُ فَإِنَّ ذِكْرَكَ خَالِدٌ
يَا صَاحِبَ الْفَقْرِ الَّتِي قَدْ أَصْحَبَتْ
رَاقَتْ وَجْهَهُ الْكُتُبُ بِالنَّكَتِ الَّتِي
لَمَّا فَقَدْتَ الْمَثَلَ أَثَرَكَ السَّرْدَى

ولا شك أن تمبير الشاعر عن الحزن الذي يحترقه في البيت الثاني فيسه
توفيق وجدّة ، فقد احتوى البيت على كلمة مشرقة موحية ، فقلب الشاعر فسي
مخالب طير يحوم به بين الجدال والوهاد .

(١، ٢، ٣، ٤) أعمال الأعلام ١٦٩ - ١٧٠ .

ما ورث الأبناء إلا مجده
 كنا نُقدِّي موته بنفوسنا
 ياموت كيف رأيت صبر محمد
 كم رامقي رجب لقاءك براه
 أهدى الشهور سواه فهو أنلني
 إن الصلى ميراث كل جواد
 لو كان يقبل فيه منا الفاد
 قبل احتلالك كان في استعداد
 والحق ليس ينال دون جهاد
 وأحب أيامي سوى الأحقاد

وشهر رجب ويوم الأحد المشار اليهما في البيت الأشهر وهو الشهر واليوم
 الذي اقضي فيه المصتمد عن الحكم ، حيث كان خلعه يوم الأحد لاهدي وعشرين
 ليلة خلت من رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة (١) :

وينهي ابن عبد الصمد قصيدته بتغزية أبناء مليكة ، ناصحا أيّاهم بالصبر
 الجميل ، مبيّنا أنه في رثائه للمصتمد لم يقدح حقوقا عليه (٢) :

صبرا جميلا يابنيه فرمسا
 إنني نظمت لكم لآلي قولسا
 ولقد تمازج حكم بجوانحسي
 فسقى انسكاب الفيت قبر أبيكم
 ولقد رثيت وما قضيت حقوقكم
 نال الحنى قوم بلا ميمسا
 عرضت على الأيام صفودا
 كتمازج الأرواح بالأجساد
 من رائح متدقق أو غساد
 والله يعلم ما يكن فسوادي

هذه المراثية من أطول المراثي التي قيلت في المصتمد ، وقد أبرز ابن
 عبد الصمد معانيه وبث فيها الحركة والحيوية بشكل عجيب ، فلبا إلى
 أسلوب الاستفهام الذي يخرج عن معناه الحقيقي ، واستخدم الأسلوب
 الخطابي ، والتشخيص ، وساعد موسيقى القصيدة التي تسير على نغمات
 البحر الكامل — وهو بحر يميل إلى الهدوء والسكينة — على تشبيح الجيوش
 بقطرات الحزن ، ومعاني الأسى ، ونغمات البكاء ، لذلك لا يستغرب أن
 يبكي جميع من حضر وسمع القصيدة ، فهذا ابن الصيرفي يخبرنا بالمذي

(١) الحلة السيرة ٢ : ٥٥ ، الانيس المطرب ص ١٥٥ ، أعمال الاعلام ص ١٦٤
 (٢) أعمال الاعلام ص ١٧٠ .

حدث حميد سماع القصيدة : " لَمَّا انفصل النَّاسُ مِنْ مَصَلَّى العيدِ الَّذِي
توفي الممتمد في شهره ، صفَّ بقبره ملائمةً للناس ، يتوجَّعون له ، ويترحمون
عليه ، وأقبل شاهره ابن عبد الصمد في جملتهم وأنشد : (ملك الطوك ..
.. القصيدة) ، ثم خرَّ يبكي ، ويحفر وجهه في تراب قبره ، قال : فبكى
ذلك الملائكة حتى اخضلوا ملابسهم ، وارتفع نحيبهم وعويلهم " (١) .

وتلَّهف الشَّمراء بعد ذلك على الممتمد ودولته ، فيها هو ابن عبدون
يشير إلى سجن الممتمد وذلكه بقوله (٢) :

وأوثقت في عراها كلَّ ممتدِّدٍ وأشرقت بقذاها كلَّ مقتدِّر

وقبل طيَّ صفحة المراثي التي قيلت في الممتمد ودولته ، لا بدَّ من وقفة
عند النغمة الهاكية التي أطلقها لسان الدِّين بن الخطيب - سنة إحدى وستين
وسبعمائة - على متن ستة أبيات من الشمر فوق قبر الممتمد ، حيث اغبر
رفات الممتمد (٣) :

قد رُدتْ قبرك عن طوع باغمسات	رأيتُ ذلك من أوَّلِ المهمَّات
لم لا أُرورك يا أندى الملوك بعداً	وباضياء الميالي المدلهمَّات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه	إلى حياتي لجادت فيه أحياتني
أناف قبرك في غضب يهزُّه	فتنحيه هفوات التَّهيمَّات
كرمت حياءً وميئاً واشتهرت على	فأنت سلطان أحياء ولُغوات
ماري مثلك في ماضي ومعتقدي	أن لا يرى الدهر في حال ولا آت

(١) القلائد ص ٣٠-٣١ ، أعمال الأعلام ص ١٦٥ ، الا حاطة ٢ : ١٢٠ ،

النفح ٤ : ٢٢٤ .

(٢) شرح قصيدة ابن عبدون ، ابن بدرون ، الطبعة الاولى ، مطبعة

السمادة ، ١٣٤٠ هـ ، ص ٣٠١ .

(٣) أعمال الأعلام ص ١٦٥ ، أزهار الرياض ١ : ٢٩٧ - ٢٩٨ ،

النفح ٤ : ٩٨-٩٩ .

رثاء المكمام :

وهذا النوع من الرثاء قديم في الأدب العربي ، ويمتاز بهزيف عاطفية الشاعر في معظم الأحيان ، وعدم التأثر على موت الحاكم ، وهذه الوحيات إرضاء الحاكم الجديد الذي يخلف الميت ، لذلك يكون هذا النوع من الرثاء وسيلة لتحسين مركز الشاعر عند الحاكم الجديد ، وكسب رضاه ونيل الأموال الكثيرة ، فهذا ابن زيدون يرثي المعتضد ويمدح الممتدح في قصيد قرائية فيها يلاحظ زيف العاطفة وفتورها بالرغم من حسن الصياغة وجودتها (١) :

هُوَ الَّذِي فَاصِرٌ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ فَمِنْ شِمِّ الْأَهْرَارِ فِي مِثْلِهَا الصَّيْبُ
سَتَمِيرُ صَبْرُ الْيَأْسِ أَوْ صَبْرُ حِسْبَةِ فَلَا تُؤْثِرُ الْوَجْهَ الَّذِي مَعَهُ الْوِزْرُ
حَذَارِكِ مِنْ أَنْ يُصِيبَ الرَّزْءُ فِتْنَةً يَضِيقُ لَهَا عَنْ مِثْلِ إِيْمَانِكَ الْقُدْرُ

ثم يبالغ في إضفاء الصفات الحسنة على الميت ، التي من خلالها يلاحظ سطحية العاطفة ، وعدم التأثر (٢) :

أَنْفَسَ نَفْسِي فِي الْوَرَى أَقْصَدَ السَّرْدَى وَأَخْطَرَ عَلَيَّ لِلْهُدَى أَفْقَدَ الدَّهْرُ
أَعْبَانُ يَا أَوْ فِي الْمُلُوكِ لَقَدْ عَسَدَ ا عَلَيْكَ زَمَانٌ مِنْ سَجِيتهِ الْخَسَدُ رُ
قَهْلًا عَدَاهُ أَنْ عَلَيْكَ حَلِيمُ ه وَذِكْرَكَ فِي أَرْذَانِ الْيَأْسِ عِطْرُ
غُشِيَتْ فَلَمْ تَغْشَ الطَّرَانَ سَوَابِيحُ وَلَا جُبْرَتَاتٍ بَيْضُ وَلَا أَشْرَعَتْ سُمْرُ
لَيْثٌ كَانَ بَطْنُ الْأَرْضِ مُبَيَّسُ بِأَنْكَ ثَاوِيهِ لَقَدْ أَوْحَشَ الدَّهْرُ
لَقَمَرُ الْبُرُودِ الْبَيْضُ فِي ذَلِكَ الشَّرَى لَقَدْ أَتْرَجَتْ أَثْنَاهُ النِّعَمُ الْخَضِرُ
عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ تَحِيَّيْسُهُ مَيْسَمُكَ الْخَمْرَانُ رَيْحَانُهَا النَّضْرُ
وَعَاهَدَ ذَاكَ اللَّحْدَ عَهْدُ سَحَائِبِ إِذَا اسْتَمَعْتَ فِي تَرْبِهِ ابْتِسَامَ الزَّهَرِ

فالمعتضد صاحب جلال مهيب ، وجيش كثير ، وعطاء غزير ، ولكن هذه الصفات لم تستطع أن تدفع عنه الموت ، وإذا كان بطن الأرض قد سعد بقدم المعتضد ، فإن ظاهرها قد أوحش برحيله . . .

وفي نهاية القصيدة يتضح هدف ابن زيدون ، حيث يرى أن رثاء المعتضد من الحقوق الواجبة عليه ، والملاحظ أنه لم يقل القصيدة بدافع التأثر أو حب المرثي ، وإنما قالها من أجل إرضاء المعتمد وتحسين مركزه عنده ، والدليل على ذلك قوله في مدح المعتمد (١) :

أَرَى الدَّهْرَ إِنْ يَبْطِشُ فَأَنْتَ يَمِينُهُ وَإِنْ تَضَعُكَ الدُّنْيَا فَأَنْتَ لَهَا ثَغَرُ
هَذَاكَ التَّقَى وَالْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالنُّهَى وَبَذَلُ اللَّهِ وَالْبَأْسُ وَالْعِظَمُ وَالنُّشْرُ
قَدْ اسْتَوْفَيْتَ النِّعَمَاءَ فِيكَ تَمَامَهَا عَلَيْنَا فَمِنَّا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ .

وفي كل رثائه للملوك وأبنائهم يزيّف ابن زيدون في عاطفته ، ويتكلف في مشاعره ، ويتطبع في حزنه فيها ، ويرثي المعتضد بقوله (٢) :

(١) ديوان ابن زيدون ص ٥٧٥ - ٥٧٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٦١ .

هَذَا هَدِيَّ عَنْ رُوس دَفْنُهَا كَانَ الْهَيْدَاءُ
عَمَرْتُ حِينًا وَمَاءَ السُّوَا مَزْنٍ شَكْلَيْنِ سَسَاوَا
ثُمَّ وَلَّتْ فَوَجَدَ نَسَا أَرْجَ الْمَشْكِ ثَنَسَا ..

وهذا ابن المعلم يرثي الظافر بن المصتمد الذي قتله ابن عكاشه
في قرطبة ، حيث يخلط هذا الرثاء بمدح المصتمد قائلاً (١) :

الظافر الذفر الذكري معطره منه المنابر القاب وأسماء
رزقته فاحتسبه عند خالقهم زُلْفَى بِذَلِكَ تَقْرِيبٌ وَلَدْنَاهُ
ولو أفاد عليك الحزن فائسده لكان صخرًا وكل الناس خنساء
تشرفت بك ولات وأزمنة وفاخرت بك أموات وأحياء

وكان ابن المعلم قد رثى المصتمد بقصيدة عبر فيها عن حزنه وألمه
لموت ملوكه بقوله (٢) :

عليك أبا عمرو سلامٌ مُسَوِّدٌ له كبدٌ بين الضلوع دُمُوسِلٌ
عممت العرى بالشكل فيك رزياسة وَقَبِحَتْ وَجْهَ الصبر وهو جميل
فمن شاء فلينظر بعين حقيقسة ففبك لنا وعظُّ مداه طوينسل
يرى الأرض فيها الأرض كيف تزلزلت بنا ويرى الأطوان كيف تميزول
أفلت فعاتت حمراً بمدك دُيُونَةٌ كانك شمسٌ والزمان أعميسل

وأضعف من هذه العاطفة عاطفة الحمري التي بثها في بيتين رثى
فيهما المصتمد ومدح المصتمد (٣) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٣ .

(٣) الحلة السيرا ٢ : ٥٤ ، النفع ٤ : ٢٤٦ .

مات عبّاد ولكن
فكان للميت حسي
بقي الفرع الكريم
غير أن الشّاد مسدود

هذه أهم المعاني التي لعلت عليها قصائد الشعراء في رثائهم
للطوك تفجع على الميت ، ذكر خلاله الحميدة ، ومدح الحاكم الجديد
ومقارنته بالحاكم للقدم . فأجادوا النظم ، واتقنوا الوصف من غير
أن يصفوا أحزان نفوسهم من غير تعمل وتكلف ، فهم في هذا النوع
من الرثاء يصفون أكثر مما يرثون .

رثاء الأهل والأقارب :

لمس في أنواع الرثاء ، رثاء أصدق من رثاء الأهل والأقارب وبخاصة
الأبناء ، ففيه يلاحظ الاحساس العميق ، والم عاطفة الصادقة ، والشمس
بالمصيبة ، فها هو أبو الوليد الباجي يفجع بموت ابنه محمد ، فما كان
منه إلا أن عبر عن ذلك بقصيدة مائجة بالمدح والياس فينادي (١) :

أحمد إن كنتُ بمدك صابراً صبر السليم بما هو لا يسلم
ورزئتُ قبلك بالنبى محمداً وكروءه أنى لدي وأعظم
فلقد علمتُ بأنني بك لا حيلة من بعد ظنني أنني متقدم

فالشاعر توقع أن يموت قبل ابنه ، ولكن قدر الله الخالف توقعاته
وعكس اعتقاده ، لذلك يبدأ ببث لواعجه وآلامه ، داعياً نفسه بالصبر (٢) :

لله ذكرك لا يزال بخاطري متصرف في صبره مستحسب
فإذا نظرت فشخصه متخيلاً وإذا أصحت فصورته متوهجاً
وبكل أرض لي من أجلك لوعة وبكل قبر وقفه وتلسموم
فإذا دعوتُ سواك حاد عن اسميه ودعاه باسمك يقول بك مُفرم
حكّم الردى ومناجج قد سنهلاً لأولي النهى والحدق قبل مُتَم
فلئن جزعْتُ فإن ربي عسى أن يرزى ولئن صبرتُ فإن صبري أكبرم

وأشد من هذه القصيدة لوعة وأسى ، قصيدته في رثاء ابنه حيث يقول
هذا الحزن إلى الاستمالة بموامل الطبيعة الحية والجمادة ، كي تشاركه في
الآلم وأحزانه ، ولكنها كانت قاسية عليه ، فزادت جرحه عمقا وأتساعاً (٣) :

(١) (٢) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١٠١ - ١٠٢ ، النفح ٢ : ٧٥ .

(٣) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١٠١ ، الخريدة ق ٢ م ٤ ص ٥٠٠ ، المغرب ١ : ٤٠٥ ،

معجم الأديب ١١ : ٢٥٠ - ٢٥١ ، النفح ٢ : ٧٥ .

رعى الله قبرين استكانا بهلـدة
لئن غيـبا عن ناظري وتبـسـوا
وأبكي وأبكي ساكنيها لعلـنـسي
فما ساعدت ورق الحمام أختي أسـى
ما أسكننا في السواك من القلب
فوادى لقد زاد التبعـد في القـرب
سأجـد من صعب وأسعد من سحب
ولا روجت ريح الصبا عن أخي كـرب

ويبلغ الشاعر حدًا عظيمًا من الحزن حين يعلن بأن عينيه لم تذوقا طعم
التوم، ونفسه لم تعد تستطعم الماء الزلال، فيها ويهين إليها، ويتشوق
إلى لقاءهما، بالرغم من أن اليأس يثني هذا الحنين (١) :

ولا استعذب عيناى بعد ما كرى
أحن ويثني اليأس نفسي عن الأسى
ولا ظمئت نفسي إلى البارد المذب
كما اضطرَّ محمولاً على المركب المصعب

وها هو المعتمد بن عباد يبكي ولديه المأمون والراضي بكاء حاراً، يزيد
في عمق الحزن والأسى، وجوده في السجن يرسف في القيود، لهذا جاء ت
نفثاته موهنة باكية، فالى أولئك الذين يدعونه للأخذ بموامل الصبر يقول: بانه سيبكي
عليها بلطافاً مشهوراً، فلما نجما ن ساطعاً، ويتوجه إلى الدليمة لتشاركه العز والندب
فيري المنجوم تبكي، والغمام المنهمر يشترك في المأثم فالناس (٢)

يقولون صبرا، لا سيميل إلى الصبر
وى الكوكبان: الفتح ثم شقيقه
نرى زهرها في مأثم كل ليلة
ينحن على حميم، أكلت ذاً وذا
مدى الدهر، فليبك الفطام مهابه
بمين سحاب، واكف قطر دمها
وبرق ذكي النار حتى كأنما
سأبكي وأبكي ما تطاول من عمرى
يزيد، فهل عند الكواكب من خبر
تخمر لها وسطمة صفعة البدر
وأدبر؟ ما للقلب في الصبر من عذر
يصنوه يمدد في البكاء مدى الدهر
على كل قهر حل فيه أخو القدر
يسمر ما في فوادى من الجمر

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٠١، المغرب ١ : ٤٠٥، معجم الأبناء

١١ : ٢٥١، النفح ٢ : ٧٥ .

(٢) ديوان المعتمد ص ١٠٥ - ١٠٦ .

ثم يتوجه بالخطاب الى ابنه ناعيا لهما ، مبينا انهما ماتا صغيرين (١) :
 أفتحُ لقد فتحت لي باب رحمةٍ • كما يزيدُ واليه قد زاد في البسرة ،
 توليتُما والسَّن بعدُ صغيرةٌ • ولم نلِثُ الايامُ أن صغرت قَدري
 توليتُما حين انتهت بكما المصلا • إلى غايةٍ ، كلٌ إلى غايةٍ يجسري

ويبلغ الشاعر ذروة الحزن والتأثر والتأثير حين يعلن إلى ابنه ، انهما
 لو خرجا من القبر ، فسيمودان سريما إلى ظلام القبر ، مفضلان أيّاه
 على الحالة السيئة التي يمانيهما والدهما ، يزيد في عمق المأساة تلك الأم
 الثكلي ، وهذه الأغت الحزينة على فراقهما فيصيح (٢) :

فلو عُدتُما لا غرتُما الموتُ في الشرى • إذ أنتما أبصرتما في في الأسر
 يعيد على سمي الحديّدُ نشيده • فتبكي المين بالجمس والنفسر
 مصي الأخوات الهالكاتُ عليكما • وأنكما الثكلي المضربة المصدر
 فتبكي بد مع ليس المقطر مثلُسه • وتزجرها التقوى فتصني إلى الزجر
 أبا خالدٍ أورتني الحزن • المدا • أبا النصر مذ ودعت ودعني نصري
 وقبلكما قد أودع القلب حسرة • تجدُّ طول الدهر ، تُكلُّ أبي عمرو

وها هو الشاعر يرثي ابنه في قصيدة أخرى ، مازجا بين روحه والطبيعة
 فنفسه تجمع بين الضيق الماء والنار ، ويتصور الطبيعة عاجزة عن مجاراته في
 حزنه والأصه ، ويرى أن المطر إذا انسكب اخترق الفطام وميض البرق الخاطر
 لمحا ، وما من حزن وألم وراء انهما ماء السماء ، في حين أن وراء دموعه نارا
 لا تنطفئ ، وحزننا ليس له حدود ، وأسى لا يحمد إلا بعوته (٣) :

يا غيم عيني أقوى منك تهتانا • أبكي لحزن ، وما حملت أعزانا
 ونار برك تغبر إثر وقد تهنا • ونار علي تبقى الدهر بركنا
 نار وما صميم القلب أصلهم • متى حوى القلب نيرانا وطوفانا

(٢ ، #) د يوان المعتمد ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٩ - ٧٠ .

ضدّان ، الفصرف الدّهر بينهما لقد تلّون في الدّهر ألواننا
بكيت فتحا ، فإذا طرّمت سلوتنه شوى يزيد ، فزاة القلب نيراننا

وبالرغم من اقتناعه بأنّ ابنه قد لاقيا ربهما راضيين مرضيين
، وبالرغم من سيطرة الماطفة الدّينية الحزينة على مشاعره إلّا أنه بصّر على
البكاء هو وأمه وأختها وكلّ واحد يتذكرهما ، فيناجييهما (١) :

يا غلّديّ كيدي يأس تقطّعهما من وجدها بكما ما عشت ، سلوانا
لقد هوى بكما نجمان مارهما إلا من الصّلو بالألحاظ كيواننا
صعّف عن فوادي أنّ تكلمنا مثقل ليّ يوم الحشر نيراننا
يا فتح قد فتحت تلك الشهادة لي باب الطّماقة في لُقياك جذلانا
ويا يزيد لقد زاد الرّجا بكما أن يشفع الله بالاحسان إحسانا
لما شفّعت أخاك الفتح ، تنبّه لتأكما الله غفراناً ورضواننا
منيّ السلام ، ومن أمّ مفاجسة عليكم أهدأ مشني ووحداننا
أبكي وتبكي وتبكي غيرنا أسفاً لدى التذّكر ، نسوانا وولدانا

فالأمّ المعتمد تسري في قوافيه وكلماته وموسيقاه ، وفي القصيدة تبدو
روح المعتمد الباكية ، فالماطفة متأججة صادقة ، وأبّي عاطفة أصدق من
عاطفة الأبوة - ؟ وآثار القيود بادية موهمة ، وظلام السّجن يخطي وجهه ،
لهذا يلاحظ أنّ أقطار الشاعر لا يعثر لها على حدود ، فمرة تقطّع
كبد ، وتارة يبكي هو وأمه ، وأعيانا يحزّي نفسه ...

رثاء الإخوان والأصدقاء :

رثاء الإخوان والأصدقاء ضرب قد يم من ضروب الرثاء في الأندلس العربي ، ويمتثل بالماطفة الصادقة ، والشعور الحزين ، وعدم التملق والزيف ، وفي إشميلية لا بد من الوقفة عند قصيدتين إحداهما لابن وهبون في رثاء الأعلام المشتغرين ، والأخرى لابن حمد يس في رثاء جاريته جوهرة . . .

فالأعلام المشتغرين من أشهر علماء اللغة والأدب في ذلك الوقت ، فما إن توفي ، حتى انبرى ابن وهبون ليقول قصيدته المبهمة ، التي بدأها بمقدمة فلسفية عن الحياة والموت ، وانتقل بعد ذلك لبث حزنه وآلامه على هذا المصاب العظيم ، فالحياة سراب خداع ، لأن الموت مقترن بها ، ثم أخذ يتمجج ويستفهم من أخذ الموت هذا العالم ، ويستنكر عليه ، فالأعلام عليهم في هذه البلاد (١) :

كذبت حياة المرء عند وجوده	وهجد الحمام ومنه كان المسدود
لله أي غنيمة غنم السردي	ومن الفجائع فارة شمعدان
من كان مرة جنسه حتى امحت	فاذا البرية كلها دهماء
جهل تقوض لو تشخص عظمه	لتواصت الفبراء والغمام
ومفيض ما قد غاض من شاه	أن لا يدوم بحالو الدأماء
أكبرت نمي جلاله فنعيت	وهو الجلية ما عليه خفاء
مات ابن عيسى من يقوله به عسى	شفقا وليس مع الحمام رجاء

وما يزيد في إضفاء الحزن على هذه القصيدة هذه التساويلات الاستنكارية التمججية ، التي يتساءلها الشاعر من حين إلى آخر ، فاعمال العالم الغاضلة وهساته الكثيرة لم تستطع صد الردى عنه ، وآل عباد ذوو البهم المالينية والشجاعة المصروفة لم يستطيعوا منع الموت من الاقتراب منه ، فما كان من الجميع إلا أن التقوا حول نعشه والد موع تنزف من مآقيهم ، وكأنها السلاح الوحيد الذي يقدر عليه الجميع . . . ثم يأخذ في رسم مشهد موثر لنقله ودفنه ، فالجميع متأثر لموته (٢) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٨٤ .

أَفَلَا حَمَتُهُ فُضِّلَتْ مُوفِسُورَةً
وَأُدْمَتْ فِي سِرِّ لَحْمٍ طَالِمَا
شَبَّهُوا سِلَاحَ الدَّمْعِ خَلْفَ سَرِيرِهِ
وَجُنَا بِهِ بِلَ السَّيَادَةِ وَالْمَلَا
نَطَأَ الْقُلُوبَ عَلَى سَوَاءٍ سَبِيلِهِ
أَخَذَ الْأَسَى فِيهِ الْبُرُودَ بِشَارِهِ
حَتَّى إِذَا بَلَفُوا بِهِ مَلْحُورَةً
ضَرَبَ الْهَدَى فِي لَحْيِهِ بِمِيزَانِهِ
وَأَظْلَمَ التَّنْزِيلُ يَتَلَوُ نَفْسِهِ
مُسْتَصْحَبًا أَعْمَالَهُ مُتَأَنِّسًا
وَلَرُبَّمَا اسْتَخْلَصَتْ مِنَّا أَنْفُسًا
وَهَنَّاكَ لَوْ كُشِفَ الْغَطَاءُ لَنَاظِرٍ
فِي الْجَبِّ أَنْ يَحْوِي سَمَّكَ أَسْوَدَ

وَجَلَالَةً تَمْنُو لَهَا الْعَظَمَاءُ ؟
خَدَمَتْ رِعَايَةَ حَقِّهَا الْأَصْرَاءُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْبَاهِتَاتِ غَنَسَاءُ
وَالشَّمْسُ نَجْمٌ وَالنَّهَارُ مَسَاءُ
فَالسَّيْرُ مَهْلٌ وَالْعَشِيرَةُ وَلا
مِمَّا جَنَاهُ الزَّهْوُ وَالْخَيْلُ
قَمْنَا بِهِ لَوْ أَنَّ الْجَوَّازَ
فَتَنَّا وَلَتَهُ عَرَصَةٌ فَيَحْجَا
بِتَلَاوَةٍ لَمْ يَوْهَتْهَا الْقُورَاءُ
بِزَوَاهِرِهِ وَالنَّجُومُ سَمَاءُ
مَلَأَتْ قَرِيحَكَ وَالصُّدُورُ جَلَاءُ
حَوْلَ الْقَلْبِ حَذِيقَةٌ غَنَاءُ
لَوْ نَحْمُ مِنْكَ وَقَدْ حُجِّبَتْ لِقَاءُ

ويحمد ذلك يتوجه إلى ذلك التراب الذي يحيط بجثمان الأعلام
راجيا إياه بأن يبقى جسمه إذا الحالم كما هو ، والا يا غيظ
في سحقه واخفاء ملامحه ، وكأن الشاعرة يتوجه بعد يته إلى نبات الثرى
بالا تجعل جسم الأعلام غذاء لها ، عند هذا يلحق الحار بهذا التراب
فينادي (١) :

يَا ثَرِبَةً أَسْتَبْقِي سَنَاهُ وَيَا فَلَلا
اللَّهُ فِيَّ وَفِي جَوَانِحِ رَطْبِيَّةٍ
لَا تَلَحِّقْكَ جَرِيمَةُ شَنْصَمَاءُ
لَمْ تَخْلُ مِنْ شَفَقَاتِهَا الْأَعْدَاءُ

ولا ينسى ابن وهب أن يمزى أبناء الأعلام ، ويبين لهم بأن الجميع
شركاء في الحزن ، ويدعوهم بامتثال سيرته ، والسير على نهجه بقوله (٢) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٨٤ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٨٤ - ٤٨٥ .

ولا شك أن ابن وهب قد وُفق في هذه المراثية حيث نبعت من شعوره العميق، ونفسيته الحزينة، لذلك جاءت عواطفه صادقة، وكلماته معبرة عما يجول في خاطره من ألم وحزن، ومما ساعد في نشر هذا الجو الحزين هذه التساوؤلات والتداعيات التي التفت إليها الشاعر، ويلاحظ أنه صب جام غضبه على التراب الذي حوى جثمان الأُلم وفرح بقدمه .

وعندما غرقت جوهرة جارية ابن حمد بسيفي البحر رثاها بقصيدة أظهر فيها عمق تأثيره على وفاتها بقوله (١) :

يَهْدِي دَارَ الْحَيَاةِ بَانِيهِمَا	فَأَيَّ حَيٍّ مُثَلِّدٌ فِيهِمَا ؟
وإن تردت من قبلنا أُمَّمٌ	فهي نفوسٌ ردت عواريهما
أما تراها كأنها أَجَـمٌ	أسود ١٥ بيننا دواهيها
إن سألمت وهي لا تسالمنسا	أثأثنا ، حاربت ليليهما

وفي هذه القصيدة يلاحظ أن ابن حمد يس صادق الماطفة، حزين المشاعر، رقيق الإحساس، فبعد هذه المقدمة الفلسفية عن الحياة والموت، يبدأ ببيت حزنه، وصاتبة البحر، فيقول مضمناً أبياته بمضامين المعاني الفلسفية التي تدل على عمق تفكيره، وسعة اطلاعه (٢) :

وَأَوْحَشْتُمَا مِنْ غِرَاقٍ مُوَسَّسَةٍ	بميتني ذكركما ويحييهما
أذكرها والد موع تسهقني	كأنني للأسى أجاريهما
يا بحر أُرخصت غير مكترث	من كنت لا للبيع أغليهما
جوهرة كان خاطري صد فسا	لها أقيها به وأحويهما
أبتها في حشاك مغرقاة	وبت في ساحلتيك أبكيهما
ونفحة الطيب في ذوائبهما	وصبغة الكحل في مآقيهما
عائقها الموج ثم فارتهمسا	عن صمغ فاض روحها فيهما

(١) ديوان ابن حمد يس ص ٥١٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٥١٧ - ٥١٨ .

ويلي من الماء والتراب وصن
أماها ذا وذالك غيره ——— كيف من المُنصرين أفديها
أحكام عِدّين حكما فيها

وبصورة عامّة فانتا " نلمس في محتوى شعر ابن حمد يس نوما
من الارتباط بين المعاناة الشخصية ، وبين مضمون " ذا الشعر
في أغراضه وصوره وأبعاده " (١) .

هذه أهم المعاني التي نارت عليها مراشي الاخوان والأعداء *
بكاء وتغجّع على الميت ، ذكر صفاته الحميدة ، الهوة التي تركها
وراء تعزية آل الميت .

(١) الشعر والبيئة في الاندلس ، الدكتور مهشال عاصي ، الطبعة
الأولى ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٨٩ .

شعر الطبيعة

شعر الطبيعة هـ والذي يمثل الطبيعة ، أو بعض ما اشتملت عليه
والطبيعة تمنى شيئين : الحي ماعدا الإنسان ، والصّامت كالحدائق
والحقول والغابات والجبال وما إليها (١) ، وقد تمثّل الأندلسيون
الطبيعة حين يرثون ، وحين يمدحون ، وحين يتفرّجون ، وهذا يمدل
على إحساس مرهف ، ومحبة زائدة للطبيعة ، ملأت عناء صدورهم ، وامتزجت
بها أنظارهم ، فقد كان الأندلسيون والطبيعة إلفين لا يفترقان ، وروحين
متصلان وإذا الطبيعة لديهم ، نفس يولانية ، تقبل جميع الصور وتتقمص
جميع الأجسام (٢) .

لقد افترق الشعراء في إشبيلية بالطبيعة افتنانا عجيبا ، وولّدوا فيها
من المعاني العميقة والمستلحة ، وأداروا المعاني في الطبيعة بينهم
على وجوه مختلفة من القول ، ولم يتميز أحدهم عن الآخر في هذا المجال
إلا بحسن السّبل ، ولطافة الصّوغ ، ورقة الحبك .

لقل شارك أغلبية الشعراء في إشبيلية في وصف الزّهور ، ونظروا فيها
الاستشفاف ألوانها وصورها ، فأجادوا التصوير ، وأحسنوا التشبيه .

وقد كانت للورد منزلة عظيمة في الشعر الإشبيلي ، فهو على رأس الأزهار
لما امتاز به من منظر جميل ، وألوان زاهية ، ورائحة فواحة ذكية ، ولقب الإغريق
زهرة الورد بملكة الأزهار ، وكان قدماء الرومان يزيّنون الحواكب الرسمية
بالورد (٣) . وقد رأى الإشبيليون في الورد أحسن هدية يقدمونها
لمن يحبون ، فها هـ وابن حبيب يهدي إلى والده وردا ، ومعه شعر يقول
فيه (٤) :

-
- (١) شعر الطبيعة في الأدب العربي ، سيد نوفل ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٤٥ م
ص ١١ ، في الأدب الأندلسي ، ص ١٢٥ ، الطبيعة في الشعر الأندلسي
الدكتور جود التركاوي ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٣٧٨ هـ ، ١٩٥٩ م ص ٧ .
(٢) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ص ٨٠ .
(٣) نباتات الزينة ، الدكتور عز الدين فراج وصفي نجيب ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٩٨ .
(٤) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٣٢ .

يامن تأرز بالمكارم وارتمدى
انظر الى خد الربيع مركباً
ورق تقدم ان تأخر واغتمدى
وافاك مشتملاً بثوب حياثه

بالمجد والفضل الرفيع الفائق
في وجه هذا المهرجان الرائق
في الحسنى والإحسان أول سابق
خجلاً لأن عيناك آخر لا هسيق

ومرة أخرى يذهب ابن حبيب الوردي بأجل الملوك وأحسنهم ، فشككه جميل ،
ورائحته طيبة ، ولونه أحمر زاه (١) :

إنما الوردي في ذرى شجراتيه
نفحة المساك من شذا نفحاتيه
مزجت حمرة اليواغيت بالصدر
مثل ما جاء من سواح وبساس
إن يمد فالوفاء حتم عليه
فرضه في صلاته كماله

كأجل الملوك في هيئاتيه
خجل الخد من سنا خجلاته
فجاءت به على حشيد اتسبه
خلق الحميري سم عد اتسبه
فرضه في صلاته كماله

وقد يقدم الشعراء الوردي على سائر الرياحين ، ويخاطبون بذلك
أجل الملوك ، فابو حفص بن برد يقول من رقعة يخاطب فيها ابن جهور . .
" ثم قال البنفسج فقال : على الخبير سقطت ، أنا والله المتعبد
له ، والداعي إليه ، المشفوف به ، وكفى ما بوجهي من ندوب ، ولكن
في التأني بك أنس . . ثم قال البهار : لا تنظرون إلى غدارة
منبتي ، وغدارة ورقي ورقتي ، وانظروا إلي وقد صرت صدفة باهتة
تشير إليه ، وعينا شاحبة تندي بكاء عليه (٢)

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي (٣)

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٣٢ .

* البهار : نبت طيب الرائحة ينبت أيام الربيع (لسان العرب - مادة بهر ،
مصحح اسماء النباتات الواردة في تاج الجروس ، جمع وتحقيق محمود
الدمياطي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مصر ١٩٦٥ ، ص ٢٥) .

(٢) ديوان الخنساء ، دار صادر ، ودار بيروت ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ ، ١٩٦٠ م ،

ص ٨٤ .

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٢٩ .

ويذكر في نهاية رسالته تحالف جميع أنواع الزهور على
الورد ، وتسليمه زمام قيادتها .

كَائِمَةُ الْمَوَدِّ لَمَّا
رَشَتْ يَدَ الْمَظْنِ أَرْضَهُ

كَوَاكِبُ فِي سَمَاءِ
مِنَ الزَّهْرِ جَدَّ غَضَّاهُ

كأنما الورد صـدر أبقى به اللثـم عـنـه
فالشاعر يصف الورد أحيانا بأنه ناصع البياض ، وأحيانا أخرى بأنه غان
شديد الحمرة ، ولا عجب في ذلك ، فالألوان الورد متعددة كثيرة .

وصف بنو عبّاد الياسمين وصفاً جميلاً ، وخلعوا عليهم التشبيهات المنتزعة من
ارستقراطيتهم ، فالقاضي ابو القاسم بن عبّاد يشبه زهر الياسمين البيضاء
على اخضائها الخضراء بالدرهم الثلاثة المنثورة على ثوبها غصن ، فيقول (٤) :

ويعجبه مرة أخرى منظر الياسمين على قمم الجبال الشاهقة لأنه (٥) :

قد امتطى للجمال ذروتها — فوق بساط من سند من اخضر

كأنه والحيون ترمق — زمرد في خلاله جوهــــــــــــــــر

(١) هو علي بن عبد الله بن علي، كان فقيهاً نحوياً من أهل قرطبة، سكن اشبيلية وكان شاعراً مجيداً. (الجدوة ص ٣١٤، بخية الطمس رقم ١٢٢١،

الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٢٠٠ - ٢٠٢ .

(٣، ٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٠٢.

(٤) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٣، الحلة السيوا ٢ : ٣٨، الوافي بالوفيات ٢ : ٢١٤.

(٥) الذخيرة ق ٢ م ٢٢ ص ٢٢، الحلة السيرا ٢ : ٣٩، النفح ٤ : ٢٤٢، الواضي بالوفيات ٢ : ٢١٤ .

ولا يرضى الممتزج بهذه التشبيهات ، بل يصعد إلى السماء
لينتزع منها مشبها به أحيانا ، وأحيانا ينتزعه من خدود الحسان
فصورة الياسمين عند الممتزج هي (١) :

كأنما ياسميننا الفـــــر كواكب في السماء تبيض
والطرق الأحمر في جوانبه كخد عذراء مـــــه عـــــض

فهو يشبه زهور الياسمين بالكواكب المبيضة في السماء ، ويشبه الشعيرات
المنشورة في صفحته بخد جميلة بدت فيه آثار العـــــض .
ويلتفت القاضي أبو القاسم إلى الظيان فيشبهه تشبيها ملوكيا
بقوليه (٢) :

ترى ناضر الظيان فوق غصونيه
وحقت به أوراقه ورياضـــــه
إذا هـ ومن ماء السحاب يفتدي
وقد قدّ بعض مثل بعض وقد حذي
منضدة من فوق قضب الزمـــــرد كصفر من الياقوت يلصق بالذـــــحى

وقد وصف الشعراء البهار ، وأرسلوا إلى بعضهم شعرا في ذلك ،
فها هو أبو عامر بن مسلمة يرسل إلى ابن الأبار يخبره بأنه نادى البهارة
وجعلها مونسته على قهوته ، فيرسل ابن الأبار إليه مقطوعة شعرية
يستفسر عن هذه النديمة ، ويصفها بأنها ذات رائحة ذكية ،
وشذا طيب ، ثم يمدح صديقه ، وينهى المقطوعة بمدح ابن عباد قائلاً (٣) :

(١) الجذوة ص ٢٩٦ ، البيان المغرب ٣ : ٢٨٥ ، الحلة السيرة ٢ : ٤٩ ،

الوافي بالوفيات / مخطوط م ١٤ ص ١٤٦ .

* الظيان : مفردة ظيانة وهو ياسمين البر يشبه النسرين (لسان العرب -

مادة ظين ، معجم الألفاظ الزراعية ، الأمير مصطفى الشهابي ، مطبعة مصر ،

القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ١٦٦ ، معجم أسماء النباتات ص ٢٦) .

(٢) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٢٣ ، الحلة السيرة ٢ : ٣٩ .

(٣) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١٠٨ .

شعر الطبيعة

شعر الطبيعة ٨ والذي يمثل الطبيعة ، أو بعض ما اشتملت عليه ،
والطبيعة تعني شيئين : الحي ماعدا الإنسان ، والصّامت كالحدائق
والحقول والغابات والجبال وما إليها (١) ، وقد تمثّل الأندلسيون
الطبيعة حين يرثون ، وحين يمدحون ، وحين يتفرّلون ، وهذا يسدّل
على إحساس مرهف ، ومحبّة زائدة للطبيعة ، ملأت عنانها صدورهم ، وامتزجت
بها أنظارهم ، فقد كان الأندلسيون والطبيعة إلفين لا يفترقان ، وروحين
متصلان وإذا الطبيعة لديهم ، نفس يولائية ، تقبل جميع الصور وتتقمّص
جميع الأجسام (٢) .

لقد افتتن الشعراء في إشبيلية بالطبيعة افتتاناً عبيها ، وولّدوا فيها
من الممانى العميقة والمستملحة ، وأداروا الممانى في الطبيعة بينهم
على وجوه مختلفة من القول ، ولم يتميز أحدهم عن الآخر في هذا المجال
إلا بحسن السّبل ، ولطافة الصّوغ ، ورقة الحبك .

لقد شارك أغلبية الشعراء في إشبيلية في وصف الزّهور ، ونظروا فيها
لاستشفاف ألوانها وصورها ، فاجادوا التصوير ، وأحسنوا التشبيه .

وقد كانت للورد منزلة عظيمة في الشعر الإشبيلي ، فهو على رأس الأزهار
لما استاز به من منظر جميل ، وألوان زاهية ، ورائحة فواحة ذكية ، ولقب الإغريق
زهرة الورد بملكة الأزهار ، وكان قدماء الرومان يزيّنون المواكب الرسميّة
بالورد (٣) . وقد رأى الإشبيليون في الورد أحسن هدية يقدمونها
لمن يحبون ، فها ٨ وابن حبيب يهدي إلى والده وردا ، ومعه شعر يقول
فيه (٤) :

-
- (١) شعر الطبيعة في الادب العربي ، سيد نوفل ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٤٥ م
ص ١١ ، في الادب الاندلسي ، ص ١٢٥ ، الطبيعة في الشعر الاندلسي
الدكتور جود التركاوي ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٣٧٨ هـ ، ١٩٥٩ م ص ٧٠ .
(٢) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ص ٨٠ .
(٣) نباتات الزينة ، الدكتور عز الدين فراج وصفي نجيب ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٩٨ .
(٤) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٣٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٠١ .

معروفة باسمي في كل مطلق
جدد لها من وكيد العهد حرمتها
محفوظة المنتص مرعبة الذم
وصيل لها جعدت الا ترام بالكوم

ويشبه ابن حمد يس الشقائق في استوائها واتساقها بشعور القيان المشطبة
وقد قمن يوقصن في الملابس الحمراء (١) :

نظرت إلى حسن الرياض ، وغيمها
فلم تر عيني بينها كشقائق
كم مشطت غيد القيان شعورها
تبلبلها الأرواح في القضيبة الخضر
وقامت لرقصي في غلايلها الحمر

وتعلق الإشبيليون بزهرة السوسن ، ورسوموا لها صورة جميلة ، فإذ أظهرت
هذه السوسنات في نظر ابن البار ؟ (٢) :

وسوسنات أرت من حسننها بدعسا
شبيهة بالثرثيا في تألقها
أمت بهمناه تهفى أن يقبلها
ثم انثنى بعضها من بعضها غلبا
ولم يزل عصر مولانا يري بدعسه
وفي تألقها تلتاح ملتصقه
واستشرفت تجتلي مرآه مالمه
على البدار فوافت وهي مجتمعه

فالسوسنات مرتبة كالثرثيا ، لامة كالنجوم تواقه لتقبل ابن عباد لها .
وبعجب أبو عامر بن مسلمة بمنظر السوسن ورائحته ، فيشبهه بأغوس البلور
التي تسر الراي وقد لمع الخمر من خالها ، فالذي يراق من السوسن إذا (٣) :

وسوسن راق مرآه ومخبره
كأنه أغوس البلور قد صنعت
وبينها السن قد طرقت نه
من بينها قائم بالملك توشحه
وجل في أعين النظار منظره
مسند سات تعالي الله مظهره

(١) ديوان ابن حمد يس ص ١٩٢ .

(٢) النفح ٣ : ٦٠٣ - ٦٠٤ .

(٣) الجذوة ص ٦٥ - ٦٦ ، بغية الطمس ص ٩١ .

(٣) رايات البرزين ص ٤١ .

وأصبح المنظر الطبيعي كالقاعدة أو العامل الكيميائي المساعـد
في القصيدة الأندلسية (٢) ، وقد بدأ الشعراء كثيراً من مدائـحهم
بوصف مجموعة من الأزهار، حيث أضفوا جمال هذه الأزهار ورونتها على المدوح
ومن الذين ساروا فسي هذا الاتجاه : أبو الـصيح ابن عبد العزيز (٤)
وابن القوطية ، وابن سلمة ، وابن الأبار ، والاستحي . . .

فها هو أبو الـصيح ابن عبد العزيز يرسم صورة لمجموعة من الأزهار، حيث
أنتجت باجتماعها لوحة جميلة لا تقل في حسنـها وبهائـها عن لوحات الرسامين
والنحاتين ، فالترجس أصفر كالذهب ، والأقحوان أبيض كالفضة ، والورد منه
الأحمر ومنه الأبيض ، فيقول (٣) :

يا من تأمل نـورا	فيه النواوير فضـة
وعاين الحسن منـها	قد زين البصائر بحضـة
فالترجس الفـضـة	في صفر منه مـضة
والأقحوان بها ضـة	كأنه صمط فضـة
والورد ماء ونـار	سالا على وجهه بضـة
ضدان في صحن غـر	قد ألفا بعد بفضـة

ويلتفت القاضي ابن عباد إلى هذه الصورة ، فيعاتب ابن عبد العزيز
قائلاً (٤) :

أبلغ شقيقي عني	مقالة لتمـة
بأن وصف الأفاقي	الذي وصفت لم أرضه
هلا وصفت الأفاقي	بأكو من فضـة
أو النجوم تساقـة	ن في المـها المبهـة

-
- (١) تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ص ١٠٣ .
(٢) هو أبو الـصيح ابن عبد العزيز ، أدب شاعري عصر الممـة (البردة) ص ٣٠١ .
بخية الملتص رقم ١٥١٣ ، الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .
(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٠٤ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٠٥ .

ويرسم ابن القوطية صورة زاهية الألوان للأزاهير التي تعيط بالنهر فالورد ناصع البياض وكأنه وجنة الحسناء ، والبنفسج أحمر كخند الفتاة الذي يبت عليه آثار العنّ ، والياسمين كالنجوم اللامعة في السماء (١) :

شاطئ النهر نـَـوْـرٌ	كسا الدرائك أرضـة
نـمـسـارق وزرا بـ	من النواوير غـمـسـة
فالورد وجنة حـسـود	غراء بيضاء بـضـة
كما البنفسج حـمـد	أبقى به اللثم عـمـد
والياسمين نجـوم	هازت عن الحسن مـعـمـد

واتخذ أبو عامر بن مسلمة الروضة مقدمة لمدح ابن عباد ، حيث وصفها وصفاً دقيقاً ، يدل على خيال واسع ، ودق مرهف ، وتمكن من زمام اللحن فأنواع الزهور التي توجد في هذه الحديقة هي (٢) :

فيها بهار باهـر	ونرجس يشكو الضـمـنـي
وياسمين أرضـة	ونوره تلونـة
كالليل مخضراً ولكـ	ن بالنجوم زينـة
فاجـتن ورداً وارداً	وسوسنا فلسـة
وعوله نيلوفـر	فتنة رانـان رنـة
تخالسه مضاربـة	من المهار وقـة
والآس * آس كاسـمـة	بنوره قد حـسـمـة
تنوره جواهرـة	من غير بحر تفتـمـة
وحبه من سـمـج	أو سندس قد لـوـمـة
وقد بدا فيها البنفسـج	ج الندي الفخر البـعـمـة
وأرضه مـلـرـف	خضر أتنـة بالمـمـمـة
طابت بطيب ما جـمـد	فاق سناء وسنـمـمـة

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٠٣ .

(٢) تاريخ الادب الاندلسي - عصر الطوائف والمرابطين ، ص ١٩٥ .

(عن البديعي) .
* الآس : واحدته آسة ، تنبت في الجب ، وقد تزرع للتزيين ، لها رائحة عطرية : (معجم الاقفاط الزراعية ص ٤٤٥) .

فهو يضمن هذه الحد يقة الشعرية مجموعة من الأزهير ، كالغيلوفر
والبهار والخرجس والآس والبنفسج والورد والياسمين والسوسن ، وقد كُوت هذه
الأزهير منظراً جميلاً ، وصورة رائعة ولوحة مشرقة ، هذا البهار والورنق لا
يتوفر إلا في ابن عباد ، بل إنه يفوقها في معيها وظلمته ، وقد ملأ ابن مسامة
المقادير بالتشابه والزخارف اللطيفة التي ساعدت في إعطاء وزننا موسيقياً راقصاً .
ويدرك أبو الا صبح تغير الطبيعة ، وعدم ثبوتها على حال ، لذلك
يرى أن الانسان يجب أن يدرك بأنه لا يد من الوداع بعد اللقائ
فها هو يعلن تقول الخيري ورحلة البهار (١)

رجل الربيع عليه هندٌ	وأقيم للخيري رايةً والـ
في شهر كانون أدباً وقوصت	أيامٌ بهجته فهن خوالي
فاشكر أوائله فهن نوافسح	واحمد أواخره فهن خوالي
وانا سررت بخل صدقٍ وافسح	ورضيت فأنظر إلى الترحال

وبالرغم من جمال الزهر وحسنها ، إلا أن أجعلها لم يسلم من ذم
الشعراء وهجائهم ، فيقول ابن حمد يس (٢)

وباقى مستحسن نورها	وقد خلت في المشم من كل طيب
كمعشر راقتك أثوابهم	وليس في جملتهم من أدب

ووصف الشعراء الوقت والمكان الذي تنبت فيه هذه الأزهير فيها هو
ابن القوطية يصور أثر الربيع واستبشار الأرض بقدمه في مقطوعة هادئة
الأوزان والموسيقى بقوله (٣) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٢) ديوان ابن حمد يس ص ٢٤٠ .

(٣) الجذوة ص ٣٩٣ ، بهية الملتصص ص ١٩٠ - ١٩١ .

ضحك الثرى وبدا لك استبشاره
ورنت هذا ثقه وآزر نهته
واهتمز ذابل نبت كل قنار
وتعممت صلح الربى بنهارها
وكانما الروض الأنيق وقد بسدت
بيضا وصفرا فانتقات صائغ
سبك الخميلة سجداً وود يلسه
واخضر شاربه وطور عذاره
وتفطرت أنواره وشمساره
لما أتى متطلعا آذاره
وترنعت من عجم أطيافه
متلويات غضة أنسواره
لم ينأد رهمه ولا ينساره
لما غدت شمس الظهير ناره

فهذه الأبيات تدل على سمو خيال الشاعر ، وبراعته في التصوير ،
حيث خلق على أبيانه ، عيوبه وحركة ، فالثرى يضحك ، والطيور تغني ، والنبات يهتز
وصلح الربى تتعمم بالنبات . . .

وها هو ابن حبيب يستبشر بقدر الربيع قائلا (١) :
اهتز فقد سقر الثرى عن بشيره
متحصنا من حسنه في معقيل
فرض الربيع ختامه فهذا لنسبا
من بعد ما سحب السحاب ذيل
واشكر لآثار بدائع ما تبرى
وأناك ينشر ما طوى من نشره
تقل الحيون على رعايق زهره
ما كان من سرائره في سره
فيه ودر عليه انفس دره
من حسن منظره النضير وغيره

ومما يزيد في جمال صور الشعراء التي يرسمونها للرياض ، انكاؤهم
على عنصر اللون كثيرا ، فالرياض عند أبي محمد بكر بن محمد بن نصر
الاشبيلي (٢) :

وكانما تلك الرياض عرائس
أو كالقيان لبسن موشي الحلس
ملبوسهن معصفر ومزعفر
فلهن في وشي اللهاش تهخر

(١) بغية الطمس ص ٢٢٨ .

(٢) النفح ٣ : ٤٨٤ .

فهو يشبهها تارة بالمراس وقد لبس أحسن ما عند من ثياب
مزرقة ، وتارة أخرى بالقيان لبس الحلي الموشية التي تثير إعجاب الراي .
ولا يكتفي أحمد بن محمد الهلمي بالإنكاء على عنصر اللون فقط
في رسمه لجمال الحقائق ، وإنما يرى أن الرائحة الذكية التي تفوح منها
مع النسيم اللطيف تكسب الروض جمالا ورونقا (١) :

انظر ونزه ناظر يك هروض	غناء ما زالت تراج وتمطر
لترك من صنعاء صنعة وشيها	بمطارف من شتر لا تستر
ألوانها مثنى وطيب نسيمها	يقص المبير بها وينسى الحنبر

ويحاول بعض الشعراء إخفاء غزلهم وراء وصف الرياض ، فهذا ابن مسلمة
يخرج إلى خميصة ، والربيع قد وشى الأرض ، وقطرات الندى تأتلق فوق
الفصون ، فلما تأمل هذا المنظر صورته أجمل تصوير بقوله (٢) :

وخميصة رقم الزمان أن يمهـ	بفضض ومقسم ومشبوب
رشفت قبيل الصبح ريق غمامة	رشف المحب مراشف المحبوب
وطردت في أكنافها ملاك الصبا	وتعدت واستوزرت كل أديب
وأدرت فيها اللهو حق مداره	مع كل وضاح الجبين عسيب

وقد كثرت في إشبيلية الثمار من كل نوع ، وتعددت أصنافها وعذابتها ،
فما كان من الشعراء إلا أن التفتوا إليها ، وأجادوا وصفها ، وأحسنوا تشبيهها ،
وقد يهدي بعض الشعراء هذه الثمار ويصفونها ، فممن ذلك أبو عبد الله ابن عمار
بعض إخوانه حمرا ، بحث مصفا تفاعتين ورومانتين وكتب (٣) :

-
- (١) الذخيرة ق ١م ٢ ص ٢١٤ .
(٢) مطمح النفس ص ٦٠ ، النسخ ٣ : ٥٤٥ .
(٣) ديوان ابن عمار ص ٢٦٤ .

حُدُّوهَا كَمَا اسْتَهْدَ يَتْمُوهَُا
عُرُوسًا لَا تُزَفُّ إِلَى اللُّثَامِ
وَدُونَكُمْ بِهَا ثَدْيِي فَتَسْنَاة
أَصْفَتِ إِلَيْهِمَا خَدْيِي غِلَامِ

فالشاعر يشبه الرمانتين بثدي فتاة ، والتفاحتين بخدي غلام عوي
تشابهه متفرعة من بيئة إشبيلية الباذخة ، ومجتمعهما اللاهي الذي يميل
إلى المجون .

ومن أشهر الشعراء الذين اهتموا بوصف الشرابات ابن القوطية
حيث وصف مجموعة من الفواكه وصفًا دقيقًا ، ولكنه أهمل كبقية الشعراء بالشكل
دون الجوهر ، فأكثر من المحسنات المديعية ، وأفرق فيها فرئيس مجموعة
الفواكه عند ابن القوطية ٨ و (١) :

وطييب الرقيق عذب آتٍ في آتٍ
وزاره مُشْتَمِلًا في زِيٍّ أَعْرَابِ
مُخْطَلٍ الثوبِ لَمْ تَحْمِلْ رَأْسَهُ
بين الفواكه من نَقْصٍ وَلَا عَابِ
خَلَّسَتْهُ نَظْرِي فَاحْمَرُّ مِنْ خَجَلِ
خَدَّاهُ ثُمَّ انشَى عَنِّي كَوْتَابِ
من اسمه فيه مَقْلُوبَةٌ وَمُبْتَدَأُ
أَمْرِي عَلَى اللُّوزِ فِي تَطْرِيزِ جِلَابِ

وحين وصف ابن القوطية التفاح ركز على لونه الأحمر ورائحته المسكية ،
ثم تلاعب بالألفاظ في البيت الأخير قائلا (٢) :

وَجِلْبَانِيَّةٍ مَسْكِيَّةٍ النَّفْسِ
كَأَنَّهَا جَذُوعٌ فِي كَفِّ مُقْتَنَسِ
قَدْ أَشْرَبَتْ مِنْ صَبَاغِ اللَّهِ حَمَرَتَهَا
كَأَنَّهَا غُرَّةٌ أَوْقَتْ عَلَى لَحْمَسِ
كَرِيمَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْهَرَمِ حَصَرَتْ
إِلَّا وَحَصَّتْ عَلَى اللَّذَاتِ وَالْأَنْسِ
خَافَتْ فَنَكَمَتْهَا لَمَّا كَلَفَتْ بِهَا
فَان دَعَوْتُ أَجَابَتْ بِاسْمِ مُنْتَكَسِ

ففي قوله خافت تفاح مقلوب .

أما الترنجان * فلن لونه (٣) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢١٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٦ .

* الترنجان : نبات من الفصيلة الشفوية ينبت برها في الأراضي الرطبة وعلى
مقربة من الماء وقد يزرع . (معجم الألفاظ الزراعية ص ٤١٩) .

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢١٦ .

وأخضر فُسْتَقِيَّ اللونِ غُضْرُ
بروقٌ يحسُنْ منظره الحيوننا
ذكي المرفِ مشكور الأيادي
كريم عرقه يسلي العزبننا
فلونه أخضر فستقي ، وراثته ذكية طيبة ، ثم يتهمه بالسرقه والخيانة
لأنه (١)

أغار على الترنج وقد حكاه
فزاد على اسمه ألفاً ونوننا
وانتشر السفرجل في حدائق إشبيلية ، فاستنشق الشعراء شذاه
الفواح ، فما كان من ابن القوطية إلا أن قال (٢) :

وزعفرانية في ثوب محزون
تروق طعما وشمًا في الحساتين
مصفرة من بنات الحسَن تحسبها
في زغبها صيَّتا في ثوب تكفين
قد رُحَّت فوق أغصان ترجحها
وفلكت كئُدي الهرب الحسِن
فهو يشيد بطعمها اللذيذ ، وراثتها الذكية ، ولونها الجميل .
ويهدع ابن القوطية في وصف جوزة ، حين يستمير لها ألفاظنا
تتعلق بالأهلياء كالميون والاذان (٣) :

ومطبعة لفقين أحسن ما تسرى
كما انطبق الجفنان يوما على الكرى
ان فتحتها مديّة قلت : مقلّة
أحد بها فتح الحيون لتتظرا
وباطنها في باطن الأذن خلقة
غضونا إذا شبهتها وتكسرا

وقد وصف الشعراء التين ، فهذا الممتد قد ركب للزهرمة
بظاهر إشبيلية في جماعة من ندماثة وخواص شعرائه ، فرأى شجرة
تين قد أبيضت زرات ، وبرزت منها ثمرات قد نضجت ، فسند إليها عصا كانت
في يده فاصابها وثبتت في أعلاها ، فأطربه ما رأى ، والتفت فرأى ابن جاح
فقال له : أجز :

كأنها فوق العصا

فقال هامة زنجي عصي (٤)

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٧ .

(٣) رايات المبرزين ص ٤٠ - ٤١ .

(٤) ديوان الممتد ص ٧٤

وشارك الشعراء في إشبيلية شعراء الأندلس في وصف النهر والزوارق والسفن ، وأبدعوا في ذلك أيما إبداع ، وأطالوا قصائد هم في هذا المجال ، فصفاة النهر عند ابن حمد يس هي (١) :

ومرّو صدى الروضات يسحب دائباً
إذا ما جرى واهتز للمين مزبداً
وتساب منه حية غير انتهـا
وتحسبه إن حكمت منه الصبا
له رعدة تعتاره في انحداره
كان له في الجسم روحاً إذا جرى
وما هو إلا دمع عين كأنهـا
إذا سرحت للسقي من كل جانب
يقيم عليها الإنس ، والصبح مقبل
على الأرض منه جملة تنهض
حسبت به فرواً من النسر تنفض
تطول على قدر المساب وتعرض
عموداً علاه النقش وهو مفضض
كما تبسط الكف المنان وتبفض
به نهضة والجسم بالروح ينفض
لطول بكاء دهرها لا تنفض
رأيت بقاع الأرض منها تروض
ويرحل عنها الوحش ، والميل ممرض

فهو يعرف هذا الوصف من نفسيته الحزينة ، فالنهر ينبعث من عين ماء ، ثم يجري وينحدر ، وكأنه حية ، إلا أنه يطول ويعرض حسب اتساع المساحة التي يجري فيها ، فلا يبقى على شكل معين ، وهذا الخد يسر إذا جرى فهو روح للجسم ينفض بها ، وما النهر دمع للمين التي لا ينقطع بكاءها وذرفها الدموع الفزيرة ، وهو يمشي في الأرض ويحيط بها إلى جنان جميلة ، فالإنسان يقيم عليه في النهار ، والوحش يأتي إليه في الليل ، فهو مفيد للجميع .

ومرة أخرى يجسم ابن حمد يس النهر ، ويجعل له متناً ، ويجعله جريحاً وهو يجري على الحصى ، وكأنه إنسان مريض يشكو أوجاعه وآلامه ، فالنهر (٢) :

(١) ديوان ابن حمد يس ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٢) ديوان ابن حمد يس ص ١٨٦ .

وَمَطَّرِ الْأَجْزَاءُ بِصَقْلٍ مَتَّسَةٍ
صَبَا أَعْلَنْتَ لِلْحَيْنِ مَا فِي ضَمِيرِهِ
جَرِيحٌ بِأَطْرَافِ الْحَصَى كُلِّهَا جَسْرِي
عَلَيْهَا شَكَا أَوْجَاعُهُ بِخَرِيرِهِ

ويرسم أبو الوليد بن عامر للنهر صورة جميلة بقوله (١) :

انظر إلى النهر وأعجب
قد حل بين ربي
من نرجس مثل لون
وأقحوان أنيق
وقد كسا غد وثيب
كما ابن عباد النسب
بحسن مرآه وأرضه
من النواوير غصنه
مهجور فارق غمضه
برودة مبيضه
بحومة الزهر مضمضه
بقد كسا الصنون عرضيه

ويظهر ابن الخطار بمنظر النهر وقد احاطت به الأشجار والزهور
فيقول واصفاً هذا المنظر أثناء ركوبه النهر (٢)

عبرنا سماء النهر والجو مشرق
وقد البسته إليك برد ظلالها
ولميس لنا إلا الحباب نجوم
وللمشمس في تلك الجروير رقوم

وما هو يتحدث عن نزهة قام بها مع أصحابه قائلا (٣)

مررنا بشاطئ النهر بين حدائق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة
بها حدائق الأزهار تستوقف الحدق
عليه وما غير الحباب لها ملق

والتفت الشعراء إلى وصف الزوارق في النهر ، والأسطول في البحر ،
فحين أعجب ابن عمار بمنظر الزورق الذي يجري في النهر ، شبهه بالمهلال
في جماله وتألقه وشكله قائلا (٤) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٠٣ .

(٢) القلائد ص ٢٨٣ ، النفح ١ : ٦٥١ ، ٣ : ٦٠٠ .

(٣) القلائد ص ٢٨٤ ، النفح ١ : ٦٥١ .

(٤) ديوان ابن عمار ص ٢٢٨ .

وجارية مثل الهلال أفتحها
على نهر مثل السماء رقيق
تجلي لنا إلا صباح ورمز
فألت عليه الشمس ثوب عقيق
وبجسم ابن وهبون قطعة من الأسطول ، ويتعدى عن سرعتها
وشكلها ودقة صنعها بقوله (١) :

يا حسنة يوماً شهدت زفافها
ورقاه كانت أيكه فتصورت
حيث الفراغ يجر شملة عجيبه
من كل لاسة الشباب مسلاة
شهدت لهن الحين أن شواهدنا
من كل ناشرة قوام أفتسخ
زارت زئير الأسد وهي صوامت
ومجاد في تحكي أرقام ربوة
والماء في شكل الهواء فلا ترى
في شكلها إلا جوارح تلقي

فأشرعتها كأجنحة الحقبان ، ونزولها بهدوء كأنها سفن في مازق
ومجاد يفها المنفصة في الماء كالشمايين التي أصابها المطر فنزلت للماء
لكي تشرب ، وخيالها التابع لها كالطيور البارحة المفتركة ، وهي كالحمام
الأورق ، وكالمروس لبست ثوباً أنيقاً وقد نزلت إلى الماء في تبخر .

وقد وصف ابن حمد يسر الجرد والمطر والرعد والبرق وصفاً شديداً جامداً
في قصيدة دالية طويلة ، فرسم للبرد صورة واضحة حين بدا وكأنه لوله أهدافه
الشحوب ، فبهر منظره الجميل الحسنات فخلت لوله ، عقيقاً ، فأردن التقاطه
لتحليه أجساداً به (٢)

نثر الجود على الأرض بصر
لوه لوه أهدافه الشحوب السني
منحه عارياً من نكس
ولقد كادت تعاطى لقطته
وتحلي منه أجساداً وإن

أي در النمر لوه
أنجز البارق منها ما
واكتساب الدر بالخصوص نكس
رغبة فيه كرمات الخس
عظمت رائقك في علي الفيد

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٥٠٥ - ٥٠٦ ، النفح ٤ : ٦٠ .

(٢) ديوان ابن حمد ص ١١٧ - ١١٨ .

ثم أخذ في وصف تلقي الأرض لهذا البرد ، فهي تلتقطه بهند ها لأنه
سقط من عيون السماء ، ثم بدأ يتحول إلى ماء يجري في السيول التي تشبه
الثمايين المتسابقة ، فامتلات الفدران من هذا الماء بحيث أصبح الزبد
يحلوها (١) :

فَوْقَ أَرْضٍ تَلْقَاهُ يَغْشَى	ذَوْبُهُ مِنْ سَمَاءٍ أَثْمُوعٌ
كثمايين عجال تطبّر	فجرت منه سيول حولن
سبحت فيه قوارير الزبد	وترى كل غد يرمت

وبعد ذلك انتقل إلى وصف الرعد ، فشبّه صوته بهند يو المحيي ،
وكانت السحب بسرعة كسرعة قطيع الإبل ، وهي تروي البلد بعد الآخر (٢) :

أرقّ الأجفان رعد صوت	كهد ير القرم في الشؤل حفد
بات يجتاب بأبكار الحي	بلد آ يرويه من بعد بلد
فهو كالحادي روايا إن ون	في السرى صاح عليها وجلد

وينظر ابن حمد يس إلى البرق ، فيشبهه بالحسام الذي يسيل من
جرايه ويفد تارة ، وتارة أخرى يشبهه بالأسد الذي احمرت عيناه (٣) :

وكان البرق فيه حمان	بضرام كلما شب غمص
تارة يخفو ويخفى تارة	كحسام كلما سل غمص
يذعر الأبطال محمراً كـ	قلب الحمالق في الليل الأسد

وأعجب الشعراء بمنظر الخيوم ، وتفننوا في وصف الأيام الخائمة ، فهنا و
ابن عمار بنمت الفيم المتكاثق في السماء يد خان يخرج من عود اخضر ، ويشبه
قطرات الندى بهراة الفضة في تألقها وبياضها ، والشمس وهي تظهر تارة من
وراء الخيوم وتختفي تارة بالأمّة التي تعرض نفسها لمن يشتريها (٤) :

(١) د يوان ابن حمد يس ص ١١٧ - ١١٨ .

(٢) د يوان ابن حمد يس ص ١١٨ .

(٣) د يوان ابن عمار ص ٢٤٨ .

يومٌ تكاثفَ غيمةً فكأنَّ نَسْـه
والطلُّ مثل برادةٍ من فضَّةٍ
والشمسُ أحياناً تلوح كأنَّها
دونَ السَّماءِ دخانٌ عودٌ أخضر

ويلدُ الشَّمرُاءَ بشربِ الخمر تحت الغيوم المتكاثفة ، وبين الدُّعائِقِ
الجميلة ، فبعد أن يصوِّر ابن خيرة (١) يوماً اكتسى جُوهٌ بالسَّحاب ، وعجبت
فيه الشمس عن الناظرين ، يدعو إلى الشرب والطرب بقوله (٢) :
يَوْمٌ كَأَنَّ سَحَابَ سَمْسَمَةٍ
حَجَبَتْ بِهِ شَمْسَ الضَّمَامِ
فَالْفَيْثُ يَبْكِي فَقَدْ هَمَّ
وَالرَّعْدُ يَخْطُبُ مَفْصَحاً
فَأَشْرَبَ وَلَدٌ بِحُسْنِيَةٍ
صِرَافاً كَأَنَّ حَبَابَهُمَا
فالشاعر أبدع في وصفه هذا اليوم ، وبخاصة حين ألكى الخيم ، واضطجعت
البرق وانطق الرعد ، وأحزن الجو

ووصف الشَّمرُاءَ في إشبيلية الخبُول والحمام والبلبل والسَّمَك ، ورسوموا
لها صورا فنية جميلة ، واعتمدوا في ذلك على حسن التشبيه ، وتنميسيق
العبارة ، فالفرس من الوسائل السهلة في القتال ، وبواسطتها يطلب النصر ،
وبها يفتخر العربي ، لذلك يصف ابن حمد يس الفرس بقوله (٣) :

ومنفصلي في صفهة الليل يَمْتَطِي
يَخْتَمُ يَمْنَاهُ قَبِيحَةٌ صَمَامِ
يَكْرُ فكم جسم على الأرض ساقط
إلى آجل الآسَاء قَيْدَ الأَوَامِدِ
لما قد طغى من سُنْبُلِ المِهَامِ حاصد
صريع وكَم رُوحٍ إلى الجَوِّ ماعِد

- (١) هو إبراهيم بن خيرة السباع ، أحد شعراء إشبيلية (الجدوة ص ١٥٤ بغية
الملتص رقم ٢١٦ الذخيرة ق ١٢٢ ص ٢١٠-٢١٢ ، المغرب ١ : ٢٦٠ ، النفح ٣ : ٤٨٥)
(٢) الجدوة ص ١٥٤ ، بغية الملتص ص ٢١٦ ، الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢١٠-٢١١ ،
النفح ٣ : ٤٨٥ ، وقد نسبها صاحب المطمح لابن سلامه ص ٦٠ .
(٣) ديوان ابن حمد يس ص ١٣٧ .

ولا يكتفي ابن الطح بوصف الخيل ، بل يرسم لوحة دقيقة لحلبة الخيل فيبدأ بالحدث عن هذه الخيول وسرعتها وصهيلها ، ثم يتحدث عن الفرسان ودرهمهم في الحروب ، والصناعات التي تلاقهم ، وبعد ذلك يتكلم عن ألوان الخيول ، فمنها الذي يعيل لونه إلى الحمرة ومنها الأبلق ، ومنها الأشقر ومنها الذي يعيل لونه إلى السواد حيث يقف عند هذا النوع وثقة طوبى له ، ليتحدث عن قوته وشده ، فحين يطلبه الفارس للحرب يجد مسلحاً طبعها الطالب (١) :

خوافقٌ قد ريشت بأجنحة الهندي
فهنّ بشدة الجري عتبانٌ شاهق
بكلّ مياه بالسلاح كأنّما
مهينٌ لدنياه يظنّ حياتهُ
تستمرّ جدران المكاره فانتهمسى
سقى من قلب الحرب أشجار مغر
فمن سابغ وردٍ تجلّبه خلد قسوة
وأبلق كالريم المدى ممفّس
وأشهب تجلوه المعاني كأنما
وأشقر نوري يهب كأنما
وأدهم كالليل البهيم تعلّق
إذا ما علاه راكب فكأنما
بلته خيط المجرة فصلّت
سفينة برّ سُخرت غير أنّها
تطأطأ من عون الطباع بحار
له خلّق لولا نوار غصيره

فطارث ببحر الروم كلّ مطار
وهنّ بالحن الصهيل قماري
يجرّ من الخطي فضل إزار
إذا لم يمّ في الله دار بوار
ماتر لم تحبّ له بهدار
تدلّت له من ساعة بشمار
بنسج دم قبل الغناج صمار
تخال بشقيه مسال نصّار
تزين منه زندها بسوار
وقد كدّته الحرب يقبس نسار
به تحت كمّ الفجر كفّ نهّار
بفرته تحت المطالب سمار
له موهناً أوساطه بسد راري
تجوب من الإلهاب لجّ غمار
وتنهأ من لون الأديم بقرار
على عتقه لم ينحرف لنفسار

وكان المعتمد يحب الصيد وأدواته ، فعند ما أهديت إليه كلمة صيد انبرى ابن المرغر لوصفها ، ورسم أجزائها وأعضائها (٢) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٦٣ - ٤٦٤ .

(٢) الخزينة ٢ : ٩١ ، المغرب ٢ : ٢٦٤ ، النفح ٣ : ٥٢١ .

لَمْ أَرْ مِثْلَهُ الَّذِي اقْتَنَبَ ص
كَمِثْلِ خَطْلَاءِ نَازِلِ جِبْرِ
كَالْقَوْسِ فِي شَكْلِهَا وَلَكِنَّ
إِنْ تَخَذَتْ أَنْفَهَا دَلِيلًا
أَوْ أَرْسَلُوها وراءَ مِثْرِ
مَحْبُوكَةِ الظَّهْرِ لَمْ تَحْبِسْهُ
وَمَكْسَبًا مَقْنَعِ الْحَرِّ يَص
أَعْيَدُ تَبْرِيقَ الْقَمِيصِ
تَنْفِذُ كَالسَّهْمِ لِلْقَنِيصِ
دَلَّ عَلَى الْكَامِنِ الْحَوِيصِ
لَمْ يَجِدِ الْهَرَقَ مِنْ مَحْبِسِ
لَجُوفِ بَطْنِ لَهَا خَمِيصِ

فمنقها طويل، وشكلها كالقوس، وحاسة شمها قوية، وسرعتها مذهلة، وظهرها محبوك، وبطنها ضامرة.

وقد وصف الشعراء الحماة وتشبها فيها نفسياتهم، فابن حصن يرسم لفرخ حمام صورة زاهية الألوان، فيصفه عضوا عضواً، ويوشيه بألوان زاهية جميلة، فالذي راع الشاعر (١) :

وما راعني إلا ابن ورقاء هاتفاً
مُفَسِّقٌ طَوْقٌ لَا زُورَ فِي كَلِمَتِهِ
أَدَارَ عَلَى الْمِيقَاتِ أَجْفَانِ لَوَّاسٍ
حَدِيدٌ شَبَّاهُ الصُّقَارِ دَاجٍ كَأَنَّكَ
تَوَسَّدَ مِنْ عَوْدِ الْأَرَاكِ أَرْيَكَةً
عَلَى مَقَرٍّ بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالنَّهْرِ
مَوْشَى الطَّلَى أَحْوَى الْقَوَادِمِ وَالظَّهْرِ
وَصَاخَ مِنَ الْمُقَيَّانِ طَوْقًا عَلَى الشَّعْرِ
شَبَّاهُ قَلَمٍ مِنْ فِصَّةٍ مَدَّةٍ فِي عَصَرِ
وَمَالَ عَلَى طَيِّ الْجَنَاحِ مَعَ الْفَحْرِ

وسيفاً كان فرخ الحمام في دوده وسروره، التفت إلى الشاعر فوجده يذرف الدموع، فاستغرب ذلك، لأن كل ما حوله جميل، فلماذا يبكي الشاعر إذا ؟ لعل شيئاً حدث ولا يعرف كنهه، لذلك طار بعيداً عن هذا الجو الحزين. (٢) :

ولمَّا رَأَى دَمْعِي مُرَاتًا أَرَابَهُ
فَحَثَّ جَنَاحِيهِ فَصَفَّقَ طَائِراً
بَكَائِي فَاسْتَوَلَى عَلَى الْخُصْنِ النَّصْرِ
فَطَارَ بِقَلْبِي حَيْثُ طَارَ وَلَا أُدْرِي

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٦٦-١٦٧، المرقعات والمطربات ص ٨٠ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٦٧ .

لقد وفق ابن حصن في رسم هذه الصورة التي لا تقل في اتقانها عن صورة الرسام ، وبخاصة في البيت الأخير عندما استعمل كلمة موحية في قوله " طار فؤادي " بحيث اضفت على الابيات السابقة بها ، ورونتها ، وبالرغم من جمال هذا التصوير إلا أن الشاعر عجز عن ان يشعرونا بما طفته وأحاسيسه (١) .

ولكن الحماسة تشير في المعتمد لوحة وأسى أثناء رويته إياها وهو مكبل بالقيود ، فيها هو يرى حماسة تبكي بكاء صاعدا ، وتحن حنيها حزينا على إلفها عند تذكره ، بسبب رويتها طائران في وكر واحد ، هذا البكاء الصامت من الحماسة آثار شجون المعتمد ، بحيث جعله يتعجب من نفسه لماذا يحبس دموعه ؟ وكيف لا يخرق في البكاء على كثير من أصحابه ورجال دولته ورعيته ، هل قلبه أصبح صخرة ؟ وان كذا فلا عذرا له ، فكم صخرة تتفجر منها المينابيع والمياه ، فالحماسة (٢) :

بَكَتْ أَنْ رَأَتْ الْفَيْنَ ضَمَّهَا وَكَسَّرُ	مساءً ، وقد أخنى على إلفها الدهرُ
بَكَتْ ، لَمْ تُرَقْ دَمْعًا وَأَسْلَمَتْ عَصْبَةً	يُقَصِّرُ عَنْهَا الْقَطَرُ مِمَّا هَمَى الْقَطَرُ
وَنَاحَتْ ، وَنَاحَتْ ، وَاسْتَرَا حَتَّ يَسْرَهَا	وما نطقت حرفاً ، يهوج به سر
فَمَا لِيَ لَا أَبْكِي أُمَّ الْقَلْبِ صَخْرَةً	وكم صخرة في الأرض يجري بها نهر
بَكَتْ وَاحِدًا لَمْ يُشْجِعْهَا غَيْرٌ فَقَدِهِ	وأبكي لألأف ، عد يدُهم كُثْرُ
بَنِي صَغِيرٌ ، أَوْ خَلِيلٌ مُوَافِقٌ	يُمَزَّقُ ذَا قَفَرٌ ، وَيُخْرَقُ ذَا بَحَرٍ
وَنَجْمَانِ ، زَيْنٌ لِلزَّمانِ ، اِهْتَوَاهُمَا	بقرطبة النكداء ، أو رندة القبر
غَدَرْتُ إِذَا إِنْ ضَنَنْ جَفَنِي بِقَطْرِه	ولن لو امت نفسي ، فصاحبها الصبر
فَقُلْ لِلتَّجُومِ الزَّهَرُ تَبْكِيهَ مَعْنِي	ليمثلها فلتحزن الأنجم الزهر

فهو لا يدري في أي المدنتين دفن ولداه ، أفي قرطبة أم رندة ؟ وكلتا المدينتان تشيران في نفسه الأسي ، لأنه يذكرهما يتذكر ابنيه ، ثم يتهم نفسه بالفدر واللوم إن جف له دمع أو تسرب إلى قلبه الصبر ، هذا الحسزن والألم دفعه إلى مناجاة الطبيعة لمشاركته في حزنه ، فالشعر كما يلاحظ

(١) وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي ، الدكتور شوقي ضيف وآخرون ، مصر ١٩٦٠ .

(٢) ديوان المعتمد ص ٦٨ - ٦٩ . .

وحين أعجب المعتضد بصوت البلبل الشجي الذي أثر في أوتار قلبه وهزها قال (١) :

وكان نهر إشبيلية مليئاً بالسماك ، لذلك لا غرابة أن يصف الشعراء هذه الأسماك ، فيها ٥٥ واهن ٥٥ يوصف سمكة صغيرة ويشبه جلد ها بجلد القنفذ بقوله (٢) :

وكانت قصور بني عباد ودورهم تبهر الناظرين ، وتسر المشاهدين ، لذلك وصفها الشُّعراء ، وتغنوا بجمالها ، وقد وقف ابن وهبون عند قصر الزاهي وقفة طويلة وبين أن الإنسان يحار في جمال هذا القصر ، فلا يدري أين يقع بصره (٣) :

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٥٠٨ .

وللمزاهي الكمال سناً وحسنناً
يحاطُ بشكلك عرضاً وطولاً
تواصيت المحاسن فيه شتى
وقورٌ مثل ركن الطود ثباتاً
تدافع من جوانبه اثلافساً
سماً ترتمي بحباب بحر
فقد كان اللبيب يهاك منسبه
فما أبقي شهاباً لم يصوب

كما وسيع الجلالة والكمال
ولكن لا يحاطُ به جمالاً
فوقد اللحظ ينتقل انتقلاً
ومختال من الحسنى اختيالاً
فكاد المستبين يقول مالاً
كأن بها إكاماً أو تلالاً
ويحسب أن بحر الجوس مالاً
ولا شمساً تنير ولا مالاً

ثم بدأ يتحدث عن بهو القصر وما فيه من صور يعيل بعضها إلى الحصرة
وبعضها الآخر يعيل إلى البياض (١) :

وللبهو البهي سماءٌ نـ
مزخرفة كأن الوشي القمى
وما خلعت الهواء يكون روضاً
بلى حقت أن النار كانت
فلم أعد له بهامه مذاها

تمثل شكلها حلقاً رخـ
عليها من طرائقه خيالاً
ولا سقفاً يكون كنس ذلك آلا
له ظئراً وعنصره زلا
ولم أنكر لندوته اشتعنا لا

وقد كان القصر يحوى كثيراً من التماثيل والرسوم ومنها تثال فيل
من الفضة يقذف الماء من فيه ، فقال في وصف ذلك (٢) :

وكل مصور هي جماد
له عمل وليس له حـراك
ويفرغ فيه مثل النصل بدع
رعى رطب اللجين فجاء صداد
كأن به على العبدان عتبا
وأوصى بالرياحين اغتراساً
وكان النقص والأشمار وقفاً
وقامت يوم قمنا منشادات

تبين فيه زهواً أرـ
وافهاكم وما أتى مقـ
من الأفيال لا يشكو صـ
وقاحاً غلما يخشى هـ
فلم يرفع لرويتها قـ
جمام طالما اغترس الرجـ
لمن جعل الندى والوعـ
فندت من رويتنا ارتجـ

ويبدع ابن حمد يس في وصف أحد قصور المعتمد ، فيصفه بالجمال ، حيث لا يبلى فيه المزر ، بل هو متجدد دائم يفوق جمال إيوان كسرى فيه قدسية يخشع لها الجميع تحاكي قدسية طور سيناء ، فيخلع من بطونه نعليه ، وأبواب القصر مفتوحة للجميع ، حتى حجارتها تستقبل زواره بالترحاب ، ولا غسرو في ذلك فقد بناه بناء مهرة بكل دقة واتقان ، ومهارة تفوق مهارة المشير ، وسرعة تفوق سرعة الجن ولصاحبه - المعتمد - سطوة وقدسية . . وهذا القصر شامخ وصحي تداخله الشمس منذ الصباح حيث لا يشعرا أحد بفرونها ، وليس ليله أقل جمالا من نهاره ، فهو جميل جمال الكحلة فسي الصيون (١) :

وما هذا دار يد الله مسحت	عليها بتجد يطر البقا فما تبلى
مقدسة لو أن موسى كلمته	مشى قدما في أرضها خلج النمل
وما هي إلا خطة الملك الذي	يحط لديه كل ذي أمل رخلا
إذا فتحت أبوابها خلت أنها	تقول بترحيب لداخلها : أهلا
وقد نقلت صناعاتها من صفاتها	إليها أفانينا فأحسننا النقالا
فمن صدره رحبا ومن جهة سنبا	ومن صيته فرعا ، ومن حلمه أصلا
وأعلت بها في رتبك الملك ناديا	وقل له فوق السماكين أن يخلص
نسيت به إيوان كسرى لأنسه	أراني له مؤلى من الفضل لا مثلا
كان سليمان بن داود لم تبسج	مخافته للجن في شيد مهلا
كان عيون السحر نافذة لسه	على كل مان غاية منه أوفلا
فجاء مكان القول نبعت وصفه	رقبعا ، وأذن الدهر تسمعه جذلي
تجوز له الأمواه بركة جسد ولي	تخال الصبا منه مشطبة نصلا
إذا اتخذتها الشمس مرآة وجبهها	أحالت عليها من مداوسها صقلا
تري الشمس فيه ليفة تستمد هبا	ألف أقامت من تصاويرها شكلا
لها حركات أودعت في سكونيها	فما تبعت في نقلهن يد رجلا

وقد توج المهو البهي بقيسة
تجمعت الأضداد فيها مصانعا
فقل في عروس في جلابيبها تجلس
ولم أر خلقاً قبلها جمع المصلا

وهكذا يلاحظ أن الشعراء في إشبيلية وصفوا الطبيعة ، وتفننوا
بجمالها ، حيث غلب على وصفهم الاستعارات والتشابهة والبدع وفدت الزخرفة
البدعية ، وكأنها مقصورة لذاتها ، وقد شخصوا الطبيعة أحيانا ، وخاطبوها
وكانها انسان ماثل امامهم .

والوصف في الشعر العربي يؤدى إلى اللغة ثروة كبيرة ، لغضبه وتنوع
فنونه ، فهو كالرسم والتصوير يتناول نواحي الكون ويمثل المناظر الطبيعية
ويشرح ما دار في المجالس (١) .

وقد جاء اكثر الشعراء من وصف الطبيعة لفتنتهم بها ، وتمايقهم بالبيئة
حيث رأوا فيها افراحهم وأحزانهم ، ثم لجمال الطبيعة ، وتنوع مناظرها
وساعدت حياتهم اللاهية تحت ظلال الطبيعة على تفتيق بنات
أفكارهم .

ولكن الشاعر الأندلسي بشكل عام على رغم حسنه الحميق وحبه للطبيعة ،
إلا أنه بقي يصورها ويزخر فيها بمصره ويجسمها بخياله ، فأجاد الصناعة
ولم ينفخ فيها الروح دائما (٢) .

(١) الأدب الأندلسي ١ : ١٠٩ .

(٢) الطبيعة في الشعر الأندلسي ص ٥٠ .

شعر الخمر

نالت الخمر اهتطاً كبيراً عند الشعراء في إشبيلية ، ولا عجب في ذلك ،
فقد انتشرت الخمر هناك انتشاراً عجيباً ، وقد وصفها الشعراء ووصفوا كؤوسها
وأثرها في النفوس ، فها هو ابن محمد البلخي يرى أن كؤوس الخمر بيضاء كاللآلئ ،
وهي صفراء كالذهب (١) :

وَمَدَامِي وَرَسِيَّةٌ أَعْلَتْهُنَّ
عُرِغَتْ طَلِي بِشْرِهَا أَعْمَالِي
فكؤوسها بصفائها كاللآلئ
وشرايبها في جوفها كسلاال

وكان ابن عمار من المفرمين بالخمر ، وصفه الكأس والخمر عنده (٢) :

الكأس جامد صلب
والخمر ذائب نزار
واعجب لما ونزار
تلاقها في قنزار

فالكأس تشبه الماء وقد تجمد فهي بيضاء متألقة ، والخمر كالنار أذ بيت
في الكأس فهي صفراء جذابة ، لذلك يتعجب من لقاء البدين الماء والنار .
والوقت الذي يشرب فيه المعتضد الخمر في ظلال الطبيعة هو (٣) :

شربنا وجفن الليل يفسله كحلله
بماء صهاج والنسيم رقيق
معتقة كالتمر أما نجارهم
فضخم وأما جسمها فرقيق

وقد يصف الشعراء الساقط والخمر وما يتعلق بها كقول ابن عمار (٤) :

وهو يته يسقي المدام كأنه
قمر يدور بكوكب في مجلس
متأرجح الحركات تندي ربحه
كالخفين هزته الصبا بتنفس
يسمى بكأس من أنامل سوسن
ويدبر أغرى من محاجر نرجس

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢١٤ .

(٢) ديوان ابن عمار ص ٢٤٣ .

(٣) الحلة السرا ٢ : ٤٩١ البيان المصرب ٣ : ٢٠٨ أعمال الأعلام ص ١٥٧ ،
وفيات الأعيان ٥ : ٢٣ النفع ٤ : ٢٢٢-٢٢٣ ، الوافي بالوفيات / مخطوط

م ١٤٦ ص ١٤٦ .

(٤) ديوان ابن عمار ص ٢٩٧ .

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢١٣ .

وإذا توارث بالحلــــــــــــــــو قِ يدَا سنَاهَا في الخُــــــــــــــــود
وكانني مولى الــــــــــــــــورى والنَّاسُ كُلُّهُمُ عبيــــــــــــــــد

فبالرغم من لذة الخمر وحسنها ، إلا أن لها بطشاً شديداً في عقول
الشاربين ، حيث تنسى الإنسان نفسه وواقعه .

ويرى ابن حبيب أن فائدة الخمر تكون لجميع الناس ، وتأثيرها يكون
على العقل والقلب (١) :

وكأنَّ لها كَيْسٌ على اللَّبِّ والعَقْلِ شمولٌ تريكُ الأُنْسَ مجتمعَ الشَّمْلِ
كأنَّ سبابَ الماءِ في جَنَابِهَا دروعُ لجَيْنٍ قد جَلَّتْهَا يدُ الصَّقْلِ

ففقايق الماء المزوجة مع الخمر تشبه في تألقها الغضة المصقولة ، ولكن الشاعر
يمجد فيفضل محبوبه على هذه الخمر ، فميونه الساحرة ، وريقه القذوب يغنيانه
عن شربها ، فالخمر (٢) :

تزيدُ ذوي الألبابِ فضلاً ولم تزل تُدِيلُ بطبعِ الجودِ من طَبَعِ المخلِ
غنيتُ بمن أهواه عن نشواتها فمن طَرَفِي غمري ومن ريقه نُقْلِي

ويرتاح ابن حمن لشرب الخمر ، لأنها تطفئ أواره وغضبه ، ويصفها
بأنها صفراء لاصعة تشبه شمعة النار المتقدة ، ثم يتعجب كيف يطفأ الأوار بالنار
قائلاً (٣) :

وربَّ شمعٍ نــــــــــــــــارٍ شفيتُ بها أوارِي
أليس ذاك عجيــــــــــــــــباً يُطْفِئُ الفلِيلُ بنارِ ؟
كأنما عصرت مــــــــــــــــن شقائق الجــــــــــــــــنار
إن بدت لك في قــــــــــــــــط عة من البــــــــــــــــلار
هَسِبَتْهَا شَفَقاً صــــــــــــــــو بَّ في زجاجِ نــــــــــــــــهار

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٣٤ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٣٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦١ .

فهي تشبه عصير نوار الرمان في احمرارها ، وتبدو في كأسها البلوري
الأبيض كالشفق الذي اخذ يلوح في النهار .

وتذكر الخمر الشعراء بالفرح والسرور وهي عند ابن حبيب (١) :

وقهوق لا يحدثها مُبْصِرٌ	رقت وراقت في أعين النظر
إذا كنت فالسرور مبتسماً	وإن نأت فالسرور مستعسراً
كأنها والحباب يحجبها	بحر من التبر يقذف الجواهر

فالسرور يحل باقترابها ، ويبتمد بغيابها ، وفي البيت الأخير يشبهها
الشاعر تشبيهاً فيه الجودة والطرافة ، فهذه الخمر وقد أعيطت بفاقيع الماء
تبدو والساقى يصبها كأنها الجواهر التي تقذف من بحر ذهبي .

ولم يكتف الشعراء بشرب الخمر ووصفها ونعت كؤوسها ، بل دعوا إلى شربها
والإغراق فيها ، واتهموا الذي لم يقل بالاصطباح بالجهل والخمول فتصيحته
المعتضد لفيرة هي (٢) :

اشرب على وجوه الصباح	وانظر إلى نور الاقباح
واعلم بأنك جاهل	مالم تقل بالاصطباح
فالدهر شيء سار	مالم تسخنه بمسراح

وأما نصيحة ابن الصباغ لشارب الخمر فهي (٣) :

انبذ مقال النصيح	ولن يشرب الصبح
روح وبأكراً مداً	كالشمس وقت الجنوح

فملى الشارب ألا يصفى لمن ينصحه بالإقلاع عن شربها ، بل عليه
أن يستمر في شربها والقول بها لأنها (٤) :

خرقاء يلشغ منها	لسان كل فصيح
إذا تناولت منها	حسن كل قبيح
رقت على ظهر كسرى	وعهد عاي ونسج
فليس توجسداً إلا	بنور لون وربح

(١) الذخيرة ق ٢ م ١٣٣ .

(٢) النفح ٤ : ٢٤٣ .

(٣) (٤) الذخيرة ق ٢ م ١١١ .

فهي عريقة في القدم ، وكل قبيح يصبح حسنا بشرها .

ويعتبر ابن عبد المزيّر شرب الخمر أقل الذنوب حين يقول لعاذله (١) :
 بالفت في عذلي وفي تأنيبي في الراح حين وعظمتني بحشبي
 عيها لست بتأوب عن شربها مادام شربها أقلّ ذنوبي

ويقول ابن حصن للسّاقى (٢) :

علمت لسقنيها الآن تبرئاً تحكي سنا الشمس بأشراقها
 راح متى ولحت بكفى فقص قامت لي الدنيا للى ساقها

وقد يفضل الشعراء الخمر على كل شيء ، ويعلمون عيهم لها فسي كل مناسبة ، وكانهم يفتخرون بذلك ويتباهون ، فابن ديسم (٣) ابتعد عن الخمر بسبب (٤) :

تجافيت عن شربي لها لا ليقة ولم يك إقصائي لها عن تحسّر
 وإن أك قد عرجت عن حق حبها فما أنا عن تفضيلها بمحسّر

ولا بد من اختتام الحديث عن الخمر وما يتعلق بها ، بهذا الحوار اللطيف الذي جرى بين الممتد وبين كرمة جذبت رداً (٥) :

مررت بكرمة جذبت رداً فقلت لها : عزمت على أذاشي
 فقالت : لم مررت ولم تسلم وقد رويت عظامك من دماشي

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢١١ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٦١ .

(٣) هو أحمد بن ديسم الإشبيلي ، من شعراء الدولة المصنعية .

(٤) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢١٢ - ٢١٣ (المغرب ١ : ٢٥٩) .

(٥) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢١٣ .

(٥) ديوان الممتد ص ٢ .

الفزل

الفزل أدب وجداني يعبر عن الأحاسيس في مجالات الحب ، لا أدب وصفي يوسم المظاهر الخارجية ، إنه استحضار لما مضى سبق ، أو شيء تسرك في العين دمة ، أو في القلب لهفه (١) . لقد كثر الفزل في إشبيلية في هذه الفترة ، وأصبح إيفالا في الفرائز ، ساعد في ذلك ، كثرة الفلمان والجواري ، وجمال الطبيعة ، ومظاهر التحضر ، ومجالس اللهو والشراب والفناء .

الفزل بالحرائر والقيان :

لقد كثرت الجواري والقيان في إشبيلية وتتنوع أصنافهن وفقن الشعراء بجمالهن وحسنهن ، ومثل هذا الاتجاه في إشبيلية المعتد والمعتد وابن عمار وغيرهم .

وأما فزل المعتد ، فهو فزل رجل افتقر ثمانية بكر ، فان تفزل فإن غزله يكون عابثا ، ليس فيه حرقة أو ألم ، وإنما فيه بذخ ورفاهية ، خال من الحاطفة الصادقة ، والأحاساس العميق ، والتعليل المصيب لنفسية المرأة وعواطفها فيقول (٢) :

يجوز على قلبي حوىً ويَجْـسِرُ ويأمرني ، وإن الحبيب أَمِيرُ
أغار عليه من لحاظي صيانَةً وأكرمه أن المحبَّ فيسـر
أغف على لقيا الحبيب وإنني لعرك في مجلى الأمر وقسم

ويتابع المعتد الشعراء الآخرين بالافتتان بالصفات المادية للمعبوبة ، ففزة فتانة كالقمر ، وقد ها مشوق كالفضن ، وسيرها متها كالخطامسة المثقلة بالمطراتي تتحرك بهدوء وتوددة (٣) :

(١) الفزل ، جورج غريب ، الطبعة الثالثة ، لبنان ، ١٩٧٥م ، ص ٧ .

(٢) الحلة السيرا ٢ : ٤٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٩ .

ويقتصر إن لا قيمتها أطول الدهر
وصدعاً غير نطق صفحة اليسدر
يكان لغرط الملين ينقل في الحصر
ولفظ كما انحل النظام عن الدر

يطول علي الدهر ما لم ألقها
لها غرة كالدر عند تمامه
وقد كمثل الغصن مالت به الصبا
ومشي كما جاءت تهادي غمامه

ومرة أخرى يعجب بعيني محبوبته ورد فيها وقوامها ، فيقول (١) :

سعيراً ، وعيني منه في جنة الخلد
كثيبة الردفين ، غصنية القصد
وأعلمتها ما قد لقيت من الوجد
فأعدى نود والشوق المبحج قد يحمري
وقد ينبع الماء النهر من الصلبد
أفضل نوار الأفاحي على السور
تعيد الذي أملت منها كما تبدي
قراي ومشي كالشرار من الزند
لدي - تقصت - غير مذ مومق العهد

رعى الله من يملكي فؤادي بحبهم
غزالية العينين ، شمسية السنن
شكوت إليهما حبها بدمعسي
فصادف قلبي قلبها وهوعالسم
فجاءت وما كادت علي بخد
فقلت لها : هات ثناياك انسي
وميلي على جسمي بجسمك فانشئت
عنافاً ولثماً أرويا الشوق بيننا
فيا ليلة ما كان أقصر وقتها

ولا يرضى الأمير الشاعر إلا بالحب الدائم ، وشوقه إلى محبوبته
لا ينتهي إلا بانقضاء الدهر ، فهما ويشرح معنى الحب بقوله (٢) :

هما أجزعه يوماً سوفاً اعتصد
تكان من حرها الأواء تنقصد
لا ينقضي الشوق حتى ينقضي الأبد
يهدى إليه فؤادي سر ما يجد

يا جاهل الحب إن الحب ذو سند
أجهل الحب من أضحت به حسرى
الله يعلم أنني شقيق أهدى
إن يشرب الجسم برد الوصال منتعشا

(١) الحلة السيرة ٢ : ٤٧ - ٤٨ ، ديوان ابن زيدون ، تلح ، كامل كيلاني وخليفه ،

ص : ٣٧٢ .

(٢) ديوان ابن زيدون ص : ٣٧٣ .

وقد وزع المعتقد نظراته بين الحرائير والجواري ، وشعره مشترك
بين الرميكية وسحر وقمر ووداد ، وقلبه لكل واحدة منهن ، وغزلــــه
في كل فتنة ، ولا يوجد في غزله بزوجه اعتماد أيّ عمق في العاطفة
أو تلهّف على بعد ١٥ كقوله (١)

تظنُّ بنا أمُّ الربيع سامــــة	ألاغفرا الرحمنُ ذنباً تواتقــــه
أأهجرُ ظهياً في ضلوعي كناســــه	وبدرٍ تمام في جُفوني مطالعــــه
وروضة حسن أجتنيها وسارداً	من الظلم لم تُحظر عليّ شرائعــــه
إذا عِدْت كُفّي نوالاً تُغيضــــه	على مُستغيها أو عدوّاً تُقارحــــه

ويلاحظ أنّ السّمة البارزة في مقطوعاته الغزلية التي يوجهها إلى
زوجته اعتماد هي سلاسة التعبير المقرونة برهافة الإحساس ، وعند وبسة
الموسيقى ، وفتور العاطفة فيقول (٢)

بكرتلتوم ، وفي الفؤاد بلا بل	سَقَها ، وهل يثنى الحليم الجاهل
يا هذه ، كُفّي ، فإني عاشق	من لا يَرُدُّ هواي عنها عاذل
حبّ اعتماد في الجوانح ساكن	لا القلب ضاق به ، ولا هوراحل
يا ظبية ، سلبت فؤاد محمد	أو لم يروك المهر بالباسل
من شكّ أنّي هائم بك مفرم	فعلى هواك له عليّ دلائل
لون كسّته صفرة ، ومدامع	مطّلت سحائبها ، وجههم ناحل

والمعتقد متكلف في غزله ، فلا يشعر الإنسان في غزله بحرقة أو ألم
وانما يحسن بتصنّع في الأسلوب ، وفتور في العاطفة ، فيها هو يتغزل بجاريته
وداد ويصفها بقوله (٣) :

اشرب الكأس في وداد ودادك	وتأنّس بذكره في انفرايك
تسرّ غاب عن جُفونك مسرّاً	ه ، وسكناه في سواد فؤادك

(١) ديوان المعتقد ص ٢٠ .

(٢) ديوان المعتقد ص ٣٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠ .

ورائحة محبوبته تشبه رائحة عود الند الطيبة عندما يحرق ، وهو لا يرضى
الا بالحب الواصل حتى في منامه (١)

أُبَاحَ لطيفي طيفها الخَدَّ والنَّهْدَا فَمَضَّ به مُفَاحَةً ، وَاجْتَنَى وَرْدَا
وَالثَّمَنِي ثَغْرًا شَمَمْتُ نَسِيمَةً فَخَيَّلَ لِي أَنِّي شَمَمْتُ بِهِ نَدَا
وَلَوْ قَدَرْتُ زَارَتْ عَلَى حَالٍ يَقْظَةً وَلَكِنْ حَجَابُ الْيَمِينِ مَا بَيْنَنَا مُطَا

ويُرسل إلى إحدى جواربه رسالة يقول فيها (٢) :

أَنْتِي رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ضَجِيمَتِي وَكَأَنَّ سَاعِدَكَ الْوَشِيرَ وَسَادِي
وَكَأَنَّكَ عَانَقْتَنِي ، وَشَكُوتُ مَنَامِي أَشْكُوهُ مِنْ وَجْدِي وَطُولِ سُهَادِي
وَكَأَنَّني قَبَّلْتُ ثَغْرَكَ وَالطَّلَسِي وَالْوَجْنَتَيْنِ ، وَنَلْتُ مِنْكَ مُسْرَادِي
وَهَاكِ ، لَوْلَا أَنَّ طَبِيفَكَ زَائِرٌ فِي الْغَيْبِ لِي ، مَا نَقَلْتُ طَعْمَ رِقَادِي

وجودة الغزل عند المعتمد تقوم على جودة اللفظ والوقع الموسيقي ،
وجمال الصنيع اللفظي ، فانظر لهذه المقطوعة المطربة التي تمتاز برشاقتها
وخفة موسيقاها ، وسطحية عاطفتها (٣) :

يَا صَفُوتِي مِنَ الْبَشَرِ يَا كَوَكْبًا بَلْ يَأْقُمُ رُ
يَا غُصْنًا إِذَا مَشَى يَارِشًا إِذَا نَظَرَ رُ
يَا نَفْسَ الرُّوضَةِ قَسْرَ هَبْتُ لَهَا رِيحَ سَحَرِ
يَا رَبَّةَ الْمَحْظِ النَّازِلِي شَدَّ وَثَاقًا إِنْ فَسَّرَ

ويوجه خطابا إلى عُلته حاثا لها على الدوام ، وذلك لأن مرضه وسيلة
إلى تقريب محبوبته منه ، وهذه المحبوبة هي سحر (٤) :

(١) ديوان المعتمد ص ٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٣ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢ .

سَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يُدِيمَ بِي الشُّكْوَى فَقَدْ تَرَبَّتُ مِنْ مُضْجِي الرَّشَاءُ لَا أُخْوَى
إِذَا عَلَّةٌ كَانَتْ لِقَرَبِكَ عِلَّةٌ تَمَنَيْتُ أَنْ تَبْقَى بَجَسْمِي وَأَنْ تَقْوَى
شَكْوَتُ وَسِيحُرُّ قَدْ أَغْبَتْ زِيَارَتِي فَبَاءَتْ بِهَا النِّصَى ، الَّتِي سُمِّيَتْ بَلْوَى
فِيَا عَلَّتِي دُومِي فَأَنْتَ حَبِيبِي وَيَارَبَّ سَمْعًا مِنْ نِدَائِي وَالشُّكْوَى

ويعاتب هذه الجارية مرة أخرى بقوله (١) :

عَفَا اللَّهُ عَنْ سَحْرِ عَلَى كُلِّ حَالِكَةٍ وَلَا حُوسِبَتْ عَمَّا بَهَا أَنَا وَاجِدُ
أَسْحَرُّ ، فَلَمْتُ النَّفْسَ وَاخْتَرْتُ فُرْقَتِي فَجُمِعْتُ أَحْزَانِي وَهُنَّ شَوَارِدُ
وَكُنْتُ شُجُونِي بِاقْتِرَابِكَ نَزْحًا فَهَاهُنَّ ، لِمَا أَنْ نَأْتِيَتْ ، شَوَاهِدُ

وقد يقع المعتمد أحياناً في الغزل العايب ويشارك فيه كقوله (٢)

نَضْتَبْرُدُ ١٥ عَنْ غَصْنٍ بَانَ مَنَقَمٌ نَضِيرُ كَمَا انشَقَّ الْكَاؤُ عَنْ الزَّهَرِ
وَبَاتَتْ تُسْقِنِي الْمَزَامَ بِلَحْظِهَا فَمَنْ كَأَسَهَا حِينًا ، وَحِينًا مِنَ الثَّخَرِ

ويتابع الشُّمْرَاءُ بالتغني به جمال محبوبته العادي بقوله (٣) :

سَقَى اللَّهُ صُوبَ الْقَطْرِ أُمَّ عُبَيْدَةٍ كَمَا قَدْ سَقَتْ قَلْبِي عَلَى حَرِّهِ بَرْدًا
هِيَ الظُّبْيُ جِيدًا ، وَالْفَزَالَةُ مُلْكَةً وَرَوْضُ الرَّبَا عَرْفًا ، وَغُصْنُ النَّقَاقِدَا

ولا يصدر ابن عمار في غزله عن عاطفة عميقة ، أو إحساس حي ، وإنما
يهمهم أن يزخرف أبياته بأنواع المحسنات البديعية ، والزخارف اللفظية
والمبالغات البيانية ، فلا أثر في غزله للشعور الحي والتجربة الصادقة ، ويكتفي
بوصف المظاهر الخارجية للفتاة فمحبوبته مملوءة الرذفين ، ذات ثغر جميل ،
وأسنان كالأشعوان ، وشفاة كاللص ، وعينين كحيتي المها (٤) :

(١) ديوان المعتمد ص ٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧ .

(٤) ديوان ابن عمار ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

فتاة دأها الحسن حتى كأنها
فمين كما عين المها ومثلها
وردف كما انهال القضيبي وضمنه
وشر كمثل الأقمعان يشوبه
كسا الخجل المعتاد صفحة خدها
ودبت من الأصداع فيه عثارب
أما ونسيم الروض زار نسيمها

هي العسن أو الف عليه عيب
كما ارتاع ضبيء بالخلافة غريب
وشاح كما غنى الحمام طسروب
لعي حسنات الصبر منه ذنوب
رداء طرازه ندى ولهيب
لها في فوائد المستهام ديب
فأهدتها نحو المشوق جنوب

وقد كان ابن زيدون يخصص كثيراً من مقدمات مدائحه لعيني عبيد المتفني
بولادة ، وتذكيره بحبها القديم ، فيها ما يدعو نفسه بالابتعاد عن حبها ولكن
دون جدوى ، ثم يعلن عن قوة قومه ، وصفا فظتهم عليها ، ويشكو اليها وجده
وهيامه حتى أن خيالها لم يعد يزوره في الليل ليستأنس به ، ويهل رمقه
لهذا أصبح جسمه زيبلا (١) :

للحبيب في تلك القباب مزار
ليتموه هواك ، فقد أجد حمايكة
كم ذا التجلد ؟ لن يساعفك الهوى
أعقيلة السرب المباح ليؤزرها
واللمصايد لم تنلك بحيلة
إن يمدد عن سمرات جزعك سامور
فيما تترقق للفتيم بينهم
أنا حين أطرق ليس يفتأ طارقي
ينهي جفاوهك عن زيارتي الكسرى
لا تقلمي صلة الخيال تجنبك
مات السقم عن جسم لسه
أوعدت من سقم الهوى ، إن الهوى

لو ساعف الكلف المشوق مزار
لفتاة نجد فتية أجملا
بالوصل إلا أن يطول جيل
صفو الهوى إذ حلّى السور
إن الظها لتدري فتصا
في كل مطلع لهم أوصا
غلل نقي حر الغليل بمزار
شوق كما طرق السليم عدا
كيلا يزور هبالك الممتا
إن فيه من عوز الوصال سدا
في كله زرت عليك فسوا
مما يطيل ضنى الفتى قضا

وحين غرق ابن زيدون في بيئة إشبيلية اللاحقة ، لم ينسحب له لولادة ،
مما يدل على ذلك مقدمة قصيدته الخائية التي مدح بها المعتز فها هو
يتساءل بحزن وألم عن مكان وتوفها ، مستجدا بالنسيم لكي يبلغها تهيأته وأشواته ،
فيصدق (١) :

أما في نسيم الريح عَرَّفُ مُصَرَّفُ	لنا : هك لذات الوقف بالجزع موقت ؟
فنفقني أوطار المني من زياره	لنا كَلَّفُ منها بما نتكلسف
صَمَانُ علينا أن تزار ودونها	رقائق الظبا والسهمري المشق
وقوم عدي يُهدون عن صفحاتهم	وأزهرها من ظلمة الحقيق أكلسف
غباري ، يمدون الغرام جريرة	بها ، والهوى ظلماً يغيظ ويوسف
يوهون لو يثنى الوعيد زاعنسا	وهيئات ربح الشوق من ذاك أعصف
يسير لدى المشتاق في جانب الهوى	توى غربة أو مجهل متحسس
هل الروع إلا غمرة ثم تنجلي ؟	أم البهل إلا غمة سوف تكشف

وبعد هذه الأبيات التي يبت فيها الألم والشكوى يبدأ بالتفني بمحاسن
محبوبته ، فهي طويلة العنق ، حراء العيين ، متناسقة الأعضاء ، ضامرة
النصر ، مشوقة القد (٢) :

وفي السراء الرقم وسط قبايهم	بعيد مناط القرط أحور أوطف
تباين خلقاه ، فمهل منقم	تاوت في أعلاه لدن مهفم
فللمالك الخرج ما حاز مؤزر	وللفصن المهر ما غم مطرف
حبيب إليه أن تسر بوصله	- إذا نحن زرناء - ونهنا ونسرف

ثم يبدأ في المدح عن ليلة لاقته فيها محبوبته على الكتيب ، وكأنه يريد
تسلية نفسه بهذه الذكريات ، فها هي تقبل إليه منسابة كما تنساب الحيات
فوق الصحراء ، بعد أن خدعت قوصها ، حيث كان الوشاة هاجمين (٣)

(١) و (٢) ديوان ابن زيدون ص ٤٧٩ - ٤٨٢ .

(٣) ديوان ابن زيدون ص ٤٨٢ - ٤٨٥ .

وايلة واغتنا الكتيب لموعيد
تهادي أناة الخطو مرتاعة الحشا
فما الشمس ررق الفيم دون إياتها
تعيدك . أنت زرت ؟ نورك واضح
هياك اغتررت الحي واشيك هاجع
فأنت اعتسفت الهول ؟ خطوك مدح
سرى الايسر ، لم يعلم لمسراه مزحف
كما ريع يصفور الفلا المتشرف
سوى ما أرى ذالة الميهن المنتصف
وعطرك تمام ، وحليك مرغصف
وفرعك غريب ، وليك أغصاف
ورد فك سرجاج ، وغرك مغطف

ولكن ابن زيدون يلتفت إلى نفسه ، فيدرك واقعة ، والبعد الذي بينه
وبين ولادة بنت المستكفي ، والصعوبات التي تلاقيه في سبيل الوصول إليها
فيقول (١) :

لجاج ، تماهى الحب في المعشر العدا
وأن نتلقى السخطة عانين بالرضى
كفانا من الوصل التحية خلسة
خليلي مهلاً لا تلوما فإني
فأعنف ما يلقي المحب لجاجاً
وإنني ليستموي البرق صهوة
وأم الهوى الأفق الذي فيه نشف
لغير أن . أجفي ما يؤي حين يلطف
فيومي طرف أو بنان مطرف
فواد ي أليف الحب ، والحسم مدنف
على نفسي في الحب حين يمنف
إلى برق شفر إن بدا كاد يخطف

ولكن لماذا كان ابن زيدون يشرب الخمرة في إشبيلية ، ويخرق في نصيب
عدائتها بالرغم من الحب الذي كان يكتنه لولادة ، هل نسي أيامها المسجدة ؟
يجيب ابن زيدون عن هذا السؤال بقوله (٢) :

وما ولعي بالزجاج إلا توه
وتدكرني الحقد المر جمائيه
لظلم به كالزجاج ، أو يترشف
مرنان ورق في ذرا الأيك تهتف
من هنا يلاحظ أن الغزل بالمؤنث في إشبيلية قد دار على معان تقليدية
معروفة ، من فتنة بالمعوي والأسنان والخصر والأرداف ، وإيجاد التشبيهات

المبتدلة لها : النرجس والأشعوان والضغن والكثيب ، وبث شوق الشعراء نحو محبوباتهم ، وقد يكون هذا الشوق سطحياً زائفاً كما هو عند المصنفين وابن عمار ، وقد يكون صادقا متأجلاً كما هو عند ابن زيدون ، ولكن الشعراء بحالة قد ضاقوا بوحدة الواقع الحبيب ، وتصوير نواظر المرأة وطباعها . وكما يلاحظ فإن غزلهم قد يكون مقطوعات مستقلة ، وقد يكون في مقدمات مدائحهم ، وكلا النوعين مقلد ليس فيه جدة أو ابتكار .

الغزل بالفيلان :

الميل إلى الفيلان أو " الارتكاس " ظاهرة قد رثتها غير العرب ، منذ أقدم العصور (١) ، وعرفها القرطاجنيون والأسبارطيون والرومانيون وغيرهم (٢) وقد شاع هذا الشذوذ عند بني إسرائيل مدة طويلة كما بين القرآن ذلك " ولو طأ إن قال لقومه : أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، أنكم لتأتون الرجال من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون " (٣) . وتهاافت الشعراء في إشبيلية على الغزل بالمذكر ، واستعاروا المحبيب شتى النحوت ، فقد وجدت هناك فئة من الشعراء تصور المجون بالمذكر ، تذكري اللفظ ، وتصور ما يقع من فجور ، وليس في هذا الشعر تورع أو تستر ، وفيه هجوم وسخرية ، ومبالغة واسراف ، وتكلف الهديع والحنعة ، ومن الشعراء الذين انساقوا في هذا التيار الطاجن : ابن الأثير ، وابن عسك ، وابن وهبون ، وأبو عامر بن مسلمة ، وأبو الأصمغ ابن عبد العزيز ، والمصنف بن عباد ، وابن عمار ، وابن زهر ، وابن اللبانة وغيرهم . وقد أسرف الشعراء في هذا المجون حتى إن بعضهم استغنى عن الخمر برضاب الفيلان ، فهذا هو ابن مسلمة يقول (٤) :

ومصهفني غنى الشباب منقّصهم فيه أطرْتُ إلى الجماع بِناعسي
قد جاء يسمي بالمدام فقلت لا لئنني هبرت تعاطي الأقداح
لا تسقني راح الكؤوس وسقني سحر الميرون يقيم مقام السراج

(١) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، يوسف بكار ، دار المعارف ،

مصر ، ١٩٧١ م ص ١٩٥ .

(٢) ألدان الحان ، عبد الرحمن صدقي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٧ ،

ص ٢٨٢ .

(٣) الاعراف ، آية : ٨٠ - ٨١ .

(٤) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٠٩ .

انظر إلى الظبي الأنيق الذي
 كأنما مقلته بأبصار
 كأنما شاربه بهجته
 كأنما أرفاهه عاليه

يختال في أبراج إحسان
 حقت بسحر الإنس والجان
 زمره من فوق مرجسان
 وقد غصن من البستان

مقرطقٌ يهيم عن لؤى لؤى
أقد ير من أجورا أجفانؤى
من أين للظبي كاجفانؤى

١٠٠
 قد هجرنا أَنْتَ وَالسَّـمَرُورُ
 وَغِيْنَتْ غِيْضَةُ التَّمَّـمِـي
 وَأَقْفَرَ الرَّبْعُ بَعْدَ أَنْـسِـي
 إِنْ هَجَرَ الشَّادِنُ النَّفْسُورُ
 فَطَرَفَ نَوَارَهَا مَسْمُورُ
 فَهَمَزْ لَهُوَ الْفَتَى قَصْمُورُ

(٣) الممدد نفسه ص ١١٠ .

وقد يقع الشعراء في هوى الخلمان ويمشقونهم ، فيصفون صبايتهم
والمهم نحوهم ، فيها هـ وابن حصن يمشق غلاما صغيرا في رسم صورة طريفة
لحوار بينهما وبين الغلام الصغير الذي لا يدرك ما يرمي إليه ابن حصن (١) :

بأبي ظبي صفيير الســـــــن حازت ثلث ســـــــني	
سرتني أن ليس بـــــــدي	مذهبي فيه وقـــــــني
فهو يدعوني عـــــــيا	وأنا أدعوه يا ابـــــــني
قلت لما أن بدا لـــــــي	وجهة من تعبت بطلـــــــي
قال ما ذا قلته لـــــــي ؟	قلت خيرا فيك أعـــــــني
أنا صـــــــب فيك مـــــــت	فاتق الله وولـــــــني
لست أخشى المـــــــوت إلا	خوف أن تهمل عـــــــني
فاكتست وجنتـــــــه رؤ	ضة ورء فتنتـــــــني ..

ويعد ذلك يصف مجلس لهوله ، وفيه يتحدث عن شره الخمر صمغ
مغنية ، ولا يتورع عن ذكر الالفاظ البذيئة والمعارات الفاحشة .

ويقشع ابن وهبون اللثام عن الجانب الما جن من شخصيته ليصف
حب غلام له ، ووقعه عامدا في شركه (٢) :

تعرض لي ليسقط في حبالـــــــي	سقوط تممـــــــد شبه اتـــــــاق
وبات على المدامة لي ند يـــــــا	وبين جفونه للفتن ساقيـــــــي ..

وفتن الشعراء بالمذار الذي ينبت على وجوه الخلمان ، فيها هـ وابن
حصن يصف هذا المذار اثناء به شوقه لغلام بقوله (٣) :

أمت إليه فما يُســـــــف	وأشكو جفاة فما يُنـــــــف
غزال كحيل له ريقـــــــه	يشاب بها المسك والقرقف
كأن المذار على خـــــــد	نجان ومقلته مرهـــــــف

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٦٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٦٤ .

ومرة أخرى يلتفت الى وصف العذار فيشبهه بالبهار ، والخد الأبيض
بـالأس (١) :

طل على خده العـذارُ فافتضح الأس والبهارُ
وابينى هذا واسود هذا واجتمع الليل والنهار

وهذا العذار يزيد فئة من الشعراء تعلقا بالفلمان ، وتلهفا عليهم ،
وحبا لهم ، كقول ابن عبد العزيز (٢) :

أما وخد له مُـمـدّر وبسم الخاتم المـجـوهر
وحـصـره المتعـب المـمـنى بثقل ما ضاق عنـفه مـنـزـر
إن لعينيه في فـسـوـادي أشد من وقع كل خنجر
فهو من الحـسـن كل بـدر وهو من الطيب كل عـنـبر
ريقته خمرة ولكـن شـبـ شذاها يطعم كـنـر

ومن الذين وصفوا الفلمان وركزوا على وصف العذار في وجودهم دون
الاغراق في المجون أبو العلاء بن زهر ، الذي يرى أن العذار يزيـد
السلام بـطـا وحسنا (٣) :

عذار ألم فأبدى لنـا بدائع كفا لها في عـنـس
ولولم يبعن النهار الظلام لم يستبن كوكب في سـما

ومرة أخرى يشبه الفلام قبل أن تنبت لحيته بالشمس ، ولكنه أخذ
يشبه القمر حين نبت العذار على وجهه ، فكان قبل ان ينبت العـذار
على وجهه يصيب الحيون بالمشى من شدة تألقه وحسنه ، ولكن هذا زال عندما
نبت العـذار (٤) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٦٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٨ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٠ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٠ .

مُجِيتُ آيَةِ النَّهَارِ فَأُضْحِي
كَانَ يُمَشِّي الصَّيُونَ نُورًا إِلَى أَنْ
بَدَرَ تَمَّ وَكَانَ شَمْسَ نَهَارٍ
شَفَلَ اللَّهُ خُدَّهُ بِالْحَسَنَازِ
وَيَتَابِعُ الْمُحْتَمِدُ الشُّمْرَاءَ فِي وَصْفِ الْمَذَارِ قَائِلًا (١) :

تَمَّ لَهُ الْحَسَنُ بِالْمَسْذَارِ
أَغْضُرُ فِي أَهْيَافٍ تَبَسُّدِي
وَاقْتَرَنَ اللَّيْلُ بِالنَّهَارِ
ذَلِكَ آسِي ، وَذَا مَهْشَارِي
فَقَدْ حَوَى مَجْلِسِي تَمَامًا
إِنْ يَكُ مِنْ رِيْقِهِ عُقَارِي

وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَسْتَمْلِكُ هُوَ وَالْأَفْلَاحُ لَدَارَةَ كَوْهٍ وَسِ الْخُمْرِ فِي
الْمَجَالِسِ ، فَنُفْلِحُ ابْنَ عَمَارٍ (٢) :

يَسْمَى بِكَأْسٍ مِنْ أَنْامِلٍ سَوْسَنٍ
يَا حَامِلَ السَّيْفِ الطَّوِيلِ نَجَابَةِ
وَيَاكَ بَادِرَةَ الْوَقْفِ مِنْ فَارِسٍ
جَهْمٍ وَلِنْ حَسَرَ اللَّثَامِ فَلْتَمَامَا
وَصَدْرُ الْفَرَسِ الْقَصِيرِ الْمَحْبَسِ
خَشَنَ الْقَنَاجِ عَلَى عَذَارِ الْأَمْسِ
كَشَفَ الظُّلَامَ عَلَى النَّهَارِ الْعُشْمَرِ
كَالْمَهْرِ يَمْرَحُ فِي اللَّبَامِ الْمَجْرَسِ
وَسَطًا بَلِيْثَ الْخَابِ ظَهِي الْمَكْنَسِ
صَوْرَاءَ قَائِمَةً بِسُكْرِ الْمَجْلِسِ
عَنَّا بِكَأْسِيكَ قَدْ كَفَتْنَا مَقْلَسَةً

وَكَانَ ابْنُ عَمَارٍ دَائِمَ التَّشَوُّقِ لِلْعُلَمَاءِ ، فَهَاهُنَا وَبَيْتُ شَوْقَةِ الْمَسِي
غَلَامٌ بِقَوْلِهِ (٣) :

وَأُعِيدَ مِنْ ظُهُورِ الرُّومِ عَاطِي
نَبِيلَ الْخَلْقِ جَافِي الْخَلْقِ عَبْدُ
قَسَا قَلْبًا وَسَنَ عَلَيْهِ دَرْعًا
بَكِيْتُ وَقَدْ دَنَا وَنَأَى رِضَاهُ
بِسَالِفَتِيهِ مِنْ دَمْعِي مَزِيدُ
وَالْمَوْلَى وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُ
فَبَاطِنُهُ وَظَاهِرُهُ حُدَّ بِسَدِ
وَقَدْ يَبْكِي مِنَ الطَّرِبِ الْجَلِيدِ
وَأَمْرُ رَقَّةٍ لَفْتِي سَمِيْدُ
وَلِنْ فَتَى تَمْلِكُهُ بِنَقْدِ

(١) ديوان المعتمد ص ١٧٠
(٢) ديوان ابن عمار ص ٢٩٧ - ٢٩٨
(٣) المصدر السابق ص ٢٩٩

وقد يذكر الشعراء أسماء الفلمان في مقطوعاتهم الشعرية ، كقول
المصتمد يتشوق إلى غلام اسمه سيف (١) :

سُفِّيتَ سيفاً ، وفي عينيك سيفان هذا للثليّ مسلولٌ وهذان
أما كفت قتلة بالسيف واحد حتى أتيح من الأجران ثنتان
أسرته ، وثناني غنج مُكَلَّتْهُ أسيره ، فكلانا أسرَ قَسان
ياسيفُ أسك بمحروفٍ أسيرهُ - سوى لا يبتغي منك تسريحاً باحسان

ويبدع ابن اللبانة في وصف الخال في قوله (٢) :

لحظ النجوم بمقلتيو فراعتهما ما ابصرت من حسنه فسترت
فتساقطت في غده فنظرتهمما عمداً بمقلة حاسدٍ فاستوتت
وقوله (٣) :

بدا على غده خال يزينه فزادني شغفاً فيه إلى شغف
كأن هبة قلبي حين روءيته طارت فثلث لها في الغد منه ققي

وقد يدعي الشعراء العفاف في بعض قصائدهم ، ولكنه عفاف فيده
زيف وادعاء ، وبخاصة عند ما تقابل هذه المقطوعات بمقطوعاتهم الماجنة
فبعد ان يصف ابن الأبار غلامه ويخفي عليه صفات الجمال يدعي
العفاف قائلاً (٤) :

لما تصدّى للمصدد ديوان نحو الانحراف
هيأت من شركي لـ فعل اللطاف من الانحراف
فسقيته ماءً بهـ وأدرت صافية بصـ
حتى ترنح مائلاً كالقصن مال به انحراف
فوردت جنة نحـره ونعيمها داني القطاف
وضمنت ناعم عطـفه ضم المضاف إلى المضاف

(١) ديوان المصتمد ص ٢٧ .

(٢) شعر ابن اللبانة ص ٢٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٧ .

(٤) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٤٤ .

فودعت في حِينِ الْجَنَنِ
وعصيت سلطانَ الهَمْسِ
وكففت عن فوقِ الكُفَافِ
وأطعت سلطانَ العُفَافِ

ويقول في مقطوعة أخرى (١) :

ومعزّي بالفُصْنِ في حركاته
عاطيته كُأْسًا كَأَنَّ سُلَافَهَا
حتى إذا ما السُّكْرُ مالَ بمطْفئيه
هصرت يدي منه بفُصْنٍ ناعم
وأطعت سلطانَ العُفَافِ تَكْرُماً
والمرءُ مجهول على عاداته

هذه أهم المعاني التي دارت عليها قصائد ومقطوعات الغزل
بالفيلسان ، وصف جمال الفيلسان وصفاتهم المادية ، وصف المذار الذي
ينبت على الخدود ، وصف الشوارب ، التفني بالخال الذي يظهر على
وجوه بعضهم ، بث الشوق تجاه الفيلسان .

الحنين

الحنين من الموضوعات التي تمتاز بالمناطفة الصادقة ، والشعور الحزين والأحاسيس المتأججة ، وقد ازداد رشح الحنين في إشبيلية ، ومن الأسباب التي ساعدت على ذلك : كثرة الهجرة من المدن الأندلسية والمغربية والمشرقية إلى إشبيلية ، ويلاحظ أن الشعراء قالوا عدداً من القصائد التي يمتلج بها الحنين إلى أوطانهم ، ولهم في ذلك مسالك وسبل ومذاهب للتعبير عن المناطفة التي تمتلئ في صدورهم .

ومما لا شك فيه أن البيئات الجديدة أندلسية كانت أم إفريقية والأقطار التي اختلف إليها ابن حمد يس ، لم تكن تتجاوب مع قلبه ، ولم تكن تنسيه الوطن (١) فيها هو يحن حنيناً يمزق الأحشاء بقوله (٢) :

ألا في ضمان الله دار بنوطـــــــيس	ودرت عليها مصبرات البهواضب
أمثلها في خاطري كل ساعة	وأمرى لها قطر الدموع السواكب
أحن حنين النيب للموطن الذي	مخاني غواني إليه جواد بني
وقد سار عن أرض قوى قلبه بها	تمنى له بالجسم أوبة آيب

وكان حنين ابن حمد يس من أصدق ما قيل في « ذا الباب » وأبلغه على مر العصور ، فهو صادر عن نفس معذبة ، ذاق الفربة ، وعن قلب محطوم قاسى الشقاء ، واليهوان ، والألم ، والأسى (٣) فيحن إلى أيامه السعيدة ، ويتذكر وطنه البعيد بقوله (٤) :

سقى الله عيناً عذبة الدمع أن يكثر	حظاراً بها للجسم قلب متيم
بلاؤ تلاقيني الداراري كلساً	طلقن عليها وهي عفين نوم
بأرض يميئ الهم عنك سرور	ويمحو ذنوب البهوان فيها التنعم
وكم لي من خل صدق مصادق	مهمين المطايا والمعرغ مكرم
يقبض على أيدي العفارة سماحاً	على أنه من نجدية يتفكر

(١) تاريخ الأندلس العربي في صقلية ص ٩٧ .

(٢) ديوان ابن حمد يس ص ٣٣ .

(٣) تاريخ الأندلس العربي في صقلية ص ١٠٢ .

(٤) ديوان ابن حمد يس ص ٤١٣ .

ويلتفت بعد ذلك إلى نفسه ، فإذا هو غريب عن وطنه ، بعيد عن
معاهد صباه ، فيصدح (١) :

أحسّ إلى أرضي التي في ثرابها مفاصل من أهلي كالمين وأعظم
كما حنّ في قعر الدجى بمؤلّة إلى وطن عوّث من الشوق يترزم
وقد صيرت كفاي من ريق الصبا ومني ملأ بذكر الصبا فم

وعند ما رأى ابن حمد يس زهرة النيلوفر ، تذكر بلاد ه وحسن إيلها ، لشجوره
بأن النيلوفر غريب مثله (٢) :

ونيلوفر أوراثة مستد يـــــــرة تفتح فيها بينهن له زهــــر
كما اعتزّت غصن التراس وبينهما عوامل أراج استنّها صــــر
هوا بن بلاد ي كاعترا بي اغترا بــــه كلانا عن الأوطان أزعجة الدــــر

ولكن ابن حمد يس الذي حث أبناء وطنه على التمسك بوطنهم ، وعدم
تجربة الفرية لأنها سم زعاف بقوله (٣) :

وياك يوماً أن تجرب غريــــة فلن يستجير المقل تجربة الســــم

نجد ه لا يقدر على العودة إلى الوطن ، حيث أصبح بصحبة الممتمد ،
فرضي باشيلية موطن له ، فهو لن يعود إلى وطنه ، حتى ولو لفترة من أجل
إلقاء نظرة على قبر أبيه (٤) :

بدلت من معشري الأثنين معشريه لا فرق الله فيما بيننا أهدا
وكم حوى التراب وني من ذوي راسي وما مكّلت لبعدي منهم أحدا
ولم يسرني من مثواك موت أبي وقد يقلقل موت الوالد الولدا
وما سددت سبيلي عن لقاءهم لكن جعلت صفادي عنهم الحفدا
وحسن بر إذا فاضت حلاوتــــه على فؤادي من عرا الأس بردا

(١) ديوان ابن حمد يس ص ٤١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٤١٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٧١ .

ذَكَرْتُ صَليَةً وَالْأُسُوسَ
فَإِنْ كُنْتُ أَخْرَجْتُ مِنْ جَنَّةٍ
وَلَوْ لَا مَلُوحَةٌ مَاءِ الْبَكْرِ

وبون كبير بين هذا القول ، وقول أبي الصرب المصلي ، الذي رضي
 الفرية وطناً له ، واطمأن إلى المصتمد ، وأعجب بالخطايا الكثيرة ، لهذا
 وجه خطاها إلى نفسه ، ووضح لها طريق المجد ، وحشها على عدم الذل
 والهوان (٢) :

(۱) دیوان ابن حمدیس م ۱۸۳

(٢) الخريدة ٢ : ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٣) النفق ٣ : ١٢٠ .

وقلبي إلى بغداد يصبو وأتني لنشر صباها دائما أنتسـم

وأما ابن زيدون فإنه يمزّي نفسه بالفرقة في ظل بني عباد ، ويرضى
بوضعه إن صادقا أو كانها حين يقول (١) :

إن أغترب فواقع الحزم الذي في الغرب شمت هروقة أرتان
أو أنا عن صيد الملوك بجانيبي فهم العبيد ملئكم عباد

ولا يتركنا ابن زيدون في تحنانه إلى قرطبة بدون تعليل لذلك
الحنين حين يقول (٢) :

بلان بها عى الشهاب تماثلي وأنجيني قوم - هناك - كرام

فكم لي فيها من مساء ولوصباح
بكل غزال مشرق الوجوه وضاح
يفدكم أفواه الكوه وسيتفاح

إذا طلعت - في راحه أنجم الرّاح فإنا - لإعظام المدام - قيهام ...

وقد يذرف الشعراء الدموع دون مناسبة تدعو للبكاء ، وكثيرا ما تكون
المناسبات سببا في تحريك لواعج الشاعر ، واضرام عواطفه ، فها هو الحيد
يحلّ فيسعد كل بوطنه ، فبينما ابن زيدون فيرى نفسه نازحا عن وطنه ،
فيناجي وطنه وأهله ومحبيه بهذه القصيدة التي يقطر كل بيت منها بالدموع
الحمراء صادها (٣) :

هل تذكرن غربيا عادهُ شجن
يخفي لواء جهه والشوق يفضحه
يا ويلتاه ، أيبقى في جوانحي
وأرق العين - والظلماء عاكفة
من ذكركم - وجفا أبقائه الوسن ؟
فقد تساوى لدى - السر والعلن
فوادهُ ، وهو بالاطلال مرتهن ؟
ورقاء ، قد شقها - إن شفتي - حزن

(١) ديوان ابن زيدون ص ٤٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٦٢ - ١٦٣ .

فَبِتُّ أَشْكُو وَتَشْكُو فَوْقَ أَيْكُنْهِمَا
يَا هَلْ أَجَالِسُ أَقْوَامًا أَحَبَّهِمْ
أَوْ تَحْفَظُونَ عَهْدًا لَا أَضِيَّهُمَا
إِنْ كَانَ عَادَ كَمِ عَيْدِي ، فَرَبِّ فُسْتِي
وَأَفْرَدْتَهُ اللَّيَالِي مِنْ أَحَبَّتِي
”بِمِ التَّمَلُّلِ ؟ لَا أَهْلًا وَلَا وَطَنًا“

وَبَاتَ يَهْفُو ارْتِيَادًا بَيْنَنَا الْفُصْنُ
كُنَّا وَكَانُوا - عَلَى عَهْدٍ - فَقَدْ ضَمِنُوا
إِنَّ الْكَرَامَ - بِحِفْظِ الْعَهْدِ - تُمَتِّعُنُ
بِالشَّوْقِ قَدْ عَادَهُ - مِنْ ذِكْرِكُمْ حَزَنُ
فَبَاتَ يَنْشُدُ ١٥ - مَا جَنَى الزَّمَنُ -
وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكْنٌ“

وَفَرَقَ كَبِيرٌ بَيْنَ هَذَا الْحَنِينِ ، وَطَيْنِ الْمُعْتَمِدِ إِلَى شَلْبٍ ، حِينَ وَلِيَهُمَا
ابْنُ عَمَارٍ ، فَقَدْ كَتَبَ الْمُعْتَمِدُ إِلَيْهِ قَصِيدَةً ، يَذْكُرُ فِيهَا السَّعِيدَ فِي الْمَدِينَةِ ،
عِنْدَمَا كَانَ وَالِيًا عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ وَالِدِهِ الْمُعْتَمِدِ ، فَهَذَا وَيتَذَكَّرُ بِأَلْيَةِ الْجَمِيلَةِ
هَنَّاكَ ، فَتَارَةً يَشْرَبُ الْخَمْرَ مِنْ يَدِ حَسَنَاءَ وَمَرَّةً يَسْتَفْنِي عَنْ الْخَمْرِ بِرَيْقِهَا (١) :

أَلَا هِيَ أَوْطَانِي بِشَلْبٍ أَبَا بَكْرٍ
وَسَلَّمَ عَلَى قَصْرِ الشَّرَاجِبِ عَنْ فَتْيٍ
مَنْزِلُ آسَاءٍ وَبَيْضِ نَوَاعِمٍ
وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَتَّ أَنْعَمَ جُنْحَهَا
وَبَيْضٍ وَسَمٍ فَاعَلَاتٍ بِمَهْجِسَتِي
وَلَيْلٍ يَسُدُّ النَّهْرَ لَهَا قَطْمَتُهُ
نَضَتْ بَرْدًا عَنْ غَصْنٍ بِأَنْ مَنَعْتُمْ
وَبَاتَتْ تُسْقِنِي الْمَدَامَ بِلَحْظِهَا

وَسَلَّمْنِ هَلْ عَهْدُ الْوَعَالِ كَمَا أُدْرِي
لَهُ أَبَدًا شَوْقٌ إِلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ
فَنَاهَيْلٍ مِنْ غَيْلٍ وَنَاهَيْلٍ مِنْ غَدْرِ
بُخْصِيَّةِ الْأُرْدَانِ ، مُجِدَّةِ الْغَصْرِ
فَمَالَ الْمَفَاحِ الْمَيْضُ وَالْأَسَلُ السَّمَرُ
بِذَاتِ سَوَارٍ مِثْلٍ مُنْعَطِفِ النَّهْرِ
نَضِيرٍ كَمَا انْشَقَّ الْيَكَامُ عَنْ الزَّهْرِ
فَمِنْ كَأْسِهَا حِينًا وَحِينًا مِنَ الثَّغْرِ

وَلَا شَكَّ أَنَّ عَاطِفَةَ الْمُعْتَمِدِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لَا تَرْتَقِي إِلَى عَاطِفَةِ
ابْنِ حَمْدِيسَ وَابْنِ زَيْدُونَ فِي صَدَقِهَا وَحَرَارَتِهَا وَحُزْنِهَا وَعَمَقِهَا ، وَلَا غُرُوفِي
ذَلِكَ فَالْمُعْتَمِدُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ نَصِيمٍ إِلَى شَقَاءٍ ، أَوْ مِنْ سُرُورٍ إِلَى حُزْنٍ ، أَوْ مِنْ
بَسْتَانٍ جَمِيلٍ إِلَى أَرْضٍ جَدِيدَةٍ ، وَأَمَّا خُرُجُ مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرٍ ، وَمِنْ جَنَسَةٍ
صَغِيرَةٍ إِلَى أُخْرَى كَبِيرَةٍ ، فَجَاءَ حَنِينُهُ بِأَهْلًا ، مَائِلًا إِلَى الْوَعْفِ أَكْثَرُ مِنْهُ إِلَى
تَشْوِيرِ حَالَتِهِ النَّفْسِيَّةِ .

وقد يمن الشعراء إلى إشبيلية وقراها حين يعتمدون عندها
ولا تقل أهمية هذا الحنين عن أهمية النوع الأول ، الذي أطلقه الشعراء
من إشبيلية ، فعندما نفى المعتز ابن عمار إلى سرقسطة فجاءه الشاعر
يمن إلى شلب ، وتذكر أيامه هناك ويضطرم قلبه حزناً (١) :

كسأها الحيا برد الشباب فإنها	بلائها عاق الشباب تاعسي
ذكرت بها عهد الصبا فكأننا	قد حلت بنا الشوق بين الحيازيم
ليالي لا ألوي على رشد لائس	عناني ولا اثنى عن في هائم
أنال سهادي عن عيون نواعس	وأجني عذابي من غصون نواعم
وليل لنا السد بين معاطف	من القهر ينساب أنساب الأراقم
بحيث اتخذنا الروض جارا تزورنا	هناياه في أيدي الرياح النواسم
تلفنا أنفاسه فنرد هـ	بأعطر أنفاس وأنكه مناسم
سقتنا به الشمس النجوم ومن بدت	له الشمس في جنح من الميل فاحم
وبتنا ولا واش يحس كأننا	حللنا مكان السر من صدر كاتم
هو الميثر لا ما اشتكى من السرى	إلى كل ثغر أهل مثل طاسم

وقد يمزج الشعراء بين الحنين والطبيعة في صورهم الشعرية ، فعندما
خرج ابن حصن إلى وادي قرطبة في نزرة ، تذكر إشبيلية فقال (٢) :

ذكرتك يا حمير ذكرى هـ	أطأت الحسود وتعنتته
كأننا الشمس عند الغروب	عروس من الحسن منحوتته
غدا النهر عقدك والطود تـ	جلك والشمس أعلاه ياقوته

وأين حرقه هذه العاطفة من عاطفة المعتز حين كان مكبلاً في أغصان
حيث يمن إلى إشبيلية وقصورها وقبابها ومتنزهاتها ، في رسم صورة كئيبة
لحالته هناك ، وذلك بعد عزمه (٣) :

(١) ديوان ابن عمار ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٢) النفح ٣ : ٢٦٦ .

(٣) ديوان المعتز ص ٩٩ .

مضى زمنٌ والملكُ مستأنسٌ به
وأصبحَ عنه اليوم وهو تَفُورُ
برأي من الدهر المضلل فاسـ
متى صلعت للصالحين دُهورُ
أذل بني ماء السماء زمانهم
وذُل بني ماء السماء كثيرُ
فما ماؤها إلا بكاءٌ عليهم
يفيض على الأكباد منه بُحورُ

ويبلغ الشاعر قمة الحزن والأسى ، عندما يتمنى أن تعود إليه أيامه
السعيدة التي أخذت ترّ شريطاً أليماً في ذهنه (١) :

فما ليت شعري هل أبقيت ليلسة
أماي وغدا في روضةٍ وغد يـ
بمنبتة الزيتون موروثة المـ
تُفني قيان أو ترن طيـ
بزاهرها السامي الذرا جاده الحيا
تُشير الثريا نحونا ونُشير
ويلعظنا الزاهي وسعدُ سـ
غورين والصَّبَّ المحبُّ غيـ
تُراه عسيراً أم يسيراً مـ
قضى الله في حمص الحمام وبُحـ
ألا كل ما شاء إلا له
ه نالك منا للنشور قـ

هذه هي المعاني التي دارت عليها قصائد الحنين ، شوق إلى الوطن
تصوير لمهودهم السعيدة فيه ، ذمّ الاغتراب عند بعضهم ، ومدحه عند
بعضهم الآخر ، مزجهم بين الحنين والطبيعة .

٢- هيكل القصيدة

لقد اختلف بناء القصيدة في إشبيلية من موضوع إلى موضوع واختلف الشعراء في بناء قصائدهم في الموضوعات المختلفة ، ويبدو هذا الاختلاف بشكل واضح في قصائد المديح ، وقد يختلف بناء القصيدة عند الشاعر نفسه . فمن الشعراء من يبني قصيدته على موضوع المدح وحده ، حيث يبدأ بالمدح دون مقدمات ، وفي معظم الأحيان فإن هذه القصائد تكون حماسية ، كقول ابن حمد يس (١) :

ليهنى بني الاسلام أن أثبت سالما وفارت أنف الكفر بالدل رافعا
كشفت كروبا عن قلوب كأنما وضعت عليها من هواك غواتما

وقوله في مقدمة قصيدة أخرى (٢) :

جلا محياك عن أبحارنا الرمدا وقرب الله من مراكبنا مبعدا
وجاء يحمل منك الطرف أرمسة البدر والنور والداما والأسدا

وقول ابن زيدون يهنى المعتضد بانتصاره على ابن الأفطس (٣) :

ليهن الهدى وإنجأ سعيك في الهدى وأن راح صنع الله نعوذ واعتدى
ونهبك سبل الرشيد في قمع من غسوى وعدلك في استئصال من جار واعتدى
وأن بات من والاك في نشوة الفنى وأصبح من عاداك في غمرة الردى

وقد يبني الشاعر قصيدة المديح على موضوعين ، فيستلها بالفزول ،

أو وصف الطبيعة ، ثم يخرج إلى المديح ، فابن زيدون يستهل محظما قصائد المديح بالفزول ، فيها هو يتحدث في مقدمة قصيدته الحاثية في مدح المعتضد عن محبوبته ، وذكرياته السابقة ، وحالته بعد فراقها (٤) :

(١) ديوان ابن حمد يس ص ٤٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٠ .

(٣) ديوان ابن زيدون ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٢٨ - ٤٣٠ .

فَهَزَّ مِنْ الْهَوَى عِطْفَ ارْتِياعِي ؟
غَصَصْتُ عَلَيْهِ بِالْعَذِّبِ الْقَسْرَاجِ
هَفَّتْ بِالْمَقْلِ أَوْ نَشَوَاتِ رَاحِ ؟
لَوْصَلَّ مِنْكَ طَالَ لَهَا اقْتِدَاعِي
يُسْقَمُ جُفُونُكَ الْمَرْضَى الصَّحَاحِ
بِالسَّنَةِ الضَّنَى الْخُرْسِ الْفَصَاحِ
خَفِيتُ بِمَنْعَةٍ خَصْرَتِي فِي الْوَرَاكِ
فَنَبَيْتَ عَنِ الصَّبَاحِ إِلَى الصَّبَاحِ
فَدَيْتُكَ أَوْ جَنَحْتَ إِلَى الْجَنَسَاحِ

أَعْرِفُكَ رَاحَ فِي عُرْفِ الرَّيْسَاحِ
وَلَنْ كُذِّبَ مَا تَعْرِضُ أَمْ عِـدُّ الْكُـ
وَهَلْ أَنَا مِنْكَ فِي نَشَوَاتِ شَوْقِي
لَحْمَرُ هَوَاكِ مَا وَرَيْتَ زِينَسَارُ
وَكَمْ أَشْقَمَتِ مِنْ قَلْبٍ صَحِيحِ
مَتَى أَخْفِ الْفَرَامَ يَمِيقُهُ جِسْمِي
فَلَوْ أَنَّ الثَّيَابَ تُرَعْنَ عِـسْنِي
وَرَبَّ ظِلَامٍ لَيْلٍ جَنَّ قَوْقُوسِي
فَهَلْ عَدَّتِ الْعَفَافَ هُنَاكَ نَفْسِي

ويجعل أبو الوليد بن المعلم مقدمة قصيدته اللامية في مدح الممتنذ غزلاً بمحبوبته التي لم يفصح عن اسمها، فها هو يتحدث عن دكرياته وحبه (١) :

وَسَرَّتْ تَعَوُّدُ مِنَ الصَّدْوِ عَلِيلاً
وَسَرَى خِيَالُكَ بِالرَّضَى تَخْيِيلاً
وَخَضِبْتَ شَيْبِي بِالشَّهَابِ مَحْيِلاً
تَشْنِي عَيُونَ الْحَوْرِ عَنِي حُـوْلاً
رَسْنِي وَأُسْحَبُ فِي الْمَجُونِ ذِيُولاً
صِيدَافٌ وَغِيدَافٌ مَا يَدُ مِنْ قَتِيلِلاً

سَعَبَتْ عَلَى أَثَرِ الْخِيَالِ ذِيُولاً
عَلَّلْتُ مِنْكَ بِكُلِّ وَعْدٍ كَسَادِ
لَوْ كُنْتُ صَادِقَةً رَحَلْتُ إِلَى الصَّبَا
سَقِيًّا لِمَهْدِيكَ وَالشَّهَابُ مَلَاءُ
أَيَّامَ أَمْحُ فِي الصَّبَابَةِ غَالِمًا
وَأُصِيدُ بَيْنَ حِمَائِلِي وَهَبَائِلِي

ويفتتح ابن عمار إحدى قصائده في مدح الممتنذ بمقدمة غزلية

حين يقول (٢) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٢١ .

(٢) ديوان ابن عمار ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

بجاه الهوى فاستشعروه عساره	ونعيمه فاستعذ به أولاه
لا تطلبوا في الحب عزا وإنما	عبدانه في حكمه أحراره
قالوا أضرب بك الهوى فأجبتهم	يا حبذا وحبذا أضمراره
قلبي هو اختار السقام لجسمه	زينا فخلّوه وما يختاره . . .
فصن ولكن النفوس رياضه	رشا ولكن القلوب عساره
سخرت بحد التّم غرته كصا	أزرت على آفاقه أزاره
ما زال ليل الوصل من فتكاتسه	تسري إليّ بعرفه أسحاره
ويجود روض الحسن من وجناته	دهمي فيندى رنده وبهاره
عتى سقاني الدهر كأس فراقه	فسكرت سكر لا يفيق خماره
ووقفت في مثل المحصب موقفا	للين من حب القلوب جماره

ومثلا استهل الشعراء قصائد المديح بالنسب ، فقد افتتحها عدد منهم بوصف الطهيمه والأزاهير ، وكأنهم يبينون أن الجمال الذي تتحلى به الطهيمه ، والحسن الذي يوشىها ، رمز لعصر المدوح ، فها هو ابن الأبار يفتتح قصيدته الخاديه في مدح ابن عباد بقوله (١) :

شقائق شق قلبي	رواوما واقتضيه
كأنما الأرض منهم	خريده مفتضيه
ونرجس متف اضي	كأنما الحزن مضيه
يرنو بطرفي كلميل	كمن يحاول غمضيه
وسوسن إن تشميه	فكالوزائل بضيه
أو السن الدر صيفت	أو الطلى الصيفت
والأقحوان نجعوم	ليست ترى منقضيه

وقد يبني الشاعر قصيدة المدح على ثلاثة موضوعات فيستهلها
بالخمر والطبيعة ثم ينتقل إلى المدح ، ومثال ذلك قصيدة ابن عسار
الرأثية التي يقول فيها (١) :

أدري الزجاجة فالنسيم قد انـسـبـرى	والنجم قد صرف المنان عن السرى ..
والرؤف كالحناء كساه زهره	وشياً وغلده نداء جوهـرا
أو كالغلام زها بورد رياضه	خجلاً وتاه بأسهـن ممسـذرا
روى كأن النهر فيه معصم	صاف أطل على رداه أخضرا

بينما يبدأ ابن حمديس قصيدته الفحائية في مدح الرشيد بن الممتمد
بوصف الخمر والدعوة لشربها في ظلال الطبيعة في أبيات طويلة ، ثم
يتحدث حديثاً مقتضياً عن رحلته ، وبمدح ذلك يتخلص إلى المدح ، ومن هذه
القصيدة قوله (٢) :

قَمَّ هَاتِهَا مِنْ كَفِّ ذَاتِ الْوَشَّاحِ	فَقَدْ نَمَى اللَّيْلُ بِشِيرِ الصَّبَاحِ
وَاحْلُلْ عُرَى نَوْمِكَ عَنْ مُقْلِسَةٍ	تَمْلُكُ أَحْدَاقًا مِرَاضًا صَحَّاحِ
خَلَّ الْكَرَى عَنْكَ وَخَذَ قَهْوَةً	تُهْدِي إِلَى الرُّوحِ نَسِيمَ ارْتِيحِ
هَذَا صَبُوحٌ وَصَبَاحٌ فَمَسَا	عُذْرًا فِي تَرْكِ صَبُوحِ الصَّبَاحِ
بَاكِرٌ إِلَى اللَّذَاتِ وَارْكَبْ لَهَا	سَوَاهِقَ اللَّهْوِ ذَوَاتِ الصَّرَاحِ ..
قَلْتُ لِمَ أَهْدَيْتُنَا وَكَأَنَّ السَّوْرى	دَائِرَةٌ مِنْ كَفِّ عِزِّ صَمَّاحِ
وَالْحَمِيرِ فِي شَرِّهِ إِرْقَالَهَا	تَلْطِمُ بِالْأَيْدِي خُدُودَ الْهَطَّاحِ
لَا تُطْمِئِ الْأَنْضَاءُ فِي رَاحَةٍ	وَلِنْ وَصَلْنَا بِفَسْمِ رَوَّاحِ
مِنْ كُلِّ مِثْلِ الْغُرْبِ مَلْجُوءَةٌ	أَيْنًا فَمَا تَنْشَطُّ عِنْدَ امْتِيحِ
فَهِيَ سَخِيَّاتٌ وَإِنْ خَلَّتْهَا	بِمَا أَنْالَتْ مِنْ ذَمِيلِ شَحَّاحِ
تَمْتَحُ بِالْأَرْسَانِ أَرْمَاقَهَا	إِلَى الرَّشِيدِ الْمَلِكِ الْمُسْتَمَّاحِ

(١) ديوان ابن عسار ص ١٨٩ .

(٢) ديوان ابن حمديس ص ٨٩ - ٩١ .

عليّ وإلاّ ما بكاء الفمائم
وعني أثار الرعد صرخة طالب
وفي وإلاّ ما نباح الحمائم
لثأر وهزّ الهرق صفحة صارم
وما لمست زهر النجوم حدادها
لغيري ولا قامت له في ماتم

ومنها :

أشلب ولا تنساب عبرة مشفق
كسائها الحيا برد الشباب فإنّها
وحمص ولا تمتد زفرة نادم
بلاد بها عّق الشباب تماثمي

ومن الجدير بالذكر أن بعض الشعراء دعوا إلى ترك الأطلال في
مقدمات مدائحهم ، وهم في ذلك يسرون على نهج أبي نواس ، فيها هو ابن
حمد يس يقول في مقدمة قصيدته الميمية التي مدح فيها المعتد (١) :

خلعت على ميثاق الكسروم
أخذت بمذهب الحكمي فيهما
محاسن ما خلّد من على الرسوم
وكيف أميل عن غرض الحكسيم
وما قبل الطلول على شمسول
تمجّ المسك في نفس النسيم
يُجدد حبها في كلّ قلب
إذا صقلته من صدو الهصوم

من هنا يلاحظ أن طريقة الشعراء في إرشيلية في بناء قصائدهم
مدحهم ، تختلف من شاعر إلى آخر ، وقد تختلف عند الشاعر الواحد
فمنهم من يبني قصيدته على موضوع المدح وحده ، حيث يبدأ بالمدح
دون مقدمات ، ومنهم من يبيها على موضوعين ، فيستهلها بالخمير
والطبيعة ثم يخرج إلى المدح ، وقد يبيها الشاعر على ثلاثة
موضوعات ، فيستهلها بالخمير والطبيعة ثم ينتقل إلى المدح ، أو وصف
الأطلال فالفرل فالمدح ، أو وصف الخمر فالرحلة ، ثم الانتقال
إلى المدح ، أو وصف حالته والافتخار بنفسه فوصف الظمائن ثم
الانتقال إلى المدح ، وأخيرا فإن قصيدة المدح قد يبدأ بها
الشاعر بوصف حالته ثم ينتقل إلى الحنين فالمدح .

(١) ديوان ابن حمد يس ص ٤٣٥ .

(٣) شعرا بن اللبانة ص. ٢٤ .

ولكن بعض الشعراء يدخل في المراثية دون مقدمات ، كما بن عبيد
الصمد الذي افتتح مراثيه الدالية في البكاء على المعتضد بقوله (١) -

ملك الطوك أسمع فأُنْصَادِي أُمُّ قَدْ عَدْتُكَ عَنِ السَّمَاعِ عَوَادِي
لما خَلَّتْ مِنْكَ الْقُصُورُ فَلَمْ تَكُنْ فِيهَا كَمَا قَدْ كُنْتَ فِي أَعْيَادِي

ومثلما عني الشعراء بالاستهلاطات كانوا كذلك يمدحون بحسن التخلص
فها عوادي المعلم يتخلص من مقدمة قصيدته الالامية التي مدح فيها المعتضد
بقوله (٢) :

يا هذو عني وإليك فأن لبي أملاً بأعنان السماء كفيلاً
من لبيم بيت عند ابن عباد فقد ضل السبيل وأخطأ التأويل

وبكل حذق ودقة يتخلص ابن زيدون من مقدمته الغزلية في قصيدته
السفائية التي قالها في مدح المعتضد بقوله (٣) :

فما قبل من أهوى طوى البدر مودج ولا ضم ريم القفر خدر مسجف
ولا قبل عباي حوى البحر مجلس ولا حمل الطود المعظم رفرف

ويقول ابن عمار متخلصاً من مقدمته في وصف الخمر والطبيعة في قصيدته
الرائية (٤) :

روض كأن النهر فيه معصم صاف أطل على رداء أخضر
وتهزه ريح الصبا فتخاله سيف ابن عباد يده عسكرا

ويفتن ابن اللبانة في تنميق قصائده في المديح وفي حسن التخلص
فها هو يتخلص من مقدمة قصيدته العينية في مديح المعتضد بقوله (٥) :

(١) أعمال الاعلام ص ١٦٥ ، الاطاعة ٢ : ١٢٠ . .

(٢) الذخيرة ق ١٢ ص ١٢١ .

(٣) ديوان ابن زيدون ص ٤٨٥ - ٤٨٦ .

(٤) ديوان ابن عمار ص ١٨٩ .

(٥) شعر ابن اللبانة ص ٦٤ .

وكأنما تلك الأراكدة منسـير
وكأنما خبر المؤيد خبرتـي
وكأنه فيها خطيب مصقـع
فلسانه بالشكر فيه يسـجـع

وليس ابن الأبار اقل من الشعراء الآخرين اهتماما بحسن
تخلصه ، فها هو يتخلص من مقدمة قصيدته اللامية في مدح إسماعيل بن المعتز
بقوله (١) :

مذلوا ولو عدلوا أو استطاع الهوى نطقاً لكان العاذل المعذو لا
لا تكثروا فالحب في حوائـه كالحمد في أسمع إسماعيل لا
وأخيراً نجد ابن وهبون يتخلص من مقدمة قصيدته الدالية في مدح
المعتز بقوله (٢) :

وما الخنى في يد مطوءة عرضاً لكنه في وفور العزم والجد
أو في رجاء ابن عباس وقد رغبت أيدي الملوك عن الافضال والصفد

وفي كثير من الأعيان يختم الشعراء قصائد هم يأمرونها إلى
المدح ، فابن حصن يصف قصيدته القافية في مدح المعتز بقوله (٣) :

لو أن جريراً والفرزدق أنشـدت لأدى جرير حقها والفرزدق
وهن وإن كانت قوافي تنقـس جبالاً بجهاد القرائ تفتق
ومرة أخرى يهدي قصيدته اللامية إلى المعتز بقوله (٤) :

ودونكها مصبوحة رسل مقبول
قوافي أمثال الصخور بعثتها
حوامل للآمال أجمل من غدت
إذا أنشدت في محفل القوم أعربت
بيان هو السحر الحلال تجودت
أزف بها بكراً عواناً مراسـلا
قد يما على أسمع قوم مصـاولا
مطافيل بالمعنى النفيس حواملا
من الخيط في اضلاع قوم محافلا
به فكرة أضحت لها بل بالـلا

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٥٧ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٥٠١ .

(٣) المصدر السابق ص ١٨٠ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٨٢ - ١٨٣ .

ويكثر ابن حصن من وصف قصائده بالسحر الحلال ، فها هو يصف
قصيدته الفائية بقوله (١)

وَأُنشِدَكَ السَّحَرَ الْحَلَالَ مَخَاطِرًا كَمَنْ قَلَّدَ اللَّيْثَ الْمَهِيَجَ مُوَافِقًا
وَأُجْنِبُكَ مِنْ شَكْرِي هَوْدَ مَضَاعِفٍ وَوَدِي فَتَعَطِّينِي الْمَطَاةَ مَضَاعِفًا
وَأَمَّا ابْنُ الْمَلْحِ فَانْهَ يَمْدَحُ الْمُعْتَصِدَ ، وَيَنْهِي قَصِيدَتَهُ الرَّائِيَّةَ
بِإِعْدَائِهَا إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ (٢) :

نَقَلَ الْوُدَّ عَلَى مَطَارٍ قَصَائِدٍ رَتَمَتْ زَمَانًا فِي جَنَابِ الدَّفْطَرِ
يَحْمِلُنَ طَيْبَ الْحَمْدِ فِيكَ كَأَنَّمَا يَنْشُرْنَ بِالْفُلُوتِ طَيْبَ الْعَنْسَبِ
وكما شبه الشعراء قصائدهم بالسحر الحلال تارة ، وبهذا المظهر تارة
أخرى ، فقد اکتروا من تشبيهها بالرياض والبساتين ، فها هو ابن عمار يختم
قصيدته الرائية بإِعْدَائِهَا إِلَى الْمُعْتَصِدِ مُشَبَّهًا إِيَّاهَا بِالرَّوْضَةِ الْغَنَاءِ (٣) :

وَالْيَكْهَا كَالرَّوْضِ زَارَتَهُ الصَّبَا وَحَنَى عَلَيْهَا الطَّلَّ حَتَّى نَسَوَا
وَيَقُولُ وَاعْفَا قَصِيدَتَهُ الدَّالِيَّةَ (٤) :

وَدُونُكْهَا مِنْ نَسِجٍ فِكْرِي حَلَّةٌ مَطَرَّةُ الْعُطْفَيْنِ بِالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ
أَلَدُّ مِنَ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ عَلَى الصَّدَى وَأَطْيَبُ مِنْ وَصْلِ الْهَوَى عَقِبَ الصَّدَى
وَمَا هَذِهِ الْأَشْجَارُ إِلَّا مَجْلُوسٌ تَضَوُّعٌ فِيهَا لِلنَّدَى قَطْعُ النَّسْدِ
وَكُنْتُ نَشَرْتُ الْفَضْلَ فِي وَائِمَا نَشَرْتُ سَقِيظَ الطَّلِّ فِي وَرَقِ الْوَرْدِ
وَأُغْيَرًا هَا هُوَ الْمُعْتَمِدُ يَهْدِي قَصِيدَتَهُ الرَّائِيَّةَ إِلَى الْوَدِّ مُشَبَّهًا
إِيَّاهَا بِالرَّوْضَةِ الْجَمِيلَةِ (٥) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٥٨ .

(٣) ديوان ابن عمار ص ١٩٤ .

(٤) المصدر السابق ص ١٩٩ .

(٥) ديوان المعتد ص ٤٠ .

إليك روضة فكر جات منبتها
جعلت ذكرك في أرجائها زهراً
ندى يمينك لا طل ولا مطر
وكل أوقاتها للمجتنى قمر

وهكذا يتضح بشكل جلي أن الشعراء في إشبيلية قد اعتنوا بمقدمات قصائد المديح ، وبحسن التخلص وبنهاياتها ، وهم في كل ذلك لم ينسوا الموضوع الرئيسي وهو المديح ، فخصصوا أكثر القصيدة لأضفاء الصفات النبيلة على المدح ، ووصف شامله وأغلاقه ، واعتنوا بحسن الصياغة واحكام البناء في جميع أجزاء القصيدة ، فلم يتسرب إلى قصائدهم أي ضعف أو ركاكة بالرغم من طولها حتى أن بعضها يزيد على مائة بيت ، بل على العكس من ذلك فإن قصائدهم كلما ازدادت طولاً ، زادت ألفاظهم جزالة وتراكيبهم متانة ، وصورهم وضوحاً ، وأخيلتهم عمقا ، وموسيقاهم رتابة ، وعواطفهم تأثراً ، وكان الشعراء في كل ذلك ينفون إظهار مقدرتهم اللغوية ، وعبقريتهم الشعرية أمام المدح ، لينالوا أسنى الجوائز ، ويحوزوا على أحسن المناصب وأعلامها ، ومن الشعراء الذين اتساقوا في هذا التيار ابن زيدون ، وابن حمديس ، وابن عمار ، وابن وهب ، وابن اللبانة ، وابن الأبار ، وابن حصن ، وابن المصيصي ، وابن الملح وغيرهم .

وبالرغم من بيئة إشبيلية اللامية ، ورقة الحضارة فيها ، إلا أن النفس البدوي يشم أحيانا في قصائد بعض الشعراء ، وبخاصة عند ابن حصن في قصائده الطويلة ، فهامو الجوابدوي يسيطر على قصيدته المهيبة التي منها (١) :

ماهاج برح الهوى إلا مطوقه	كانها من نحول شفا جسيم
ترنمت ودموع الصبا آية أن	يهل ساجمها بين وتر نسيم
أها حمامة ذا الوادي أثرت جوى	نقض منقذة منها الحيازيم
إلا يكن وادها حلت ركا بهم	به ولا فما واديك ماسموم
هم أناخوا بجزعيه جمالهم	وأنهلوها ومن الطلح الهسيم

هلم نسري اعتسافاً حيث عن لنا منهن وحنناً سنا نار وتغفيم
نخشي بهن بنات الوخد سابعاً تخدي وقد تم بالسار تهويم
ينضي سري الليل تاويب النهار ولد مجير من لهب الرضا تهويم
والآل عند ميام القيظ مضطرب كانه في بساط القاع محسوم

وعند ما يصف الشعراء الطبيعة والفلمان والخمر فإنهم يميلون
في معظم الأحيان إلى المقطوعات ، ولا يطيلون فيها ، وكأنهم يزتاون
الإيجاز ورسم المشهد بكل سرعة ودقة ، ذلك حتى تحفظ أبياتهم
وتسير على أفواه الناس أولاً ، ولأنهم يرتجلونها ارتجالاً دون إعداد
أو تحضير ثانياً وثالثاً لأن المعاني لا تحتل أن يطيلوا فيها
ويشعبوا في جوانبها .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الشعراء التزموا في مقطوعاتهم
لزوم ما لا يلزم ، وأشهر شاعر اشت بهر بهذا النوع من الشعر المصري
حيث يقول في بعض مقطوعاته (١) :

نبتة الركب الهجوع	ولم الدمر الفجوع
حمص الجنة قال	لغلامي لار جوع
رحم الله غلام	مات في الجنة جوع

ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أن عدداً من الشعراء في إشبيلية
في القرن الخامس الهجري قد مالوا إلى النزعة القصصية في قصائدهم
وبخاطبة ابن حمص في مقطوعته التي وصف فيها فرخ الحمام ، التي مطلعها (٢)
وما راعني الا ابن ورقاء ماتفاً على فني بين الجزيرة والنهر

(١) وفيات الأعيان ٣ : ٣٣٣ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٨٦ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٦٦ ، المرقصات والمطربات ص ٨٠ .

وابن حمد يس في قصيدته الدالية التي وصف فيها البرد والبرد
والجوع ، والمظاهر الطبيعية الأخرى ، التي مطلعها (١)

نثر الجوع على الأرض ~~بسر~~ أي در لنحور لوجسد

وقد اتضح الأسلوب القصصي بشكل كبير في قصيدة بثينة بنت
المحتد ، التي يهتبهها إلى أبيها تستشير به بالزواج من ابن تاجر
بحد نكبتهم (٢) :

اسمع كلامي واستمع لمقالتي	فهني السلوك بدت من الأحياء
لا تنكروا أنني سبيت وأنني	بنت الطوك من بني عباد
ملك عظيم قد تولّى عصمه	وكذا الزمان يؤول للإفساد
لما أَرَادَ اللّهُ فرقة شملنا	وأذاقنا طعم الأسى عن زاد
ثم التفاق على أبي في ملكه	فدنا الفراق ولم يكن بمسراد
فخرجت هاربة فحازني امرؤ	لم يأت في أعجاله بسداد
إن باعني بيع العبيد فضمني	من صانني بالأمم الإنكاد
وأراني لنكاح نجس طاهر	حسن الغلائق من بني الأنجاد
ومضى إليك يسوم رأيك في الرضى	ولأنت تنظر في طريق رشاد
فمساك يا ابتي تمرّني به	إن كان ممن يرتجى لسوداد
وعسى رمكية الملوك بفضلها	تدعونا باليمن والإسماد

(١) ديوان ابن حمد يس ص ١١٧ .

(٢) النفح ٤ : ٢٨٤ ، أعلام النساء ١ : ١١٨ - ١١٩ .

ب- الصورة

الخيال مصدر مهم " لتوليد الصور الشعرية ، التي وظيفتها تصوير العقائق النفسية والأدبية (١) وهو " الملكة التي يستطيع بها الأدباء ان يولّفوا صورهم (٢) . وهاهولسنغ يوضح الفهم بين فن النحت ، أو التصويريين فن الشعر بقوله : " إن الفن الأول يمثل الحالة الثابتة الرائدة للأشياء التي يريد عرضها بحيث يمثلها في حالة واحدة ، وفي لحظة واحدة من وجودها ، بينما الشّعر بسبب الأثر التي يتوصل بها إلى التعبير - يمثل لنا تتابع العوالم والصور في لحظات متعددة متوالية من وجودها " (٣) *

وقد رسم الشعراء في إشبيلية كثيراً من الصور التي امتازت بالحركة والحيوية ، وقد تكون هذه الصور في غاية الروعة بالرغم من تصويرها منظاراً ثابتاً ، فابن زيدون يبدع في رسم صورة لثمال وسط بركة ، ويكاد ينطأه حين يقول (٤) :

سلسل بحر الزلال يُفيس	مرمر أوقد الفرند علي
كل منها ويفترن التبصير	وسطها دمية يروق اجتلاء
ومحيا طلق ، وطرف غصير	بشر ناصع وغد أسيل
بان إذ علته ثراه الأريض	وقوام كما استقام قضيب
هو أراك اتساقه الإغريض	وابتسام لو أنها استغربت في
حاه من فرط لطفه تعريض	والفتات كأنها هو بالاي

(١) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، الطبعة الرابعة دار النهضة

الشرقية ، ١٩٦٩ ، ص ١٦٢ .

(٢) في النقد الأدبي ، شوقي هنيف ، دار المعارف بمصر ، ص ١٦٧ .

(٣) قواعد النقد الأدبي ، لاسل أبركوبي ، ترجمة الدكتور محمد عوض ، مطبعة

لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٤ م ص ١٧٨ .

* ولكن الشاعر قد يبدع في رسم صورة لشيء ثابت ، وقد يبدع الرسّام أو النحات في رسم أو نحت صورة لشيء متحرك . انظر: تحليل لنظرية لسنغ في مقال الدكتور محمود السمره في مجلة افكار / السنة الثانية / العدد

الرابع عشر / ١٩٧١ / ص ١١٢ - ١١٦ .

(٤) ديوان ابن زيدون ص ٢٤٠ .

فابن زيدون يرسم للدمية صورة ناطقة ، فقوامها معتدل ، وابتسامتها رقيقة ولسانها كاللؤلؤ ، ولفاتها موحية ، وبشرتها ناصعة البياض . . .

ومن شروط الصورة الجديدة ، أن تعيش ضمن علاقات (١) فيها هو المعتمد يرسم لحياته صورة واضحة المعالم ، فهي بين راح يسطع نورها في ظلمة الليل ، تحت ضوء القمر ، يملأ الكون إشراقاً وبها ، تحف به النجوم اللامعة ، كما تحف الرعية بقائدها وفيقول (٢) :

ولقد شربت الرّاح يسطعُ نورُها	والليلُ قد مدّ الظلامَ رداً
حتى تهدي البدرُ في جوزائيه	ملكاً تناهى بهجةً وبها
لما أراد تنزّهاً في غربيه	جعل المِظلة فوقه الجسوراً
وتناهضت زُهر النجوم يحفُّه	لألاؤه ، فاستكمل الألا
وترى الكواكب كالنواكب حولَه	رُفعت نُرياها عليه لسوا
وحكيته في الأرض بين مواكِب	وكواكب جمعت سناً وسنا

وبكل دقة يرسم ابن وهبون صورة للأعداء يوم معركة الزلاقة بقوله (٣) :

وصاروا فوقَ ظهير الأرضِ أرضاً	كأنَّ وهاياها منهم أكمام
وقوله مخاطباً الفونسو (٤) :	
أنا رجالك الأشقون ؟ كـ	وهل يحلو بلا رأسٍ من سام
رفعناها همّ في كل جـ	كما ارتفعت على الأيك الحمام
سيميدُ بمدّها الظلما لـ	أتيح له بجانبها اكتسام

(١) انظر : الشعر والتجربة ، ارشيبالد مكليش ، ترجمة سلمي الخضرا الجيوس

دار البقطة العربية ومؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، بيروت - نيويورك ، ١٩٦٣ م

ص ٦٨ .

(٢) ديوان المعتمد ص ٣٨ .

(٣) الذخيرة ق ٢١ ص ٢٤٦ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٢ .

ولا ينفك كالخفاش يُغضِي
إذا ما لم يباشره الظلام
نصا أدراعه واجتاب ليلا
يود لو أن طول الليل عام

ويبدع ابن عمار في تصوير الظافر وجيشه حين اقتحم قرمونة بقوله (١) :

أطل على قرمونة متبلجا
مع الصبح حتى قيل كأننا على وعد
فأزطلها بالسيف ثم أعاره
من النار أثواب الحداد على الفقد

ويرسم ابن اللبانة مشهداً مشيراً لخروج آل عباد من إشبيلية إلى السجن
في أغصان بقوله (٢) :

هموا حريمهم حتى إذا غلبوا
نسيت إلا غداة النهر كونهم
والناس قد ملأوا المبرين واعتبروا
حمداً القناع فلم تستر حشنة
حان الوداع فضجت كل صارخة
سارت سفائنهم والنوح يصحبها
سيقوا على نسق في جمل مقتاد
في المنشآت كأموال بالحساد
من لولو طافيات فوق الزباد
وهزت أوجه تمزيق أبشار
وصارخ من مفداة ومن فساد
كأنها إبل يحدو بها الحادي

وقد يصعد الشمراء في بعض الأحيان على الحاسة السميكة
لرسم صورهم كقول ابن حمديس يصف الرعد (٣) :

أرق الأجفان رعد صوته
بات يجتاب بأبكار الحياء
فهو كالخادي روايا إن ونست
كهدير القمر في الشؤلر حفسد
بلداً يرويه من محد بلسد
في السرعة صاح عليها وجلسد

(١) ديوان ابن عمار ص ١٩٧ .

(٢) شعر ابن اللبانة ص ٤١-٤٢ .

(٣) ديوان ابن حمديس ص ١١٨ .

أوعلى الحاسّة البصرية ، كقول المحدث يصف مجنا (١) :
مجنّ حكى ما نَعَمَوه السَّماءُ لِتَقْصُرَ عنه طَوَالُ الرِّمَاجِ

فقد ربط الشاعر بين منظر المجنّ ، وقد أصبح يحكي السماء بما
رسم عليه من نجوم وبين بمد أن تناله طوال الرّماح .

وقد تعتمد الصّورة على الحاسّة البصرية والسمعية معا ، كقول
ابن زيدون يصف جيش المعتضد (٢) :

هو الغيم من رُزقِ الأسنّو بَرَقَهُ وللطُّبُلِ رَعْدٌ في نواحيهِ يَقْصِفُ
فالجيش كالسحاب تهرق فيه أسنة رماحه الرّزقا ، وتدوى الطبول كالرعد
القاصف في نواحيه .

والإبداع في رسم الشكل الخارجي قد يمطي الصورة بها ، ورونقا ،
كقول ابن المرغر النمراني يصف كلمة صيد (٣) :

لم أرَ ملهى لذى اقتنص	ومكسبا مقنع الحر يسمن
كمثل غطلا ذات جب	أغيد تبرية القميص
كالقوس في شكلها ولك	تنفذ كالشهم للقنبر
إن تخذت أنفها دليلا	دل على الكامن الموي
وأرسلوها وراء	لم يجد البرق من محي
محبوكة الظهر لم تحب	لجوف بطن لها حمي

وقد تكون الصورة جامدة ليس فيها روح أو حياة وإنما تمتص
على رسم مشهد طبيعي لما يرون كقول ابن حمد يس (٤) :

-
- (١) ديوان المحدث ص ٢٩ .
(٢) ديوان ابن زيدون ص ٤٩٥ .
(٣) المغرب ١ : ٢٦٤ ، النفع ٣ : ٥٢١ .
(٤) ديوان ابن حمد يس ص ١١٢ .

نثر الجوّ على الأرض بـسَرَدٍ
لو لو أصدأه السَّحْبُ السَّيِّ
أَيُّ دَرٍّ لنحو لو جَمَسَدُ
أنجَزَ البارقُ منها ما وقَسَدُ
واكتساب الدَّرِّ بالفوسِ نكسَدُ

ولقد كادت تماطى لقطـه
وتحلّى منه أجسادا لـذا
وقد أدخل الشعراء المنظر الطبيعي في صورهم ، فها هو ابن اللبانة
يندمج مع الطبيعة بحيث يجعلها تشارك آل عباد في حزنهم بمسـد
نكبتهم ، فالأمطار تهكي ، والرياح تشق جيوبها ، والرعد تنوح ، والبسرق
يمزق ثوبه ، والنحى يملن الحداد ، والنجوم يتحول لونها إلى السواد
، وفي هذه الصورة الباكية يشارك الصباح والبحر والقمر والشمس في الحزن (١) :

هناك الحيا والريح شقَّتْ جيوبها
ومزق ثوب المرق واكتست الدجى
عليك وناح الرعد بأسوك محامدا
حدادته وقامت أنجم الليل مأتما
وحار ابنك إلا صباح وجداً فما اهدى
ولا ظهرك شمس الظهيرة مهسما
وما حل بدر التّم بعدك داره
أشم وأن أمطوك أشام أدهما
قضى الله أن حظوك عن ظهر أشقر

إن الحزن الذي يسيطر على ابن اللبانة يتخيله في صورة هذه الطبيعة
الباكية التي يتمنى زوالها ، ومرة أخرى يرسم الشاعر صورة المأتم تشارك فيه
الطبيعة بأنواعها تضامنا مع ابن الصمت الذي اخذ يشتغل في سوق
للصياغة بعد أن كان في قصر منيف ، فيدعو ابن اللبانة النجوم للمفـيب
والصطر بمدم الهطول ، ولا يكتفي بذلك بل ينظر إلى الحدائق والرياحين ،
فيراهما عريت من أزهارها مشاركة في الأسى ، وها هو الريحان يذبل
بعد أن كان متفتحا ، والصبح يشارك في هذا المأتم بإعلانه الحداد (٢) :

(١) شعر ابن اللبانة ص ٩٠ .

(٢) شعر ابن اللبانة ص ٨٧ .

والله لو أنصفتك الشهب لا تكسفت
بكى حديثك حتى الدر حين غدا
وروضة الحسن من أزهارها عريت
بمد النسيم ذوى الريحان حين رأى
لم يرحم الدهر فضلاً أنت حامله
شفيقك الصبح ان أضى بشارقة

ولووفى لك دمع المزن لا نسجما
يحكيك رهطاً وألفاظاً ومبتسماً
حزناً عليك لأن أشبهتها شيماً
ريحانك الفص يذوي بعد ما نمما
من ليس يرحم ذاك الفضل لا رحماً
وأنت في ظلمة فالصبح قد ظلماً

وأخذ الممتمد بمد سجنه يحن إلى قصوره ، ويتشوق إلى ماضية ويلجأ
إلى الطبيعة ، فيرى أن قصوره تبكي عليه بكاءً ليس له حدود فيصدق (١) :

بكى المبارك في إثر ابن عباد
بكت ثريا لا غمت كواكبها
بكى الوحيد بكى الزاهي وقبته
ماء السماء على أنثائه ررر

بكى على إثر غزلان وآسار
بمثل نور الثريا الراح الفادي
والنهر والتاج كل ذلة يادي
بالجأة البحر دومي ذات إزهار

والشاعر في هذه الأبيات لا يبكي الطبيعة ممثلة في قصوره ، بقدر
ما تبكيه الطبيعة : قصورها وأنهارها ، نبومها وأمطارها ، ثم يصل
بالأحزان إلى قمتها ، فجعل البحر يهيج ويرغي ويزبد دون انقطاع (٢) .

وصورة الطبيعة الجميلة تصبح باكية حزينة مرة أخرى عند الممتمد وهو
وراء القضبان ، فالسرير يبكي ، والقصور تذرف الدموع ، والسيوف تنذب وتعنن ،
فيعلن الممتمد بأنثاه (٣) :

غريباً بأرض المضربين أسير
وتندمه البيض الوارم والقنصل
سيبكيه في زاهيه والزاهر التدي
إذا قيل في أعماق قد مات جوده

سيبكي عليه منبر وسريـر
وينهل دمع بينهن غزير
وطلاؤه والعرف ثم نكير
فما يوتجسى للجود بعد نـشور

(١) ديوان الممتمد ص ٩٥ .

(٢) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ص ١٨٢ .

(٣) ديوان الممتمد ص ٩٨ .

وعندما نفي ابن عمار إلى سرقسطة حزن حزناً شديداً ، فما كان منه إلا أن التفت إلى الطبيعة ورسم لها صورة باكية وكأنه يشركها معه في الحزن (١) :

عليّ وإلاّ ما بكاء الفمائم	وفي وإلاّ ما نباح الحمائم
وعني أثار الرعد صرخة طالب	لثأر وهز البرق صفحة عار م
وما لبست زهر النجوم حدادها	لغيري ولا قامت له في ماتم
وهل شققت هوج الرياح جيوبها	لغيري أوحنت ، هين الروائم ؟

فالفمائم تهكي والحمائم تنوح ، والرعد يصرخ والبرق يهز سيفا ، والنجوم تقيم ماتما ، والرياح تشق جيوبها .

وقد تكون صورة الطبيعة غاضبة جامحة ، فهاهي تصخب ، وتضج وتضطرب عند ابن عمار ، حين كان مكبلاً في سجن المعتد ، فيصبح مخاطباً الرشيد (٢) :

قل لبرق الفمام ظاهري بريدي	قاصداً بالسلام قصر الرشيد
فتقلب في جوه كفسوءادي	وثأثر في صحنه كالغريسيد
وانتخب في صلاصيل الرعد تحكي	ضجتي في سلاسل وثيودي

ومرة أخرى تضج صورة الطبيعة عند ابن عمار وتجمع هين يقول (٣) :

عال كأي الجن إذ مسرت	جملته مرقة إلى التسر
وهش تناكرت الوجوه به	حتى استربت بصفحة الهدر
قصر تمهد بين خافضتي	نسرين من فلك ومن وكسر
متحير سال الوقار على	عظفيو من كبر ومن كسر
ملك عنان الريح راحت به	فجهاه من تحتو تجسري

(١) ديوان ابن عمار ص ٢٠٩ .

(٢) ديوان ابن عمار ص ٣٠٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

وأين هذه الصورة للطبيعة الفاضية ، من صور الطبيعة الباسمة
الهادئة التي يرسمها ابن عمار بقوله (١) :

أما انه لولا عوارفك السستي جرت في جرى الماء في الخصب الرطب
لما سمت نفسي ما أسوم من الأذى ولا قلت أن الذئب فيما جرى ذنبي
سأستمنح الرخص لديك ضراعة وأسأل إسقيا من تجاوزك العذب
ولن ثفحتي من سمائك حرجف سأه تف يابرد النسيم على قلبي

وفي النهاية لابد من الإشارة إلى أن الشعراء قد يصورون الطبيعة
بالأشياء الممنوية كقول ابن عمار (٢) :

هضرت يدي غصن الفنى من دوحه وجنت به روض السرور منسورا
أو بالأشياء المادية كقوله (٣) :
أثمرت رمحك من رؤوس كما تههم لما رأيت الفصن يمشق مشمرا

(١) ديوان ابن عمار ص ٢٨٢ .

(٢) ديوان ابن عمار ص ١٩٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٩٣ .

يقول ك . ستيد : " يمكن القول : إن القصيدة قد توجد فسي مثلث رؤوسه هي : الشاعر أولاً ، ثم جمهوره ثانياً ، وثالثاً تلك المساحة من التجربة التي ندعوها آناً الواقع وأنا الحقيقة والطبيعة " (١) وتنحصر صناعة الشعر في تحويل الألفاظ إلى أعمال ، وذلك لأن الفرق الأساسي بين استعمال الألفاظ في الشعر والنثر ، هو مقدار الحيوية والنشاط اللذين ينبعثان منهما ، وكلما كان الشاعر أصيلاً كانت ألفاظه تنضج بالقيم فتقطر منها الموسيقى ، والمعنى والذاكرة ، والبساطة ، والزخرفة والصورة ، والفكرة (٢) ويختلف أسلوب الشعراء من موضوع إلى موضوع فللفنزل أسلوب يمتاز بالزفة ، واللين والسهولة في غير ابتذال ، وللبعثاء أسلوب رقيق لين ، وللمدح والهجاء أسلوب جزل واضح شديد التأثير (٣) .

وكثيراً ما يميل الشعراء في إشبيلية في القرن الخامس الهجري إلى اختيار الألفاظ المعبّرة عن المعنى ، التي تعطي ظلالاً خاصة لما يعفون ، كقول المعتمد (٤) :

أما هاشم فسمعتني الشفـاً زُ
ذكرت شخصيك ما بينهنـاً
فلله صبري لذاك الأُو ر
فلم يدعني حبة للفـرار
وقوله (٥) :

سخطك قد زادني سقاماً
فابحث إليّ الرضا مسيحاً

-
- (١) الشمس والحنقا ، خلدون الشمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٧٤ ص ٧٧ .
(٢) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، اليزابيث درو ، ترجمة الدكتور محمد إبراهيم الشوش ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦١ ، ص ٩١ .
(٣) الأسلوب ، أحمد الشايب ، المطبعة الفاروقية ، الاسكندرية ، ١٣٥٨ هـ .
(٤) ديوان المعتمد ص ٤٨ .
(٥) المصدر السابق ص ٣٣ .

فكلمة الأوار * فيها إيحاء على نيران المصركة ، وكلمة " شخصيك توحى بالتحبب والشفقة ، وكلمة مسيحا لها ظلال خاصة ، فالمسيح يشفي من المرض .

وقد يأتي الشعراء في بعض الأحيان بالألفاظ المضيئة التي تجعل القارئ يلتفت إلى أبيات القصيدة ، ويدرسها من أولها إلى آخرها فيها هو ابن عبد الصمد يقذف كلمة مضيئة لتمطي ظلالا على جميع أنحاء القصيدة بقوله (١) :

وكان قلبي في مخالب طائر — وكان جنبي فوق شوك قتاد

وقال ابن حصن في وصف فرخ حمام (٢)

فحث جناحيه فصق طائرا — فطار فواد ي حيث طار ولا أدري

وقال الممتد (٣) :

الا عصم الله القطا في فراخها — فإن فراخي خانها الماء والظل

وقال (٤)

وإن لم تبت قلبي تطير قلوبها — إذا احترق باب السجن أو صلصل القفل

فقلب ابن عبد الصمد في البيت الأول في مخالب طير كاسر يتنقل به بين الجبال والوهاد ، وفواد ابن حصن يطير مع الطائر ، وفراخ الممتد ينقصها الماء والظل ، وقلوب الطيور في البيت الأخير تطير نتيجة احتراق باب السجن أو صلصلة الاقفال

وتميل ألفاظ الشعراء في معظم الأحيان إلى السهولة والرقعة وترشف من نبع الحضارة ، وبخاصة في وصفهم للطبيعة والفلمن والخمر والأمثلة على ذلك كثيرة منها قول ابن مسلم في وصف مشروب زبيب (٥) :

(١) اعمال الاعلام ص ١٦٩ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٦٧ ، المرقعات والمطربات ص ٨٠ .

(٣) ديوان الممتد ص ١١١ .

(٤) المصدر السابق ص ١١١ .

(٥) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٠٨ .

بحجابٍ يحتويهم	مِرَّةٌ ماتت زماناً
غَيَّبَتْهَا عن بنهم	لبثت في بطنٍ أُمٍّ
ثم عاد الروحُ فيهم	أَلَحَدَتْهَا الشَّمْسُ دَمْرًا
أز وضمناء بهيهم	كان ماءُ المزن عيسى

وقول أبي الحسن الاستجوي (١) :

رشت يد المزن أرضه	كأنما الورد لَمَّ
من الزهر جرد غضه	كواكب في سم
مدامع من فضه	كأن طلق الأناحي
أبقى به اللثم عضه	كأنما الورد صدر

فهي ألفاظ مختارة من البيئة الإشبيلية ، ومنثناة من الحضارة الأندلسية ، ففيها المذوبة ، والرتقة ، والسهولة ، ولكنها مع ذلك لا تنحط إلى اللغة العامية .

وتميل موشحات ابن اللبانة في معظم الأحيان إلى الرقة والسهولة حيث يختار ألفاظها من البيئة الإشبيلية الجميلة كقوله (٢) :

أقم عذري	فقد آن أن أعكف
على غصن	يطوف بها أو طف
كما تدري	هضم الحشا مخطف
إذا ما ماد	رأيت الأس بأوراقه قد ماس
من الأنس	ولن زاد في النور
على الشمس	وبدر الديجور
له نفسي	وما نفس مهجور

(١) الذخيرة ق ١٤٢ ص ٢٠٢ .

(٢) جيش التوشيح ص ٦١ ، دار الطراز ص ٧٥ .

وتمتاز ألفاظ الشعراء في بعض الأحيان ، وبخاصة في المديح والفخر ، بالقوة والمتانة ، وكأنهم يريدون إظهار مقدرتهم اللغوية ثم لثقافتهم الواسعة ، واضطلالهم المستمر على الأدب القديم ، يقول ابن زيدون ما دعا المعتضد (١) :

توافي إذ وافتك قاضية المصني فنيشيك منها الزاهر المتوكف
تجرد فيه سيف دولتك الذي يما العدا دأباً بغريه تظلف
هو الصارم المضب الذي المزم حدة وحليته بذل الندى والتعفف

ويقول ابن وهبون مفتخراً (٢) :

ومن لم يحل السيف من بهم العدا تحلى بخزي في الحياة وهاب
إذا ورق الغولان مزم تساقطت ثمار حتوف أو ثمار رغساب
ومن يتخذ غير الحسام مخالهاً فما هو إلا وأرد بسراب
ومن غره من ذا الانام تبسُّم فبالعقل أضى أهلك مصاب

ويلاحظ أن الكلمات البدوية تقتحم قصائد بعض الشعراء وبخاصة ابن حمد يس ، وابن حصن ، وهذا نتيجة لتعلقهم بالأدب القديم ، والهيئة الصحراوية ، وإعجابهم بالشعراء القدامى ، وأخيراً لثقافتهم الواسعة ، فهي هي الكلمات البدوية تغلب على الألفاظ الحضارية عند ابن حمد يس في قوله (٣) :

لأمر طويل الهم تزجمني الحراسا وتطوي بنا أخفافهن الباسا
وتذعر بالبيداء عينا شوارداً تذكر بالأحداق عينا وأنسا

وفي قصيدته التي مطلعها (٤) :

-
- (١) ديوان ابن زيدون ص ٤٩٤ .
(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٩٨ .
(٣) ديوان ابن حمد يس ص ٢٧٤ .
(٤) ديوان ابن حمد يس ص ٣١٢ .

مرابهم للوحش أضحت مراتما فقف صابراً تسعد على الحزن جازما

ويقول ابن حصن (١) :

يدكرني البرق للبهاني اذا انتحى لدى الهز برقاً من حفافيه خاطفا
على ما تبقى شعلان منه غمامسة اذا اشدف الليل استهلّت سدائفا

ومرة أخرى ماهي الألفاظ الصعراوية تقتحم قصيدته الالامية التي منها (٢) :

أحمج شري الخطب جروا ومخطبا وألمج بنت الدمر جدّا حافلا

وقصيدته البعجية التي يقول فيها (٣) :

أعاجوا المهاري بالمقيق فممج وأوضح منهم توضح كل منممج
على نوئي دار الركب عرج فانسه حرام علينا السير إن لم نمر
على نوئي دار قد تبقى كأنسه وقد مّح منه شطره نصف كملسج

وبالرغم من رقة الفاظ ابن اللبانة وموسيقاه في موشحاته ، إلا أنه يختار أحيانا الفاظها من بحر العربية ، وبخاصة في موشحته التي يقول فيها (٤) :

والاعتساف البيد إلا المهاري القود ذرما تخسد
ياناقتي الكومما جوبي على اسم الله واطو اليهاب
واستمطي المومما فليس من أمواه إلا السراب
لا تطمعي نومما مادام من أمواه نائي القباب
لمثلها صيغود ذخرت من قيفود لا تتشدد
من أسكن الظلفا حومانة الدراج في الرقمتسين
حتى انقضى حرفا يوحى به الإللاج عبل اليديين
وعصمت وصفما من جنح ليل داج غصن اللجين
فأشمر الأملود منه على التوريد بدرا يقعد

(١) الذخيرة ق ١٢٢ ص ١٧٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨١ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٧٠ .

(٤) جيش التوشيح ص ٦٤ .

ويكثر الشعراء من أساليب التمني والاستفهام والنداء وهي تعكس
حالاتهم النفسية ، فها هو ابن عبد الصمد يخاطب الموتى بقوله (١) :
يا موت لم تترك حنيفاً مسلماً
صعب اللقاء على ذوي الأحاد
يا موت لم تشفق لغيرته ولــــم
تر ما تخلفه من الأولاد
يا موت كيف رأيت صبراً محمداً
قبل احتلالك كان في استمداد

فهذه الأبيات حملها الشاعر عواطفه الحزينة ، ونفسيته الباكية ،
زاد في إظهار هذه العاطفة الحزينة : أسلوب النداء أولاً ، وثانياً
التجسيم ، والتكرار ثالثاً . وها هو الشاعر مرة أخرى يسوق عدداً من
التساؤلات التي تخرج لمعان بيانية خاصة فيقول (٢) :

من يفتح الأضمار بعد محمداً
من يعقد الرايات للقبور ؟
من يطمئن النجلاء في المراق أو
من يضرب الأخدود في المزار ؟
من يترك الأسطار في الأوراق مث
ل الحلي في اللبات والأجيار ؟
من يفهم المعنى الخفي ومن له
صدق الحديث وصحة الإيراد ؟
من يلمس الحصاد وهي حصينة ؟
وكأنما هي من عيون جـــــواد
من ذا يمد على العفاة ظلاله
ويبلغ الأمال كل مـــــراد

وبنادي ابن حمديس بني ثغر النداء المتلهف المشتاق إلى لقاءهم
الحزين على ما سيحل بهم ، الناقم على من عاداهم بقوله (٣) :
بني الثغر لستم في الوغي من بني أمي
وإذا لم أصل بالعرب منكم على المعجم
دعوا النوم وإنني خائف أن تدوسكم
دواهي وأنتم في الأمان مع الحلوم

(١) أعمال الاعلام ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٧ .

(٣) ديوان ابن حمديس ص ٤١٦ .

وبيت ابن اللبانة حزنه وآلامه في ثنايا كلماته وحروفه ، وذلك
حين يرثي بني عباد ، فيوجه نداه للضيوف يضم أمتعتهم ، ويأمر الفرسان
بالقاء أسلحتهم بقوله (١) :

يا ضيف أقفري بيت المكرات فخذ
ويا مؤمل واد يهم ليسكنك
وأنت يا فارس الخيل التي جمعت
ألقى السلاح وخل المشرفي فقد
في ضم رحلك واجمع فضلة الراد
خف القطمين وجف الزرع بالواد ي
تختال في عدد منهم وأعداد
أصبحت في لهوات الضيفم الحادي

ويسائل ابن وهبون الفونسو سؤالا الشامت على مزيمته ، الناقم
على عدوه بقوله (٢) :

فأين المحجب يا أذ فونش هـ
تجنبت المشيخة يا غلام ؟
ويتمنى ابن اللبانة لو أن عينيه أصابها العمى قبل النظر لفخسر
الدولة بن الممتمد ، وهو يشتغل بالصياغة بقوله (٣) :

وددت أن نظرت عيني إليك بهو
لو أن عيني تشكو قبل ذاك عى
وبكل حسرة وألم يتمنى الممتمد في السجن عودة أيامه السعيدة
قائلا (٤) :

فيا ليت شِعري هل أبيت ليلة
أمامي وخل في روضة وغد يسر

-
- (١) شعر ابن اللبانة ص ٤٠ .
 - (٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٤٦ .
 - (٣) شعر ابن اللبانة ص ٨٧ .
 - (٤) ديوان الممتمد ص ٩٩ .

أما التشبيه فهو الدلالة على مشاركة شيء لآخر في معنى (١) ، وعده العسكري النوع البهائي الوحيد الذي اتفق عليه العرب والمجم (٢) ، وقال كولردج : " إن مقالة كاملة يمكن أن تكتب عن خطر التفكير بدون أخيلة أو تشبيهات ، والشعر من غير المجاز يصبح كتلة خامدة ، ذلك لأن الصور المجازية جزء ضروري من الطاقة التي تمتد الشعر بالحياة " (٣) .

وقد كانت تشبيهات الشعراء في إشبيلية مقلدة في بعض الأحيان ، مولدة أحياناً أخرى ، متعمدة من بعض الشعراء ، عفوية من الآخرين .
وينعت الشعراء في غزلهم المئين ، والأسنان ، والقوام ، والرضاسب ، ويخصونها بالتشابه المبتذلة : السهام ، واللؤلؤ ، والفصوص ، والخمر ، يقول الممتزج (٤) :

غزالية المئين شمسية السننا
كثيبة الردفين غصنية السقد
ويقول ابن عمار (٥) :

فمين كما عين المها ومقلد
وردف كما انهال القضيب وضمة
وشاح كما غنى الحمام الأوراق
لحن حسنات الصبر عنه ذنوب
وشفر كمثل الأقحوان يشوبه

ويصف ابن زيدون محبوبته قائلاً (٦) :

-
- (١) الايضاح ، القزويني ، تح . عز الدين التنوخي الجزء الثاني ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م ، ص ٥٧ .
(٢) الصنائع ، العسكري ، تح . علي محمد الهاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م ، ص ٢٤٣ .

(٣) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ص ٥٩ .

(٤) ديوان ابن زيدون ، تح . كامل كيلاني وخليفة ، ص ٣٧٢ .

(٥) ديوان ابن عمار ص ٢٤٠ .

(٦) ديوان ابن زيدون ص ٤٨١ - ٤٨٢ .

وفي السِّمَاءِ الرَّقْمِ وَسَطَ قَبَائِهِمْ بعيدُ مَنَاطِ القُرْطِ أَحْمَرُ أَوْطَفُ
تباينَ خَلْقَاهُ فَمَهْلُكُكُمْ تأود في أعلاه لَدُنْ مَهْفُوفُ
فللمَانِكِ العَرَجُ مَا حَارَ مَعْتَرِزُ ولِلْقُصْنِ المَهْتَزِ مَا صَمَّ مِطْرُفُ

وكثيرا ما تكون التشابيه مقصودة لذاتها ، وبخاصة في وصف
الشِّمْرَاءِ للطبيعة والخمر ، وفي حد يثهم عن الزهريات يميلون
إلى تشبيهها بالنجوم أحيانا ، وكأنهم يشيرون إلى علو مكانتها
وروعة جمالها ، كقول أبي القاسم بن عباد (١) :

هَلَا وَصَفْتَ الْأَقَا حِي بَأَكْوَسٍ مِنْ فِضَّةٍ
أَو النجوم تساقط نَ فِي الصَّهَا المَبِيَّةِ

وقول ابن القوطية (٢) :

والياسمين لجـوم حازت من الحسنِ مَحْضَةً

وقد يشبه الشِّمْرَاءُ الزهور بالأحجار الكريمة ، وكأنهم يبينون قيمتها
الكبيرة ، وجمالها الذي ليس له حدود ، كقول أبي القاسم بن عباد
فبني وصف الياسمين (٣) :

كَأَنَّهُ وَالْحَبِيبُ تَرْمَقُ زَمَرٌ فِي خِلَالِهِ جَوْهَرُ

ولا يكتفي الشِّمْرَاءُ بذلك ، بل يحاولون نفخ الحياة ، وإجراة السِّمَاءِ
في أوراق الزهور وعروقها ، فالبنفسج عند ابن القوطية كالغد السِّمَاءِ
بدت عليه آثار الغض (٤) :

كما البنفسج خـد أبقي به اللثم عضَّة

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٠٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٣ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٠٣ .

أما ابن حمد يس، فإنه يعتمد في تشبيهه للشقائق على شكلها المنظم، والحركة، واللون، في قوله (١) :

فلم تر عيني بينها كشقائقي تبلبلها للأرواح في القضب الخضر
كم مشطت غيد القيان شعورها وقامت لرقص في غلائلها الحُمر

وفي أغلب تشبيهاتهم لا يفصلون بين المشبه والمشبه به بأي أداة تشبيه وإنما يميلون إلى التشبيه البليغ، وكأنهم يجعلون المشبه نفس المشبه به، وقد يأتي الشاعر في المقطوعة الشعرية بعدد من التشبيهات التي تكون صورة ملونة، كقول المعتضد في الياسمين (٢) :

كأنما ياسميننا الفــــــــــــــــض كواكب في السما تبــــــــــــــــض
والطرق الأحمر في جوانبـــــــــــــــــه كغدد عذرا حـــــــــــــــــض

وقول الاستحي (٣) :

كأنما الورد لمـــــــــــــــــا رشت يد المزن أرضـــــــــــــــــه
كواكب في سمـــــــــــــــــاء من الزهر جود غصـــــــــــــــــه
كأنما الورد صـــــــــــــــــدر أبقى به اللثم عضـــــــــــــــــه

وقد تعتمد تشبيهات الشعراء على الحاسة الشمية، كقول ابن وهب (٤) :

وبركة تزهو بنيلوفــــــــــــــــر نسيه تشبه ربح الحميــــــــــــــــب
أو على الحاسة البصرية كقول ابن القوطية (٥) :

-
- (١) ديوان ابن حمد يس، ١٩٢، ١٩٢.
(٢) الجدوة ص: ٢٩٦، بغية الطمس ص ٣٩٥، البيان المغرب ٣ : ٢٨٥،
الحلة السيرة ٢ : ٤٩٠.
(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٠٢.
(٤) فوات الوفيات ١ : ٥١٤.
(٥) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢١٧.

مصفرة من بنات الحسن تحسبها في زغبها ميتاً في توب تكفين

وقول ابن حمديس (١) :

وكان البرق فيها حـاذفـاً
بضرامٍ كلما شبَّ خَمَسَد

ناراً يخفو ويخفى تـسـارةً
كحسامٍ كلما سُلَّ عُصِيد

يذعر الأُحصارَ محمراً كـما
قلب الحلاق في الليل الأُسَد

وقول ابن القوطية في المرد قوش (٢) :

ذو جلابيب له قَلَصها
فأتت خلداً كاذبان الجرد

أو على الحاسة السمعية ، كقول ابن عمار (٣) :

وأنتحب في صلاصلا الرعد تحكسي
عُجَّتِي في سلاسلِي وقِيودي

ويكثر الشعراء من تشبيه الغلمان بالطبيعة ، وخلط صورهم بصورها ،
فهاهو ابن عصفور يقول (٤) :

لست أخشى الموت إلا
خوف أن تبعد عني

فاكتست وجنتي رُو
ضّة وردٍ فتنسني

ويقول (٥) :

طل على خدِّ المـذارِ
فاقتضح الأس والبهار

ويقول المعتمد (٦) :

تم له الحسن بالمـذارِ
واقترن الليل بالنهار

أخضر في أبيض تبـدّي
ذلك آسِي ودَا بهـارِ

(١) ديوان ابن حمديس ص ١١٨ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢١٥ .

(٣) ديوان ابن عمار ص ٣٠٩ .

(٤) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٦٢ .

(٥) المصدر السابق ص ١٦٥ .

(٦) ديوان المعتمد ص ١٧ .

وقد تجيء تشبيهات الشعراء جميلة فيها الجدة والتوليد أحياناً
كقول ابن حبيب في وصف الخمرة (١) :

كأنها والحبابُ يحجبها — بحرٌ من التبرِ يقذفُ الجَواهر

ويشعرنا ابن الطح بالحيوية والحركة في التشبيه حين يشبّه الطبيعة
الصناعية بالطبيعة الطبيعية بقوله (٢) :

كأنما التار عند الشمعتين سناً — والماءُ من نَفْذِ الأنبوبِ ينسكبُ
غمامةٌ تحت جَنَحِ الليلِ هَامِمةٌ — في جانبها جناحُ البرقِ ينطرب

ويبدع ابن الأبار في وصف سوسنات حين يعتمد في تصويره لها على
الشكل المنظم والحركة واللون (٣) :

شبيهة بالثريا في تألقها — وفي تألقها تلتاح ملتصقة
قامت بيميناه تبغي أن يقبلها — واستشرفت تجتلي مرآه مظلّمة

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٧٢ ، النسخ ٤ : ٢٦٢ .

(٣) النسخ ٣ : ٦٠٣ - ٦٠٤ .

الاستعارة

وأما الاستعارة ، فإنها تكون أكثر عمقا في الشعر حين تلتصق
الفكرة أو الحاطفة مع الصورة الحسية ، وبالطبع ليس « ناك ضرورة تحتمل
أن تكون الصورة دائما حسية (١) ، وقد لام الشعراء في إشبيلية بسين
استعاراتهم ومعانيهم في معظم الأحيان ، فهاهنا ابن عبد الصمد يجعل
الرمح يشرب من دماء الأعداء ، والسيف يروى ، والجود يموت بعد موت
المعتمد (٢) :

وسقيت رمحك ثم من ماء الذللى وروى حسامك من بنات الهك
« شيهات مات الجود بعد محمد » وأصاب بز الفهم كل كساد

وأما ابن القوطية فإنه يضحك الثرى ، ويجعله يبتسم استبشارا بقعود
شهر آذار بقوله (٣) :

ضحك الثرى وبدا لك استبشاره واخضر شاربه وطر عذاره
وإذا كان الثرى يضحك عند ابن القوطية فإن السماء تبكي عند
ابن اللبانة ، وتنتحب على سقوط دولة المعتمد (٤) :

تبكي السماء بمن رائج غادي على البهاليل من أبناء عباد
والشمس تبكي على فقد الأعم الشنتمري كما يقول ابن وهب (٥) :
وبكت عليك الشمس حتى بكائها أن كان قد تنفقد النصاراء

(١) الشعر كيف يفهمه ونتذوقه ص ٦١ .

(٢) أعمال الأعلام ص ١٦٦-١٦٧ .

(٣) الجذوة ص ٣٩٣ ، بغية الملتص ص ٥١٩ .

(٤) شعر ابن اللبانة ص ٣٩ .

(٥) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٨٥ .

(٤) المصدر نفسه ص: ١٨٦ .

وأما ابن القوطية فقد رسم للخوخ صورة مجازية حين جعله يشبه
من نظره إليه بقوله (١) :

غالسته نظري فاحمرّ من حَجَل
غداه شَم انثنى عني كمرتاب
وهكل حذق ودقّة يشبه الممتد قرطبة بفتاة جميلة جاء يخطبها
حين امتنعت على الملوك الآخرى بقوله (٢) :

غطيت قرطبة الحسناء إذ منعت
من جاء يخطبها بالميفر والأسل

(١) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٢١٧ .

(٢) ديوان الممتد ص ٦٥ .

— البديع —

إنَّ أول من ألّف في البديع كتاباً مستقلاً ابن المعتز ، فقد ألّف كتاب البديع سنة أربع وسبعين ومائتين وقال فيه : " فأما الملمأ باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ، ولا يدرون ما هو ، وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد " (١) ، وفي القرن الخامس الهجري ندد عبد القاهر الجرجاني بهذه الظاهرة لملاحظته في الإغراق في البديع ، والتكلف فيه من قبل الشعراء (٢) وفي هذا القرن أغرق الشعراء في إشبيلية في البديع بأنواعه وخاصة الجنس والطباق ، وبالمقابل فقد أكثر شعراء الشام في القرن الخامس الهجري من البديع على تفاوت فيما بينهم ، وطفى الجنس على غيره من أنواع البديع في شعرهم (٣) . ولا يخلو شعر شاعر من شعراء إشبيلية في القرن الخامس الهجري من الجنس سواء ما كان منه جناساً تاماً أم ناقصاً ، ومن الجنس التام قول ابن المعلم (٤) :

ومن كَفَّ الرِّيحَ لَنَا ربيعٌ يضوب حياً ومن حميرٍ عراقٍ

وقول ابن حصن (٥) :

يومٌ مَوَّنَ بحراً يتركُ البحرَ جودُهُ غريقاً وبدراً يتركُ البدرَ خاسفًا
و قول ابن الأبار (٦) :

(١) انظر : البديع لابن المعتز ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة

١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م ص ١٠٦ .

(٢) انظر : دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، الجرجاني ، تح ، محمد رشيد رضا ،

الطبعة الرابعة ، دار المنال ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ ، ١٩٤٧ م ص

(٣) الحياة الأدبية في الشام في القرن الرابع الهجري ، الدكتور عبد الباقيل

حسن عبد المهيدي ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأقصى ، عمان ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ،

ص ٤١١ .

(٤) الذخيرة ق ٢ م ص ١٢٣ .

(٥) المصدر السابق ص ١٧٦ .

(٦) المصدر نفسه ص ٢٠٩ .

- (١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٤٨ .
- (٢) المصدر نفسه ص ١٢١
- (٣) المصدر نفسه ص ١٣٢
- (٤) المصدر نفسه ص ١٣٣
- (٥) المصدر نفسه ص ١٦١
- (٦) المصدر نفسه ص ١٠٩
- (٧) المصدر نفسه ص ١٠٩ .
- (٨) تاريخ الأرباب الأندلسي (عصر الأ
- (٩) الخريدة ٢ : ٩٥ ، فوات الوفا

- لولا اعتراضك سدا بين أعينهم - لكان يخرق فيها السهل والجبل
وقوله (١) :
- قالوا صحا وأدال الخبي بالترشيد - من لي بذاك الضبا في ذلك الفند
وقول ابن زهر (٢) :
- امن ولو بخيال منك يونسني - فقد يئس مسد الجوهر الحسرس
وقول ابن المصيصي (٣) :
- أضاء بك الأفق الذي كان أظلم - وقد لحت في الإكليل بدراً متمم
وقوله (٤) :
- وان أتلفه أمور لم تئد لها - فأنهز برايك بين الرئس والمجل
وقوله (٥) :
- وكم لك في السلم وجه حيي - وكم لك في الحرب وجه وقاح
- وكثيراً ما يتمم الشعراء البديع ، ويتكلفون به ، ويقصدونه لذاتهم ،
فهذا ابن اللبانة يمدح مبشر بن سليمان الحامري بقصيدة مطووعة بالزخرفة
اللفظية ، ولا يكتفي بذلك بل يجعل صدر كل بيت غزل ، وعجزه مسدح
فيقول (٦) :
- وضحت وقد فاضحت ضياء النير - فكأنما التحفت بشر مبشر
وتبسمت عن جوهري فحسبتك - وألقت له مدامدي من جوهسر
وتكلمت فكان طبيباً كد يشها - تمت منه بطبيب مسك أن فكر
هوت بنقمة لفظها نفسي كما - زدت بذكره أعالي المنسر
-
- (١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٥٥٠٠
(٢) المصدر نفسه ص ٢٣١ ، عيون الأنبا في طبقات الأطباء ص ٥١٨
(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٣٥
(٤) المصدر نفسه ص ٤٣٧
(٥) المصدر نفسه ص ٤٤٤
(٦) شعر ابن اللبانة ص ٥٣ - ٥٤

أَنْ نَبَتْ وَاسْتَغْفَرْتُهَا فَجَعَلْتُ عَلَى
جَادَتِ عَلَيَّ بِوَصْلِهَا فَكَأَنَّ نَسْـهَ
وَلَشَعْتُ فَاها فَاَعْتَقَدْتُ بِأَنْتَـنِي
نَهْدُ كَقَسْوَةِ قَلْبِهِ فِي مَمَرِّ رَاكِ
أَوْ مَتَّ بِمَقُولِ اللَّحَاطِ فَخَلَّتْـهَ

عَادَاتِهِ فِي الْمَذْنِبِ الْمُسْتَهْـرِ
جَدَّوَى يَدَيْهِ عَلَى الْمُقَلِّ الْمُقَرَّرِ
مَنْ كَفَّ سُوءَ لُثْمِ الْغِنَمِ مَرَّ
وَعَشَا كَلْبَيْنَ طَبَاعِهِ فِي سَحَابِ مَرَّ
يُومِي بِمَقُولِ الصَّفِيحَةِ مَشْهُرِ ١٠٠

وأما الممتمد بن عباد فإنه يتنزل بزوجه اعتماد ، ويجعل أوائل
كل بيت من مقطوعته يتضمن حرفا من حروف اسمها ، بحيث تؤولف في النهاية
اسم " اعتماد " (١) :

أَغَاثِيَةِ الشَّجَرِ عَنْ نَاطِـرِي
عَلَيْكَ سَلَامٌ بِقَدْرِ الشُّجْرِ وَ
تَمَلَّكَتِ مَنِّي صَعْبَ الْمَكْرَا
مُرَادِي لِقْيَاكَ فِي كُلِّ حِينِ
أَقْبِمِي عَلَى الصِّهْدِ مَا بَيْنَنَا
دَسَسْتُ اسْمَكَ الْخُلُوفِ فِي طَيْهِ

وَحَاضِرَةً فِي صَمِيمِ الْفُـؤَادِ
نَ وَدَمِ الشُّؤُونِ وَقَدَرِ السُّهَادِ
مَ وَصَادَفْتِ وَدِّي سَهْلَ الْقِيَادِ
فِيَالَيْتِ أَنِّي أُعْطِيَ مَرَادِي
وَلَا تَسْتَحِيلِي لِطَوْلِ الْبَعَادِ
وَالْفَتْ فِيهِ حُرُوفِ اعْتِمَادِ

ومن الجناس المتكلف قول ابن القوطية (٢) :

سَقَانِي كَأَسَهِ وَلَهْـبَا
غَزَالُ إِنْ رَأَى وَلَهْـبِي

دَبِيبُ زَادَنِي وَلَهْـبَا
زَهَا عَنْ قَضَاتِي وَلَهْـبَا

وقول ابن حصن (٣) :

وَهَاتِ اشْفِينِ غُلَّتِي بِالْمَدَامِ
فَلَنْ بَنَاتِ الدَّوَالِي الدَّوَالِي

-
- (١) ديان الممتمد ص ٨ .
(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢١٥ .
(٣) المصدر السابق ص ١٦٠ .

وقد يزيد الجنس الشعر جمالا وتأثيرا كقول المعتد (١) :
 وناحت وناحت واستراحت يسرنا
 وما نطقنا حرفاً يبوخ به سر
 وهكذا يلاحظ أن الجنس يأتي في المرتبة الأولى ، ويأتي بعده المطابق
 وأما التورية فمن أوضح أمثلتها قول ابن زيدون في المعتد (٢) :
 أغر متى ندرس دواوين مجدي
 يرقنا غريباً مجمل أو مصنف

ففي كلمة غريب تورية ويقصد بها كتاب " الغريب المصنف " لأبي عبد الله
 القاسم بن سلام المتوفى سنة أربع وعشرين ومائتين ، كذلك توجد تورية
 في كلمة مجمل ويقصد بها كتاب " المجمل في اللغة " ، لأبي الحسن أحمد
 ابن فارس المتوفى سنة تسمين وثلاثمائة .

وقول ابن اللبانة (٣) :

بدا على غدو حال يزيته
 فزادني شغفاً فيه إلى شغف

ومن الأصناف البدعية الأخرى حسن التعليل وهو ما يسميه
 ابن سناء الخفاجي الاستدلال بالتعليل (٤) ، وقد كان الشعراء كثيراً
 ما يعرضون المعنى ويعرضون له علة مناسبة ، وقال ابن تاج شاعراً
 أندلسياً لم يستعمل هذا اللون البدعي ، وكثيراً ما تكون العلة الحائث بها
 غير ممكنة ، وهذا دليل على قوة تصورهم ، وبارع تخيلهم (٥) ، كقول ابن
 حمد يس (٦)

(١) ديوان المعتد ص ٦٩ .

(٢) ديوان ابن زيدون ص ٤٨٨ .

(٣) شعر ابن اللبانة ص ٦٧ .

(٤) سر الفصاحة ، ابن سناء الخفاجي ، تح . علي فوده ، المطبعة

الرحمانية ، مصر ، ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م ص ٢٦١ .

(٥) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ص ٨١ .

(٦) ديوان ابن حمد يس ص ١٨٦ .

وَمُطَّرِدِ الْأَجْزَاءِ يَصْقِلُ مَنَسَّهُ
صَبَا أَغْلَنْتَ لِلْعَيْنِ مَا فِي ضَمِيرِهِ
جَرِيحٌ بِأَطْرَافِ الْحَمَى كُلَّمَا جَرَى
عَلَيْهَا شَكَا أَوْ جَاعَهُ بَخْرٌ يَسِيرُهُ

وقول ابن وهب (١) :

غَزَالٌ يَسْتَطَابُ الْمَوْتَ فِي سَهْ
وَيَعِزُّ بِي مَا فِي حَاسِيهِ الْمَذَايِبِ
يَقْبَلُهُ الْمَلَأَمُ هَوًى وَشَوْقاً
وَيَجْنِي وَرْدَ خَدَّيْهِ النَّقَابِ

وقول ابن اللبانة معللاً لسواد الخال (٢) :

لَحَظَ النُّجُومَ بِمَقْلَتِيهِ فَرَاغَهَا
مَا أَبْصَرْتُ مِنْ حُسْنِهِ فَتَرَدَّتْ
فَتَسَا قَطُتْ فِي خَدِّهِ فَنَظَرْتُهَا
عَمْداً بِمَقْلَقِ حَاسِدٍ فَاسْوَدَّتْ

هذا وقد تكون المعللة ممكنة كقول ابن زيدون مخاطبها المعتمد (٣) :

لَسْتُ بِالْجَاهِدِ إِلَّا الْعِلَّالَ
كَمْ لَهَا مِنْ أَلَمٍ يُدْنِي الْأَمَلْ
أُجْتَلِي مِنْ أَجْلِهَا بَدْرَ الْمُكَلَّالِ
مُشْرِقاً فِي مَنَزَلِي حِينَ كَمَلْ

وقوله (٤) :

قَسَمًا لَقَدْ وَفَى الصُّنَى وَنَفَى الْأَسَى
مَنْ أَقْدَمَ الْبُشْرَى بِأُنْكَ صَاهِرُ
لَيْسَ مَكْتُوبٌ وَيُفْنِي سَاهِرُ
وَيَرَا حَ مَرْتَقِبٌ وَيُوفِي نَاهِرُ
ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أن الشعراء قد تلاعبوا أحياناً بالألفاظ
تلاعباً يستغل الكلمة ، كقول ابن عمار (٥) :

غَزَا الْغَلِيْبُ غُزَالاً
حَجَّتْ إِلَيْهِ الْمَيِّسُونَ
قَسَدٌ خَطَفَ فِي الْخَدِّ نُوناً
وَأَخَّرَ الْحَسَنُ نُونُونَ

(١) الخريدة ٢ : ٥٩٦

(٢) شعر ابن اللبانة ص ٢٧

(٣) شعر ابن زيدون ص ٥٠٤

(٤) المصدر السابق ص ٥٠٦

(٥) النفع ٤ : ٧٣

وقول ابن حصن (١)

أَلَا قُلْ لِبِدَارِ الدَّجِي مَا عَرَاهُ

وقوله (٢) :

عَلِيٌّ أَنْ أَتَذَلَّ

عَدَّ كَأَنَّ الثُّرَيَّا

وقوله (٣) :

قَدْ شُغِلَ النَّاسُ بِذِكْرِي وَمَا

مَاذَا عَلَى النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَا

وقول المصتمد (٤) :

قَالَتْ : لَقَدْ هُنَّا هُنَا

قُلْتُ لَهَا : بِرَأْيِ هُنَا

لَهُ وَأَنْ يَتَذَلَّ

عَلَيْهِ قُرْطُ مَسْلَسَل

شُغْلِي إِلَّا الْكَأْسُ وَالْآسُ

أَحْمَقَ بِمَضَى النَّاسِ يَا نَاسَ

مَوْلَايَ أَيْنَ جَاءَ نَا

صَبَّرْنَا بِالْهَنْدِ نَا

وقد يتلاعبون بالألفاظ تنالها يستغل حروف الكلمة ، ومن أوضح أمثله

المحميات .

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٦٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٩ م ٣ : ٤٢٩ .

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٦٢ .

(٤) ديوان المصتمد ص ١١٤ .

— الإيقاع والموسيقى —

يقول سبنسر : " إِنَّ خَيْرَ الموسيقى ما تتمشى مع الأفكار ، وتتجاوب
نفقاتها ونبراتنا مع حالات النفس ، فالشاعر في احتياجه وغضبه
وفيظه يكون تعبيره الموسيقي عالي النغمة ، وفي عزه يكون منخفضا ،
وفي تعجبه وفرحه مدو ، تكون مسافات الصوتية قصيرة ، وأما في بشه
والهم ، فتكون مسافات الصوتية طويلة ، وهكذا تسير النفقات حالات النفس
كما تسير موضوع القصيدة وفكرتها " (١) .

وقد لاهم الشعراء في إشبيلية بين الإيقاع والموسيقى والموضوع الذي
يتحدثون عنه ، وهم يميلون في موضوعات الفزل ووصف الطبيعة والخمر
والقلمان إلى الأوزان الخفيفة التي تميل إلى الشرور والمرح ، ويختارون
لها البهور القصيرة تارة ، والمجزوءة تارة أخرى ، كتول ابن الأبار (٢) :

بالله كيف التديمة	يا ذا السجايا الكريم
عذراء تميق شمساً	وأنت تعيق شهيم
أحبيب بها بكر نكرو	من البهار يتيم

ويلائم ابن مسلمة بين رقة الموسيقى وجمال المنظر الطبيعي الذي
يصفه حين يقول (٣) :

انظر الى النهر وأعجب	بمسن مرآه وأرض
قد حل بين ريماض	من النواوير غف
من نرجس مثل لون	مهجور فارق غمض
وأقنوان أنيق	بروده مبيض

(١) الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، الدكتور أحمد الحوفي ، الطبعة الرابعة

مطبعة نهضة مصر ، مصر ، ص ١٩٦ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٠٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٣ .

وتتفجح الموسيقى المطربة التي تعطي ظلالاً من البهجة
والسرور عند الرّاضي بن المعتمد حين يقربه والده منه فيقول (١) :

الآن تعودُ حياة الأمل	ويدنو شفاء فؤادٍ مملّ
ويورق للمزّغن ذَوَى	ويطلع للسعد نجم أفل
دعوت فطار بقلبي السرور	إليك وإن كان منك الوجمل

وعنّي في العروب قد يختارون لقضاء هم البحور القصيرة لتبدل
على فرحتهم وبهجتهم ، كقول المعتضد (٢) :

لقد عصّلت يارنـد	فصرت لملكنّا عقـد
أفاد تناك أرمـح	وأسياف لها حـد
وأجناد أشـد	إليهم تنتهي الشـد

ولكن كيف تكون الأوزان الموسيقية ، والنبرات الصوتية في مجونياتهم ؟
يجيب عن هذا السؤال ابن حـن بقوله (٣) :

ومدامي غندريـس	لم يشبها ماء مُـزَن
لو تراني قلت هــذا	كـن ما ذا ابن حـن
ومعي مُـهـة تشـ	رب كاساً وتغـني
وإذا ما شربت كـا	سا من الراح سقتـني
شهوتي خمر ومـسـين	بهما قد أسكرتـني

ويعتقد سير فيليب سـني بأن الإيقاع والصورة يرتبطان ارتباطاً
لا ينقسم وذلك حين يقول : " إن المراعاة الدقيقة لمدد الألفاظ
وموازينها ، وللحرية المنطلقة في الخيال ، هما الخاصيتان اللتان
تميزان الشاعر " (٤) ، والجرس الموسيقي ليس له قيمة جمالية في ذاته ،

(١) الخريدة ٢ : ٤٤ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٣٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٤) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ص ٦٠ .

فقد قال بوب " إِنَّ الجرس يجب ان يكون صدى للمعنى " (١) وينسحب قول بوب على كثير من الشعراء في إرشيدية ، فالشعراء في بكائهم وحنينهم يعملون غالباً إلى البحور الطويلة أو المتوسطة ، ويختارون الأوزان الهادئة الحزينة ، والحروف الحلقية وما شابهها ، فانظر كيف يجعل ابن حمد يسر الموسيقى تشبّع الجوّ بالحزن والأسى في قوله (٢) :

أحنّ حنين النيب للموطن الذي صفاني غوثيه إليه جواد هسي
ومن سار عن أرضه سوى قلبه بها تمنى له بالجسم أوبة أيـب

وهاهي الموسيقى تقطر حزناً حين يتأمل المعتمد ويفكر ويقول (٣) :

قبر الغريب سقاك الرأحُ الفادي حقاً ظفرت بأشلاء ابن عبّاد
بالعلم بالعلم بالنعى اذا اتصلت بالخصب إن أجدوا بالري للمّاد
بالطاعن الضارب الرامي اذا اقتتلوا بالموت أحمر بالضرغامه الحادي
حتى يبعودك دمع الطل منهمرا من أعين الزهر لم تبخل بالسماد

وتبلغ الموسيقى الداخلية ذروتها عند المعتمد حين يهاجمه المراهطون في قصره ، فيقول قصيدة عينية يث فيها عمارة اهزانه والامه ، فهاهي تفتّح أقواه شرايينه لتقدف دما حين يقول (٤) :

لما تما سكت الدُموع وتنبّه القلب الصّد يسوع
قالوا الخضوعُ سياســـــة فليبدّ منك لهم خضوع
والدُّ من طعم الغضـــــو ع على فمي السُّم النقيـــــع
إن يسلب القوم المـــــد ملكي وتسلمني الجـــــوع
فالقلب بين ضلوعـــــه لم تسلم القلب الضلـــــوع
لم استلب شرف الطـــــب ع أيسلب الشرف الرفيـــــع ؟

(١) الشعر كيف نفهمه وتندوقفه ص ٩٩ .

(٢) ديوان ابن حمد ص ٣٣ .

(٣) ديوان المعتمد ص ٩٦ .

(٤) المصدر السابق ص ٨٨ .

ومما يزيد من جمال الموسيقى الداخلية ، وملاءمتها للموقف الإكثار من الحروف الحلقية ، وبخاصة السين ، وهي من الحروف التي تخرج من الأعماق ، وحروف الصّفير وبخاصة حرف السين ، حيث توجد فيه رنسة حزن خاصة ، تابعة من الموسيقى الداخلية التي يحدثها هذا الحرف وصوت السين أسناني لثوي رخو مهموس مرقق (١) ، وبالرفغم من وقوع الشاعر في عيب السّناد إلا أن ذلك لم يؤثر على الموسيقى وتلاحق نبراتها ، ولا غرو في ذلك ، فقد كانت عاطفة الممتمد في أوج تأججها ، فجاءت نفثاته صورة مماثلة لمواطفه .

وحين يفضض الشّعرا ، يختارون لقصائد م الثبرات المتلاحقة والموسيقى الناجدة ، والكلمات القوية ، فانظر لنفسية ابن عمار كيف تضمج وتزججر على رنات هذه الموسيقى المعبرة عن الموقف ، عين نفي إلى سرسطة (٢) :

وعني أثار الرعد صرخة طالب	لثأر وهزّ البرق صفحة صارم
وما لبست زهر النجوم حداد	لغيري ولا قامت له في مأتم
وهل شقت هوج الرياح جيوبها	لغيري أو حنت هنين الروائم

فاختار الكلمات ، وانتقا الحروف ، وبنّا التشبيهات ، ساعدت كلها في بث رنات من الصخب والضجة ، هذه النجدة في الموسيقى تكون واضحة إذا ما قورنت بالموسيقى الراقصة التي شجعت قصيدة ابن عمار الرائية التي يقول فيها (٣) :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى	والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره	لما استردّ الليل منه المنسبرا

(١) مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ١٣٩٤ هـ

١٩٧٤ م ص ١٠٠ .

(٢) ديوان ابن عمار ص ٢٠٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٨٩ .

وصا يزيد في جمال الموسيقى عند الشعراء ، عنصر التقسيم الذي يكون
في بعض أبياتهم ، كقول ابن المصيصي (١) :

من كل ممثّلٍ بالبأسِ مخـتـرِطٍ للفرز مدّرعٍ للفرز مشتبهـلٍ

وقول ابن زيدون (٢) :

يتيه بهرقاةُ سريرٍ ومـسـنـبٍ ويحمد مسماهُ حسامٌ وهـجـفٌ

وقوله (٣) :

على السيفِ من تلك الشّهامِ مـسـمٍ وفي الرّوضِ من تلك المّلاقِ زخرفٌ

وقول ابن اللبانة (٤) :

أذكي القلوب أسى أبكى الصيـونَ دما خطب وجد ناك فيه يشبه الحدما

وقوله (٥) :

يغيثك في محلّ يمينك في ردى يروعك في درع يروثك في برى
بجمال واجمال وسبق وصولـة كشمس الضحى كالمزن كالمروق كالعرد

وقد يكرّر الشعراء كلمة معينه في القصيدة لتزيد لها نفعا وموسيقى
سواء في الفرج أو الحزن ، كقول المصتمد في رثاء ولديه (٦) :

توليتما والسنُّ بعدد صفيرـة ولم تلبث الأيّام أن صغرت قدري
توليتما حين انتهت بكما المـلا إلى غاية كلّ إلى غاية يجـري

وقوله (٧) :

(١) الذخيرة ص ٢٠١ م ٤٣٦

(٢) ديوان ابن زيدون ص ٤٨٧

(٣) المصدر السابق ص ٤٨٩

(٤) رابن اللبانة ص ٨٦

(٥) المصدر السابق ص ٣٦

(٦) ديوان المصتمد ص ١٠٦

(٧) المصدر السابق ص ٩٥

بكى المبارك في اشرايين عبداً
بكت ثرياه لا غمت كواكبها
بكى الوحيد بكى الزاهي وقبته
بكى على إثر غزلان وآساد
بمثل نوء الثريا الرائج الغادي
والنهر والتاج كل ذلك بادي

والغناء في الموشحات أمر مأثوف (١) ويرى فؤاد رجائي أن طريقة زرياب في الغناء ، كانت سبباً قوياً في اختراع الموشحات (٢) وقد كانت موشحات المديح تغنى في حضرة السدوح (٣) والموشح إذا روعيت فيه الفصاحة والأوزان الشعرية شائق فتان للطفه وحسن مسامحه ، فهو شعر الحب والطبيعة والجمال والفن وشعر القصائد الطويلة التي لا يضيق عليها الخناق وزن واحد وقافية واحدة (٤) ، وفي إرشيدية يقول ابن اللبانة عدداً كبيراً من الموشحات التي تنقطر من دابة نتيجة اختيار كلماتها ، وتنوع أوزانها ، وملائمة أجزائها ، كقوله مثلاً (٥) :

في نرجس الأحـداق
وسوسن الأجيـاد
نبت الهوى مفـروس
بين القنا الميـاد
وفي نقا الكافور
والمنزل الرطاب
قرب من البلور
نمين بالقضب
أذابت الأشـواق
روحي على الأجـساد
أعارها الطـاوس
من ريشه أبلـراد

(١) نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي ، كامل كيلاني ، الطبعة الأولى ، مطبعة

المكتبة التجارية ، مصر ، ١٩٢٤م ، ص ٢٨٢ .

(٢) الموشحات الأندلسية ، فؤاد رجائي ، الطبعة الأولى ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) من التوشيح ص ٣٣ .

(٤) مقال لبطرس البستاني في مجلة المشرق / المجلد / ٣٣ / العدد ٣ /

١٩٣٥م / ص ٣٨٠ .

(٥) جيش التوشيح ص ٦٢-٦٣ .

ويلاحظ تنوع النبرات الموسيقية عند ابن زيدون في أحد مخططاته عـين
يقول (١) :

فَمَا أَنَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْوَصْلِ أَطْمَعُ وَلَا أَنْ يَزُورَ الْمُقْلَتَيْنِ مَنْسَامُ

الراقصة ، التي تهت في الجوف فرحا وسرورا ، وفي مدائحهم اغتنسوا
الجمور الطويلة والكلمات القوية ، وفي سرايهم سألوا الى البور الطويلة المهادنة
والحروف الحلقيه التي تخرج من الاعاصير

التجربة الشعرية

إن تجربة الكاتب القصصي تختلف عن تجربة الشاعر فتجربته
الكاتب القصصي موضوعية اجتماعية بطبيعتها ، بينما تجربة الشاعر تظل
تجربة شعرية ذاتية (١) . ويلاحظ أن عواطف الشعراء في إسهيلية
تكون صادقة ، نابغة من قلوبهم ، حين يتأثرون بالحدث ، ويهتزّون بالتجربة
ولكن المصدق يجانبها حين يقولون قصائد هم لإرضاء المدح ، وحين
يصدر الشعر عن نفس لا تتأثر بالموقف ، ولا تهزها التجربة ، فيها هو
المعتمد يتمزّل بقوله (٢) :

اشرب الكأس في ودا وداك وتأثس بذكرها في انفرادك
قمر غاب عن جفونك مــــرا وسكناء في سوا فــــواك

وهو شاسع بين هذه المعاناة الماهية ، وبين عاطفته
المضطربة في السجن ، حين يرى القيد يتقلب في أجفانه ، فيهتزّ صاعدا (٣) :

قيدِي أما تملُمني مُسلمــــا أثبت أن تُشفي أو ترَحــــما
دمي شرابُك واللحمُ قــــد أكلته لا تهشم الأعــــما

وأين عاطفة ابن زيدون الزائفة في رثاءه لهنّ المعتمد

في قوله (٤)

هَذَا هَدِي عــــروس تَقْنِيها كان الهــــدا
عمرت حيناً وما العــــ مزن شكلين ســــوا
ثم ولت فوجد نــــسا أرح المسك نــــسا

من عاطفته المتأججة التي نبضت من صميم فؤاده ، حين قال مخاطباً

ولادة (٥)

(١) في النقد الأدبي الدكتور محمود السمرّة ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت

١٩٧٤م ، ص ١٧٠

(٢) ديوان المعتمد ص ١٠

(٣) المصدر السابق ص ١١٢

(٤) ديوان ابن زيدون ص ٥٦١

(٥) المصدر السابق ص ١٤٢ - ١٤٣

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقاً إليكم ولا حقت ما قيننا
نكاد حين تناجيك ضائرتنا
يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا ففقدت
سوداً وكانت بكم هيضاً ليالينا
ومما يقلل من تأجج الماطفة في وصفهم للطبيعة والغلمان والعمر ،
أنهم يريدون وإظهار مقدرتهم على التلاعب بالألفاظ ، فيهتمون باللفظ ،
ويتركون المعنى في كثير من الأحيان ، حيث يوشحون أبياتهم بالزخارف
اللفظية ، التي تشبه الألعاب المبهلوانية ، والحركات السحرية كقول ابن
القوطية واصفاً التفاح (١) :

حافت فندستها لمّا كلفت بها
فإن دعوت أجابت باسم منتكس
ففي قوله حافت هـ و تفاح مقلوب .
وقوله في البغوخ (٢)

من اسمه فيه مقلوباً ومبتدئاً
أربى على اللوز في تطريز جلباب
ويرى لودفينغ أن سحر المرأة هـ والذي يسيطر على الرجل لا جمالها
الجسمي (٣) ، ولكن أي سحر أثر على ابن عمار حين قال (٤) :

فتاة هـ دأها الحسن حتى كأنها
هـ ي الحسن أو الف عليه حبيب
فممين كما عين المها ومقلد
كما ارتاع ضبي بالخلا غريب
وأي سحر سيطر على نفسية المصتمد حين قال (٥) :

يا ظبية لطفت مني منازلتها
فالقلب منهن والأحداق والكبد
حبي لك الناس طراً يشهدون به
وأنت شاهدة أن يشتمهم حسد
لا يعزب الوصل فيما بيننا أبداً
لو كنت واجدة مثل الذي أجده

-
- (١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢١٦ .
(٢) المصدر السابق ص ٢١٧ .
(٣) الحياة والحب ، لودفغ ، ترجمة عادل زعتر ، دار المصارف ، مصر ، ١٩٥٩ م .
(٤) ديوان ابن عمار ص ٢٤٠ .
(٥) ديوان المصتمد ص ١٠ .

أو على نفسية المعتضد في قوله (١) :

يا قمرًا قلبي له مطالعُ وشايرًا في مهجتي يرتفعُ
واللّٰو ما أطمع في الميثر مُد أصبحت في واصلك لا أطمع
ليت كما يرتع في مهجتي أني في ريقته أكرع

وهي في تفزلهم بالغلطان ، فان الجمال الخارجي هو المذي
يبهرهم ، فأبى نوع من السحر يؤثر على ابن الأبارحين يقول (٢) :

مقرطقٌ ييسمُ عن لؤلؤٍ رصعة العسنُ بمرجسان
أقد ير من أحوار أجفانكُ نامت لكى تسهر أجفانسي
من أين للطبي كاجفانيس أو مثل ذاك النوط للهبسان

فسحر المرأة لم يسيطر على شعراء إشبيلية ، وإنما افتتنوا بالجمال الخارجي
والصفات المادية ، فجاء وصفهم بانه تا ، وفزلهم زائفا ، ليس فيه صدق أو لوعة ،
وقد ساعدت البيئة الإشبيلية اللاهية على إيجاد هذا النوع من الغزل وحجب
الستار عن الغزل العفيف .

وفي بعض الأحيان يجبرهم الموقف على الارتجال الذي يخلو من العاطفة
الصادقة ، فأبى الصدق في قول أبي العرب الصقلي حين خاطب المعتضد (٣) :

أهديتني جملاً جونا شفمت به حملاً من الفضة لو حمصا
فاعجب لشأني فشأني كله عجب رفهتني فحملت الحمل والجمصا

وقد كانت عواطف الشعراء صادقة ، نابعة من قلوبهم ، حين رثوا
المعتضد ، ودولته ، حيث لم يتخذوا هذا الرثاء للتقرب والزلفى ،

(١) الحلة السيرا ٢ : ٤٨ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١١١ - ١١٢ .

(٣) النفح ٤ : ٢٦١ .

وانما رأوه حقا عليهم ، وواجبا تقتضيه الصداقة ، والصرفان بالمعصية ،
وأما عاطفة ابن حمد يس بالصدق واللوعة حين قال يا كيا المصتمد
ودولته (١) :

أبانا حياتي الموت وإن كنت ساليا وأنت مقيم في قيود أعانيها
وإن لم أبار الحزن قطراً بأدمع عليك فلا سقيت منها الخوايا
تفرّيت من قلبي الذي كان ضاعكاً فما البس إلا جفان إلا بهاكها
وما فرحي يوم المسرة طائفاً ولا حزني يوم المساء عاصها

وأما عاطفة ابن اللبانة بالثورة الشديدة ، والتأثر العميق
حين قال في موشحته راثيا المصتمد (٢) :

آن الطلوع فلم يابدر بالجواريد وعد بشارقة يافجر في العود أحمد
ياسائي عن بني عباد حدا بهم في ذكرهم عباد
فالبيت بيت بلا عباد ومالنا بعدهم من عباد

فلي دموع عليهم حمراً تنهل سرمد وطبي ما ضم مني الصدر بصر توّقد
أين المؤيد قطب المجد ؟ أين المؤيد والمصتمد ؟
أين اللذان ما في اللحد ؟ أين القراة زين المحمد ؟

وقد كانت عواطف الشعراء زائفة في رثائهم المصتمد ، وبنته ، وزوجته
حيث اتخذوا هذا الرثاء ، وبخاصة ابن زيدون للتقرب والرفق ، وإرة الأب
أسيانا ، والزوج أسيانا أخرى ، والملك الجديد مرة ثالثة .

(١) ديوان ابن حمد يس ص ٥٣٠ .

(٢) جيش التوشيح ص ٧١-٧٢ .

وفي مدائحهم يتكلفون ويتملقون ، فبالرغم من جودة تصبيراتهم ،
وحسن تشبيهااتهم ، إلا أن عواطفهم تبقى فاترة باهتة ، وفرق كبير بين
قول ابن اللبانة في رثاء دولة بني عباد في قصيدته التائية
حين يمدح (١) :

معاهد ليت أني قبل فرقتها
تد ميت والتاركوها ليتهم ماتوا
فبعث منها بأغوان ذوي ثقة
فاتوا ولدت في الإخوان آفات
وبين قوله حين يمدح المعتمد بإعطائه الأتاة للفونسو (٢) :

في نصرة الدين لا أعدم نصرتي
تلقى النماري بما تلقى ففقد
تنيلهم نعماً في طيها نقم
سيستزبها من كان ينتفع
أو قول ابن المصيصي (٣) :

وما كنت ممن شج بالمال والقنا
فتكز د يئاراً وتوكل كهذا
فترسله للصفر أصفر عسجد
وإن خالفوا أرسلت أبيض مغدما
وحين يحض الشمرء على الجهاد
قلوبهم ، كقول الهوزني (٤) :

أعيدكم أن تدنونا فيسكنكم
عقاب كما ذاق العذاب شمس
وأقبح بذكر يستأير لأرضكم
يوئم به أقصى البلاد وفوس
وقول ابن حمديس (٥) :

بني الشمر لستم في الوغي من بني أمي
إذا لم أضل بالحرب منكم طالع الحميم
دعوا النوم وإنني خائف أن تدوسكم
دواي ، وأنتم في الأمان مع السلم
فردوا وجوه الخيل نحو كريمهم
مصرحة في الروم بالثكل واليد ستم

(١) شمر ابن اللبانة ص ٢٦

(٢) المصدر السابق ص ٦٣ .

(٣) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٤٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٩٣ .

(٥) ديوان ابن حمديس ص ٤١٦ .

وهكذا يلاحظ أنَّ المبالغة تكون مادة حين تنبع القصيدة من أعماق الشاعر نتيجة تأثره بالموقف ، وتكون زائفة حين يصدر الشعير عن نفس لا تتأثر بالموقف ، ولا تهتز للتجربة .

ويلاحظ في كثير من الأوسيان مبالغة الشعراء في قصائد همهم ، وهذه المبالغة قد تنتج بشكل شعوري من الشاعر ، وذلك لإرضاء المدح ، وهزاريحيتسه ، ورسم صورة مثالية لما يريد أن يقول . وقد تنتج بشكل لا شعوري ، نتيجة تأثر الشاعر بموقف ما ، هز أقطار نفسه وأثر فيه تأثيرا عميقا .

فمن النوع الأول أمثلة كثيرة ، منها قول ابن زيدون في المصنوع (١)
 ما م يزين الدهر منه وأهلـــــــــــــــــه
 عليك فقيه كاتب متفلســــــــــــــــف
 بشيه بهرقاه سر ير وونبــــــــــــــــر
 ويحمد مسعاه عسام ومــــــــــــــــف

وقوله (٢) :

بيت تود الشهب في أفلاكها
 لو أنها لبنائهم أوتــــــــــــــــا

وقوله في مدح المعتمد (٣) :

وجدت أبا القاسم الطافر المويــــــــــــــــس
 بالله مولى مقمــــــــــــــــس
 إن ما نداه همتي وألــــــــــــــــه
 شاه كشأ والجوار البشــــــــــــــــس

وقول ابن المصيصي في المعتمد (٤) :

كأن أبا بكر أبو بكر الرــــــــــــــــي
 وحسان حسان وأنت محمــــــــــــــــد

وقول ابن عمار في المعتمد (٥) :

من لا توازيه الجبال إذا احتــــــــــــــــى
 من لا تسابقه الرياح إذا بهــــــــــــــــى

(١) ديوان ابن زيدون ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٥٨ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥١٢ .

(٤) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٤٤١ .

(٥) ديوان ابن عمار ص ١٩١ .

وقول ابن حصن في الممتضد (١) :

يضيقُ النِّفْضَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لِبَانَهُ وتدنو الثُّرَيَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ سَمَكًا

وقول ابن حمديس ماحدا الممتد (٢) :

لو أضحيت الأرضُ يوماً كَفَّ سائله لم تفتقر بعد جدواه إلى مطر
ياؤوي إلى عِزَّةٍ قَفْصَاءَ مُرْغَمَةٍ أنفَ الزمانِ على ما فيه من أشمر

وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع ، يمكن الرجوع إليها بسهولة واستقراهما

من خلال القصائد السابقة . كذلك يوجد من النوع الثاني - المبالغة
الناجمة بشكل لا شعوري - أمثلة كثيرة ، وبخاصة حين صور الشعراء
نكبة الممتد بن عبارة التي هزت عواطفهم ، وقلقت أركان نفوسهم
فقال ابن حمديس (٣) :

فيا جبلاً هتَّ الزمانُ هضابَه أما كنتَ بالتمكين في الحرَّ راسياً ؟
وقال (٤) :

ولما رحلت بالندى في أفكهم وقلقل رضى منكم وثبهم
رفعت لساني بالقيام قد اتكت ألا فانظروا هذي الجبال تسير

وقال ابن اللبانة (٥) :

تهكي السماء بمن رائج غيادي على البهاليل من أهناء عبّاد
على الجبال التي هدّت قواعدا وكانت الأرض منهم ذات أوتاد
ففرق بين المبالغة من النوع الأول ، التي يقصد الشعراء منها التقريب
والزلفى ، وبين المبالغة من النوع الثاني التي جاءت نتيجة عمق التجربة
في نفوسهم .

(١) الذخيرة ق ١٢ ص ١٦٨ .

(٢) ديوان ابن حمديس ص ٢٠٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٣١ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٦٩ .

(٥) شعر ابن اللبانة ص ٣٩ .

شهدت الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفرناسي حضارة تميزت في كثير من مظاهرها ببناء فريد معقد ، يجمع بين مؤثرات مختلفة تمثل الشرق والغرب جميعا ، وتميزت هذه الحضارة بالتجديد المنبعث عن فيض حيويتها (١) ، وكثيرا ما كان الشعراء في الأندلس يقلدون شعراء المشرق ، فهاهنا وابن بسام يشير إلى ذلك بقوله : "إلا أن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق ، يرحلون إلى أخبارهم المعتادة رجوع العير إلى قتادة ، حتى لو نطق بتلك الآفاق غراب ، أو طن بأقصى الضام والمراق ذهاب لجثوا على هذا صنما ، وتلوا ذلك كتابا محكما " (٢) . والكتلة الأندلسية كانت تنساق نحو تقليد المشرق بكل ما فيه (٣) ، واحتذاء هؤلاء الشعراء بشعراء المشاركة ليس لمعجز الشعراء عن الابتكار ، وإن كانوا قد ابتكروا وجددوا ، وإنما هو لشعور الانتماء إلى الأصل ، والبرغبة في استمرار الارتباط به (٤) .

وقد تأثر الشعراء في إشبيلية بالشعر في العصر الجاهلي ، وبشاعره بأشعار امرئ القيس ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنترة ، . . . وقراءوا دواوين الشعراء في العصر الأموي ، وتأثروا بها ، والتفتوا بشكل واضح إلى الشعر في العصر العباسي ، حيث غرقوا من دواوين الشعراء الكثير من الألفاظ والمعاني ، وقد التفت ابن بسام في كتاب الذخيرة إلى قضية تأثر شعراء الأندلس بشعراء المشرق ، ورد كثيرا من أشعارهم إلى أصولها المشرقية .

وكان تأثر الشعراء في إشبيلية بشعراء المشرق وشعراء الأندلس بشكل جزئي ، وهذا النوع يغلب على أنواع التأثر الأخرى ، ولا شك أن ابن عمديس في قوله واصفا الفرس (٥) :

-
- (١) في أصول التوشيح ، الدكتور سيد غازي ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، ١٣٩٦هـ - ١٩٣٦م ص ٩٠ .
- (٢) الذخيرة ق ١ م ٢٠ .
- (٣) الفن ومذاقه في الشعر العربي ص ١٢٠ .
- (٤) الأدب العربي في الأندلس ص ١٦٤ .
- (٥) ديوان ابن عمديس ص ١٤٤ .

- كأن له في أدنيه مُقْلَةٌ يسرى
تقيده بالسبق الأوابد فوقه
متأثر بامرئ القيس في قوله (١) :
- وقد اغتدي والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد في كل
ويشبه بيت ابن زيدون (٢) :
- ويأنف من لين المهاد تروضاً
بصهوة طيار إلى الروح أجسداً
بيتي عنتر (٣) :
- تسمي وتصبح فوق ظهر حشيمة
وحشيتي سرج على عبل الشوى
وكأن ابن عمار في بيته (٤) :
- أعد نظراً لا توهن الرأي أنه
قد يما ناهاف وأدرك رائث
يلتفت إلى بيت الهذلي ويقلبه وهو (٥) :
- وإذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميم لا تنفج
وأما قوله (٦) :
- وماذا عسى الأعداء أن يترددوا
يسوى أن ذنبي واضح متصحح
فأنه يشبه قول المجنون (٧) :
- وماذا عسى الواشون أن يتحدوا
يسوى أن يقولوا إنني لك عاشق
وأما قوله (٨) :

- (١) ديوان امرئ القيس ، تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثالثة ، دار المصنف
بمصر ، ١٩٦٩ ، ص ١٩٩ ، شرح القصائد المشتركة ، ص ٥٥٥ .
- (٢) ديوان ابن زيدون ، ص ٤٧٧ .
- (٣) ديوان عنتر ، أشرف على تصحيحه إبراهيم الزين ، دار النجاح ودار الفكر ،
بيروت ، ص ٢٠٦ .
- (٤) ديوان ابن عمار ، ص ٢٨٥ .
- (٥) ديوان الهذليين ، ١ : ٣ .
- (٦) ديوان ابن عمار ، ص ٣١٩ .
- (٧) ديوان مجنون ليلى ، شرح عبد المتعال الصعدي ، مطبعة حجازي ، مصر ، ١٩٥٠ .
- (٨) ديوان ابن عمار ، ص ٢٦٣ .

أيهم فمندی من فراقك لوعسة يعزى إليها ثابت ويزيد

فإنه يشير إلى قول جميل بثينة (١) :

إذا قلت : ما بي بأثينة فإني من الحب قالت : ثابت وزيد

وعندما يقول ابن المصيصي (٢) :

فأوص إلى الخد أن يجتني وأوص إلى الرقي أن يرتشف

كذا تقتلون مشاهيرنا إذا مات هذا فأين الخلف

فانه يسلك مسلك جميل بن معمر في قوله (٣) :

وقلت لها : قتلت بغير حرم وغب الظلم مرتعة وبطل

وقول ابن حبيب في الخمر (٤) :

غنيت عنها فلست أقربها هناظر منه يسكر المسكر

شبهه بقول ذي الرمة (٥) :

وعينان قال الله كونا ففاننا فمولا بالالباب ما تفعل الخمر

وبلاحظ ان ابن عمار في قوله (٦) :

ستدكرني إن بان حالي وأصبحت تنن بكفك الحبال الرثايل

يشبه عدي بن زيد في قوله (٧) :

(١) ديوان جميل بثينة ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م ،

ص ١٥ .

(٢) الذخيرة ق ١م ٢ ص ٤٥١ .

(٣) ديوان جميل ص ٣٨ .

(٤) الذخيرة ق ١م ٢ ص ١٣٣ .

(٥) ديوان ذي الرمة ، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، تبحر الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، الجزء الأول ، مطبعة طربين ، دمشق ،

١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ص ٥٧٨ .

(٦) ديوان ابن عمار ص ٢٨٥ .

(٧) ديوان عدي بن زيد ، تحقيق وشرح محمد جبار المصبيد ، دار الجمهورية للطابع والنشر ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ٧٠ .

قد يدرك المبطل من حظ^٣هـ والخير قد يسبق جهد الحرير
والقطامي في قوله (١) :

قد يدرك المتأني بمفرح حاجته
أما بيت ابن المصيصي (٢) :

من كل ممثّل بالأس مخترط^٤ للزم مدّوع للزم مشتعل
فانه يشبه بيت أبي سعد المخزومي (٣) :

وما يريدون لولا الجبن من رجل
ويتأثر ابن وهبون في بيته (٤) :

وسواء أن تغلي اللهاظ من القذى أو تنتضي من شخصها الدوباء
يقول التهامي (٥) :

واستل من أترابه ولداته
ولكن عبد الجليل نفخ فيه روحا ، وسلك به مسلكا طليحا ، وولد له
إحسانا كما يقول ابن بسام (٦) .

وعين يقول عبد الجليل بن وهبون (٧) :

أكبرت نحي جلاله فتميت^٥هـ وهو الجليّة ماعليه غف^٦هـ
فانه يندار الى قول صريع الفواني (٨) :

أحقّ أنه أودى يزي^٧هـ تأمل أيها الناعي المشيد ؟
أندري من نعت وكيف فاهت^٨ يوسفك كان بها الصعيد ؟
ويشبه قول أبي حفص الهوزني (٩) :

(١) ديوان القطامي ، تح . الدكتور إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب ، الطبعة الأولى دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٢٥ ، تمام المتن ص ٥٦ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٣٩ .

(٣) زهر الآداب ١ : ٣٣ .

(٤) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٧٩ .

(٥) ديوان التهامي ، الطبعة الثانية ، منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ،

١٢٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ص ٥٣ .

(٦) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٨٦ .

(٧) المصدر السابق ص ٤٨٤ .

(٨) ديوان صريع الفواني ، تحقيق سامي الدان ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٤٠ .

(٩) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٨٩٠ .

- بدء صفق الأرض نشرًا وطلس - وريح ثم غيم أبلى
- قول الفرزدق (١) :
- قوارص تأتيني ويعتقرونها - وقد يملا القطر إلا ناء فيفهم
- وقول نصر بن سيار (٢) :
- فإنَّ النَّارَ بالمودين تذكِّي - وإنَّ الحرَّ بأولها الكسالم
- وقد أثبت الشعراء على ديوان المتنبي وأفادوا منه كثيرا ، فالمعتمد في قوله (٣) :
- ولكنَّها الأثام تردِّي بلاظ - وتصمي بلا نبل وترمي بلا يسد
- يستعين بقول المتنبي (٤) :
- وما الموت إلا سارق دقَّ شخصه - يصول بلا كفٍ ويسمى بلا رجل
- وأما بيت ابن زيدون (٥) :
- وما ولحي بالتراح إلا توه - لظلم به كالراح لو يترشسف
- فإنه قلب لقول المتنبي (٦) :
- وما شرقي بالماء إلا تذكرا - لما برأه ل المريب نزل
- ويشبهه بين عبد الجليل (٧) :

- (١) حماسة البحري ، ضبطه وعلق عليه كمال مصطفى ، الطبعة الأولى ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٩٢٩م ، ص ٢٠٧ .
- (٢) مروج الذهب ، المسمودي ، عني بنشره باربييه دمينار ، وباوه دكورتل ، الجزء السادس ، الطبعة الثانية ، طهران ، ١٩٧٠م ، ص ٦٢ ، فصل المقال ، البكر ، تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين والدكتور احسان عباس ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأولى ، ١٩٥٨م ، ص ١٩٤ .
- (٣) ديوان المعتمد ، ص ٧ .
- (٤) ديوان المتنبي ٣ : ٤٨ .
- (٥) ديوان ابن زيدون ، ص ٤٨٥ .
- (٦) ديوان المتنبي ٣ : ٩٧ .
- (٧) الخريدة ٢ : ١٠٠ .

سيمهدُ بمدِّها الظلما لَمَّا
أُبيحَ له بجانبها اكتسام
بيت المتنبي (١) :

وكم لظلام الليل عندك من يدي
تخبر أن المانوية تكذبُ

وكان عبد الجليل بن وهبون في قوله صفاطها الفونسو (٢) :

ستسألك النساءُ ولا رجس
فغير ما وراءك يا عمام

ينظر إلى قول أبي فراس الحمداني في سيف الدولة (٣) :

تدور به إماءُ بني قريظ
وتسأله النساءُ عن الرجال

وحين يقول أبو العرب المصلي (٤) :

ويا وطني إن بنت عني فإني
سأولن أكواري العتاق النجائب

إذا كان أضي من تراي فكلها
بلادي وكل الناس أغاربي

فلننظر إلى قول ابن المعتز حين يقول (٥) :

إذا كنت ذا ثروة من غني
فأنت المسود في العالَم

وحسبك من نسب صورة
تخبر أنك صون آدم

كذلك فان معنى بيتي ابن حمد يس (٦) :

ولما رحلت بالندى في أفككم
وثقلت رضى منكم وشير

رغمت لساني بالقيام قد دنت
ألا فانظروا هذي الجبال تسمير

مأخوذ من قول بيتي ابن المعتز في رثاء الوزير أبي القاسم عبيد الله بن سليمان

ابن وهب (٧) :

(١) ديوان المتنبي ١ : ١٧٨ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٢٤٦ .

(٣) ديوان أبي فراس ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م
ص ٢٢٨ .

(٤) الخريدة ٢ : ٢٢٣ .

(٥) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١ م
ص ٤١٤ .

(٦) ديوان ابن حمد يس ص ٢٦٩ .

(٧) ديوان ابن المعتز ص ٣٨٩ .

ونادت الأيامُ أين الرجال ؟
قوموا انظروا كيف تسير الجبال

قد استوى الناسُ ومات الكمال
هذا أبو القاسم في نمشيه

وقول ابن عمار (١) :

فكله إلى سعدك الذابح

ومن يمتزك بأوداجيه

يشبه قول البحري (٢) :

سعد ولكن أنت سعد الذابح

يا صاحب الوزر ! إنك عندهم

أما قوله (٣) :

ب لما كملت لذة الناكح

فلولا امتناع الفتاة الكما

فإنه يلتفت فيه إلى قول كشاجم (٤) :

فتطارد لي بالوصال قليلا

لولا أطراؤ الصيد لم تك لذة

وتشبه النهر عند شمرا* وإشبيلية بالشعبان أو العباب سبقهم إليه كشاجم

حين قال (٥) :

من سيره وتـ...أؤد

والنهر بين اعتسادل

ثم استوى وتمـ...د

كأفموان تلـ...وى

يداف فيه بمسجد

حسبت أن لجيننا

ولعل ابن حمد يس في استعماله 'المرمح والترس' في قوله (٦) :

(١) ديوان ابن عمار ص ٢٢٥ .

(٢) ديوان البحري ، تح . حسن كامل الصيرفي ، المجلد الأول ، دار المعارف ،

مصر ، ١٩٦٣ ، ص ٤٦٢ .

(٣) ديوان ابن عمار ص ٢٢٦ .

(٤) ديوان كشاجم ، تح . خيريه محمد محفوظ ، مطبعة دار الجمهورية ، بغداد

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ ، ص ٣٨٩ ، جمع الجواهر ، إبراهيم بن علي المصري ، نشره

محمد أمين الخانجي ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٦٥ .

(٥) ديوان كشاجم ص ١٧٨ .

(٦) ديوان ابن حمد يس ص ١٨٥ .

- فانه يشبه قول اشجع السلمي (١) :
فأصبح في لحد من الأرض ميتا وكانت له حيا تنفيق الصعاصح
ويشبه قول ابن زيدون (٢) :
ولا قبل عبا يحوى البحر مجلس ولا حمل الطوة المظم رفرف
وقول ابن دراج (٣) :
وكيف استوى بالبحر والبدر مجلس؟ وقام بمعبى الراسيات سريسر
وأخيرا فان قوله (٤) :
ينهى جفاوهك عن زيارتي الكرى كيلا يزور غيالكم المعتاد
يشبه قول ابن هاني (٥) :
منعوك من سنة الكرى وسروا فلو عشروا بطيف طارق ظنوك
ومثلا تأثر الشمران في إشبيلية بالشمران الآخر من جزئيا فقد
تأثروا بهم منهجيا ، فعين قال ابن حمد يسر في قصيدته الميمية التي مدح
فيها الممتمد (٦) :
خلعت على بنيات الكرى روم محاسن ما أخذ من علي الرسيم
أخذت بمذهب الحكمي فيها وكيف أميل عن غرض الحكسيم
فقد تأثر بطريقة أبي نواس التي دعا إليها حين قال (٧) :

-
- (١) الحماسية رقم ٢٨٠ (شرح المرزوقي) ، زهر الآداب ٢ : ٧٩٤ .
(٢) ديوان ابن زيدون ص ٤٨٦ .
(٣) ديوان ابن دراج ، تح . الدكتور محمد علي مكي ، الطبعة الأولى ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م ص ٣٠٢ .
(٤) ديوان ابن زيدون ص ٤٤٩ .
(٥) شرح ديوان ابن هاني ، صححه وشرحه الدكتور زاهد علي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ ، ص ٥٣١ .
(٦) ديوان ابن حمد يسر ص ٤٣٥ .
(٧) ديوان أبي نواس ، تح ، أحمد عبد المجيد الفزالي ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٥٧ .

صفة الطَّلُول بلاغة القَدَم
كذلك تآثر بالصنوبري في قوله (١) :

لا تبكين على الأطلال والدَّمن ولا على منزلٍ أقوى من الزَّمن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية تلغي الهموم ولا تبقي من الحزن
ولم يكن إشرارك الطبيعة عند الشعراء في إشبيلية في المدح وفي
غيره من أفراض الشعر شيئاً جديداً ، فقبلهم قال أبو تمام ما دحسنا
المعتصم (٢) :

رقت هواشي الدهر فهي ترمم وغدا الثرى في حل يدريتكسر
ويشرك الواواء الدمشقي الطبيعة في قصيدته البائية التي يمدح فيها سيف
الدولة التي مطلعها (٣) :

أمنى الهوى غالتك أيدي النوائب فأصبحت مغنى للضياء والجفائب
ويبدأ الصنوبري قصيدته السينية في مدح المظفر بن ذكوان بقوله (٤) :

خوط بانٍ يميء أم غصن آس أنزته أوداهه بالدَّاس
ولكن يلاحظ أن الشعراء في إشبيلية قد آمنوا في لجوئهم إلى الطبيعة
وأكثرها من إداخلها في كل موضوع من موضوعات الشعر .

ولا يكتفي الشعراء في إشبيلية بالتأثر الجزئي أو المنهجي بالشعراء
الأخرين ، ولكنهم قد يضمنون تصائدهم أو مقطوعاتهم النثرية ، بيتاً من الشعر
أو شطراً لشاعر آخر ، وقد يكون التضمن أكثر من بيت ، فها هو أبو حفص الهويزي
يضمن رسالته النثرية الشعرية إلى المعتضد بيتين لزهير بن أبي سلى هما (٥) :

وما يك من خير أنوه فلتمسأ توارثهم آباء آباءهم قهسسل
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتفرس إلا في منابتها النغسل

(١) ديوان الصنوبري ، تح . الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ،

١٩٧٠م ، ص ٢٩٦ .

(٢) ديوان أبي تمام ٢ : ٧٤ .

(٣) ديوان الواواء الدمشقي ، تح . سامي الدهان ، المطبعة الهاشمية ،

دمشق ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، ص ١٦ .

(٤) ديوان الصنوبري ص ١٥٦ .

(٥) ديوان زهير ، تح . كرم البستاني دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .

١٩٦٠م ، ص ٦٣ .

ويضمنها بيتا آخر من الحماسات حين يقول (١) :

غير ما نابنا مصـ————ل جلّ حتّى دقّ فيه الأجلّ

ويضمن ابن زيدون قصيدته النونية في الحنين بينا للمتنبّي ٥ و (٢) :

هم التملّل ؟ لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكران

ويضمن ابن المصيصي بيتا من أبيات قصيدته الميمية شطرا لأبي تمام
حين يقول (٣) :

إذا غبت عن أرضٍ تمثّل أهـلها عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلّما

وبيت أبي تمام هو (٤) :

عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلّما وأن تمتب الأيام فيهم فرّما

وأخيرا يقول ابن وهبون (٥) :

جاريتم الدهر في مضمار حلتبها جرياً سواء إلى أقصى من الأمد

لكن تميتها قدماً وقد شهـدت " يادار مية بالملياء فالسنسد "

فهو يضمن البيت الثاني شطرا كاملاً من معلقة النابغة الذبياني
التي مطلعها (٦) :

يادار مية بالملياء فالسنسد أقوت ودلال عليها سالف الأهد

وتأثر شعرا ٥ إشبيلية في القرن الخامس الهجري بالقرآن والحديث
النبوي ، ومن أمثلة تأثرهم بالقرآن ما يبدو في قول الحمصري (٧) :

(١) الحماسة رقم ٢٧٣ (شرح المزوقي) .

(٢) ديوان المتنبّي ٤ : ٢٣٣ .

(٣) الذخيرة ق ١٢ ص ٤٣٥ .

(٤) ديوان أبي تمام ٣ : ٢٣٢ .

(٥) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٥٠٢ .

(٦) ديوان النابغة ، تح . كرم البستاني ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ،

٥١٣٧٩ - ١٩٦٠ م ، ص ٣٠ .

(٧) الخريدة ٢ : ١٨٦ .

محبب كالمتنبي
وان هذا يحيى
وهو لا يحسن شيئا
أوتي العلم صبيا
حيث ينظر الى قوله تعالى : " وآتيناه الحكم صبيا (١) .

وقول ابن زيدون (٢) :

قرين له أفواه حتى إذا هوى
تجرايمت البراءة أرشدا
مستوحى من الآية الكريمة : " ان قال للانسان اكفر ، فلما كفر قال اني
برى " منك اني أخاف الله رب العالمين " (٣) .

وأما بيت الهوزني (٤) :

يقود امرءا طبع إلى علم شكله
فلانه مستوحى من الحديث الشريف : " الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها
اختلف ، وما تناكر منها اختلف (٥) .

واخيرا نجد الشعراء يضمنون أبياتهم بعض الأمثال ، فقول ابن
عمار (٦) :

وما كان أنصفهم لو رموا
زنان الوغى لير القادح
يشبه المثل : (أعط القوس باريها) (٧) .

وقول ابن اللبابة (٨) :

آن الطلوع فلم يابدر بالجواريد وعد بشارقة يافير فالعود أحمد

(١) سورة مريم آية ١٢ .

(٢) ديوان ابن زيدون ص ٤٧٤ .

(٣) سورة الحشر آية ١٦ .

(٤) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٩٣ .

(٥) صحيح مسلم ٤ : ٢٠٣١ .

(٦) ديوان ابن عمار ص ٢٢٥ .

(٧) مجمع الأمثال : ٦٤٢ .

(٨) جيش التوشيح ص ٧٢ .

فيه تضمن للمثل المشهور " المود أحمد (١) ؛

وهكذا يلاحظ أن الشِّعْرَاء في إشبيلية في القرن الخامس الهجري قد تأثروا بالشعراء في المشرق وبخاصة شعراء العصر المباسي ، كذلك تأثروا بشعراء الأندلس ، وبالقُرآن ، والحديث ، والأمثال القديسة ، وهذا التأثر قد يكون في الألفاظ أو المعاني أو الصور أو المقدمات ، واتضح هذا بشكل جلي في الأمثلة المتقدمة . وقد حاولت إعطاء أمثلة قليلة على هذه الناحية ، حيث توجد عشرات الأمثلة الأخرى التي لا يتسع المجال لذكرها ، فمن أراد الاستزادة فليراجع بعض الكتب التي أشارت إلى ذلك وبخاصة كتاب الذخيرة ، والخريدة ، والمطهر ، وغيرها من أشعار الشعراء في إشبيلية ، ومقارنتها بالشعر في المشوق والأندلس .

ابن الحصن

هو أبو الحسن علي بن غالب (١) المعروف بابن حصن (٢) وقد كان من أهل شبيلية ، وهو أديب بليغ وشاعر محسن (٣) بعمله المعتضد كاتباً له (٤) ثم وزيراً (٥) .

وجل شعر ابن حصن في مدح المعتضد وابنه اسماعيل ، وله عدة مقالومات غزلية تميل إلى المجون ، وبعض المقطوعات في وصف الخمر والدعوة لشربها . وكان إسراف ابن حصن في المجون جعل الناس يعرضون عنه ولا يهتمون بشعره ، فغضب ابن بسام على ذلك بقوله :
 " وأني لأعجب من قوم من أهل أقمنا لم يعرفوه ، ولم ينصفوه ، فأعرضوا
 عن ذكره ، وزهدوا في إعلان شعره ، ولعلهم حاسبوه بخزعيلات كان
 يعبث بها بين مبعونه وسكره " (٦) .

وفي قصائده المجونية يميل إلى اختيار الوزن القصير ، والتلفعات المتلاحقة ، والكلمات السهلة كقوليه (٧) :

ومدامي خند ربيــــــــــــس	لم يشبهها ماء مــــــــــــســــــــــــن
لو تراني قلت هــــــــــــذا	كذلك ماذا ابن حــــــــــــصــــــــــــن
ومعي مسيعة تشــــــــــــب	رب كأساً وتفــــــــــــســــــــــــني
وانذا مد شربت كــــــــــــأ	سأ من الراح سقتــــــــــــني
قهوتي خمر وعــــــــــــين	بهما قد أسكرتــــــــــــني
قلت للمناج خذ صــــــــــــا	فبها منيها ومــــــــــــســــــــــــني

(١) انظر عن ابن حصن : الجدوة ص ٣١٥ ، بغية الملتصص ص ٥٢١ ،
 الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٥٨ - ١٨٦ ، المضرب ١ : ٢٤٥ - ٢٤٧ ، الرايات
 ص ٣٩ ، بدائع البدائع ص ٣٦٧ ، النفح ٣ : ٦٦ ، ٤٢٩ .

(٢) الجدوة ص ٣١٥ ، بغية الملتصص ص ٥٢١ .

(٣) بغية الملتصص ص ٥٢١ .

(٤) الرايات ص ٣٩ .

(٥) المضرب ١ : ٢٤٧ .

(٦) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٥٩ .

(٧) المصدر السابق ص ١٦٢ - ١٦٣ .

فاسقنيها بكبير
فلقد شاق فـ وادى
فان أعيا فـ سـ دى
رثة المويـ السـ رن
فتساقينا السى كن
جاز جؤز الليل عني
قمت نشواينـ وقلـ صيت
في تهاينـ وتشـ في . .

وهذا التطرف في المجون يلاحظ في خمرياته ، فيها ، ويدعو غلامه
بل أن يسقيه الخمر ، ويشاركه في شربها قائلا (١) :

قم يا غلام فسقنيها واطـ سـ رب
من قهوة صفراء ذات أسـ رة
واشرب عتبت عليك إن لم تشرب
في الكأس تأتلق اشتلاق الكوكب
غضبت بنان مدبرها بشماصها
فقل المرارة في شفاء الربرب

وقد اشتهر بمدققة وصفة وحسن صياغته ، وأهم ما يميز أسلوبه
في خمرياته وفزليته كثرة المحسنات البدعية ، وسهولة ألفاظه ،
فيها هو يشكو وجد غلام ، ويتألم بعد ، ويصف محاسنه بقوله (٢) :

أمت اليه فما يسـ صـ ف
غزال كحيل له ريقـ صـ دة
وأشكو جفاة فما ينـ صـ ف
مشاب بها المسك والقرقف
كأن الحذار على خـ صـ دة
نجائب ومقلته مرهـ صـ ف

وأما مدائحه فأنها تمتاز بقوة ألفاظها وجزالتها ، ومثانة تراكيبها
وعق ممانيتها ، وطول بحورها ، ومقدماتها البدوية التي تفرق فـ في
المدح في كثير من الأحيان ، ففي مقدمة قصيدته الفائية التي مدح فيها
المعتضد أخذ من الحديث عن الاطلال والأحبة والرحلة ، فيها ، ويهجر
ن يار محبوبته بالرغم من حبه العميق لها ، ويسير في الفيا في من أجـ ل
الموصول إلى المعتضد ، تاركا وراءه الماء البارد والظل الوارف ، ويقف
في هذه المقدمة عند السيف ليصفه وصفا دقيقا وكأنه يتفزل به ، فهو

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٦١ ، المغرب ١ : ٢٤٦ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٦٤ .

حاد بنار، أبيض لامع، دقيق وكأنه الحسان أعزته خصوره من موهنتي
مقبضه جميل بسر الرائي، لأنه مصنوع من الذهب (١) :

وهجر بجناب البلاد تنافوا	جفا الأبردين الماء والظل وأرفوا
مربع أوقوت بعد هم ومصايفها	معنى بأحباب يسائل عنهم
واتن ترميها الحمام واتفا	ثنى ذكره المثنى مفائل ممسدة
لفائف واجناب البلاد نفا	أسى بالتي من أجلها اقتحم القنا
ورود كمي لا يهاب المتالف	محش وفوق ورائد ما حمت القنا
طرافاً ومسروود الحديد مطارفا	تبوا أفياء القنا وكفى بهما
إلى الشرف العادي يحدو المشارفا	وأبيض متهو لم تجده إذا انتمى
عليه جفوني موج ومعني دارفا	أعارت أنفاسي التهاها ورقركت
دماج خصوره واثلاق سوالفا	وراق المذارى حسنه فأعزته
سواكاً بأفواه الكواعب لارفا	تغال مذاب التبر فوق لجنييه

ويحد ذلك يبدأ بالاستسقاء للأطلال، وتذكر محبوبته، ووصف تعلقها
به وتعلقه بها، والحديث عن ذكرياتهما السعيدة بقوله (٢) :

لدى الهز برقاً من حذافيه خالفا	يذكرني البرق اليماني إذا انتحى
إذا أسد ف الليل استهلست سدائفا	على عاتقي نهران منه فقامت
وأهاتنا بالجن عنه السوالفا	سقى عهداً بالخيف غاي ورائح
جنى الوصل حلوا الطمهم والميشر غاضفا	فكم ليل نازعت كف المني بهما
وفاء وأستصحي الدموع الدوارفا	معاهد استضقي لها أنجع الحيا
عرفت صبوراً في الملأت عارفا	تحملني ما لا أطيق وطولها
على عطفيك المضي برؤفك عاطفا	بما بيننا ما بال قلبك لا يوسرى
رواد ف يتركن الجبال رواجفا	رويدك بالفصن الخضير فأنها

وفكّبي أسيراً من ثقافك إنــــها مضارب الحاظ بتهزن الما تقصا
إذا جئن ليل مدأ وترتم طائــــر حسبت به طيفاً من الجن طائفا
طوى نحاك الأجزاء يرعي خلالها صفائف والأجزاء تندي صفا صفا

وفي هذه المقدمة لا ينسى أن يتحدث عن الرحلة ، والصعوبات التي واجهها قبل وصوله إلى المقصد ، فقد استبدل النعيم الذي كان فيه بالشقاء الذي يواجهه في هذه الصحراء ، ورائحة السموم الذكية بالرياح الشديدة ، وصوت القيان بصوت الحيوانات البرية ، كل ذلك من أجل الوصول إلى المدوح (١) :

تبدل من ريج القرنفل بالضحى ذواري من أرواحها وذوارفا
ومن قدن غنمته شد وأقبانــــه ثقاتل من الحانها وخفاففا
وبالزمل مرتجاً وبالمان مائــــاً روادف يملأن الملا ومعاطففا
وبالنفس النفاح من نحو أرضهم غوالي يلقسمن الرياح غوالفا
وبالأمير الطقي باطرافه على أبي عمرو الأعلى تليداً وطارفا

وكان ابن حصن يذكر هذه المقدمة من أجل أن أرّحبه المدوح ، وجلب رضاه ، وكسب الأموال الكثيرة ، ومن أجل إثبات قوته اللغوية ، ومهارته الشعرية ، فهذه المقدمة مفرقة في البداوة في معانيها وألفاظها وتراكيبها ، وهي تدل على قوة شاعرية ابن حصن ، وعمق ثقافته ، وامتلاكه ناصية اللغة ، وزمام الشعر .

وبعد هذه المقدمة الطويلة ، بدأ بمدح المقصد ، حيث أسبغ عليه شخصية مثالية تكاد تنحصر في خمس صفات : شجاعة قل من قلده ١٦ وكرم قل نظيره ، ومكانة عالية ، ومجد رفيع ، ومحافظة على الدين ، وما بلغت الانتباه براعة ابن حصن في التعبير عن نفس الأفكار بطرق مختلفة وأشكال متباينة (٢) :

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٦ - ١٧٧ .

فتى ترى الأملاك سدة بابها
كما ترى الماء الحمام عوائفها
تخالهم من كل شرف وصفه
طوائف بالبيت المتيق طوائفها
يوثمون بحرأ يترك البحر جوده
غريقاً وبدرا يترك البدر غاسفها
مكارم تنبي حد ذهني وتفتدي
مصايح فكري في دجاءها توالفها
نماة إلى العليا كل مدح
يراح إلى المصروف جذلان عارفها
إذا ما انتضوا بيض السيوف حسبتهم
شموس ضحى تبدي بروقاً خواطفا
يهزون بالسمر اللدان أشاجعها
عوارى بالطعن التوام عوارفها
ترى البشر منهم في صغائف أوجوه
قرأنا عليها للنجاح صغائفها
يصنون أحساباً كراماً وأوجهها
حساناً وأحلاماً حصاناً صغائفها
تلا في هضم المجد فاخضر عوده
ولولا تلافيه لأصبح تالفها
إذا جمدت كف الكرام عن الندى
وغلفها مر السنين جلائفها
وجدت أبا عمرو على كل حالبة
جواداً بما يحويه سمحاً ملائفها
وأصحت للدنيا وللدين كائناً
وللمجد والعليا وللملك كائناً

وقد خصص ابن حصن بقية أبيات القصيدة لاستدراك عطس
المحتضد ، واستجدائه ، وكسب نواله ورضاه ، حيث يبين بوضوح أنسه
أنما يمدح ليحصل على الأموال ، فيقول مقارناً بين حالته في السابق
وعالته عند المحتضد وواصفاً قصيدته (١) :

رمتني صروف الدهر خيفاً عيونها
فأضنتني منهن ما كنت خائفها
وأصلحت أحوالي وكن فواسدا
وأحييت آمالي وكن توالفها
وأوردتني صداة تلك سلسلا
وأرعبتني سعدان برك وارفا
وأرضت أطماعي وكن خشاشا
وجدت آمالي وكن خشائفها

ولن أحكمُ نظم جواهرٍ وألقاك منها بالتفيس متاحفا
لطي سبيلك المسجد المحض منك في يدي صير في يترك الصيارفا
وأشيدك السحر الحلال مخاطراً كمن قلد للميت المصيح موافقا
وأجنحك من شكري هورٍ مضاعف وودي فتعطيني المظاة مضاعفا
وتمنحني بدة الكرم وتارة تجازي ما طرائي فتعطيني مجازفا

وأخيراً لا بد من القول بأن شاعرية ابن حصن لا تقل عن شاعرية ابن زيدون ، وهذا كان سبباً في تنافس الشاعرين في بلاط المعتضد ، فعندما جاء ابن زيدون إلى بلاط المعتضد ، وجد ابن حصن أمامه ، وأدرك قوة شاعريته ، وجزالة نظمه ، ورأى ابن حصن في ابن زيدون منافساً خطيراً له عند المعتضد ، وكأنه قسم يحسن التصرف ولم يعرف الطريقة التي يتخلص بواسطتها من شاعر المعتضد الجديد ، فكان يمرض ابن زيدون كثيراً ، فها هو يريد من المعتضد الحكم على شعره وشعر ابن زيدون ، ولكنه يسهل في الأمر في الحكم ، فيرى أن ابن زيدون يعتمد في ترويح شعره على جودة الألفاظ ، وحسن الانشاد ، فيقول (١) :

وينكك عنها شاعرُ مصرٍ كـ ألا فاضحك من شاعر مصر واسخر
ودونك فاحكم بين نظمي ونظمه بذهن ذكي ثم قدّم وأختر
ولست بكاسيها مدى الدهر حلةً بنغمٍ انشائي ولا بمكرٍ
وما أنت ممن يعمد السيفَ عنده بجودة صقلٍ وهو غير مذكّر

وقد عرف ابن زيدون كيف يتصرف ، فقد كان في ابن حصن طيش أدى إلى موته ، حيث أن ابن زيدون لم يزل يسمى في حقه بمكسر حتى فتك به المعتضد (٢) .

(١) الذخيرة ق ١٢ ص ١٧٣ .

(٢) المغرب ١ : ٢٤٧ .

محمد بن عمار *

هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار المهري الأندلسي الشلبي (١) أصله من قرية شلب تعرف بشنبوس (٢) ، ولد سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة (٣) ، وكان ذكياً (٤) ، خاض البيت (٥) ، وقد ورد مدينة شلب طفلاً ، فنشأ بها ، وتعلم الأدب على جماعة منهم : أبو الحجاج يوسف بن عيسى الأعلم (٦) وكان ينتجع بشمره ، ويطوف على ملوك الطوائف (٧) ، وحين جاء إلى إشبيلية ومدح المعتضد بقصيدته التي مطلعها (٨) :

أدري الزجاجة فالنسيم قد انـ...
ضمه المعتضد إلى ديوان الشعراء (٩) حيث ارتفع شأنه عند المعتضد في ذلك الوقت ، فعندما ولي المعتضد مدينة شلب من قبل أبيه...
هـ .

* عن ابن عمار : حياته وشمره انظر : الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٣٦٨-٤٣٣ ،

الحلقة السيرة ٢ : ١٣١-١٦٥ ، الثلاث ص ٨٣-٩٨ ، المغرب ١ : ٣٨٩-٣٩١

الرايات ص ٥٥-٥٧ ، الخريدة ٢ : ٨١-٨٣ ، وفيات الأعيان ٤ : ٤٢٥-٤٢٦ ،

أعمال الإعلام ص ١٥٩-١٦٢ ، المعجب ص ١٦٩-١٨٩ ، النفج ١ : ٦٥٢-٥٦

شذرات الذهب ٣ : ٣٥٦-٣٥٧ هـ الذب ٣ : ٢٨٨ ، الوافي بالوفيات

٤ : ٢٢٩-٢٣٤ ، وهناك دراستان عن ابن عمار أحدهما للدكتور

صلاح خاليس ، محمد بن عمار ص ١٩ - ١٧١ ، والثانية لثروت أباطة ، محمد بن

عمار .

(١) المغرب ١ : ٣٨٩ ، المعجب ص ١٦٩ ، وفيات الأعيان ٤ : ٤٢٥ .

(٢) الحلقة السيرة ٢ : ١٣١ ، المعجب ٣ : ١٧٢ .

(٣) وفيات الأعيان ٤ : ٤٢٥ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٥٢ ، الوافي بالوفيات ٤ : ٢٢٩ .

(٤) بغية المتوسر ص ١١٣ .

(٥) المعجب ص ١٧٢ .

(٦) المصدر السابق ص ١٧٢-١٧٣

(٧) الحلقة السيرة ٢ : ١٣١

(٨) ديوان ابن عمار ص ١٨٩ .

(٩) المعجب ص ١٧٦ .

استوزر ابن عمار في تلك الولاية ، ولكن السمعة ساءت بهنهما ، مما حدا بالمعتد أن ينفي ابن عمار عن شلب (١) ، وما أن توفي المعتد حتى تذكر المعتد صديقه القديم ابن عمار ، فاستدعاه من منفاه وولاه مدينة شلب وأعمالها (٢) ، ثم عزله عنها وجعله وزيرا له (٣) ، وقد اشتهر أمر ابن عمار في هذه الاثناء ، حتى قال عنه الفونسو : بأنه رجس الجزيرة (٤) .

وكان المعتد يستريح إلى ابن عمار ، ويحاسبه ، ويقره منه ، فهاهو يستدعي ابن عمار - حين أدخل عليه يوما بعض فتياه بالكورة نرجس - بقله (٥) :

قد زارنا الترّجس الذكبي	وحان من يومنا العشيبي
ونحن في مجلس أنيسبي	وقد ظمئنا وشمــــــــــــــــم ريبي
ولي خلد غدا سبيبي	ياليته ساعد السمسبي

فأجابه ابن عمار (٦) :

لبيك لبيك من منــــــــــــــــار	له الندى الرحب والندبي
ها أنا بالباب عبد قــــــــــــــــين	قبلته وجهك السميني
شرقه والداه باســــــــــــــــم	شرفته أنت والنسبي

وقد هبّ ابن عمار للمعتد فرصة احتلال مرسية ، فوافق المعتد على ذلك ، ولكن الوزير فشل في احتلالها سنة احدى وسبعين وأربعمائة (٧) وهنا تنفتح شاعريته عن قصيدة تموج بالألم والشكوى يمتدّر فيها لأبيه عن الهزيمة التي لحقت بالجيوش ، مؤكدا له بأن سبب النكبة لم يكن ضعف الرأي أو قلة التفكير ، وإنما هي ظروف أقوى من رأيه وتفكيره (٨) :

(١) المجب ص ١٧٠ - ١٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٣ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٧٨ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٧٨ .

(٥) ديوان المعتد ص ٦٤ .

(٦) ديوان ابن عمار ص ٢٣٤ .

(٧) الحلة السيرة ٢ : ١٢٠ - ١٢٢ .

(٨) ديوان ابن عمار ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

أَرْكَبُ قَصْدِي أَمْ أَعُوجُ مَعَ الرِّكَبِ فَقَدْ صَرْتُ مِنْ أَمْرِي عَلَى مَرْكَبٍ صَعْبٍ ؟
وَأَصْبَحْتُ لَا أَدْرِي أَفِي الْبُحْرِ رَاحَتِي فَأَجْمَلُهُ حَظِّي أَمْ الْخَيْرُ فِي الْقُرْبِ
عَلَى أَنِّي أَدْرِي بِأَنَّكَ مَوْثِقٌ رُزْ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا يَزْهَرُ مِنْ كَرَمِي
عَنَانِيكَ فِيمَنْ أَنْتَ شَاهِدٌ جِدَّةً وَلَيْسَ لَهُ حَاشَا أَنْتَ صَاحِبُكَ مِنْ حَسَبِ
مَاجِئْتُ شَيْئًا فِيهِ بَهْجِي لَطَالِبُ يَضَافُ بِهِ رَأْيِي إِلَى الضُّعْفِ وَالْخَبِ
سِوَى أَنِّي أَسْلَمْتُ لِمُطْمَئِنِّةٍ فَلَلَّتْ بِهَا حَدِّي وَكَثُرَتْ مِنْ غَرَمِي
أَمَّا إِنَّهُ لَوْلَا عَوَارِفُكَ الْبَهِتِي جَرَتْ فِيَّ جَرِّي الْمَاءُ فِي الْفَصَنِ الرُّطْبِ
لَمَا سُمْتُ نَفْسِي مَا أَسُومُ مِنَ الْأُذَى وَلَا ظَلْتُ إِلَّا الدُّثْبَ فِيهَا جَرَى ذَنْبِي
سَأَسْتَمْنَحُ الرَّحْمَى لَدَيْكَ ضَرَاعَةً وَأَسْأَلُ سُقْيَا مِنْ تَجَاوُزِكَ الصَّدْبِ
وَأَنْ نَفْعَتْنِي مِنْ سَمَائِكَ حَرَجُفٌ سَأَهْتَفُ بِأَيِّدِ النَّسِيمِ عَلَى قَلْبِي !

فأجابه المعتمد بقصيدة تحمل في ثناياها الحب الذي يكنه لوزيره ، والاغلام

الذي لا تشوبه شائبة ، فقال له مشجما ومواسيا (١) :

لَدَيْ لَكَ الْحُبِّي تَزَاجُ عَنِ الْمَتَبِ وَسَمِيكَ عِنْدِي لَا يَضَافُ إِلَى ذَنْبِ
وَأَهْزُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَيِّبَكَ وَحْشِيَّةٌ وَأَنْسُكَ مَا تَدْرِيهِ فِيكَ مِنَ الْحَبِ
فَدَعْ عَنْكَ سَوْءَ الظَّنِّ وَتَقَبَّدْ إِلَى غَيْرِهِ فَهُوَ الْمَكْنُ فِي الْقَلْبِ
قَرِيضُكَ قَدْ أَبْدَى تَوَحُّشَ جَانِبِ فَرَاخِمْتُ تَأْنِيْسًا وَعَلَمُكَ بِي حَسْبِي
تَكَلَّفْتَهُ أَهْنِي بِهِ لَكَ سَلْسُوَّةٌ وَكَيْفَ يَمَانِي الشَّمْعَ مَشَرَّكَ اللَّذِ

وبدلا من الاغلام للمعتمد ، كشف ابن عمار عن وجهه قناع الحسد والخيرة ، حيث كان يريد إمارة وملكا ، فعندما توجه إلى مرسية في المرة الثانية ، وانتزعها من يد أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر ، استقل بها ، وأخذ يهجر المعتمد (٢) . وقد استطاع ابن رشيق (٣) بعد فترة احتلال

(١) ديوان المعتمد ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) انظر : المعجب ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٣) عبد الله بن رشيق تائد الجند مع ابن عمار في حملته على مرسية .

(المعجب تمليق رقم ١ ص ١٨٢) .

مرسية ، وخلق ابن عمار ، حيث رث الأعمور إلى حصن شقرة * (١) فقبض عليه ابن مبارك صاحب الحصن بعد فترة من وجوده عنده ، وسلمه للمعتد مقابل مبلغ من المال (٢) وكان أسره بشقرة لست بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربعمائة (٣) .

وفي السجن تفتّح قريحته عن عدد من قصائد الاعتذار والاستعطاف التي وجهها إلى المعتد وأبنائه فابن عمار الذي اعتز بنفسه في بداية القطيعة بينه وبين المعتد قائلا (٤) :

ستذكرني إن بان حيلي وأصحت
تثن بكفك العبال الرثاء
وتطلبني إن غاب للرأي حاضر
وقد غاب ضعي للخاطر باعست
أعود بمهد نطته بلحان تهرى
تحلّ مراة الماقدات النوافس

أخذ يتدلّ للمامون بن المعتد ويتشفّع به بقوله (٥) :

هلا سألت شفاعّة المأمون
أو قلت مافي نفسه بكفيني ؟
ماضٍ لو نهته بتهميـة
يسري النسيم بها على دارين
بيدي من المأمون أوثق عصمة
لو أنّ أمري في يد المأمون
أمري إلى مولى إليه أمـره
وكفاه من فوق كفاه و ن و ن
يافتح جرد ها عناية فـارس
بطل على حرب الولي آمين
وأثرت شجاعتك الكريمة عنده
بتواضع عن عزّة لا مـون

هذه بعض قصائد ابن عمار التي تلقى ضوءاً على شيء من حياته السياسية ، منذ اتصاله بالمعتد حتى تكيله بالقيود في سجن المعتد ، التي يلاحظ من خلالها ، عمق ثقافة ابن عمار ، وقوة عارضته ، وحسن تمايزه ، وصدق عاطفته .

* شقرة : مدينة من أعمال جيان بالاندلس ، شمالي مرسية . (معجم البلدان - شقرة الروض المطار ص ٣٤٦) .

- (١) المعجب ص ١٨٢
- (٢) انظر: المعجب ص ١٨٢-١٨٣ .
- (٣) الحلة السيرة ٢ : ١٥٨ .
- (٤) ديوان ابن عمار ص ٢٨٥ .
- (٥) ديوان ابن عمار ص ٣١٣-٣٣٤ .

لقد كان ابن عمار من أشهر الشعراء الذين انتجهم القرن الخامس الهجري ، فقد طرق كثيرا من الموضوعات والأغراض الشعرية ، كالمدح والاعتذار والاستعطاف ، والفزل ، والوصف ، والفخر ، والهجاء ، وبلا هذا أن قصائد الشاعر ومقطوعاته في الفزل يسيطر عليها عنصر التلكيف والزخرفة اللفظية ، فلا أثر فيها للشعور الصادق ، والاحساس العميق ، والتجربة الواقعية فيها ، ويتفزل قائلا (١) :

نفسى وإن عذبته تهمــــــــــــــــواك	ويهرأ طربج إلى لقيــــــــــــــــاك
عجبا لهذا الوصل أصبح بيننا	متعددا ومناي فيه مــــــــــــــــناك
ما بال قلبي حين رامك لم ينل	ولقد ترومك مقلتي فستراك
الله أعلم ما أزدو لحاجــــــــــــــــفي	ذاك المحل لغير أن ألقاك
ليت الرقيب إذا التقينا لم يكن	فأنال ربنا من لذيتك مــــــــــــــــاك
متزها في روض خدك شاربــــــــــــــــا	كأس الفتور تدبرها عينــــــــــــــــاك
حكيت الفصوص جمال قدك فانشئت	والفضل للمحكي لا للحاكي
لا تفرهي ياروضة مطــــــــــــــــورة	حتى أمد يدي إلى مــــــــــــــــناك

فالشاعر لم يجد أحسن من الطبيعة لاشراكها في مقطوعته الخزلية ، وتشبيهه محبوبته بها تارة ، وتشبيهها بمحبوبته تارة أخرى ، وكأن جمال محبوبته ، وجمال الطبيعة أصبحا إلفين لا يفتقان ، ومزيجين لا يمكن الفصل بينهما .

وقد أكثر ابن عمار من التفزل بالخلمان ، ووصف محاسنهم ، كقوله (٢) :

تحلقته جهولمي النجــــــــــــــــا	رحلو اللمي جوهري الثنايــــــــــــــــا
من النفر البيض جر الزمــــــــــــــــا	ن رفاق الحواشي كرام السجايــــــــــــــــا
ولا غرو أن تغرب الشارــــــــــــــــا	ت وتبقى محاسنها بالعشايــــــــــــــــا
ولا وصل إلا جمان الحديــــــــــــــــا	ث تساقطه من طهور المطايــــــــــــــــا

(١) ديوان ابن عمار ص ٢٤٢

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٤ .

ويصل ابن عمار في الوصف إلى المقلوبت، المرسى المنظر

بسرعة قوله تقوله في وصف أحد القصر في قرطبة (٢٦) :

كل قصر بعد الدمشق ————
منظر رائق وماء ————
فيه طابع الجنى وفاح المشم
وشى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليله والفجر عندي
عبر أشهب وسك أحـم

وابن عمار حسن الارتجال ، حاضر للبدئية ، فحين ركب الممتد
في بعض الأيام قاصداً الجامع ، والوزير ابن عمير يسيره ، فسمع
آذان المؤذن فقال الممتد :

هذا المؤذن قد بدأ بأذانه .

فقال ابن عمار : يرجو هذاك العفو من رحمانه

فقال الممتد :

طوبى له من شاعري محققية

فقال ابن عمار : وإن كان عقد ضميره كلسانه (٢)

ولا يطيل ابن عمار في مقدمات قصائده المديح التي يوجهها
لآل عماد كابن حمد بن مثلاً ، فقد يدخل في المدح دون مقدمات ، وقد
تكون مقدمة من دحته نسبياً أو وصفاً للخمر والطبيرة أو وصفاً لسلطانه ،
فهو لا يسير على منهج معين في بناء قصائده في المديح . ولا بد من
الإشارة بأن مقدمة قصيدة المديح عند ابن عمار ترتبط بالموضوع ارتباطاً
وشيخاً في أغلب الأحيان ، وبخاصة قصيدته الميمية التي كتبها إلى الممتد
حين نفاه الممتد إلى سرقسطة ، التي بدأها بالشكوى والاستعطاف ،
ووصف حالته السيئة وأولها (٣) :

(١) ديوان ابن عمار ص ٢٥٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٢ ، ديوان الممتد ص ٧٥-٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٠٩ .

عليّ والأما بكاء الغنائم — وفيّ وإلا مانح الحائس —
وأما قصيدته الرائية فهي من أحسن مدائحه في الممتضد ، حيث
بدأها بالدعوة لشرب الخمر في ظلال الطبيعة الجميلة ، فالنسيم
لطيف ، والروض يانع ، والجوّ مليّ بهارحة الزهر ، وكأن ابن عمار يبين بأن
هذا الجمال ، وهذا الحسن رمز لعصر الممتضد ، فيقول (١) :

أدبر الرجاجة فالنسيم قد انبرى	والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافورة	لما استردّ للليل منا المنبر
والروض كالحنّاء كساه زهره	وشياً ولّده نداء جوهه —
أو كالغلام زها بورى رياضه	خجلاً وتاه بأسه من صفه ذرا
روض كأن النهر فيه مصمم	صاف أنقى على رداء أغصرا
وتهبّ ريح الصبا فتخاله	سيف ابن عباد يبدّد عسكرا

فالشاعر أجاد في استخدامه لهذه التشبيهات ، فالظلال
كالمنبر ، وضوء الصباح كالكاور ، والروض كالحنّاء ، والزهر كالوشى ،
والغدى كالجوهر . . . أو (الروض) كالغلام يتختر بحد يسه
الأحمرين اللذين يشبهان الورد ، وبالشعر النابت عليهما والشبيه
بالآس ، والنهر كالمصمم فوق الرداء الأخضر . . .

وبعد التخلّص من المقدمة يبدأ بإضافة الصفات الكريمة على الممتضد
من كرم ، وشجاعة ، ومجد رفيع ، ومكانة سامية ، وبه عظمة ، محاولاً مقارنته
بالطبيعة أحياناً ، وتفضيله عليها أحياناً أخرى (٢) :

(١) ديوان ابن عمار ص ١٨٩ .
(٢) المصدر السابق ص ١٩٠ - ١٩٢ .

ونحاه لا يَرُدُّونَ حتَّى يصدرا
والدُّ في الأَجْفَانِ من سِنَةِ الكَرَى
نارِ الوغَى إلَّا إلى نارِ القسْرِ
لَمَّا سَقَانِي من نَدَاهُ الكُوشَرَا
لَمَّا سَأَلْتُ به الغَمَامَ المَطَرَا
أَهْمَرْتُ إسماعيلَ فيه غنصَرا
من لا تُسَابِقُه الرِّيحُ إذا جَرَى
تَنَبُّو وأُيْدِي الخيلِ تَمُشُّ في الهَرَى
إِنْ كُنْتَ شَبِهْتَ الكَتَائِبَ أَسْطَرا
من لَأَيِّهِمْ مِثْلُ السَّحَابِ كَنُهِرَا
عَضْبًا وَأَسْمَرَ قَدْ تَقَلَّدَ أَسْمَرا
هَرَقًا تَصُوبُ عَارِضًا مِثْمَنْجَرا
كَلِّرُوضٍ يَحْسُنُ مَنَظَرًا أَوْ مَخْبَرا
فَقَرَأَتْهُ في رَاحَتِيهِ مَفْشَرا
حَتَّى حَسَبْنَا كُلَّ تَرْبٍ عَنَسَرا
حَتَّى حَسَبْنَا كُلَّ مَهْضَبٍ قَيْصَرا

ويستمر الشاعر في مدح المعتضد وابنه اسماعيل ، مشجعا لهما على قتل
البربر وإبادتهم ، حيث يبدأ بعد ذلك بوصف رحلته ، التي اختار لهما
الألفاظ البدوية ، والمعماني الصحراوية بقوله (١) :

بزمانيها جرد المذاكي الضمرا
مرطاً على متني الظلام معصفرا
وبردن ساحتك البهية مشمرا

ملكٌ إذا ازدحم الطوكُ بمسورٍ
أندى على الأكباد من قطر الندى
قداح زند المجد لا ينفك من
أيقنت أنني من ذراه جنتسرة
وعلمتُ حقاً أن روضي مُخَمَّرٌ
ياسائلي ما حمير إلا غاتسمر
من لا توازنه الجبال إذا احتسبي
ماضي وصدور الرمح فيكمهم والطبسا
لا شيء أقرأ من سفار حسامه
قادر الحواكب كالكوكب فوقهم
من كل أبيض قد تقلد أبيضسا
لله مرسله بأفاق المسددى
ملكٌ يروكك خلقه أو خلقسه
وجهلت معنى الجود حتى زرتسه
فاح الثرى متمطراً بثنائسه
وتتوجت بالزهر صلح مضابسه

واليك يا منصور قادت هممتي
مدت سنايكها الفواح للصفى
يجعلن قلبك المهيبة قلبسرة

وسرعان ما يعود ابن عمار إلى الطبيعة الحضارية ، حيث يستنجد
بها لا عطاء قصيدته مصلا من الرقة والسهولة ، فيقول في وصف قصيدته
واحداتها الممدوح (١) :

خذها إليك وروضها لك ناظر
نعتها وشيا بذكرك مـنـها
من ذا بنا فيحني وذكرك منـدل
ولئن وجدت نسيم حمدي عا طـرا
وهناك عيد النحر لا زالت مـرو
وإليكها كالروض زارته الصـبا
فالشاعر أجاد في اختيار كلماته التي تهبث في الجو نفسا معظرا ،
وفي اختيار موسيقاه التي تشبع الكلمات فرحا وطربا ، ويبدو ابن عمار
وكانه شعوريا أو لا شعوريا يمارض قصيدة البحري (٢) التي مطلعها (٣)
للعهد سويقة ما أنصرا
إن جاور البادون فيه الحضر
ويعلق ابن سعيد على القصيدة بقوله : " لم أجد لاحد من شعراء
الاندلس قصيدة أتت فرائدها نسقا لا يكاد سمع ينهون بيت منها
غير قصيدته - قصيدة ابن عمار - التي يمدح بها الممتضد " (٤) ،
وقد أدرك الممتضد جمال القصيدة الفني ، وحسن معانيها ، وقوة تعبيراتها
فضم ابن عمار إلى ديوان الشعراء وأسنى جائزته .

من هنا يمكن القول بأن ابن عمار من الشعراء المطبوعين الذين
انقادت لهم القوافي ، ففي قصائده يلاحظ قنانه التركيب وتماسسك
المبارات ، وكان كما يقول الفتية ح :

- (١) ديوان ابن عمار ص ١٩٤ .
- (٢) الأديب العربي في الاندلس ص ١٩٣ .
- (٣) ديوان البحري ٣ : ٩٧٤ .
- (٤) الرايات ص ٥٥ .

" شاعرا مطبوعا (١) وهو " شاعر الاندلس غير مدافع ولا منازع (٢)
كما يقول ابن الأثير ، ويمليق ابن بسام على شاعرية ابن عمار بقوله
بأنه اكأن شاعرا لا يبارى . وساحرا لا يجارى (٣) وليس
أثره أثرا في النفس من كلامه حين تضيق في وجهه الدنيا على
رحبها (٤) .

(١) التاج ص ٨٤ .

(٢) الحلة السيرة ٢ : ١٣٤ .

(٣) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٣٦٩ .

(٤) بلاغة العرب في الاندلس ص ١١٨ .

عبد الجليل بن وهب

من أشهر الشعراء الذين أهدتهم مرسية إلى أشبيلية في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري عبد الجليل بن وهب (١) حيث ورد أشبيلية زمن المعتمد بن عباد ، فألحقه ابن عمار بدولته (٢) وبقي عند المعتمد إلى أن أقصي عن الحكم ، فما كان من عبد الجليل إلا أن فر كبقية الشعراء عليه يجد مورد رزق آخر ، فبينما هو يسير في طريقه من لورقه إلى مرسية قتله جند النصارى هناك (٣) .

طرق ابن وهب كثيرا من الاغراض الشعرية التي وجدت في عصره ، من غزل ، ووصف ، ومدح ، وراثا ، وزيادة على ذلك فقد اشتهر بشعره الفلسفي الذي يدل على عمق ثقافته ، وتأثره بشعراء المشرق الذين طرقتوا هذا الاتجاه قبله كالمصري وغيره .

لقد كان ابن وهب متعلقا بالفلان ، يقول ابن خاقان : " وكان كفا بالفلان ، واشتهر في حبيبهم أشد اشتهار " (٤) ، ويلاحظ أن مقطوعاته الغزلية كثيرة ، حتى أنه يميل في بعضها إلى المجون ، فيها ويتألم ويتحرق لبعد غلام عنه ، وهذا الغلام علقه وأحبه في أشبهلية فيقول بعد أن ارتاض له محبوبه (٥) :

يانوم عاود جفونا طالما سهرت	فإن باعث وجد لي لرق لي ورش
عانقته وهلال الأفق مطلسع	فبات من كمد ي حيران مكترشا
أنار كحظي طريقا فوق عارضه	وكان هاروت في أثنائه نفشا
وكان المحسن سرفيو مكتشم	وشى به ناظري من طول ما بحثا

- (١) انظر عبد الجليل : بغية المتلصص ص ٣٨٧-٣٨٨ ، الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٧٣-٥١٩ ، القلائد ص ٢٤١-٢٤٤ ، المصجب ٣ : ١٥٩ ،
الرايات ص ١١٠ ، الخريدة ٢ : ٩٥-١٠٣ ، النفح ١ : ٦٥٧ ، فوات
الوفيات ١ : ٥١٣-٥١٦ ، بلاغة المرب في الاندلس ص ١٢١-١٢٨ .
(٢) القلائد ص ٢٤١ .
(٣) انظر : بغية المتلصص ص ٣٨٨ ، فوات الوفيات ١ : ٥١٣-٥١٤ .
(٤) القلائد ص ٢٤٣ .
(٥) القلائد ص ٢٤٣ ، الخريدة ٢ : ١٠٢ .

لام يدل على بلبال مبصـره
ما زال يبحث وجددي كلما انهمثا
من آل مذ هج شخص كلفت به
لم ينقص العهد من وددي ولا نكثا

ويصف جمال محبوبه وحسنه وصفا لطيفا بقوله (١)

زعموا الفزال حكاة قلت لهم نعم
في صدّه عن عاشقيه وهجره
قالوا الهلال شبيهة فأجهتهم
إن كان قيس إلى غلامه طفره
وكذا يقولون المدام كريفا
يارب لا علموا مذاقة ثغـره

واذا ما ودع حبيبها له ، فإنه يذرف الدموع ، ويعزن ويتألم ، كقوله (٢) :
إن سرت ففي يدك قيساري
أو بنت منك فما يبين فؤادي
صيرت فكري في بمارك مؤنسي
وجعلت لحظي من وداعك زادي
وعلي أن أذري الدموع إن أنا
أبصرت شبيهك في سبيل همادي
تلقاك في طي النسيم تحيتي
ويصوب في ديم الغمام ودائي

فالشاعر كما يلاحظ يمزج في هذه المقطوعة بين المعاني الخزلية ، والمعاني الفلسفية ، فالفكر أنيس لابن وه بون ، والنظرات زاده ، وليس هذا من سبيل المبالغة ، وإنما هي صورة فنية جميلة ، أنتجها خيال ابن وه بون الواسع .

ويمزج ابن وه بون بين الفزل والطبيعة مزجا يدل على رهاقة حسنة وقوة خياله ، كقوله (٣) :

وشادن قد كساه الروض حلتته
يستوقف العيين بين الخصر والكتب
مـوّه الحسن لم يعدم مقبله
في خده رونقا من ذلك الشنـب
تدعوه إلى حبه لـميا كلـهـا
زبرجد الثبت يجلو أولو الهـب

(١) الخريدة ٢ : ٩٦ .

(٢) القلائد ص ٢٤٣ ، الخريدة ٢ : ٩٧ .

(٣) القلائد ص ٢٤٣ ، الخريدة ٢ : ٩٧ .

وكانت علاقة شاعرنا بالمعتمد جيدة ، حيث يعطيه الجوائز السنوية ،
والهبات الكثيرة ، فمئذما دخل على المعتمد وهو ينشد قول المتنبي :
إذا ظفرت منك العيون بمنظره أثاب لها صفي المطي برازمه
قال عبد الجليل :

لئن جات شمر ابن الحسين فإنا : تجوز القطايا واللها تفتح اللها
تنها عجبها بالقريض ولو نرى بأفك تروي شعره لناكها

فأمر له المعتمد بمائتي دينار (١)
وعندنا ناولت المعتمد اخدي - وأرهبه كأس بلور مملوء شرابا ، ولمع السبرق ،
فارتاعت الجارية ، قال المعتمد (٢) :

رهمت من البرق وفي كفهها برق من القهوة لمعاع
بالميت شحري وهي شمس الضحى كيف من الأنوار ترتعاع ؟

وأمر ابن وهبون بإجازة البيت الأول فقال (٣) :

ولن ترى أعجب من أناس من مثل ما يمك يرتعاع

وكان ابن وهبون دائم التشوق لابن عبّاد ، ولا يرضى بأحد سواه ، وولدهما
حضر بالمرّة بعض الأعياد ، والناس ينشدون المعتمد بن صمد ح ،
قال (٤) :

دنا العبد لو تدنو كعبة المني وركن المعالي من ذواقة يمسرب
فيا أسفا للشمر ترمي جمّاره ويابعد ما بيني وبين المعصرب

وقد تكون في مضر مقطوعات شاعرنا نبرة حزن وشكوى ، فيها هو
يتجرم مما يرى من الناس في هذه الحياة ، من كذب وشقاق وسوء نوايا (٥) :

(١) الخريدة ٢ : ٩٥ ، الرايات ص ١١٠ ، فوات الوفيات ١ : ٥١٥ .

(٢) ديوان المعتمد ص ٣١

(٣) المطرب ص ١٨

(٤) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٧٥ ، القلائد ص ٢٤٢ ، الخريدة ٢ : ١٠٢ ، فوات
الوفيات ١ : ٥١٣ .

(٥) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٩٥ - ٤٩٦ .

وقد أرى صوراً في الناس ماثلثةً أشيمها بين تحق يق وتكد ييب
لما ملأ يدي منهم لأخبرهم نفضت كفي بأشبهاء اليها سييب
بيض وجوههم ، سود ضمائرهم فما حملت على عريب ولا نوب
الصدق أولى بمن يدي ضفينته لا تجعل الصدق من نمت الأصا حيب

وخصص ابن وهبون كثيرا من قصائده لمدح المعتمد ، وهذه القصائد تمتاز
بطولها ، ومثانة تراكيبها ، وفي بعض الأحيان تكون مقدمة قصيدة المدح
وصفا لحالته ، واغتخارا بنفسه ، كقوله (١) :

بيني وبين الليالي همسة جلال لو نالها البدر لا استخذي له زحل
سراب كل ييبا عند ها شتنب وهول كل ظلام عند ها كحل
من أين أفسس لا في ساعدي قصر عن المساعي ولا في مثولي غطل
نبي الى الدهر إن أبدى تمتته ذنب الحسام إذا ما أحجم البطل
يا طالب الوفير إني قمت أطلبها علياء تغنى بها الأسماع والمقل
لا كان للمشير فضل لا يجود به يكفي المهند من أسلابه الغل
لكن بخلت بأنفاس مهدي لـ تروي المقول وهن الجمر والشمل

ثم يبدأ بمدح المعتمد ، مشيرا إلى نسبه المخمي ، ومركزا على
وصف معركة الزلاقة ، والاشادة بطولة المعتمد ، وشجاعة جيشه الكثير والتفني
بشيل المسلمين الضامرة (٢) :

إذا مدحت فني لخم وسيد ها عن الأنعام ومما زخرفوا شغل
وان وصفت فكالיום الذي عرفت بك الفرنجة فيه كنه ما جهلوا
وقد دلفت اليهم تحت خافقة تلج الضلالة منها غائف وجل
فراعهم منك وضاح الجبين وعن نشر الحسام يكون الرعب والوهل

(١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٩١ ، القلائد ص ٢٤٢ .

(٢) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٩١ — ٤٩٢ .

وحين أسمع ما أسمع من كلم
وكلما نفحت ريح الهدى خمدت
جيش فوارسه بهز كأنصله
يمشي على الأرض منهم كل ذي مرج
أشبه ما اعتقلوه من ذوابلهم
لولا اعتراضك سداً بين أعينهم
أنسيتها النظر المشير الذي عهدت
فكل عين بها من دة شهة قبل
ولتفت إلى وصف معاملة المعتمد الحسنة للأسرى ، حيث إنه يكرمهم ،
ويحسن معاملتهم (١) :

ترسلوا آل عبا فرقتهم
إذا أسرتم فما في أسركم قنط
لم يترك الوصف ما تأتون والمثل
وإن عفوت فما في عفوك خسائل
يقبل الفل مرتاحاً أسيركم
فهو المبشرون أن تسحب الحلال

وفي بعض الأحيان يمنح الشاعر بين مدح المعتمد ووصف قصوره ، فيها و
يصف قصراً من قصور المعتمد الرائية ، ويضفي عليه صفات الحسن والجمال ،
حتى أن العقل يتف حائراً في نعمت هذا القصر ، فالنور دائم فيه ليسل
نهار ، والتماثيل والصور منتشرة في جميع أركانه ، والنسيم ينبعث لطيفاً
من حدائقه ، وجوانبه تسر الرأي ، هذا الجمال وهذا الحسن لا يتوفر
الآ في نفس المعتمد وشخصيته (٢) :

(١) الذخيرة ق ١٤٢ ص ٤٩٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٥١٧ - ٥١٨ .

فيا أيها القصر المبارك لا تنزل
ويا أيها الطلح المؤيد دُم به
أسيم فيه سرح اللحظ من طر فها سل
ستظأره أم النجوم تحلُّه
محيط بها أحببت من كل صورة
ومن حُكك دون السُّموك كأنها
إلى طرر تحكي أصائل ملكه
ومن مرمي أخذاه رونقه المها
ويحر عليه للرباحين فيثمة
لئن كان مكظوماً كفيظك إنّه
أرى حور الأُحداق أرونق الطلي
أجل إنما يجتاب منك بشاشة
والا فمن آدائك الزهر يجتلي
كما ضاع من أهداب ثوبك نشره
وأنت جدي الحلتين تشيب
ليترع كوكب أو يثار عكسوب
مراد الوغى في ناظره عشيبة
لها كوكب لا حان منه غروب
تروك حتى شكلهن قريب
أفاريذ روض الحزن وهو هضيب
تكاثر بأنداد النصار تصوب
فأخطأ فيه اللحظ وهو مصيب
كيمانك مخضر البرود لحبوب
كعرضك مصقول الأديم خشيب
طلاه ففيه للمقول غلبوب
لها جبهة من فوقه وذهبوب
فرندا له در عليه رطيب
وكل صعيد مس وطوك طيب

وكان ابن وهبون صادق العاطفة في مرثيه ، فقد رثى الأعلم الشنتمري ،
وابن عمار ، وبعض أصدقائه ، فعند ما مات صدق له من الكتاب ، قال قصيدة
رثاه بها ، وبث بين أبياتها ألمه وحزنه ، ووصف شمائل صديقه ، وخلالها
الحسنة بقوله (١) :

جهيذ قول وفارس نـ
ترهب في كفه يراعتـ
دع قضيب الخط للذي حملت
بان عن الصدق والوفاء أخ
يمضي على القصد كل مركـ
كل أصم الكموب مرهـ
من قصص الخط في التجاريـ
ليس أخو صدقة بمكـ

من هنا يمكن القول إن ابن وهبون قد طرق معظم الأغراض الشعرية التي وجدت في عصره ، وقد يكون في شعره مستهترا ما جانا ، لا يلتفت إلى دين أو عفة ، وهذا يبدو واضحا في غزله وتشبيبيه بالفلمان ، وهنا يختار لمقطوعاته الموسيقى الراقصة ، والبحور القصيرة أحيانا والمجزوءة أحيانا أخرى ، والكلمات السهلة ، والتشبيه البسيطة ويوشح هذه المقطوعات بالزخارف اللفظية والمحسنات البديعية .

أما الجانب الآخر من شاعرية ابن وهبون ففيه يلاحظ ميل إلى الحكمة والاصلاح ، وفيه يكون ابن وهبون جادا مفكرا ، وهذا ناتج عن موهبته الفذة ، وثقافته الواسعة ، وفكره العميق وهنا يكون ابن وهبون بارع التصوير ، واسع الخيال ، يختار الألفاظ الجزلة ، والتراكيب المتينة والبحور الطويلة أو المتوسطة .

ويمكن ان يشم في شعر ابن وهبون أحيانا نفس المتنبي ، وبخاصة حين يصف المصارع ، أو يفتخر ، كقوله (١) :

ومن لم يخضّب رُحمةً في عداوته	تساوت به في الحيّ ذات خضاب
ومن لم يحل السيف من بُهمِ المدد	تحلّى بخزي في الحياة وهاب
إذا ورقّ الفولان زّ تساقطت	شارّ حتوفٍ أو شارّ رفساب
ومن يتخذ غير الحسام مغالبا	فما هو إلا وارثٌ بسراب
ومن غره من ذا الأنام تبسّسُم	فبالعقل قد اضحى أعتق مصاب

وقد أدرك الأديباء والمؤرخون منزلة عبد الجليل الشعرية بموهبته القوية ، فقال عنه الفتح بن خاقان : " بأنه أحد الفحول ، البري من المطروق والمذبول ، تفتحت كرائم رويته عن زهر المعاني ، وأهدت قصائده غرض المداري منها المعاني " (٢) ، وقال صاحب المعجب بأنه : " حسن الشعر ، لطيف المأخذ ، حسن التوصيل إلى دقيق المعاني " (٣) ، وقال بلنشيا بأنه من فطاحل الشعر وأهمل الأدب " (٤) .

-
- (١) الذخيرة ق ٢ م ١ ص ٤٩٨ .
 (٢) القلائد ص ٢٤١ .
 (٣) المعجب ٣ : ١٥٩ .
 (٤) تاريخ الفكر الاندلسي ص ١١٦ .

ابن اللبانة

الوزير محمد بن عيسى بن محمد اللخمي ، من أهل دانية ، يكنى
أبا بكر ، ويعرف بابن اللبانة (١) ، نشأ بيتاً فقيراً ، فقد كانت أمه
تبيع اللبن لتعلمهم (٢) ويبدو من شعره أنه كان قصير القامة ، نحيف
البنية حيث يقول (٣) :

كم جاعل قصري عيباً أعابُ — وهنٌ مضّر طويل الساعدِ القصُرُ ؟
ويقول (٤) :

لا عيب لي إلا النحول رضيتُه — إن المهتدَ قاطع ونعيمه

ويبدو أن ابن اللبانة ترك مدينة دانية متوجّهاً إلى بطليوس ، ولما
لم يسمفه الحظ عند أميرها المتوكل بن الأفطس ، قصد حكام إشبيلية (٥) ،
حيث نال إعجاب المعتمد ، فأصبح شاعره وصديقه ، وقد قال فيه وفي بنيه
المدائح الكثيرة ، والمراثي الصعبة الحزينة ، يقول الفتح بن خاقان : " كان
المعتمد على الله يميزه بالتقريب ، ويستغرب ما يأتي به من المصادر
الغريب ، ويولّيه انعاماً واحساناً " (٦) وبعد سجن المعتمد " وفي له
أبو بكر بالرحلة إليه وفاء الطعينة لعتبة ، وتراسلاً هناك بأشعار شغفي
بها المعتمد نفسه " (٧) وبعد وفاة المعتمد عاد الشاعر إلى التطواف في

-
- (١) انظر : بغية الملمس ص ١١٠ ، الثلاث ص ٢٤٤ ، المطرب ص ١٦٤ ،
المغرب ٢ : ٤٠٩ ، الرايات ص ١٢٠ ، التكملة ١ : ٤١٠ - ٤١١ ، المعجب
٣ : ٢١١ - ٢١٢ ، الوافي بالوفيات ٤ : ٢٩٧ - ٣٠٠ ، فوات الوفيات
٢ : ٥١٤ - ٥١٨ ، عبر الذبي ٤ : ١٥ ، شذرات الذهب ٤ : ٢٠ ،
مرآة الجنان ٣ : ١٩٧ ، إيضاح المكنون ٢ : ٥٦٢ ، هدية الحارفين
٢ : ٨٣ ، الفيث المسجّم ٢ : ٢٩٨ - ٢٩٩ شعر ابن اللبانة ص ٥ .

(٢) المغرب ٢ : ٤٠٩ .

(٣) شعر ابن اللبانة ص ٤٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٨٥ .

(٥) المصدر نفسه ص ٥ .

(٦) الثلاث ص ٢٤٤ .

(٧) المصدر السابق ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

البلاد ، حيث استقر به المقام أخيراً عند ناصر الدولة مهشربن سليمان
الهامري طابك ميورقة ، حتى وافاه الأجل سنة سبع وخمسمائة (١) .

وقد كان لابن اللبانة أخ اسمه عبد العزيز ، وكان شاعري ، إلا أن
عبد العزيز لم يرض الشعر صناعة ، ولا اتخذ مكسباً ، وإنما كان من جملة
التجار (٢) .

وأهم صفات ابن اللبانة الذكاء وسرعة البديهة ، فعندما دخل
على ابن عمار في أحد المجالس ، وأراد أن يتندر به بقوله : اجلس
ياداني بخير ألف ، فقال ابن اللبانة له ، نعم يا ابن عمار ، بخير ميم (٣) .
وخلف شاعرنا عدة تواليف منها : كتاب " مناقل الفتنة " (٤) ، وكتاب
٣ الاعتماد في أخبار بني عباد (٥) ، وكتاب " سقيط الدرر ولقيط
الزهر (٦) ، وكتاب " نظم السلوك في وعظ الملوك (٧) وهو في رثاء دولة
بني عباد (٨) ولم يصل إلينا أي كتاب من هذه الكتب التي احتواها جوف
التاريخ ، وقام الدكتور محمد مجيد السعيد في المدة الأخيرة بجمع شعره
في كتيب احتوى على ألف بيت ، ولا ابن اللبانة عدة موشحات تدل على سمته
اضطلاعاً ، وقوة شاعريته (٩) .

(١) التكملة ١ : ٤١٠ ، الوافي بالوفيات ٤ : ٢٩٧ ، مرآة الجنان ٣ : ١٩٧ وغيره .

(٢) المصجب ٣ : ٢١١ .

(٣) النفح ٤ : ٢٦٠ .

(٤) الوافي بالوفيات ٤ : ٢٩٧ ، ايضاح المكنون ٢ : ٥٦٢ ، هدية المارفين
٨٣ : ٢

(٥) ايضاح المكنون ١ : ٩٨ ، هدية المارفين ٢ : ٨٣ .

(٦) الوافي بالوفيات ٤ : ٢٩٧ ، كشف الظنون ٢ : ٩٩٣ ، هدية المارفين
٨٣ : ٢

(٧) الوافي بالوفيات ٤ : ٢٩٧ ، النفح ٤ : ٢٥٨ ، كشف الظنون ٢ : ١٩٦٣ ،
هدية المارفين ٢ : ٨٣ .

(٨) الوافي بالوفيات ٣ : ١٨٧ ، النفح ٤ : ٢٥٨ .

(٩) انظر عن موشحات ابن اللبانة : جيثر التوشيح ص ٥٩ ، المفسر
٢ : ٤١٤ ، مقال الدكتور شوقي ضيف في مجلة الثقافة / القاهرة -
العدد ٦٢٨ السنة ١٩٥١ / ص ٢٦ .

اشتهر ابن اللبانة بمداخلة لآل عباد ، ولم يشتر بن سليمان ،
وبز غيره من المشعرا في البكاء على دولة بني عباد ، وله بعض المقطوعات
والموشحات في الفزل الذي يميل إلى المجون أحياناً ، وله مقطوعات أخرى
في الوصف وبخاصة وصف الطبيعة .

ويفتن لمن اللبانة في بناء قصيدة المديح التي يبدأها أحياناً
بمقدمة قصيرة تمهد للتخلص إلى المديح كقوله (١) :

وقف الفراق أمام عيني غيبها فعدت لا لأثري لنفسي مذهبها
يا موقداً بجوانحي نار الأسى رفقا فاء الدمع قد بلغ الزمى
وأفك حسن الحسن نوعه فمن برد أن يب ومن عقيق المهبها
أعدت من جنح الدجى جنة وتخذت من غطف البوارق مركبها

وبعد هذه المقدمة يبدأ ابن اللبانة بمدح الرشيد بن المعتز ،
مركزاً على عدة صفات منها : كرمه الغياض ، ومنزلته العالية ، وشجاعته
المعروفة ، وأدبه الذي قل نظيره ، وكلامه الجميل . . . ويلاحظ أن
ابن اللبانة قد مدح الرشيد كثيراً ، وكأنه يخطط للمستقبل ، حيث أن
الرشيد سيخلف أباه في الحكم ، ولكن للرياح لم تجر بما تشتهي السفن (٢) :

وذهبت أطلب حيث ينبت الندى فوجدت في كف الرشيد المطلبها
ملك غدا معني غريباً في المجلس وغدت به الأيام لفظاً محربها
أجلى من السيف الصقل المنتضى دفحاً وأمضى من ظباه مضربها
جاورت فلقت منه جوهراً ونظرته فرأيت منه كوكبها
رطب اللسان كأن في الفاظه راحاً مصتقاً وهدوا مطربها
يلقى الكماة فتشني مدعورة فكانه أسد يمر على ظربها

(١) شعرا ابن اللبانة ص ١٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤-١٥ .

ثم يبدأ برسم صورة مثالية للمتمد ، بوزنها الشجاعة السني
تشبه شجاعة عمرو بن العاص، والمدل الذي يماثل عدل عمر بن الخطاب،
وطاهاها المنزلة الرفيعة والشهرة الواسعة (١) :

وَمَنْ رَمَتْهُ مِنَ الْيَوْمِ حَادِثَةٌ فليسَ غير ابنِ عباد لها وزرٌ
ملكَ غدا الرِّزْقُ مبعوثاً على يده وظلٌ يجري على أحكامه القدر
مقدّم السَّبقِ يحكي في بسالته عمراً ، ولكنه في عدلو عُمر
يجلي علينا بدوراً من محاسنه وتستهل لنا من كفوهم بدر
لا غرو في أن تحلى غيره م بعلى ومالهم في الحلى رأياً ولا نظر
فقد يسمى سماء كل مرتفع وإنما الفضل حيث الشمس والقمر

ويميل ابن اللبانة في كثير من الأحيان إلى المبالغة في مدحه ،
تلك المبالغة التي يمزجها بالزخرفة اللفظية ، والمحسنات الهدية ،
كقوله في مدح المتمد (٢) :

يَجْرِي النَّهَارُ إِلَى رِضَاكَ وَلَيْلُهُ وكلاهما متعاقب لا يسأم
فكأنما الصباح تحتك أشقر وكأنما الأطلام تحتك أدهم
وكان خاطفة البروق قد التظت صفحات سيفك قد علاهن الدم
تهوى قنك الطير فهي وراءها تهوى لتبصر حين تطعن تطم
والخيل كانت تستريح من السرى لو لم يكن فوق البسيط مجرم
بالبيض والبيضات والخلق اكتسوا فتوشوا وتتوجوا وتمموا

وقوله (٣) :

ألقاهم والظبي ما دونهم فأرى أني على صوفي الماء أطلع
غاروا على الريح فاستعلت رماحهم دون المهبب فما للريح متسع

(١) شعر ابن اللبانة ص ٤٩

(٢) المصدر السابق ص ٩١-٩٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٥-٦٦ .

بدايع الحسن لم توث حقيقتها
ولا لمحت ابن عباد بناحية
ملك يضيء ويهدي منظرًا ونسدى
عذب المناجاة ما في نطقه غطل
يعد للأمر قبل الأمر واجبه
ولن يضيق له ذرع بمضلة
لكثيرا ما يركز ابن اللبانة في مدحه الممتد على نسبه اللخمي ، وأصله
الكريم كقوله (١) :

من سرّ لخم ، ولخم حيث ما شهدت
قوم يوالف سيماهم طهارتهم
يا وارث المجدي عن شم غطارف
ولم يقتصر ابن اللبانة في توجيه مدائح الممتد والرشد ، بسبل
وجه بعضها كذلك إلى الممتد ، كقوله مازجا بين صفاته والطبيعة (٢) :

أما علم الممتد بالله أنني
وما هو نهر أعشب النبت حولي
بحضرتي في جنة شقها نهري
ولكنه سيف حمائله خضري

وأبدع ابن اللبانة في رثاء دولة بني عباد ، فقال قصائد كثيرة في
البكاء على أيامهم لم يبق منها إلا قسم قليل ، وفي مراثيه يلاحظ تأجج
الم عاطفة ، وعمق التجربة ، وصدق الاحساس ، فها هو يصف حالته السيئة
بعد زهاب بني عباد وحالتهم قائلا (٣) :

بروق الأمانى دون لقياك خلج
عدمت مرادى فيك لا الماء نافع
ومشرق أفق لم تلح فيه مغرب
ولا الظل مدود ولا الروض مخصب

(١) شعر ابن اللبانة ص ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٦ .

ولا أنا في تلك الحد يقو زهرة
سقى الله عهداً كنت صيب عهده
زمان بما المكرات مفضـ
لئن فلت الأيام منك فائما
بمشت بها يا واحد الدهر قطعة
وجئت بها في الحسن ورقاء أكمة
ولا أنا في تلك المجرة كوكب
بمثل الذي قد كنت تسقي وتشرب
لديك ومن نار الكؤوس مذهب
يفل من الأسيا في ما كان يضرب
في الماء إلا أنها تتلهب
ولكنها في الدهر عنة مفرب

وقد يمزج ابن اللبانة بين بكائه وبين الطبيعة ، حيث يجعل الطبيعة
تشاركه في هذا الحزن ، وهذه المأساة كقوله (١) :

لم أقل في الثقاف كان ثقافا
يمكت الزهر في الكمام ولكن
وإذا ما الهلال غاب بفيم
إنما أنت درة للمعالبي
حجب البيت منك شخصاً كريماً
أنت للفضل كعبة ولو أنسي
كنت قلباً له وكان شفافا
بعد مكث الكمام يدنو قطافا
لم يكن ذلك المصيب انكشافا
ركب الدهر فوقها أصدافا
مثلما تحجب الدنان السلافا
كنت أسطيع لا لتزمت الطوافا

ويخاطب الناس بالبكاء على الممتمت قائلا (٢) :

أبكوا الموءيد بالنجيع فما قضسي
كنا به في روض عز شمس
والآن حط لنا (. . .) فكأنما
حق المكارم من بكاه بدمه
نجني الأمان غصة من نيمه
وتقت مجاري الرزق ساعة غلعه

لقد كان ألم ابن اللبانة على زهاب دولة بني عباد ألماً نفسياً ومعنوياً ،
حيث ان الشاعر فقد الألب والمعيل والصديق والأمل ، وعين يرى
الانسان هذه المراثي الصادقة يتذكر حالة ابن اللبانة أول مجيئه إلى
بني عباد ، حين كان فقيراً بائساً حيث . يقول (٣) :

(١) شعر ابن اللبانة ص ٦٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٠ .

أَهْلَكَ الْبُتَّ مِنْ قَلْبٍ بِهِ حَرُّ
 ان لم تكن أهل نُصِي أُرْتَجِيكَ لَهَا
 كَلَنِي إِلَى أَحَدِ الْأَهْلَاءِ يُنْعِشُنِي
 قَدْ طَالَ بِي أَقْطَعُ الْبِيدَاءَ مُتَّصِلًا
 كَأَنَّمَا الْأَرْضُ عَنِّي غَيْرَ رَاضِيَةٍ
 وَإِنَّ الْهَمَّ مَعَ الْأَعْمَارِ نَاشِئَةٌ
 جَدُّ بِالْقَلِيلِ وَمَا تَدْرِي تَجُودُ بِهِ

وما كاد أن يرتفع مقامه عند الممتمد ، وتعلو منزلته كما يقول (١) :

مَا كَانَ أَرْفَعَ مَوْضِعِي إِذْ كَانَ لِي
 فِي جَانِبِ الْعُلِيَاءِ عِنْدَكَ مَوْضِعُ
 أَيَّامٍ أَطْلُبُ مَا أَشَاءُ فَيَنْقُضُ لِي
 وَزَمَانٍ أَدْعُو مَنْ أَشَاءُ فَيَسْمَعُ

حَتَّى كَسَرَ جَنَاحَهُ ، وَانْخَفَضَ مَقَامَهُ ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ قَالَ الْمَرَاثِي
 الَّتِي نَدَبَ بِهَا آلَ عِبَادٍ ، وَالَّتِي حَمَلَهَا أَحَاسِيْسُهُ الْحَزِينَةُ ، وَوِطَاطُفُهُ الصَّادِقَةُ .

وَكَانَتْ نَفْسُ ابْنِ اللَّبَانَةِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ تَمِيلُ إِلَى الشُّكْوَى وَالْحَزَنِ ،
 وَالتَّجَرُّمِ مِنَ الْفَرَبَةِ وَذَمِّهَا ، فَهِيَ هُوَ يَبِثُّ هَذِهِ الزَّفَرَاتِ الْحَزِينَةَ فِي أَبْيَاتِهِ
 اللَّامِيَةِ حَيْثُ يَقُولُ (٢) :

رَمَانِي الدَّهْرُ مِنْ كُلِّ النَّوَاحِي
 وَصَيَّرَنِي غَرِيبًا فِي مَكَانٍ
 وَثَارِي مَكْنٍ عِنْدَ اللَّيَالِي
 فَمَا أُعْطِيتُ نَجَادِي شَيْعَ نَمَلٍ
 وَلَوْ كَاشَفْتُ فِيهِ لَكُنْتُ صَحَابًا
 فَأَنْبَتَ فِي مَقَاتِلِي الْغَيْبُ
 بِهِ الْفَرَبَاءُ تَكْتَسِبُ الْخَيْبُ
 وَلَكِنْ قَدْ تَعَدَّرْتُ أَنْ يَنْسَى
 وَلَا أَدْرِي بِسَاهِطِي عَقْبُ
 وَلَكِنِّي انْخَدَعْتُ فَكُنْتُ آتَا

(١) شعرا بن اللبانة ص ٦٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٨ .

ومرة أخرى تبدو نفسيته الحزينة الشاكية في مقطوعته المينية

التي يقول فيها (١) :

أقول تحية وهي الوداع	خداعاً لي وما يغني الخداع
أعللُ بالمني قلباً شماعاً	وهل يتعلل القلب الشعاع
وأترك جيرة جاروا وأشددو	"أضاعوني وأي فتى أضاعوا"
وإذا لم يُرعَ لي أربُّ وبأس	فلا طال الحسام ولا اليراع
لقد باعني الأيام بخساً	وعهدي بالذخائر لا تبع
اجفتني فلم ينبت ربيعٌ	وحطنتي فلم يثبت يفاع
ومكنت المدي مني فعاقت	بلحمي ضعف ما عات السباع

ولا شك أن عدة روافد قد ساعدت على تسرب النفس الحزين إلى بعض قصائد ابن اللبانة منها : أسرته الفقيرة البائسة التي نشأ تحت أكنافها ، ويتمه الذي جعل أمه تبيع اللبن ، وغربته عن وطنه ، وفقدانه أعز صديق ، وأنبه ملك عرفه .

ويبدو أن ابن اللبانة قد اسشترك في معركة الزلافة ، فيها هو يرسل إلى المعتمد شعراً يهينه بالانتصار ، ويذكر أنه كان يقاتل إلى جانبه (٢) :

يأمن عليه من المكارم والفلسى	برد بتطريز المحامد مقلّم
هل نظرة ترسى إليّ وعطفة	تندى عليّ ورافة تترحّم
وعسى أراك بحيث ينبعث الندى	فلقد رأيتك حيث ينبعث الدم
قد كنت في أرض الوغى أجنبي الردى	وأنا بروض الجود لا أتنسّم
ما كان بين يدك غيري والظبي	متلفعات والقنا يتحطّم
قد رشتني سهماً فرشني طائراً	وكما نفذت فإني أترنّم

(١) شعرا ابن اللبانة ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٣ .

وأكثر ابن اللبانة من التفرّج بالفلمان ، ووصف جمالهم ، وعذارهم ،
فبكلّ خفة ولطف يصف عذار غلام قافـلا (١) :

بدا على خده عذار	في مثل يحدّر الكبيب
ولميس ذلك المذار شمساً	لكنما سره غريب
لما أراق الدماء ظلماً	بدت على خده الذنوب

وفي كثير من الأحيان يكثر ابن اللبانة في شعره من الصناعات
اللفظية ، كقوله في وصف غلام (٢) :

إن تكن تهتفي القتال فدعني	عنك في حومة القتال أحامي
خذ جناني عن جنة ولساني	عن سنان ، وخاطر ي عن حسام

ويصرح في بعض مقطوعاته الفزلية باسم الغلام الذي يهواه بقوله (٣) :

أهبرت أحمد ناسخاً فرأيت ما	أعنى وأعنى أن يحد ويوصفا
وكأنما منح السماء صحيفة	والليل حبراً والكواكب أحرفاً

ويتابع شاعرنا بقية الشعراء في بث شكواه إلى محبوبته ، والألم الذي
يلاقه من صدها عنه وذلك حين يقول (٤) :

فواد ي معنى بالحسان ممّت	وكل موقتي في الثماهي موقت
ولي نفس يخفى ويخفت رقّة	ولكن جسمي منه أخفى وأخفت
وبي ميت الأعضاء حي دالة	غرامي به حي وصبري ميت
جملت فوادى جفن صارم جفنه	فياحر ما يعلو به حين جملت
أذل له في هجره وي ينتصبي	وأسكن بالشكوى له وهو يسكت
وما أنبت حمل منه إن كان في يدي	لريحان ريعان الشبيهة منه

(١) شعر ابن اللبانة ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣ .

يتكون هذا البحث " الشعر في إشبيلية " في القرن الخامس الهجري . كما أشرت في المقدمة من خمسة فصول . . . وقد كان الفصل الأول مدخلا لا بد منه ، حيث غصصت لدراسة البيئة الجغرافية والحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، واتضح لي أن هذه البيئات كان لها دور في توجيه الشعر ، فلا بد أن يكون لموقع إشبيلية الاستراتيجية وخيراتها الكثيرة ، وحداؤها الفناء ، ومجتمعها الذي يميل إلى المجون ، والممارك التي خاضها بنوع عباد مع الجبر والحر من ناحية ومع الروم من ناحية أخرى صدى عند الشعراء .

وحاولت في الفصل الثاني أن أرصد أهم اتجاهات الشعر في إشبيلية في هذه الفترة ، وتبين لي أن الشعر قد سار في عدة اتجاهات هي : - الاتجاه السياسي ، والاتجاه الاجتماعي الذي كان صورة حية للحياة الاجتماعية التي يعيشها المجتمع الإشبيلي والاتجاه التعليمي وفيه كان الحديث عن المعانيات وهي ضرب من الالغاز الشعرية يقصد بها ترويض الذهن واختبار البديهة ، ومنها يلاحظ ثقافة الشعراء وبخاصة معرفتهم لأنواع الغايور المختلفة ، ومثل هذا الاتجاه في إشبيلية المعتمد بن عباد وابن زيدون ، والاتجاه الديني الجهادي حيث انبرى أبو حفص الهوزني وابن حمد يسس وغيرهما للدعوة للجهاد ، ومطاردة الأعداء ، والدفاع عن محارم الاسلام ، كل هذه المعاني توشحها عاطفة دينية صادقة ، هذا من الناحية الموضوعية أما من الناحية الفنية فقد برز اتجاهان هما : الاتجاه التقليدي الذي كان فيه شعراء إشبيلية مقلدين لشعراء المشرق والأندلس في معانيهم والفاظهم وموسيقاهم . . . والاتجاه التجديدي الذي ركزت فيه الحديث على الموشح في إشبيلية والذي مثله ابن اللبابة في هذا العصر .

وتحدثت في الفصل الثالث عن موضوعات الشعر وأغراضه ، واتضح لي أن الشعراء واكب الوقائع الحربية التي جرت بين بني عباد والمالسة البربرية والعربية المجاورة من ناحية ، وبينهم وبين الروم من ناحية أخرى ، وصور الشعراء معركة الزلاقة وتحدثوا فيها عن البطل المسلم ، وبعث المسلمين وقائد الروم وبعثهم ، وعن المعنى الصليبي للمعركة ومدح الشعراء بني عباد وتغنوا بشجاعتهم وكرمهم وأهلهم ، وحاولوا رسم شخصية مثالية لهم تتشبه فيها كل الصفات التي يعتبرها المجتمع شخصية مثالية . وسار الهجاء في إشبيلية في عدة اتجاهات منها : هجاء المرابطين والفقهاء ، هجاء الملوك ، هجاء الوزراء ، هجاء شخصي ، هجاء ملوك الطوائف ، وأهم المعاني التي دارت عليها قصائد الهجاء : هجاء يسر الشرف والمرح عند بعضهم ، هجاء يدور حول الابتعاد عن الدين والاعتزاق في المجون ، هجاء بالبعث ،

ولم يوجد في إشبيلية أي أحزاب سياسية أو نزعات شعبية ، لهذا لم يحظ
أن الهجاء السياسي لا وجود له . واقتصر الشعراء بالمعاني الإسلامية
والمعاني العربية الأصيلة ، ومن الشعراء الذين افتخروا بقوتهم وكرمهم
وورعهم : المعتضد بن عباد وابنه المعتضد ، وابن عمار ، وابن وهبسون ،
وابن حمديس وعندما سقطت دولة بني عباد انبرى الشعراء لرتائها
ورسم صورة حزينة لنقل آل عباد من إشبيلية إلى سجن أعماق ، وكان ابن
اللبانة وابن حمديس ، وابن عبد الحميد ، وأبو العلاء بن زهر ، وأبو بكر
الغولاني ، والمعتضد بن عباد ، من أشهر الشعراء الذين رثوا دولة
بني عباد ، حيث تحدثوا عن أيام عزهم وصارت رثاءهم بأيام ذلهم ، وتخلطوا
في رثاءهم بمعاني الدمار والخراب والذل ومن أنواع الرثاء التي وجدت
في إشبيلية في هذه الفترة رثاء الحكام وفيه تكون العاطفة زائفة بالرغم
من حسن الصياغة وقوة العبارة ، وقد مثله في إشبيلية في هذه الفترة ابن
زيدون وابن المعلم في رثاءهما المعتضد ، أمث رثاء الأقارب والأبناء فقصده
مثله المعتضد حين رثى ابنائه ، والهاجي حين رثى ابنه ، ومثّل رثاء الأشوان
والأصداق ، ابن وهبون في رثاءه الأعم الشنتري ، وابن حمديس في رثاء
جاريته جوهرة ، ويلاحظ أن الشعراء في النوعين الأخيرين من الرثاء
يصعدون عن تجربة تهز أركانهم ، فيجيء قولهم صادقا ، بعيدا عن التقرب
والزلفي . ووصف الشعراء في إشبيلية الأزار والرياض والشرقيات والسفن
والزوارق والخيوم والأنهار والحمائم والخيول ، وقد غلب على وصفهم الاستعارات
والتشابه والبدع ، وغدت الزخارف البديعية وكأنها مقصودة لذاتها ، وقد
جاء أكثر الشعراء من وصف الطبيعة لفتنتهم بها ، وتعلقهم بالبيئة ، وجمال
الطبيعة وتنوع مناظرها ، ولكن الشاعر الإشبيلي لم يستطع أن ينقح الروح في
الطبيعة دائما بالرغم من إجادته تصويرها ، وتجسيده إياها ، وانتشر الخمر
في المجتمع الإشبيلي فما كان من الشعراء إلا أن وصفوه ووصفوا أثره
في النفوس ، وتغزل شعراء إشبيلية بالحرائر والجواري والخلعان ، وقالوا
شعرا كثيرا في هذا الموضوع ، وشعر يخلو من العاطفة الصادقة ،
ولم يستطع سوا أغوار المرأة ، أو اكتشاف مكانها . ونتيجة هجرة الشعراء
من إشبيلية أو إليها كان حنينهم إلى الوطن ، وقد دارت قصائد الحنين على معان
منها : شوق إلى الوطن ، تصوير لمهودهم السعيدة فيه ، ذم الاغتراب
عند بعضهم ومدحه عن بعضهم الآخر ، مزجهم بين الحنين والطبيعة .

وأفردت الفصل الرابع للحديث عن الخصائص الفنية العامة لهذا الشعر
فتحدثت عن الاتباعية والصورة والالفاظ والتشبيهات والاستعارات والبدع
والموسيقى والتجربة الشعرية ، وشكل القصيدة ولا حظت أن الشعراء
اعتمدوا في أكثر الأحيان الاطناب في مدائحهم ومرثيتهم وحنينهم ، ولا يمتاز
في وصفهم الزهريات والشرقيات والفخر والغزل

وفي الفصل الخامس ترجمت لاربعة من الشعراء ، وهؤلاء الشعراء الذين ترجمت لهم دراستهم كمصورة حية من صميم الشعر الاشبيلي ، فابن حصن صورة للشاعر الاشبيلي الذي يميل الى الاطراب والقوة والمتانة في قصائده . وابن عمار نموذج للشاعر الاشبيلي الذي بدأ حياته فقيرا وحاول التمسك على أميره المعتمد بن عباد بعد ان رفعه وأعلى مقامه ، ولكنه وقع في النهاية في قبضة المعتمد وتم قتله ، وقد صور شعرا ابن عمار أيام عزه وأيام ذله فسي السجين أصدق تصوير ، أما ابن وهب فانه من الشعراء الذين اتهم مرسية إلى إشبيلية ، وه صورة للشاعر المفكر من ناحية واللاهية من ناحية أخرى ، فقد نال شعرا في الفلسفة والثراء والمجون . . . وقد كان ابن اللبانة ذا عبقرية فذة سواء في موشحاته التي قالها في إشبيلية أو في مراثيه التي دبحها في المعتمد أثناء إقامته في السجن ، لهذا كان الحديث عنه بشيء من التفصيل .

وفي النهاية لا بد من الإشارة إلى النقاط التالية :

- أن فن الموشح قد تطور في إشبيلية في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري ، ويمود الفضل في ذلك إلى ابن اللبانة الذي قال كثيرا من الموشحات في الأغراض المختلفة .
- لقد تأثر شعراء إشبيلية بالشعراء في المشرق والمغرب سواء بشكل منهجي أو جزئي ، حيث أن هذا الشعر يكون مع الشعر الأندلسي وحدة لا تنفصل .
- يلاحظ أن الشعر ازدهر في إشبيلية في هذه الفترة ، ولا شك أن عدة أسباب ساهمت في ذلك منها : تشجيع الحكام للأدب بعامة وللشعر بخاصة ، حيث يعقدون المجالس الأدبية ، ويمطون الجوائز السنوية ، وقد ساعدت البيئة الاجتماعية على قول الشعر وانتشاره فأصبح يقال في كل مكان ، وحدث بعض الممارك فتقت قرائح الشعراء ومواهبهم الشعرية ، لذلك جاء وصفهم لهذه الممارك محبرا حماسيا أحيانا وبخاصة في معركة الزلاقة حيث أن الحرب تحمل الطابع الصليبي بل إنهم يغلو من الحماس أحيانا أخرى . . . وكانت هجرة الشعراء إلى إشبيلية بسبب الهزات التي أصابت بلادهم أو النكبات الشخصية التي حلت بهم من أهم الأسباب التي جعلت الشعراء يكتفون في تلك الحقبة من الزمن .

- لقد أخذت بوادر التيار الفلسفي تظهر في الشعر الاشبيلي وبخاصة عند ابن وهبون وابن حمديس وابن اللبانة ، ولكن هذا التيار وهذه المعاني كانت بحاجة إلى صقل وتهذيب .

يلاحظ أن الشعر الاشبيلي قد مثل الحياة الاجتماعية والسياسية غير تمثيل ، وكان صادقا في نقل صورة عن هذه الحياة .

- هناك عدد من الشعراء لم تصلنا أشعارهم حيث ضاعت فسي الزخم الشعري الذي كان موجودا في راسخيلية ، ولم تحتفظ لهم المصادر بنصيب وافر من الشعر كابن المرغر النمراني وغيره . ولا شك أن المكتبة الاشبيلية بخاصة والمكتبة الأندلسية بخاصة بحاجة إلى :-

- تحقيق المخطوطات التي لم تحقق إلى الآن .

- دراسة بعض الشعراء دراسة مستفيضة .

والله ولي التوفيق ، ،

فهرس الاعلام

- ٩ -

المن الأبار : ٤٦، ٩٥، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٨٠، ٢٨٦

• ٢٨٦، ٢٨٨، ٣١١، ٣١٥، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٣٢

إبراهيم بن حجاج : ٤١، ٤٢، ٤٣

إبراهيم بن خيرة الصباغ : ٢٤٤، ٢٥٣، ٣١٣

الابشيهي : ١٠٣

الابيض الاشيلي : ١٥٨

أحمد بن ريسم : ٢٥٤

أحمد بن عبد القادر : ٦٠

• أحمد بن محمد الملس : ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٥٠، ٢٥١

أحمد بن يوسف بن حجاج : ٤٩

أريد : ١٢٢

اسحق البرزالي : ١١٩، ١٢٢

اسماعيل بن عباد (الجد) : ١٥، ٥٧

اسماعيل بن أبي القاسم بن عباد : ١٧

• اسماعيل بن المعتضد : ١٩، ٥٠، ٦٤، ١٢٣، ٢٨٦، ٣٥١، ٣٦٤

أشجع السلمي : ٣٤٥

أصبع بن راشد : ٥٩

• أبو الاصبع بن عبد العزيز : ٤٦، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٦٦

• اعتماد الرميكية زوجة المعتضد : ٣٦، ٣٧، ١٦٠، ٢٠٥، ٢٥٧، ٣١٩

الأعلم الشنتصري : ٥١، ٦٠، ٧٧، ٩٠، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٨٤

• ٣١٢، ٣٥٧، ٣٧٣، ٣٨٧

الاعلى التطجلي : ٤٧

• الفونسو السادس : ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٨٤، ١٣٣، ١٣٦

• ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ٢٩٢، ٣٠٥، ٣٣٤، ٣٤٢، ٣٥٨

الياس بن مدور : ٣١، ٥٣

• امرو القيس : ٣٣٧، ٣٣٨

• أمية بن عبد العزيز (أبو الصلت) : ٢٤، ٥٣، ٥٩، ٦٠

- ب -

- باديس بن حبوس : ١١٩، ١١٨، ٦٢
 بشينه بنت المعتمد : ٢٩٠، ٣٧
 المحترى : ٣٦٥، ٣٤٣
 ابن بسام : ١٤٩، ١٣٢، ١٢٣، ١٠١، ٩٥، ٩١، ٨٠، ٤٩
 • ٣٦٦، ٣٥١، ٣٣٧، ١٥٦
 أبو بكر الإشبيلي (الحكيم المطرب) : ٧١، ٣٣
 أبو بكر بن حيدرة : ٥٠
 أبو بكر الخولاني : ٣٨٧، ١٩٤، ١٧٦، ١٣٣، ١٠
 أبو بكر الزبيدي : ١٥، ١٤
 أبو بكر بن زيدون (الابن) : ١٧٢
 أبو بكر الصديق : ١٥٦
 أبو بكر بن عبد الصمد الشاعر : ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ٢٠١
 • ٣٨٧، ٣١٢، ٣١٠، ٣٠٤، ٣٠٠، ٢٨٥، ٢٠٩
 أبو بكر بن الصربي : ٧٣
 أبو بكر بن القصيرة : ١٢٧، ١٢٦، ٥٦، ٤٩
 بكر بن محمد بن نصر الاشبيلي : ٢٣٤
 بلج بن بشر القهيري : ١٤

- ت -

- القترصدي : ٥٤
 أبو تمام : ٣٤٧، ٣٤٦
 التهامي : ٣٤٠

- ث -

- الثعالبي : ٦٠

- ج -

- جابر بن المعتمد : ٦٢
 ابن جاح الشاعر : ٢٣٧، ٤٢
 أبو جعفر بن ابراهيم اللورقي : ١٦١
 جماهر بن عبد الرحمن : ٥٥
 جميل بثينة : ٣٣٩
 جوهرة جارية ابن حمديس : ٢٢١، ٢١٨

- ج -

- ابن هبوس : ٢٦
 ابن حبيب الشاعري : ٤٦، ٦٠، ١٠١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٥٢، ٢٥٣، ٣١١، ٣١٣، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨
 الحجاري الكبير : ٥٢
 الحرين عبد الرحمن الشقي : ١١
 ابن حزم : ٥٧، ٩٠
 حسام بن ضرار الكلي : ٥
 حسان بن ثابت : ١٢٤، ١٥٦
 ابو الحسن الاستنجي : ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣١، ٣٠١، ٣٠٨
 ابو الحسن البرقي : ٦٩
 أبو الحسن بن الجند : ١٦٢
 الحسن بن عمر الهوزني : ٥٧
 ابو الحسن الفكيك : ٧٣، ٢٧٢
 أبو الحسين الانصاري : ٥٥
 الحصري الضريع الشاعري : ١٦٢، ٢١٢، ٢٨٩، ٣٤٧
 ابن حصن * : ٣، ٤٥، ٤٦، ٩٥، ٩٩، ١٢١، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٨، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣٩٠، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٨٨، ٣٨٧
 ابو حفص بن برد : ٢٢٤، ٢٢٧
 أبو حفص الهوزني : ١٩، ٥٤، ٥٨، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٣٣٤، ٣٤٠
 : ٣٤٦، ٣٤٨
 الحكم المستنصر : ١٣
 ابن الحمامة : ٩
 ابن حمد بن : ٤٦، ٤٨، ٦٩، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٣، ٩٤، ٩٨
 : ٩٩، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٥
 : ١٤٨، ١٥٠، ١٥٤، ١٦٩، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠
 : ١٨١، ٢١٠، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٣
 : ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢
 : ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٣
 : ٢٩٤، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٣، ٣٢٠
 : ٣٢٥، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٥
 : ٣٦٢، ٣٨٧
 حيوة بن ملامس : ١٢

- خ -

١٢	:	خالد بن عثمان
٥٢	:	خالد بن محمد
٨٢	:	خالد بن الوليد
١٢٠	:	ابن خزرون
٩	:	ابن خفاجة
١٠٢	:	ابن خلدون المؤرخ
٧٠، ٥٩	:	ابن خلدون الفيلسوف
٥٩	:	خلف بن مروان
٧٠	:	خليفة غلام المعتمد

- د -

٣٤٥	:	ابن دراج القسطلبي
٢١، ١٦، ١٥	:	دوزي

- ذ -

٥٤	:	أبو ذر الهروي
٣٣٩	:	ذو الرمة
٢٦	:	ابن ذي النون

- ر -

١٧٤، ١٧٢، ١٧١، ٩٨، ٦٦، ٦٥، ٥٧، ٢٩	:	الراضي بن المعتمد
٣٢٣، ٢١٥، ١٧٥	:	
٣٤	:	ابن رشد
٢٨١، ١١١، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٣، ٧٢، ٧١، ٣٣	:	الرشيد بن المعتمد
٣٨٠، ٣٧٧، ٢٩٧	:	
٣٥٩، ١٦٣، ١٥٧	:	ابن رشيد
٣٦	:	رشيد بن حجاج
٣٣	:	الرميمي

- ز -

١٥٨	:	الزبير (أمير المرابطيين)
٣٢٨	:	زرياب
٢٦٦، ٢٦٣، ١٩٣، ٩٢، ٦٩، ٦٠، ٥٩، ٥٣، ٣٤	:	ابن زهر (أبو الحلاء)
٣٨٧، ٣١٨	:	
٣٤٦، ٣٣٧	:	زهير بن أبي سلمي

2

2

— ۛ —

2

1

16

•

•

•

•

1

•

•

•

.

•

1

2

1

•

1

•

1

1

1

- ش -

١٦٣	:	ابن شرف
٥٦	:	شريح بن محمد بن شريح
٣٤٤	:	الشريف الرضي
١٠٣، ٤٠	:	الشفندي
٠ ٣٤٤	:	ابن شهيد

- ص -

٥٩	:	ابن صاعد اللغوي
١٢	:	ابو الصباح بن يحيى اليعصبي
٣٤٠	:	صريع الغواني
٢٦	:	ابن صمدح
٣٤٦، ٢٥١	:	الصنوبري
٢٠٨	:	ابن الصيرفي

- ط -

٧٨	:	أبو طالب بن مكي

- ظ -

١١٩، ١١٨	:	الظافر بن المعتضد
٢٩٣، ٢١٢، ١٩	:	الظافر بن المعتضد

- ع -

٦٠	:	العاصي بن خلف
٢٣٢، ٢٢٩، ٢٦، ٧٦، ٦٠، ٤٦، ٣١، ٢٦، ٢	:	أبو عامر بن مسلمة
٠ ٣٢٣، ٣١٦، ٣٠٠، ٢٦٤، ٢٦٣، ٢٣٥	:	المبادية جارية المعتضد
٣٧	:	عبد الله البرزالي
١١٨	:	عبد الله بن رشيق
٢٨	:	عبد الله بن سعد الدمشقي
٥٥	:	عبد الله بن العافية
٥١	:	عبد الله بن عبادة
١٤٣	:	عبد الله بن علي الهاجي
٥٩	:	عبد الله بن علي الهوزني
١٤	:	عبد الله بن محمد الحميري
٥٩	:	عبد الله بن محمد الحميري

١٢ :	عبد الرحمن بن إبراهيم حجاج :
٣٨ ، ٢٨ ، ١٢ ، ٥ :	عبد الرحمن بن الحكم :
٥٣ :	عبد الرحمن بن مسلمة :
١٢ ، ١١ :	عبد الرحمن بن معاوية :
٥٤ :	عبد السلام بن اشعر :
١٣٢ ، ٦ :	عبد العزيز البكري :
١١ :	عبد العزيز بن موسى :
٣٧٦ :	عبد العزيز شقيق ابن اللبابة :
١٢ :	عبد الغافر اليحصبي :
٣١٥ :	عبد القاهر الجرجاني :
١٩ :	عبدون بن خزرون :
٢٠٩ :	ابن عبدون :
٣٤٢ :	عبيد الله بن سليمان بن وهب :
٣٣٩ :	عدي بن زيد :
١٠٠ ، ٤٤ ، ٢٥ :	أبو الصرب المظلي :
٣٤٢ :	

المزبن اسحق	: ١٢٢
ابن المسال	: ٢٤
ابن المطار	: ٢٣٦، ١٠
ابن عكاشة	: ٢١٢، ١٢٨، ٢٢
أبو الملا* المصري	: ٣٦٧، ٣٤٤

١٣ :	علي بن حمود
٢٠٣ :	علي بن أبي طالب
٣٣، ١٧ :	علي بن مجاهد
٥١ :	علي بن محمد بن مسلم
٥٩، ٤٩ :	علي بن يوسف
٣، ٢١، ٣٢، ٣٥، ٤٤، ٤٦، ٥٢، ٧٠ :	ابن عمار
١٥٦، ١٣٠، ١٢٠، ١١٨، ٩٨، ٩٦، ٧١ :	
١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥ :	
٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٦٧ :	
٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧ :	
٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٩، ٣١٠ :	
٣١٢، ٣١٤، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٥ :	
٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٥ :	
٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠ :	
٣٦٢، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٨ :	
٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٨٧ :	

٥٣ :	عمر بن إبراهيم بن محمد الهوزني
٢٩، ١٥١، ١٥٦، ٣١٠، ٣٨٧ :	أبو عمر الباجي
٣٧٩ :	عمر بن الخطاب
٥٢ :	عمر بن خالدون
١٢ :	عمر بن طالت
٣٧٩ :	عمرو بن العاص
٣٣٨، ٣٣٧ :	عنصرة
٥٧ :	عياش بن خلف
١٤ :	عيسى بن حجاج الحضرمي
١٧٢ :	عيسى بن أبي الحجاج

— غ —

٥١ :	ابن الغاسلة

— ف —

٥٠، ١٨١، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٧٥ :	الفتح بن خاقان
٣٨٥ :	
٣٩، ١٩١، ١٩٢، ٣٠٥ :	فخر الدولة بن المصتمد
١٩٧، ٣٤٢ :	أبو فراس الحمداني
٥٧ :	فرج بن حديد الظاهري

لهيد بن ربيعة : ١٢٢
لسان الدين بن الخطيب : ٢٠٩، ١٠٣، ٣٦

— ٤ —

مالك بن وهيب : ٩٢، ٥٩
المأمون بن المصتمد : ٣٦٠، ٢١٥، ١٦٥، ٥٧، ٢٩، ٢٢
ابن مبارك : ٣٦٠
مبشر بن سليمان العامري : ٣٧٧، ٣٧٦، ٣١٨
المتنبي : ٣٧٤، ٣٧٠، ٣٤٢، ٣٤١
المتوكل بن الألفطس : ٣٧٥
المحبي : ١٠٢
محمد بن أحمد الباجي : ٥٩
محمد بن أغلب : ٥٧
محمد بن الحسن الزبيدي : ٤٩
محمد بن حمود القبري : ١٠٢
محمد بن شريح : ٥٥
محمد بن طاهر : ٣٥٩
محمد بن عبد الله بن الصربي : ٥٤
أبو محمد بن عبد البر : ٥٠
محمد بن عبد الملك : ٤٩
محمد بن عمر بن الحسن : ٥٢
محمد بن القوطية : ٥٦
محمد بن نوح : ١٩
محمد بن أبي الوليد الباجي : ٢١٤
محمد بن يحيى : ٥٠
محمد بن يريم الالهاني : ١٥، ١٤
مجنون ليلي : ٣٣٨
ابن الحرخي : ٥٠
ابن المرزقان : ١٤٧
ابن العرغم : ٣٨٩، ٢٩٤، ٢٤٣، ١٦١، ٣١
مريم بنت أبي يعقوب الفيصولي : ٣٧
ابن المصيصي : ١٤٨، ١٤٧، ١٠١، ١٠٠، ٩٨، ٨٥، ٨٠
٣٢٧، ٣١٨، ٣١٦، ٢٨٨، ١٥٣، ١٥١
٣٤٧، ٣٤٠، ٣٣٩، ٣٣٥، ٣٣٤

المظفر بن الأفتس : ٢٧٨، ١٢٢، ١٨ :
 المظفر بن زكا : ٣٤٦ :
 معاذ بن أبي قرّة : ١٢٠ :
 معاوية بن أبي سفيان : ٢٠٣ :
 الممتد بن الممتد : ٣٨٠، ٧١، ٦٦ :
 ابن الممتد : ٣٤٢، ٣١٥ :
 المعتصم بن صادق : ٣٧٠، ١٦١ :
 المعتصم الخليفة العباسي : ٣٤٦ :
 المعتضد : ٣٣، ٣١، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧، ١٠، ٢ :

٥٧، ٥٣، ٥٠، ٤٦، ٤٥، ٤٣، ٤٢، ٣٧، ٨٥
 ٨١، ٧٥، ٧٢، ٧٠، ٦٥، ٦٤، ٦٢، ٦٠، ٥٩
 ١١٩، ١١٨، ٩٨، ٩٦، ٩٥، ٨٥، ٨٤، ٨٣، ٨٢
 ١٢٧، ١٢٦، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢١، ١٢٠
 ١٥٥، ١٥٤، ١٥٣، ١٥٢، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٦
 ٢٢٦، ٢١٢، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥، ١٦١، ١٥٦
 ٢٦١، ٢٥٥، ٢٥٣، ٢٥٠، ٢٤٦، ٢٢٨، ٢٢٧
 ٢٨٥، ٢٨٢، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٥، ٢٧٤، ٢٦٣
 ٣١٠، ٣٠٨، ٣٠٦، ٣٠٢، ٢٩٤، ٢٨٧، ٢٨٦
 ٣٣٦، ٣٣٥، ٣٣٣، ٣٣٢، ٣٣٠، ٣٢٤، ٣٢٠
 ٣٥٧، ٣٥٦، ٣٥٥، ٣٥٤، ٣٥٢، ٣٥١، ٣٤٦
 ٣٨٧، ٣٦٥، ٣٦٤، ٣٦٣، ٣٦٢، ٣٦٠، ٣٥٨

المعتد بن عباد : ٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢٠، ١٦، ٩، ٢، ١ :
 ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٣، ٣٢، ٣١، ٢٩، ٢٨، ٢٧
 ٥١، ٥٠، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٣
 ٦٨، ٦٧، ٦٥، ٦٤، ٦٢، ٥٩، ٥٧، ٥٣، ٥٢
 ٨٥، ٨٤، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٧٥، ٧٤، ٧٣
 ١٠٧، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٠، ٩٩، ٩٨، ٩٧، ٩٥
 ١٢٩، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٣، ١١٦، ١١٥، ١١٠
 ١٣٦، ١٣٧، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ١٣٠
 ١٥٠، ١٤٨، ١٤٧، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٣
 ١٦٠، ١٥٩، ١٥٧، ١٥٦، ١٥٤، ١٥٣، ١٥١
 ١٧٧، ١٧٦، ١٧٢، ١٧١، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥
 ١٨٥، ١٨٣، ١٨٢، ١٨١، ١٨٠، ١٧٩، ١٧٨
 ١٩٣، ١٩٢، ١٩١، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٦
 ٢٠٠، ١٩٩، ١٩٨، ١٩٧، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤

٢٠٧، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ٢٠١
 ٢١٥، ٢١٢، ٢١١، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨
 ٢٥١، ٢٤٨، ٢٤٥، ٢٤٣، ٢٣٧، ٢١٧
 ٢٦٨، ٢٦٧، ٢٦٣، ٢٥٩، ٢٥٧، ٢٥٥
 ٢٨٣، ٢٨٢، ٢٧٥، ٢٧٤، ٢٧٢، ٢٧١
 ٢٩٧، ٢٩٦، ٢٩٢، ٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٥
 ٣١٤، ٣١٢، ٣١٠، ٣٠٩، ٣٠٠، ٢٩٩
 ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٢٢، ٣٢١، ٣٢٠، ٣١٩
 ٣٣٤، ٣٣٣، ٣٣٢، ٣٣١، ٣٢٠، ٣٢٧
 ٣٥٩، ٣٥٨، ٣٥٧، ٣٤٥، ٣٤١، ٣٣٦، ٣٣٥
 ٣٧٥، ٣٧٢، ٣٧١، ٣٧٠، ٣٦٧، ٣٦٢، ٣٦٠
 ٣٨٦، ٣٨٣، ٣٨٢، ٣٨١، ٣٨٠، ٣٧٩، ٣٧٨
 ٣٨٧

٢٧٩، ٢١٢، ١٢٨، ١٢٣، ٨٤، ٧٦، ٧٤ : ابن المعلم
 ٣٨٧، ٣١٧، ٣١٥، ٢٨٥

١٠٢ : مقدم بن معاني القبري

٥٧ : المقرئ

٦٩ : ابن المكر

٢٨٨، ٢٨٧، ٢٤٣، ١٦١، ١٥٦، ١٥٤، ١٠١ : ابن الملح
 ٣٤٤، ٣١١

١١ : موسى بن نصير

— ن —

٣٤٧ : النابغة الذبياني

١٦١ : النحلي البطليوسي

٣٤١ : نصر بن سيار

٢٢٨ : النعمان بن المنذر

٢٤٥، ٢٨٣، ٢٥١ : أبو نواس

١٢٠ : ابن نوح

— ه —

٢١ : هارون (الواثق بالله)

١٩٧، ١٣٤ : أبو هاشم بن المصنف

١٦ : ابن هاني*

١٦ : هشام المؤيد

٣٣٨ : الهذلي

- و -

٣٤٦	:	الوأواء الدمشقي
٢٥٧	:	وداد جارية المعتمد
٣٢٠، ٢٦٢، ٢٦١، ٢٦٠، ٩٦، ٤٥، ٣٧	:	ولادة بنت المستنقي
٢١٤، ٩٨، ٥٨	:	ابو الوليد الباجي
٢٢٤، ١٢٧، ١٢٦، ٣٤، ١٨	:	ابو الوليد بن جهور

- ي -

١٤٢	:	يحيى بن بقي
١٧، ١٦، ١٤، ١٣	:	يحيى بن علي بن حمود
٥٨	:	يحيى بن مصر الالهاني
٥٥	:	ابو يسوسف الأزدي
٤٨، ٤٧، ٣٧، ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢	:	يوسف بن تاشفين
١٢٣، ١٣٢، ٧١، ٥٨، ٥٧، ٥٣، ٤٩	:	
١٤٣، ١٤١، ١٤٠، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٥	:	
٢٠٧، ١٩٧، ١٩٣، ١٦٣	:	
١٠٢	:	يوسف بن ارون الرمادي
٥	:	يوليس قبصر

٠ ٧ :	البصل (اقليم)
١٢٩ :	بطروش
٠ ٣٧٥،٥٧،٥٢،٤٢،٢٧،٢٣ :	بطلبوس
٧٣ :	بفدان
١٦٨،١٥٩،٦٩ :	بلنسية
٥٤ :	بنجار شنتمرية
٣٩ :	بيرو
(ث)	
١٨ :	تاكرونا
٢٨ :	تدوير
(ش)	
٢٦ :	الشجر الاعلى
(ج)	
٩ :	جزيرة تيطل
١٧٤،١٨،٧ :	الجزيرة الخضراء
٧ :	جزيرة طريف
٣٦٠ :	جيان
(ح)	
٤٠ :	حلب
٥ :	مص
(د)	
٣٧٥،١٧ :	دانية
٦ :	دمشق
(ر)	
٤٥ :	الرصافة
٢٤٥،١٢٠،٢٩،١٨،٢ :	رندة
(ز)	
٢٩٢،١٥،١٤٤،١٣٢،٤٨،٢٨،٢٧،٢ :	الزلافة
٠ ٣٨٦،٣٨٣،٣٧١ :	

(س)

١٢٣	:	سبتة
٣٦٢، ٣٢٣، ٢٩٧، ٢٨٢، ٢٧٥	:	سرقسطة
٧	:	السهل

(ش)

٥٤	:	الشام
١٨، ٧	:	شدوة
٣٩، ٣٨، ٧، ٥	:	الشرف
١٤، ٧	:	شروش
٧	:	الشعراة (اقليم)
٣٦٠	:	شقوة
٣٥٨، ٣٥٣، ٢٨٢، ٢٧٤، ٨٠، ٣٨، ٣٦، ٢١، ١٨	:	شلب
١٨	:	شلطيش
٣٥٧	:	شنجوس
٥٥	:	شنقرة
١٨	:	شفترية

(ص)

٢٥	:	صقلية

(ط)

٨	:	طالقة
٩	:	طريانة
٧	:	طشانة
٥٥، ٢٦، ٢٣، ٢٠	:	طلحطلة
١٦٢	:	طنجة

(غ)

١٢٩، ٢	:	غافق
١١٩، ١١٨، ٧١، ٢٦	:	غرناطة

(ف)

٢٩	:	فازار
٥٥	:	فاس
٧	:	الفحص

(ق)

٢٤٠٢٣٠٢٢٠١٩٠١٨٠١٦٠١٤٠١٣٠١٢٠١١٠٢	:	قرطبة
٩٧٠٩٦٠٥٥٠٥١٠٥٠٠٠٤٦٠٤٠٣٤٠٢٩٠٢٧	:	
٢٤٥٠٢٢٥٠٢١٢٠١٥٨٠١٢٩٠١٢٨٠١٢٦٠١٢٣	:	
٠ ٣٦٢٠٣١٤٠٢٧٥٠٢٧٣	:	

٧	:	قرطشانة
٠ ٢٩٣٠١٢٢٠١١٩٠١١٨٠٤١٠١٨٠١٧٠٧	:	قرصونة
٠ ١٦٣٠١٦٢٠٥٩	:	القيروان

(ل)

٠ ٣٩٠١٨٠١٢٠١١	:	لبلة
٠ ٣٦٧٠١٢٨٠٦٦٠٦٥	:	لورقة
٠ ١٤٤٠٢٨	:	ليبطة

(م)

١٨	:	مارتلة
٢٣	:	ماردة
٠ ١٢٤٠٦٢٠١٩٠٢	:	مالقة
٠ ٧	:	مدريد
٠ ١٢٩٠٢	:	المدور
٧	:	المدينة
٠ ٥٩٠٥٤٠٥٠٠٠٢٩	:	مراكشر
٠ ٣٦٧٠٣٦٠٠٣٥٩٠٣٥٨٠٨١٠٥٧٠٢٨	:	مرسية

٣٧٠،١٦١،٥٨،٢٦،٢٣	:	المريّة
٥٥،٥٤،٣٤	:	مصر
٣٨٨،١٠١،٥٤،٣٩،٣٨،٢٦،٢٨،٢٦،٢٥	:	المغرب
٥٥،٥٤	:	مكة المكرمة
٣٩	:	المكسيك
٢٩	:	مكناس
٧	:	المنستير
٤٦،٣٤	:	المهدية
١٩،١٨	:	مورور
٣٧٦،٤٦	:	ميورة
(ي)		
١٦٠،١٤	:	يوميسين

أ- المصادر المخطوطة

- ١- الفخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ٥٥٤٢ هـ. مخطوطة المتحف العراقي - بغداد .
- ٢- رقم الحفل في نظم الدول، لسان الدين بن الخطيب ٥٧٧٦ هـ، مخطوطة الخزانة العامة في الرباط، قسم الوثائق والمخطوطات .
- ٣- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ٥٧٦٤ هـ، الجزء الرابع عشر، نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية عن مكتبة بوليان - أكسفورد، رقم ٢٤٤ مجموعة أرش سلد .
- الجزء السادس عشر، رقم ٢٦٦، مجموعة أرش سلد .

ب- المصادر المطبوعة

- ٤- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب ٥٧٧٦ هـ، تحقيق محمد عبد الله عنان، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ٥- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي المعروف بالبشاري، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٩ م .
- ٦- احكام صنعة الكلام، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦ .
- ٧- أخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين القفطي ٦٤٦ هـ، صححه محمد أمين الخانجي، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦ هـ .
- ٨- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، مؤلف مجهول، مطبعة ديدنير، مجريط، ١٨٦٧ م .
- ٩- أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر، أبو طاهر أحمد ابن محمد السلفي ٥٥٧٦ هـ، تحقيق الدكتور إحسان عيسى، الطبعة الأولى، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣ هـ .

١٠. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أحمد بن محمد المفسري التلمساني ٥١٠٤١، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ٥١٣٥٨ - ١٩٣٩ م.
١١. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الشيخ أحمد بن خالد الناصري ٥١٢٥٠، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤ م.
١٢. اعتاب الكتاب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاة البلسني المعروف بابن الأبار ٥٦٥٨، تحقيق الدكتور صالح الأشر، الطبعة الأولى، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠ - ١٩٦١ م.
١٣. أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، لسان الدين ابن الخطيب ٥٧٧٦، تحقيق أنجي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦ م.
١٤. الأقاليم، أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالاصطخري، مكتبة المثنى، بغداد.
١٥. انباء الرواة على أنباء النحاة، جمال الدين القفطي ٦٤٦ هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الثالث، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٤ - ١٩٥٥ م.
١٦. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينته فاس، علي بن أبي الفاسي ٥٧٤١، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢ م.
١٧. الإيضاح، جلال الدين القزويني، تحقيق عز الدين التتوخسي، الجزء الثاني، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٣٦٧ - ١٩٤٨ م.
١٨. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، اسماعيل بن باشا بن محمد، عني بتصحيحه محمد شرف الدين بالتأيا ورفعت بيلكه، الجزء الأول، مطبعة وكالة المعارف، ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م.
- الجزء الثاني، عني بتصحيحه رفعت بيلكه، وكالة المعارف، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م.

- ١٩ بدائع البدائع ، علي بن ظافر الأزدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ٢٠ البداية والنهاية في التاريخ ، الامام عماد الدين أبي الفداء اسماعيل ابن كثير ٧٧٤ هـ ، الجزء الثاني عشر ، مطبعة السعادة ، القاهرة .
- ٢١ البديع ، عبد الله بن المعتز ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٦٤ هـ ، ١٩٤٥ م .
- ٢٢ بنية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس ، أحمد بن يحيى بن أحمد الضبي ٥٩٩ هـ ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- ٢٣ بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١ هـ ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ .
- ٢٤ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ابن عذاري المراكشي ٨٦٩ هـ ، الجزء الثاني ، تحقيق خ . س . كولان وإ . ليفي بروفنسال ، الجزء الثالث ، تحقيق إ . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت .
- ٢٥ تاريخ افتتاح الأندلس ، ابن القوطية القرطبي ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ١٩٥٧ م .
- ٢٦ تاريخ الأندلس لابن الكرد بوس ووصفه لابن الشباط ، تحقيق أحمد مختار المبادي ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٧١ م .
- ٢٧ تاريخ علماء الأندلس ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الغرضي ٤٠٣ هـ ، دار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- ٢٨ تاريخ قضاة الأندلس المسمى بالمرقبة المليا فهم يستحق القضاء والفتيا أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي ، نشره إ . ليفي بروفنسال دار الكاتب المصري ، ١٩٤٨ م .
- ٢٩ التبيان وهو " مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين ٤٨٣ هـ ، تحقيق إ . ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- ٣٠ تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني ، صححه وشرحه الدكتور زاهد علي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ .

- ٣١ تذكرة الحفاظ ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ٧٤٨ هـ ،
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م
- ٣٢ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، القاضي
عياض بن موسى بن عياض السبتي ٥٤٤ هـ - الجزء الرابع -
مطبعة فصالة - المحمدية .
- ٣٣ تقويم البلدان ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي
الفدا ٧٣٢ هـ ، اعتنى بتصحيحه رينود والبارون ماك كوكين ، دار الطباعة
السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠ هـ .
- ٣٤ التكملة لكتاب الصلاة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر
القضاعي البلسي المعروف بابن الأثير ٦٥٨ هـ - نشره وصححه
عزت العطار ، مصر ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .
- ٣٥ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، صلاح الدين خليل بن ايبك
الصفدي ٧٦٤ هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة
المدني ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٣٦ تهذيب ابن عساكر ، ابن عساكر ، ٥٧١ هـ ، دة ورثه ابن محمد
الرومي الدمشقي ، الجزء السادس ، الطبعة الأولى ، مطبعة الترقسي ،
دمشق ، ١٣٤٩ هـ .
- ٣٧ توسيع التوشيح ، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، ٧٦٤ هـ
تحقيق البير حبيب مطلق ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، ١٩٦٦ م
- ٣٨ جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي
٤٨٨ هـ ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- ٣٩ جغرافية الأندلس وأوروبا ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ٤٨٧ هـ ،
تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجي ، دار الارشاد ، بيروت ١٣٨٧ هـ .
- ١٩٦٨ م .
- ٤٠ جمع الجواهر في الطح والنوادر ، إبراهيم بن علي المصري القيرواني
٥٥٣ هـ ، نشره محمد أمين الخانجي ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ،
١٣٥٣ هـ .
- ٤١ جمهرة أنساب العرب ، أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم ٤٥٦ هـ ،
تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .

- ٤٢ جيشر التوشيح ، لسان الدين بن الخطيب ٧٧٦هـ ، تج . هلال ناجي
مطبعة المنار ، تونس ، ١٩٦٧ م .
- ٤٣ الحلة السيرة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاة
البلنسي المعروف بابن الأبار ٨٥٨هـ ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس
الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- ٤٤ الحماسة ، أبو عبادة البحري ، ضبطه وعلق عليه كمال مصطفى ، الطبعة
الأولى ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٩٢٩ م .
- ٤٥ خريدة القصر وجريدة أهل العصر ، أبو عبد الله عماد الدين الأصفهاني
٥٩٧هـ ، تحقيق الأستاذين عمر الدسوقي وعلي عبد الحظيم ، القسم
الرابع ، الجزء الأول والجزء الثاني ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ١٩٦٩ م .
- ٤٦ خريدة القصر وجريدة أهل العصر ، أبو عبد الله عماد الدين الأصفهاني
٥٩٧هـ ، تحقيق آذر تاش آذر نوشر ، قسم شعراء المضرب والاندلس ، ٢ ،
الدار التونسية ، ١٩٧١ م .
- ٤٧ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، محمد المحبّي بن قنبل الله بن
محب الله ، الجزء الأول ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ، ١٢٨٤هـ .
- ٤٨ دار الطراز في عمل الموشحات ، أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك
٥٦٠٨هـ ، تحقيق الدكتور جودت الركابي ، دمشق ، ١٩٤٩ م .
- ٤٩ دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد رشيد
رضا ، الطبعة الرابعة ، دار المنال ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧ م .
- ٥٠ ديوان الأعيان التطيلي : (أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة ٥٢٥هـ)
تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣ م .
- ٥١ ديوان امرئ القيس ، تج . محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثالثة ،
دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ م .
- ٥٢ ديوان البحري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، المجلد الأول ، دار المعارف ،
مصر ، ١٩٦٣ م .
- ٥٣ ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق الدكتور محمد عبده عزام ،
المجلد الثاني والمجلد الثالث ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٧ م .

- ٥٤ ديوان التهامي ، الطبعة الثانية ، منشورات المكتب الاسلامي ، دمشق ،
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٥٥ ديوان جميل بشينة ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م
- ٥٦ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ -
١٩٦٦ م .
- ٥٧ ديوان ابن حمديس : ٤٤٧-٥٢٧ هـ ، صححه وقدمه له الدكتور احسان
عباس ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
- ٥٨ ديوان ابن خفاجة ٥٣٣ هـ تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي ، منشأة
المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٢ م .
- ٥٩ ديوان الخنساء ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٦٠ ديوان ابن درّاج القسطلي ٤٢١ هـ ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ،
الطبعة الاولى ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٣٨١ هـ -
١٩٦١ م .
- ٦١ ديوان ذي الرمة (عيلان بن عتبة المدوّي ١١٧ هـ) ، شرح الامام ابني
نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح
الجزء الاول ، مطبعة طربين ، ١٣٦٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ٦٢ ديوان ابن رشيق القيرواني ، جمعه ورتبه الدكتور عبد الرحمن ياغي ، دار
الثقافة ، بيروت .
- ٦٣ ديوان ابن الرومي ، تحقيق الدكتور حسين نصّار ، الجزء الثاني ،
مطبعة دار الكتب ، مصر ، ١٩٧٤ م .
- ٦٤ ديوان زهير بن ابي سلمى ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ودار بيروت
، بيروت ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٦٥ ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق الدكتور علي عبد الحظيم ،
مطبعة الرسالة ، مصر ، ١٩٥٧ م .
- ٦٦ ديوان ابن زيدون (رسائله ، اخباره) شرح وضبط كامل كيلاني وعبد الرحمن
خليفة ، الطبعة الاولى ، مطبعة مصطفى البابي ، مصر ، ١٣٥١ هـ -
١٩٣٢ م .
- ٦٧ ديوان السري الرفاء ، نشر مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٥ هـ .

- ٦٨ ديوان الشريف الرضي، المجلد الثاني، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
- ٦٩ ديوان ابن شهيد الأندلسي، عني بجمعه شارل بلات، الطبعة الأولى، دار المكشوف، بيروت، ١٩٦٣م.
- ٧٠ ديوان صريع الفواني : مسلم بن الوليد الأنصاري، ٢٠٨هـ، تحقيق سامي الدخان، دار المعارف، مصر.
- ٧١ ديوان الصنوبري : احمد بن محمد بن الحسن الصنبي ٣٣٤هـ، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠م.
- ٧٢ ديوان عدي بن زيد المبادي، تحقيق وجمع محمد جبار المعيد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥م.
- ٧٣ ديوان ابن عمار الأندلسي، جمع الدكتور صلاح خالص، مطبعة الهدى، بغداد، ١٩٥٧م.
- ٧٤ ديوان عنقرة، أشرف على تصحيحه إبراهيم الزين، دار النجاشي ودار الفكر، بيروت.
- ٧٥ ديوان أبي فراس، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
- ٧٦ ديوان القطامي، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، الطبعة الأولى، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م.
- ٧٧ ديوان كشاجم، تحقيق وشرح خيريه محمد محفوظ، مطبعة دار الجمهورية، بغداد، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- ٧٨ ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق الدكتور إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م.
- ٧٩ ديوان ليل الصب، جمع وشرح محمد علي حسن، الطبعة الأولى، مطبعة الايمان، بغداد، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ٨٠ ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء المكي، ضبطه وصححه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مصطفى الباهي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، الجزء الثالث والرابع، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.
- ٨١ ديوان مجنون ليلى، شرح عبد المتعال الصعدي، مطبعة حجازي مصر.
- ٨٢ ديوان المعاني، أبو لال العسكري، الجزء الثاني، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢هـ.
- ٨٣ ديوان ابن المعتز، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

- ٨٤ ديوان المصتمد بن عباد ، تحقيق أحمد بدوي وعامد عبد المجيد
المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥١ م .
- ٨٥ ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق وشرح كرم البستاني ، دار صادر ودار
بيروت ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٨٦ ديوان أبي نواس ، تحقيق أحمد عبد المجيد الفزالي ، مطبعة مصر ،
القاهرة ، ١٩٥٣ م .
- ٨٧ ديوان الهذليين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٨٨ ديوان الواواء دمشقي ، تحقيق سامي الدهان ، المطبعة الهاشمية ،
دمشق ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .
- ٨٩ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ،
٥٥٤٢ هـ .
- القسم الأول ، المجلد الأول ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
القاهرة ، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
- القسم الثاني ، المجلد الأول ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ،
بيروت ، ١٩٧٨ م .
- القسم الرابع ، المجلد الأول ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٥ م .
- ٩٠ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد
الملك الانصاري الاوسي المراكشي ٥٥٥٧ هـ ، تحقيق الدكتور احسان عباس ،
بقية السفر الرابع ، السفر الخامس ، القسم الاول والقسم الثاني () ، دار
الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥ م .
- ٩١ رايات المبرزين وغايات المميزين ، ابن سعيد المغربي ، تحقيق الدكتور
النعمان القاضي ، القاهرة ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٩٢ الرسالة المصرية ، أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي ٥٢٨ هـ . تحقيق
ونشر عبد السلام هارون في " نوازل المخطوطات " ، المجموعة الاولى ،
الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وابولاده ، مصر ١٣٩٢ هـ -
١٩٧٢ م .
- ٩٣ رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ، محمد بن أحمد الشريف
الغرناطي ٧٦٠ هـ ، الجزء الاول ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٤٤ هـ .
- ٩٤ رقم الحبل في نظم الدول ، لسان الدين بن الخطيب ٧٧٦ هـ ، المطبعة
المعموية ، تونس ، ١٣١٦ هـ .

- ٩٥ الروض الصمطار في خبر الاقطار ، محمد بن عبد المنعم الحميري ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار القلم للطباعة ، بيروت ، ١٩٧٥ م .
- ٩٦ زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، أبو بحر صفوان بن ادريس ، التجيبي المروسي ٥٩٨ هـ ، تحقيق عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٠ م .
- ٩٧ زهر الآداب وثمر الألباب ، أبو اسحق ابراهيم بن علي الحميري القيرواني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الجزء الاول والجزء الثاني ، الطبعة الاولى ، دار احياء الكتب العربية ، مصر ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .
- ٩٨ سر الفصاحة ، ابن سناء الخفاجي ، تحقيق علي فودة ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م .
- ٩٩ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أبو الفلاح عبد الحفي بن الحمار الحنبلي ١٠٨٩ هـ . الجزء الثالث والجزء الرابع ، المكتبة التجارية للطباعة والنشر بيروت .
- ١٠٠ شرح ديوان الحماسة لابي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ٤٢١ هـ ، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون ، القسم الثاني ، الطبعة الاولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م .
- ١٠١ شرح القصائد العشر ، ابو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد ابن موسى المعروف بالخطيب التبريزي ٥٠٢ هـ ، تح . محمد مكي الديين عبد الحميد ، الطبعة الاولى ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٧ م .
- ١٠٢ شرح قصيدة ابن عبدون المصروفة بالبسملة لابي القاسم عبد الملك بن عبد الله بن بدرون ، الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٤٠ هـ .
- ١٠٣ شرح المقامات الحريريّة ، ابو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي ٥٦٤ هـ ، الجزء الاول ، المطبعة المثمانية الزكية ، ١٣١٤ هـ .
- ١٠٤ شرح سقط الزند ، تحقيق مصطفى السقا وعبد الرحيم محمود وعبد السلام هارون وابراهيم البياري وحامد عبد المجيد ، السفر الثاني ، القسم الاول ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- ١٠٥ شعر ابن اللبّانة الداني ، تحقيق الدكتور محمد مجيد السعيد ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

- ١٠٦ الشمر والشعرا ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن فتييه ٢٧٦ هـ ، الجزء الاول ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤ م .
- ١٠٧ صنع الاعشى في صناعة الانشا ، أبو المباس أحمد القلقشندي ، الجزء الخامس ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٣٣ هـ - ١٩١٥ م .
- ١٠٨ صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٦١ هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الجزء الرابع ، الطبعة الاولى ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- ١٠٩ صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المصطار في خبر الاقطار ، محمد بن عبد المنعم الحميري ، عني بنشرها وتصحيحها ا . ليفي بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧ م .
- ١١٠ صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، الشريف الادريسي ، مطبعة بريسل ، ليدن ، ١٩٦٨ م .
- ١١١ الصلة ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال ٥٧٨ هـ ، القسم الاول والقسم الثاني ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- ١١٢ صلة الصلة ، أبو جعفر أحمد بن الزبير ، صححه ا . ليفي بروفنسال ، المطبعة الاقتصادية ، الرباط ، ١٩٣٧ م .
- ١١٣ الصنائع ، أبو هلال المسكري ، تحقيق علي محمد المجاوي ومحمّد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- ١١٤ طبقات الامم ، أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الاندلسي ، ٤٦٢ هـ ، تحقيق الاب لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩١٢ م .
- ١١٥ طوق الحمامة في الألفة والألاف ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ٤٥٦ هـ ، تحقيق الاستاذ حسن كامل الصيرفي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- ١١٦ الصبر في غير من غير ، الحافظ الذهبي ٧٤٨ هـ ، تحقيق فؤاد سيد الجزء الثالث ، دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت ، ١٩٦١ م .
- الجزء الرابع ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، الكويت ، ١٩٦٣ م .

- ١١٧ الصعدة في محاسن الشعر وآداب ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق
القيرواني ٤٥٦ هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الجزء
الثاني ، الطبعة الثالثة ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- ١١٨ عمون الأنبا في طبقات الأطباء ، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة
ابن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة ، تحقيق
الدكتور نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ م .
- ١١٩ غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدين بن محمد بن الجزري ٨٣٣ هـ
عني بنشره ج . برجستراسر ، الجزء الاول ، مصر ، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .
- الجزء الثاني ، طبع سنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م .
- ١٢٠ الفيت المجمع في شرح لامية المجمع ، صلاح الدين خليل بن ابيك
الصفدي ٧٦٤ هـ ، المجلد الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ١٢١ فتوح مصر والسفر ، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم ٢٥٧ هـ ،
تحقيق عبد المنعم عامر ، الجزء الاول ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ،
١٩٦١ م .
- ١٢٢ فصل المقال في شرح كتاب الامثال ، ابو عبيد البكري ٤٨٧ هـ ، تحقيق
الدكتور عبد المجيد عابدين والدكتور احسان عباس ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٨ م .
- ١٢٣ فضائل الاندلس وأهلها ، ابن حزم وابن سعيد والقلقشندي ، نشرها
الدكتور صلاح الدين المنجد ، الطبعة الاولى ، دار الكتاب الجديد ،
١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م .
- ١٢٤ فهرست ابن خير ، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأسدي
الاشبيلي ٥٧٥ هـ ، وقف على طبعتها فرنسكه قداره زيد بن ، الطبعة
الثانية ، سرقسطة ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
- ١٢٥ فوات الوفيات ، محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي ٧٦٤ هـ ، تحقيق
محمد محي الدين عبد الحميد ، الجزء الاول والجزء الثاني ، مطبعة
السعادة ، مصر ، ١٩٥١ م .
- ١٢٦ قراة الذهب ، ابن رشيق القيرواني ، الطبعة الاولى ، مطبعة
النهضة ، مصر ، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م .
- ١٢٧ قضاة قرطبة ، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني الخشني
٣٦١ هـ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م .

- ١٢٨ قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، الفتح بن خاقان ٥٥٦٦ هـ ،
الطبعة ، ١٢٨٤ هـ - ١٨٦٧ م .
- ١٢٩ الكامل في التاريخ ، أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير ٦٣٠ هـ ،
الاجزاء الرابع والخامس ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٣٨٥ هـ -
١٩٦٥ م .
- التاسع والعاشر ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .
- ١٣٠ كتاب المبرور ديهوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر
ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، عبد الرحمن بن خالد بن المفري
٨٠٨ هـ ، المجلد الاول ، الطبعة الثانية ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب
الليبناني ، بيروت ، ١٩٦١ م .
- المجلد الرابع ، ١٩٥٨ م .
- ١٣١ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي
خليفة ، تحقيق محمد شرف الدين ورفعت بيلكة ، الجزء الاول والجزء
الثاني ، مكتبة العثني ، بغداد .
- ١٣٢ لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين بن منظر الافريقي المصري ،
٧١١ هـ ، ١٤ ج ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٨ م .
- ١٣٣ مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ٥١٨ هـ ،
الجزء الاول ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦١ م .
- ١٣٤ المحدثون من الشعراء وأشعارهم ، علي بن يوسف الققطي ، تحقيق
حسن معمر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ١٣٩٠ هـ .
- ١٩٧٠ م .
- ١٣٥ المختصر في تاريخ البشر ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف
بأبي الفداء ٧٣٢ هـ ، الجزء الثاني ، الطبعة الاولى ، المطبعة
الحسينية المصرية .
- ١٣٦ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، أبو
محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي ٧٦٨ هـ ، الجزء
الثالث ، الطبعة الاولى ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر
آباد الركن ، ١٣٣٨ هـ .
- ١٣٧ المرقصات والمطربات ، علي بن موسى بن سعيد المفري ، ٦٨٥ هـ دار
حمد ومحيو ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

- ١٣٨ مروج الذهب ومعادن الجواهر ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي
المسمودي ٣٤٦ هـ ، عني بنشره الاستاذين باربية دمينسار
وياوه دكورتل ، الجزء السادس ، الطبعة الثانية ، طهران ، ١٩٧٠ م .
- ١٣٩ المسالك والممالك ، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة
٣٠٠ هـ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٨٨٩ م .
- ١٤٠ المسالك والممالك ، أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري ،
تحقيق الدكتور محمد جابر عبد المال ، مطابع دار القلم ، القاهرة ،
١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- ١٤١ المستطرف في كل فن مستظرف ، شهاب الدين أحمد الابشيهسي ،
الجزء الثاني ، الطبعة الاولى ، مطبعة التقدم العلمية ، مصر ، ١٣٢٠ هـ .
- ١٤٢ مطالع البدور في منازل السرور ، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي ،
الجزء الاول ، الطبعة الاولى ، مطبعة ادارة الوطن ، القاهرة ١٩٩٥ هـ .
- ١٤٣ المطرب في أشعار أهل المغرب ، ابن دحية الكلبي ٦٣٣ هـ ، تحقيق الاستاذ
مصطفى عوض الكريم ، الطبعة الاولى ، مطبعة مصر ، الخرطوم ، ١٩٥٤ م .
- ١٤٤ مطمح الأنفس ومسرح الأنس في ملح أهل الاندلس ، الفتح بن خاقان
٥٢٩ هـ ، تحقيق محمد علي الشوابكه ، ١٩٧٧ - ١٩٧٨ م .
- ١٤٥ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، عبد الرحيم بن أحمد الحباسي ،
٨٩٦٣ هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الجزء الثاني ، مطبعة
السماعة ، مصر ، ١٩٤٧ م .
- ١٤٦ المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، عبد الرحمن المراكشي ، تحقيق
محمد سعيد المريان ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .
- ١٤٧ معجم الأدياء ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ،
تحقيق احمد فريد رفاعي ، ج ١١ ، ١٨ ، مكتبة عيسى الهايي ، القاهرة ،
١٩٣٦ م .
- ١٤٨ معجم البلدان ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ،
دار بيروت ودار صادر ، بيروت ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
- ١٤٩ المعجم في اصحاب القاضي الامام الصوفي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله
ابن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الأسيار ٦٥٨ هـ ، دار
الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

- ١٥٠ المعشرات واقتراح القريح واقتراح الجريح ، علي الحصري ، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٤ م .
- ١٥١ المغرب في حلي المغرب ، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، الجزء الأول والجزء الثاني ، دار المعارف مصر ، ١٩٥٥ م .
- ١٥٢ المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، أبو عبيد عبد الله عبد العزيز البكري ، ٤٨٧ هـ ، ومكتبة المثنى ،
- ١٥٣ المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، أبو مروان حيان بن خلف المصروف باين حيان ٤٦٩ هـ ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥ م .
- ١٥٤ المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، أبو مروان حيان بن خلف المصروف باين حيان ٤٦٩ هـ ، اعتنى بنشره الأب ملشور م . انطونية ، القسم الثالث ، بولس كتنر الكتبي ، باريس ، ١٩٣٧ م .
- ١٥٥ المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، أبو مروان حيان بن خلف المصروف باين حيان ٤٦٩ هـ ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م .
- ١٥٦ المقتضب من تحفة القادم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر البلسني المعروف باين الأبار ٦٥٨ هـ ، نشرها الفريسي الهستاني في مجلة المشرق المجلد ٤١ سنة ١٩٤٧ م ، بيروت .
- ١٥٧ المقتطف من أزهار الطرف ، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ، الخملة الثانية عشرة المشتملة على طح الموشحات والأزجال ، نشرها الدكتور عبد العزيز الأواني في كتاب (أعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة من ٢-٦ يناير ١٩٦٢ م) منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .
- ١٥٨ المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف باين أبي دينار ، تحقيق محمد شام ، الطبع سنة الثالثة ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٣٨٧ هـ .
- ١٥٩ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين يوسف بن تغري بردى التاهكي ، الجزء الخامس ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م .

- ١٦٠ نوح الطبيب من غصن الاندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني
١٠٤١ هـ ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م .
- ١٦١ نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، عني بتصحيحه س . أ . بوينباكر ، مطبعة
بريل ، ليدن ، ١٩٥٦ م .
- ١٦٢ نكت الهميان في نكت المميان ، صلاح الدين بن ابيك الصفدي ، وقف على
طبعه احمد زكي بك ، المطبعة الجمالية ، مصر ، ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م ،
- ١٦٣ نوادر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام هارول ، المجموعة الاولى ، الطبعة
الثانية ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباهي الحلبي ولادته ، مصر
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ١٦٤ هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين ، اسماعيل باشا البغدادي
١٣٣٩ هـ ، المجلد الثاني ، طبع وكالة المعارف ، استنبول ، ١٩٥٥ م ،
- ١٦٥ الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي ٧٦٤ هـ ، الجزء
الثاني ، باعتناء ديدنغ ، مطبعة وزارة المعارف ، استنبول ، ١٩٤٩ م .
- الجزء الثالث ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٥٣ م .
- ١٦٦ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، أحمد بن خلكان ٦٨١ هـ ، تحقيق
الدكتور احسان عباس ، ج ٧ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨ - ١٩٧١ م .
- ١٦٧ ينمية الدهر في محاسن أهل العصر ، أبو منصور عبد الملك الشعالبي
الميسابوري ٤٢٩ هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الجزء
الثاني ، مطبعة حجازي ، القاهرة ،

ج - المراجع العربية

- ١٦٨ اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، الدكتور محمد صفاني
مدارة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- ١٦٩ اتجاهات المعزل في القرن الثاني الهجري ، يوسف حسين بكار ، دار المعارف
مصر ، ١٩٧١ م .
- ١٧٠ الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، محمد عبد الله عنان ، الطبعة
الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- ١٧١ الحان الحان ، عبد الرحمن صدقي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٧ م .
- ١٧٢ أدباء العرب في الاندلس وعصر الانبعث ، بطرس البستاني ، الطبعة
السادسة ، دار المكشوف والثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

- ١٧٣ الأديب الاندلسي ، أحمد بلافريج وعبد الجليل خديفه ، مطبعة
الوحدة المغربية ، تطوان ، ١٣٦٠هـ - ١٩٤١ م .
- ١٧٤ الأديب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، الدكتور احمد ديكيل ،
الطبعة السادسة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧١ م .
- ١٧٥ الأديب الاندلسي (موضوعاته ومقاصده) ، الدكتور مصطفى الشمكة
دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢ م .
- ١٧٦ الأديب العربي في الاندلس ، الدكتور عبد العزيز عتيق ، الطبعة
الثانية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٦هـ
١٩٧٦ م .
- ١٧٧ أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية ، محمد
رضا الشهبوي ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ١٩٦١ م .
- ١٧٨ الأديب المغربي ، محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي ، الطبعة
الاولى ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت
١٩٦٠ م .
- ١٧٩ الأسلوب ، احمد الشايب ، المطبعة الفاروقية ، الاسكندرية ، ١٣٥٨ -
١٩٣٩ م .
- ١٨٠ إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، الدكتور صلاح خالص ، دار الثقافة ،
بيروت ، ١٩٦٥ م .
- ١٨١ الأعلام ، غير الدين الزركلي ، ج ١ ، ٦ ، ٨ ، الطبعة الثالثة ، بيروت .
- ١٨٢ أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ، عمر رضا كحالة ، الطبعة الثانية ،
المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩ م .
- الجزء الخامس ، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩ م .
- ١٨٣ أندلسيات (المجموعة الثانية) ، الدكتور عبد الرحمن علي الحنجري ، الطبعة
الاولى ، دار الارشاد للطباعة والنشر ، ١٩٦٩ م .
- ١٨٤ بلاغة العرب في الاندلس ، أحمد ضيف ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .
- ١٨٥ بنوعيان باشبيلية ، الدكتور عبد السلام الطود ، مطبعة كريمانيس تطوان ،
١٣٦٥هـ - ١٩٤٦ م .
- ١٨٦ تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، الجزء الثالث ، مطبعة
الهلال ، ١٩٣١ م .

- ١٨٧ تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) الدكتور إحسان عباس ،
الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
- ١٨٨ تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) الدكتور إحسان
عباس ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٢ م .
- ١٨٩ تاريخ الأدب العربي في صقلية ، امبرتوريزيتانو ، جمعية عمال المطابع
التعاونية ، عمان ، ١٩٦٥ م .
- ١٩٠ تاريخ الأندلس السياسي والعمراني ، الدكتور علي محمد عمودة ، الطبعة
الأولى ، مطابع دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٢٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
- ١٩١ التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، الدكتور عبد
الرحمن علي الحجي ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، دار
القلم ، الكويت - الرياض . ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- ١٩٢ تاريخ التمدن الإسلامي ، جرجي زيدان ، الجزء الخامس ، مطبعة الهلال ،
١٩٣١ م .
- ١٩٣ تاريخ العرب - مطول - الدكتور فيليب حطي والدكتور إدوارد جيري -
والدكتور جبرائيل جبور الجزء الثاني ، الطبعة الرابعة ، مطابع
الغندور ، ١٩٦٥ م .
- ١٩٤ تاريخ العرب في الأندلس (عصر الامارة) الدكتور خالد الصوفي ،
بنغازي .
- ١٩٥ تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة
بقرطبة ، الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، دار المعارف ، لبنان ، ١٩٦٢ م .
- ١٩٦ تراجم إسلامية شرعية وأندلسية ، محمد عبد الله عنان ، الطبعة الثانية ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ١٩٧ جولات في تاريخ المغرب ، عبد القادر الصحراوي ، الطبعة الأولى ، دار
الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦١ م .
- ١٩٨ الحصري ، (دراسة ومختارات) محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى
الطبعة الثانية ، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٤ م .
- ١٩٩ التحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، الأمير شكيب أرسلان ،
الجزء الأول ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

- ٢٠٠ ابن حمد يس الصقلي ، عبد المظني المنشاوي ومصطفى السقا ، المطبعة
الرحمانية ، مصر ، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م .
- ٢٠١ ابن حمد يس الصقلي (حياته من شعره) ، الدكتور سعد اسماعيل شلبي ،
دار غريب للطباعة ، القاهرة .
- ٢٠٢ الحياة الادبية في الشام في القرن الخامس الهجري ، الدكتور عبد
الجليل حسن عبد المهدي ، الطبعة الاولى ، مكتبة الاقص ، عمان ،
١٣٦٧هـ .
- ٢٠٣ الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، الدكتور احمد محمد الحوافي ،
الطبعة الرابعة ، مطبعة نهضة مصر ، مصر .
- ٢٠٤ حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها ، الدكتور عبد الرحمن ياغي ، الطبعة
الاولى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦١م .
- ٢٠٥ دائرة المعارف ، المعلم بطرس البستاني ، الجزء الثالث ، طهران ١٣٩٥هـ
- ١٨٧٨م .
- ٢٠٦ دراسات ادبية في الشعر الأندلسي ، الدكتور سعد اسماعيل شلبي ،
دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٣م .
- ٢٠٧ الدر المنثور في طبقات رباب الخدور ، السيدة زينب علي بن حسين بن
عبد الله الحاملي ، الطبعة الاولى ، المطبعة الكبرى الاميرية ، مصر ، ١٣١٢هـ .
- ٢٠٨ الدول الاسلامية وادابها ، أنيس المقدسي ، الطبعة الخامسة ، المطبعة
الادبية ، بيروت ، ١٩٣٩م .
- ٢٠٩ دولة الاسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر ، محمد عبد الله
عنان ، المصرا الاول ، القسم الاول ، الطبعة الثالثة ، مطبعة لينة
التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٥م .
- ٢١٠ دول الطوائف من قيامها حتى الفتح المرابطي ، محمد عبد الله عنان
الطبعة الاولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،
١٣٨٠هـ - ١٩٦٥م .
- ٢١١ الرثاء ، شوقي صنيف وآخرون ، دار المعارف ، مصر .
- ٢١٢ رحلة الى الأندلس ، ناجي جواد ، الطبعة الاولى ، دار الاندلس
للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٩م .
- ٢١٣ رحلة الأندلس ، محمد لبيب البتونوي ، الطبعة الاولى ، مطبعة الكشكول ،
١٩٢٧م .

- ٢١٤ ابن زيدون ، الدكتور شوقي حنيف ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩ م .
- ٢١٥ ابن زيدون ، فؤاد افرام البستاني ، الطبعة الاولى ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
- ٢١٦ ابن زيدون ، الدكتور علي عبدالمعطي ، ١٩٦٧ م .
- ٢١٧ ابن زيدون (أثر ولادة في حياته وأدبه) ، وليم الخازن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- ٢١٨ ابن زيدون (عصره وحياته وأدبه) الدكتور علي عبد المعطي ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- ٢١٩ شاعر ملك (قصة المحمّد بن عباد) ، علي الجارم ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٠ م .
- ٢٢٠ الشعر التعليمي في القرون الاربعة الاولى ، الدكتور عصمة عبد الله فوشه ، ١٩٧٠ م .
- ٢٢١ شعر الطبيعة في الادب العربي ، الدكتور سيد نوفل ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٤٥ م .
- ٢٢٢ الشعر والبيئة في الأندلس ، الدكتور ميشال عاصي ، الطبعة الاولى ، المكتبة التجارية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٠ م .
- ٢٢٣ الشمس والعنقاء ، خلدون الشمة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٧٤ م .
- ٢٢٤ صانع النصر المحمّد بن عبّاد ، الدكتور سعد اسماعيل شلمي ، مطبعة دار العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- ٢٢٥ الطبيعة في الشعر الاندلسي ، الدكتور جودت الركابي ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٢٢٦ ظهرا لاسلام ، أحمد أمين ، الجزء الثالث ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .
- ٢٢٧ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، زكريا القزويني ، تحقيق فاروق سعد ، الطبعة الثانية ، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٧ م .
- ٢٢٨ العرب في الاندلس ، جورج غريب ، الطبعة الثالثة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٨ م .
- ٢٢٩ العرب في صقلية ، الدكتور احسان عباس ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩ م .

- ٢٣٠ عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، محمد عبد الله عنان ،
العصر الثالث - القسم الاول ، الطبعة الاولى ، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .
- ٢٣١ ابن عمار ، ثروت أباظه ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٨م .
- ٢٣٢ غابر الأنديلس وحاضرها ، محمد كرد علي ، الطبعة الاولى ، المطبعة
الرحمانية ، مصر ، ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م .
- ٢٣٣ الفزل (تاريخه واعلامه) جورج غريب ، الطبعة الثالثة ، دار الثقافة ،
بيروت ، ١٩٧٥م .
- ٢٣٤ الفزل منذ نشأته حتى صدر الدولة المباسية ، الدكتور سامي الكيالي ،
الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٤م .
- ٢٣٥ فخر الأنديلس ، الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الاولى ، الشركة الحربية
للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩م .
- ٢٣٦ فن التوشيح ، مصطفى عوض الكريم ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة ، بيروت ،
١٩٥٩م .
- ٢٣٧ الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة
الخامسة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥م .
- ٢٣٨ في الأدب الأنديلسي ، الدكتور جودت الركابي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٠م .
- ٢٣٩ في أصول التوشيح ، الدكتور سيد غازي ، الطبعة الاولى ، مؤسسة الثقافة
الجامعية ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- ٢٤٠ في الربوع الأنديلسية ، سامي الكيالي ، مكتبة الشرق ، حلب ، ١٩٦٣م .
- ٢٤١ في النقد الأدبي ، الدكتور شوقي هنيف ، دار المعارف ، مصر .
- ٢٤٢ في النقد الأدبي ، الدكتور محمود السمر ، الطبعة الاولى ، الدار المتحدة
للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م .
- ٢٤٣ قصة الادب في الاندلس ، محمد عبد المنعم خفاجي ، الجزء الثاني ،
الطبعة الاولى ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
- ٢٤٤ قيام دولة المرابطين ، الدكتور حسن أحمد محمود ، مكتبة النهضة المصرية ،
مصر ، ١٩٥٧م .
- ٢٤٥ مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس ، عبد الكريم التواني ، الطبعة
الاولى ، مكتبة الرشاد ، الدار البيضاء ، ١٩٦٧م .

- ٢٤٦ مختارات من الشعر الاندلسي ، محمد رضوان الداية ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- ٢٤٧ المرابطون (تاريخهم السياسي) محمد عبد الهادي شحيرة ، الطبعة الاولى ، دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- ٢٤٨ معارك العرب في الاندلس ، بطرس البستاني ، الطبعة الاولى ، دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٠ م .
- ٢٤٩ المعتمد بن عباد ، نديم مرعشلي ، مطبعة الجهاد .
- ٢٥٠ المعتمد بن عباد ، علي أدم ، دار القدس للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٢٥١ المعتمد بن عباد ، (الملك الجواد الشاعر المرزأ) ، الدكتور عبد الوهاب عزام ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩ م .
- ٢٥٢ المعتمد بن عباد (الملك الشاعر) جبرائيل جبور (عن مجلة الابحاث السنة ١٦ ج ٢ حزيران ١٩٦٣) .
- ٢٥٣ المعتمد بن عباد وشعره عصره ، محمد زهدي يكن ، دار يكن للنشر بيروت ، ١٩٧٥ م .
- ٢٥٤ معجم أسماء النباتات الواردة في تاج المروس للزبيدي ، جمع وتحقيق محمود مصطفى الدماطي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مصر ، ١٩٦٥ م .
- ٢٥٥ معجم الالفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية ، الأمير مصطفى الشهابي ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .
- ٢٥٦ معجم الموسيقى العربية ، الدكتور حسين علي محفوظ ، مطبعة دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٤ .
- ٢٥٧ معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، ١٥ ج ، المكتبة العربية ، دمشق ، ١٩٥٧ — ١٩٦١ م .
- ٢٥٨ المغرب العربي ، احسان حنّسي ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت .
- ٢٥٩ مناهج البحث في اللغة ، الدكتور تمام حسان ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة الدار البيضاء ، ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م .
- ٢٦٠ موسى بن نصير (سلسلة أبطال العرب) ، مجموعة من المحررين ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥ م .
- ٢٦١ الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية (ملحق ٢) عبد العزيز بن محمد الله ، مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

- ٢٦٢ موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، الطبعة الأولى ، القاهرة .
- ٢٦٣ الموشحات الأندلسية ، فؤاد رجائي ، الطبعة الأولى ، القاهرة .
- ٢٦٤ نباتات الزينة وطرق تنسيقها في الحدائق ، الدكتور عز الدين فرّاج وصهي نجيب ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- ٢٦٥ النبوغ المغربي في الأدب العربي ، عبد الله كنون ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦١ م .
- ٢٦٦ نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي ، كامل كيلاني ، الطبعة الأولى ، مطبعة المكتبة التجارية ، مصر ١٩٢٤ م .
- ٢٦٧ النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، الطبعة الرابعة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩ م .
- ٢٦٨ وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي ، السباعي البيومي ومحمد خلف الله وعمر الدسوقي وشوقي هنيف وأحمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر .
- ٢٦٩ يحيى بن بقي (حياته وأدبه) (رسالة ماجستير) اعداد صلاح محمد جرّار ، بإشراف الدكتور عبد الكريم خديفه ، ١٩٧٦ ، - ١٩٧٧ م .
- ٢٧٠ يوسف بن تاشفين ، إبراهيم محمد حسن الجمل ، دار الشعب ، القاهرة .
- د - المراجع المترجمة
- ٢٧١ أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطيين والموحدين ، جان وجيروم طارو ، ترجمة احمد بلافريج ومحمد الفاسي ، المطبعة الوطنية ، الرباط ، ١٣٤٩ هـ .
- ٢٧٢ أسبانيا (شعبها وأرضها) دوروثي لودر ، ترجمة طارق فوده ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- ٢٧٣ الاسلام في المغرب والأندلس ، ا. ليفي بروفنسال ، ترجمة الدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم والاستاذ محمد صلاح الدين حلمي ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .
- ٢٧٤ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، يوسف أشباخ ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، الجزء الاول ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م .

- ٢٧٥ تاريخ الحضارة الاسلامية ، ف . بارتولد ، ترجمة حمزة طاهر ، مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩٤٢ م .
- ٢٧٦ تاريخ الشعوب الاسلامية ، كارل بروكلمان ، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للهايين ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- ٢٧٧ تاريخ العرب العام ل . أ . سيد يو ، ترجمة عادل زعيتر ، دار احياء الكتب العربية ، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨ م .
- ٢٧٨ تاريخ الفكر الاندلسي ، آنخل جنثالت يالنشيا ، ترجمة حسين مؤنس ، الطبعة الاولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- ٢٧٩ تاريخ مسلمي اسبانيا ، ر . دوزي ، ترجمة الدكتور حسن حبشي ، الجزء الاول ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣ م .
- ٢٨٠ تراث الاسلام ، كرستل آرنولد برجز ، ترجمة الدكتور زكي محمد حسن ، الجزء الثاني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦ م .
- ٢٨١ حضارة العرب في الاندلس ، ا . ليفي بروفنسال ، ترجمة دوقان قرغوط ، مطبعة النجوي ، بيروت .
- ٢٨٢ الحياة والحب ، اميل لودفنغ ، ترجمة عادل زعيتر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩ م .
- ٢٨٣ دائرة المعارف الاسلامية ، فنسنت وآخرون ، ترجمة محمد ثابت الفندي ، أحمد الشتاوي ، ابراهيم زكي ، عبد الحميد يونس ، المجلد الثاني ، طهران .
- ٢٨٤ دراسات في تاريخ الادب العربي ، أغناطيوس كراتشكوفسكي ، دار النشر (علم) موسكو ، ١٩٦٥ م .
- ٢٨٥ الشعر الاندلسي ، اميليو غرسية غوماس ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .
- ٢٨٦ الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، اليزابيث درو ، ترجمة الدكتور محمد ابراهيم الشوش ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦١ م .
- ٢٨٧ الشعر والتجربة ، أرشيبالد مكليش ، ترجمة سلمي الغنغرا المبيوسي ، دار اليقظة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر - بيروت - نيويورك ، ١٩٦٣ م .
- ٢٨٨ قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ترجمة محمد بدران ، الجزء الثاني من المجلد الرابع (عصر الايمان) .

- ٢٨٩ قواعد النقد الادبي ، لاسل آبركرمي ، ترجمة الدكتور محمد عوض محمد ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٤ م .
- ٢٩٠ مختصر تاريخ العرب سيد أمير علي ، ترجمة عفيف البعلبكي ، الطبعة
الاولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦١ م .
- ٢٩١ معجم الانساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، زامباور ، أفرجه
الدكتور زكي محمد حسن ، وحسن احمد محمود ، مطبعة جامعة
قواد الأول ، ١٩٥١ م .
- ٢٩٢ ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام ، دوزي ، ترجمة كامل كيلاني ،
الطبعة الاولى ، مكتبة ومطبعة الباهي الحلبي ، مصر ، ١٣٥١ هـ . -
١٩٣٣ م .

٥ - المراجع الاجنبية

- A short history of the Saracens,,By Amir Ali. ٢٩٣
Newyork , 1899
- The Encyclopaedia of Islam, London,1971 ٢٩٤
- Geschichte Der Arabischen Litteratur, ٢٩٥
n Brock olmann, Leiden, 1937
- Hispano arabic poetry,By D.A.Nyckl ٢٩٦
Baltimore, 1948
- New Pictorial Knowledge Dictionary,By Finch. ٢٩٧

و - المجلات والدوريات

- ٢٩٨ حوليات الجامعة التونسية ، تونس ، المجلد السابع ، ١٩٧٠ م .
٢٩٩ صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، مدريد ، المجلد الثاني ،
١٩٥٤ م .
٣٠٠ مجلة الابحاث ، الجامعة الامريكية ، السنة ١٦ ، الجزء الاول ، ١٩٦٣ م .
٣٠١ مجلة أفكار الاردن ، السنة الثانية ، المجلد الرابع عشر ، ١٩٧١ م .
٣٠٢ مجلة الثقافة ، القاهرة ، المجلد ٦٢٨ ، ١٩٥١ م .
٣٠٣ مجلة العربي ، الكويت ، المجلد ١٩ ، ١٩٦٠ م .
٣٠٤ مجلة المقفّع العلمي العربي ، دمشق ، المجلد الخامس ، الجزء السابع ،
١٩٢٥ م .
٣٠٥ مجلة المشرق ، بيروت ، المجلد ٢٣ ، المجلد ١١ ، ١٩٢٥ م .
- المجلد ٤١ ، ١٩٤٧ م .
- المجلد ٣٣ ، المجلد ٣ ، ١٩٣٥ م .

فهرس الموضوعات

٣ - ١	مقدمة	*
٦٠ - ٤	الفصل الأول : إشبيلية في القرن الخامس الهجري	*
١٠ - ٥	البيئة الجغرافية	
٣٠ - ١١	الحياة السياسية	
٣٩ - ٣١	الحياة الاجتماعية	
٦٠ - ٤٠	الحياة الفكرية	
١١٦ - ٦١	الفصل الثاني : اتجاهات الشعر في إشبيلية	*
٩٤ - ٦٢	اتجاهات موضوعية	
٦٨ - ٦٢	الاتجاه السياسي	
٧٦ - ٦٩	الاتجاه الاجتماعي	
٧٩ - ٧٧	الاتجاه التهذيبي	
	التعليقي	
٨٩ - ٨٠	الاتجاه الديني	
٩٤ - ٩٠	الاتجاه الفلسفي	
١١٦ - ٩٥	اتجاهات فنية	
٩٩ - ٩٥	الاتجاه التقليدي	
١١٦ - ١٠٠	الاتجاه التجديدي	
٢٧٦ - ١١٧	الفصل الثالث : موضوعات الشعر وأغراضه	*
١٤٥ - ١١٨	شعر الصراع العسكري والسياسي	
	- بين آل عباد والمالك البربرية	
١٣١ - ١١٨	والصربية المجاورة	
١٤٥ - ١٣٢	- بين المسلمين والروم	
١٥٧ - ١٤٦	المدح	
١٦٤ - ١٥٨	الهجاء	
١٧٠ - ١٦٥	الفخر	
١٧٥ - ١٧١	الشكوى والاستعطاف	
٢٢٢ - ١٧٦	الرتاء	
٢٠٩ - ١٧٦	- رتاء دولة بني عباد	
٢١٣ - ٢١٠	- رتاء الحكام	
٢١٧ - ٢١٤	- رتاء الأهل والأغارب	
٢٢٢ - ٢١٨	- رتاء الإخوان والأصدقاء	

٢٤٩ - ٢٢٣	شعر الطبيعة	
٢٣٥ - ٢٢٣	- الزهريات	
٢٢٧ - ٢٣٥	- الثمرات	
٢٤٢ - ٢٣٨	- المائيات	
٢٤٦ - ٢٤٢	- الحيوانات والطيور	
٢٤٩ - ٢٤٦	- القصور والدمر	
٢٥٤ - ٢٥٠	شعر الخمر	
٢٦٩ - ٢٥٥	الفزل	
٢٦٣ - ٢٥٥	- الفزل بالحرائر والقيان	
٢٦٩ - ٢٦٣	- الفزل بالفلمان	
٢٧٦ - ٢٧٠	الحنين	
٣٤٩ - ٢٧٧	الفصل الرابع : الخصائص الفنية *	
٢٩٠ - ٢٧٨	أ- هيكل القصيدة	
٣٣٦ - ٢٩١	ب- الصورة	
٣٠٥ - ٢٩٩	- الالفاظ	
٣١١ - ٣٠٦	- التشبيه	
٣١٤ - ٣١٢	- الاستعارة	
٣٢٢ - ٣١٥	- البديع	
٣٢٩ - ٣٢٣	- الايقاع والموسيقى	
٣٣٦ - ٣٣٠	- التجربة الشعرية	
٣٤٩ - ٣٣٧	ج- الاتباعية	
٣٨٥ - ٣٥٠	الفصل الخامس : وثقة عند بعض الشعراء *	
٣٥٦ - ٣٥١	- ابن حصن	
٣٦٦ - ٣٥٧	- ابن عمار	
٣٧٤ - ٣٦٧	- ابن وهب	
٣٨٥ - ٣٧٥	- ابن اللبابة	
٣٨٩ - ٣٨٦	الخاتمة *	
٤٣٥ - ٣٩٠	الفهارس : *	
٤٠٣ - ٣٩١	- فهرس الاعلام	
٤٠٨ - ٤٠٤	- فهرس الاماكن	
٤٣٣ - ٤٠٩	- فهرس المصادر والمراجع	
٤٣٥ - ٤٣٤	- فهرس الموضوعات	

This research - Poetry In Ishebelia in the Fifth Century

Hejiri as I indicated in the introduction - consists of five Sections. The First Section was an unavoidable approach, because it was specified for studying geographical , Potitical , social and intellectual aspects in Ishebelia during the abovementioned century. . As a result of extensive study, I discovered that these aspects had an essential role in directing poetry . It was naticable that Ishebelia's Vital and Strategic position, abundant fortunes, Charming archards, the society which tended to lustfulness the battles that Balou Abbad had fought against Barbers and Arabs on One hand, and against the Roums on the other hand - all these factors had influenced Poets somuch-

In the second section . I endeavored to display the most prominent trends of Poetry in Ishebelia during this period of time It was evident to me that poetry had got the Following directions: . Firstly the political trend . Secondly , Social trend and finally the religious trend . Those trends reflected the intrinsic aspect of poetry , but in the extrinsic aspect , two prominent trends came on the scene: the conventional trend and the modernization one .

Following that , I discussed-in the Third Section - Poetry subjects . I found that Poetry Kept on pursuing the military events that took place between Bani Abbad on one hand, and Arabs and Barbers on the ather hand . Consequently , The poets exaggerated in praising Bani Abbad and showd their

bravery and generosity . They also tried to characterize them as an ideal elevated group . At the scale of Lampoon and Satire, we noticed Several sorts such as : the Lampoon of jurists, monarchs , ministers and personal Lampoon . Many Kinds of Lamentation emerged in Ishebelia during this period . Some of them dealt with rulers , others dealt with relatives and sons and we Finally saw Lamentation of Brothers and Companions Furthermore, wine had spread widely in Ishebelia's society , and so the poets gave it a considerable description and explained its profound influence on people's spirits . Besides that , poets wrote poetry courting femals slaves and bonny boys, but this kind of poetry was superficial and it Lacked true passions . It is also noteworthy that the immigration of the poets from Ishebelia made them write poetry expressing their great nostalgia to return home .

In the fourth section , I concentrated mainly on the extrensic aspects of poetry including images similis metaphores, rhythms and the poem form. I perceived that the poets almost used circumlocution in praising, Lamentation and nostalgia , while they used abridgement. in boasting and courtship .

Finally , In the fifth section , I displayed a clear Picture for four poets considered a true reflecting mirror for the Ishbeli Poetry . for instance, Ibn Hesn represented the Ishebeli poetry in using circumlocution , strong

Utterance and elevated style, while Ibn-Ammar is considered a model for the Ishebeli poet who lived primarily poor life then he was promoted by Al- Mu'tammad Ibn Abbad to a high position . But when the former tried to rebel against the latter, he was eventually jailed then killed. through his poetry , Ibn-Ammar succeeded in giving the reader a clear picture about both his glorification period and submission one in jail . The Third poet Ibn- Whahboun - reflected the character of the thoughtful and careless poet. He wrote poetry in philosophy, Lamentation and lustfulness. The genius poet in writing poetry was Ibn Alabbana, who was the fourth poet and whom I talked about in details . Eventually . I find that I have to indicate to the Following Points. Firstly the art of (Al- Muwahsah) had developed in Ishebelia in the last Quarter of the fifth century Hejiri . Secondly, Ishebelia's Poets had been influenced by poets in the East and the west as well. Thirdly , the signals of the philosophical current began to appear in the Ishebeli poetry , yet this current was in need of polish and refinement , Fourthly , It was noticeable that Ishebeli Poetry represented Political and social aspects very well. Finally , It is note worthy that poetry of many poets failed to reach us, because it was lost for ever. Therefore , There is only poor information found in references. about some important poets as Ibn- Al - Margar Al- Nasrani .